

هاملتون.أ.ر. جيب ودوره في دراسة
التاريخ العربي الاسلامي

إعداد
"محمد طارق" محي الدين صالح مرزوقة

المُشرف
الأستاذ الدكتور علي محافظة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في
التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ...٤/٨/٢٠١٢

آب، ٢٠١٢ م

ب

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/ الأطروحة (هاملتون أ.ر جيب ودوره في دراسة التاريخ العربي الإسلامي)
وأجيزت بتاريخ ٢٠١٢/٧/١٦

التوقيع

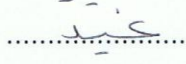
أعضاء لجنة المناقشة

.....

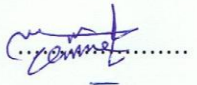

الأستاذ الدكتور علي مفلح محافظة، مشرفاً ورئيساً.
أستاذ تاريخ العرب الحديث في الجامعة الأردنية.

.....


الأستاذ الدكتور صالح موسى درادكة ، عضواً.
أستاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة الأردنية.

.....


الأستاذة الدكتورة غيداء عادل خزنة كاتب، عضواً.
أستاذة التاريخ الاسلامي في الجامعة الأردنية.

.....


الأستاذ الدكتور نعمان محمود جبران، عضواً.
أستاذ التاريخ الاسلامي في جامعة اليرموك

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع التاريخ...
.....

الإهداء

بصادق العرفان الأصيل، بالفضل والجميل ... إلى روح والديّ اعترافاً بفضلهما،
وابتهالاً إلى المولى بالرحمة والمغفرة لهما...

شقيقي نصوح ... تقديراً وامتناناً
زوجتي " أم أسامة" وفاءً وإكباراً لمؤازرتها وصبرها ...

أولادي وبناتي
أسامة، وكوثر، و الأء، و دعاء، وبتول، وسعد ...
محبة و قدوة وحافزاً على طريق العلم والمعرفة.

إلى كل من قدم النصح والعون والمساعدة في إنجاز هذه الدراسة
خاصة الأصدقاء الأوفياء ...

الباحث

الشكر والتقدير

الشكر لله أولاً وأخيراً على نعمه وفضله، ومنّه وكرمه، ومن ثم لأهل الفضل واليد الطولى من خلقه، فالإقرار بفضلهم إقرار بفضل الله .

أتقدم بوافر الشكر وعظيم الإمتنان والتقدير من أستاذي الدكتور علي محافظة، على احتضانه لي طيلة سنوات الدراسة، يفيض عليّ بنصحه و توجيهه وإرشاده إلى كل ما فيه فائدة وخير، ولتحمله عبئ الإشراف على هذه الرسالة ، وجهده و دوره في انجازها .

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى لجنة المناقشة الأفاضل لتفضلهم بقبول مناقشتي، وتكبدهم عناء قراءة الرسالة، والتنبيه على ما فيها من ملاحظات وتصويبها في سبيل إثرائها، ولا يفوتني أن أجزل الشكر والتقدير إلى أساتذتي الأجلاء في قسم التاريخ في الجامعة الأردنية والعاملين في المكتبة الرئيسية في الجامعة و إلى كل من قدم النصح والإرشاد والمساعدة.

الباحث

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	قائمة المحتويات
ط	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٤	الفصل الأول: هاملتون جيب
٥	اولاً: نبذة عن الاستشراق
٦	أ: التعريف والنشأة والتطور
١٠	ب: دوافع الاستشراق وأساليب المستشرقين
١٥	ج: مناهج البحث عند المستشرقين
١٧	د: آثار الاستشراق
٢٠	ثانياً: هاملتون جيب
٢١	أ: نشأته وحياته وثقافته
٢٥	ب: مؤلفاته وامتيازاته العلمية
٢٧	ج : منهج جيب وأسلوبه
٢٨	د : اسلوبه ومنهجيته لأهم المواضيع في الدراسة
٣٣	الفصل الثاني: جيب والتدوين عند العرب قبل الاسلام
٣٦	اولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة تاريخ
٣٩	ثانياً: تراث العرب التاريخي قبل الاسلام
٤٠	ثالثاً: جنوب الجزيرة العربية (عرب الجنوب)

٤٠	أ: معرفة القراءة والكتابة
٤٤	ب: الكتابات والنقوش
٤٨	ج: الروايات الشفوية في اليمن
٥٥	رابعاً: شمال الجزيرة العربية (عرب الشمال)
٥٦	أ: المأثور القبلي (أيام العرب وانسابهم)
٥٩	ب: دراسات المستشرقين لأنساب العرب
٦١	ج: الانساب عند العرب في الجاهلية والاسلام
٦٤	الفصل الثالث: جيب والتدوين التاريخي من القرن الاول وحتى القرن الثالث الهجري.
٦٥	اولاً: الروايات التاريخية بعد ظهور الاسلام
٦٥	أ: الرواية المسندة/ رواد المغازي
٦٧	ب: السيرة النبوية عند الزهري وابن اسحاق
٧٥	ج: السير والمغازي وأثرها في الكتابة التاريخية
٧٨	ثانياً: تطور الرواية في صدر الاسلام
٧٨	أ: دور فقهاء اللغة
٨٣	ب: الأخباريون وروايات القبائل
٨٦	ج: الوثائق وصناعة الورق
٩٠	د: مدونات ابو عبيدة والمدائني
٩٣	هـ: الرواية الشفوية والتدوين المبكر عند جيب والمستشرقين
٩٨	و: إشارات الوجود المبكر للتدوين في المصادر الاسلامية
١٠٧	الفصل الرابع: جيب والوعي التاريخي عند العرب
١٠٩	اولاً: أثر القرآن في وعي العرب
١١١	ثانياً: النظرة الدينية للتاريخ
١١٢	أ: نظرة الكنيسة للتاريخ
١١٨	ب: التفسير الاسلامي للتاريخ
١١٨	ج: الاختلاف في النظرة الدينية للتاريخ بين الكنيسة والتفسير الاسلامي
١٢٤	ثالثاً: دوافع تبني جيب لنظرة الكنيسة للتاريخ

١٢٥	أ: موقفه من القرآن والوحي
١٢٦	ب: نظرة جيب للعقل العربي
١٣٦	رابعاً: رأي جيب في أثر الرواية الفارسية في التدوين التاريخي
١٤٦	الفصل الخامس: جيب والتدوين التاريخي من القرن الثالث وحتى القرن السادس الهجري
١٤٧	اولاً: السياق التاريخي المتصل
١٤٨	ثانياً: أوج تطور الرواية التاريخية المسندة
١٥١	ثالثاً: اتجاهات الكتابة التاريخية حسب تصنيف جيب
١٥٢	أ: التواريخ المحلية
١٥٩	ب: الحوليات المعاصرة
١٦٩	ج: المنحولات في التواريخ المحلية الدنيوية
١٧٣	د: التراجم والسير
١٨٣	هـ: الحوليات الخاصة
١٩١	و: المصنفات التاريخية باللغة الفارسية
١٩٦	ز: المصنفات المتصلة بالتاريخ
٢٠٠	الفصل السادس: جيب والتدوين التاريخي من القرن السادس الى القرن العاشر الهجري
٢٠١	اولاً: كتابة الحوليات
٢٠٣	أ: حوليات التراجم والحوادث
٢٠٦	ب: حوليات الحوادث السياسية
٢٠٧	ثانياً: دراسة جيب للمصادر العربية
٢٠٧	أ: المصادر العربية لحياة صلاح الدين
٢١١	ب: ملاحظات على تاريخ الحروب الصليبية المبكرة
٢١٧	ثالثاً: النظرة العالمية لكتابة التاريخ
٢٢٥	أ: الحوليات الموسوعية
٢٢٧	ب: التواريخ العامة في المغرب والاندلس
٢٣٠	ج: تواريخ الاقاليم والاسر الحاكمة والسير

٢٣٣	رابعاً: المدارس التاريخية
٢٣٣	أ: المدرسة الشامية
٢٤١	ب: المدرسة المصرية
٢٥٣	ج: المدرسة اليمنية
٢٥٦	د: تواريخ الاقطار المحلية/ المغرب والاندلس
٢٦٠	ه: المصنفات المتخصصة
٢٨٥	النتائج
٢٧٨	قائمة المصادر والمراجع
٣٠٤	الملخص باللغة الإنجليزية

هاملتون أ.ر. جيب و دوره في دراسة التاريخ العربي الإسلامي

إعداد

" محمد طارق " محي الدين صالح مرزوقة

المُشرف

الإستاذ الدكتور علي محافظة

الملخص

تتمثل أهمية هذه الدراسة في تناولها لدراسة هاملتون جيب للتاريخ العربي الإسلامي من العصر الجاهلي حتى القرن العاشر الهجري، ويزيد من أهمية هذه الدراسة اعتمادها على المصادر الإسلامية الأولية، ودراسات المستشرقين والدراسات والمراجع الحديثة التي تطرقت للموضوع .

ولعل أهم الصعوبات التي واجهت الباحث تنوع المجالات التي تناولها جيب و طول المدة الزمنية لفترة الدراسة و ترجمة عدد لا بأس به من المصادر والدراسات والمقالات من الإنجليزية إلى العربية وتحليلها وتلخيصها لتوظيفها في الدراسة.

واشتملت هذه الدراسة على مقدمة و ستة فصول و خاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع وتناول الفصل الاول لمحة موجزة عن الإستشراق، و حياة هاملتون جيب ونشأته وشخصيته وثقافته والمرحلة العملية من حياته ومؤلفاته ومنهجه في دراسته للتاريخ العربي الإسلامي.

وبحث الفصل الثاني في جيب والتدوين عند العرب قبل الاسلام المعنى اللغوي والإصطلاحي لكلمة تاريخ وتراث العرب التاريخي قبل الإسلام في جنوب جزيرة العرب من كتابات و نقوش وروايات شفوية، وفي شمال جزيرة العرب وما لديهم من مآثور مثل أيام العرب وأنسابهم، ودراسات المستشرقين لأنساب العرب، وأنساب العرب في الجاهلية والإسلام.

وعالج الفصل الثالث موقف جيب من التدوين التاريخي من القرن الاول إلى الثالث الهجري، والروايات التاريخية بعد ظهور الإسلام، والرواية المسندة ، ورواد المغازي والسيرة النبوية، وتطور الرواية في صدر الإسلام، ودور فقهاء اللغة والإخباريين في جمع

الروايات التاريخية، والوثائق الموجودة، وصناعة الورق، والرواية الشفوية والتدوين المبكر.

وناقش الفصل الرابع جيب الوعي التاريخي عند العرب وأثر القرآن في ذلك، و نظرة جيب الدينية للتاريخ وتفسير الكنيسة و التفسير الإسلامي للتاريخ، وتنبؤ جيب لنظرة الكنيسة للتاريخ، وموقفه من القرآن والوحي ونظرته للعقل العربي.

وتضمن الفصل الخامس رؤية جيب للتدوين من القرن الثالث إلى القرن السادس الهجري، وبحث السياق التاريخي المتصل، وتطور الرواية التاريخية المسندة، كما تناول اتجاهات الكتابة التاريخية حسب تصنيف جيب لها وهي: التواريخ المحلية، والحواليات المعاصرة، والتراجم والسير، والحواليات الخاصة، وبداية الكتابة باللغة الفارسية، وأنواع المصنفات المتصلة بالتاريخ.

أما الفصل السادس فقد تناول نظرة جيب للتدوين من القرن السادس إلى العاشر الهجري، واشتمل على كتابة حواليات التراجم، والحوادث السياسية، ودراساتي جيب للمصادر العربية لحياة صلاح الدين، و الملاحظات على تاريخ الحروب الصليبية المبكرة، والنظرة العالمية للتاريخ، والحواليات الموسوعية، والتواريخ العامة، وتواريخ الاقاليم والأسر الحاكمة، والمدارس التاريخية: الشامية والمصرية واليمنية، والمصنفات المتخصصة، والتراجم في الادب، والطب والعلوم، والمعاجم الشاملة.

المقدمة

اهتم الباحثون في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الحديث والمعاصر، بدراسة الاستشراق كتقليد معرفي فرضه الغرب المسيحي الأوروبي على الشرق العربي الإسلامي، في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وكان من نتائجه خضوع معظم البلاد العربية والإسلامية للإستعمار الأوروبي لفترة طويلة.

يعتبر الاستشراق السبب الرئيسي وراء الاختلاف بين الشرق والغرب، فقد لعب دوراً كبيراً وفاعلاً في التاريخ الحديث والمعاصر للعالمين العربي والإسلامي في النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والفكرية من خلال الصورة الإنطباعية التي رسمها في ذهن المفكرين والسياسيين ومن ثم الإعلاميين الغربيين عن الإسلام والعرب والتي حكمت العلاقة بين الإسلام والغرب.

جاءت هذه الدراسة لتعالج نموذجاً من الدراسات الاستشراقية، ومن ثم بيان نظرة المستشرقين وكيفية دراستهم للتاريخ العربي الإسلامي من خلال المفاهيم التي كانت وما زالت سائدة في الفكر الغربي الحديث والمعاصر.

وتبرز أهمية هذه الدراسة من خلال تسليط الضوء على فكر المستشرق هاملتون الكسندر روسكين جيب Gibb، عميد الإستشراق البريطاني في القرن العشرين الذي يمثل النموذج الأكبر والآخر في الاستشراق التقليدي، وصاحب فكرة المدرسة الاستشراقية الجديدة.

أما الأسباب التي دفعت الباحث للخوض في هذا الموضوع فتتلخص بما يلي :

١ - قلة عدد الدراسات التي تناولت موضوع الاستشراق بشكل عام، وأغلب الموجود تناول الاستشراق بعمومية و ركّز على تفنيد إدعاءات وإفتراءات المستشرقين وموقفهم من القرآن الكريم، والنبوي محمد (صلى الله عليه وسلم)، والوحي وما يتعلق بالحديث النبوي والامور الدينية. وبعضها عبارة عن إحصاء بيلوغرافي لأسماء المستشرقين ومصنفاتهم مثل عبد الرحمن بدوي، ونجيب العقيقي، وتطرق بعض من الدراسات للاستشراق من خلال بيان العلاقة بين الاستشراق وكل من الإستعمار، أو التبشير(التنصير).

٢ - ندرة الدراسات التي عالجت الاستشراق بالنقد والتحليل ومن أشهرها على سبيل المثال دراستي محمود حمدي زقزوق و إدوارد سعيد وهما نقد عام للاستشراق في مجمله.

٣ - عدم وجود دراسة نقدية متخصصة تناولت دراسة هاملتون جيب للتاريخ العربي الإسلامي (حسب اطلاع الباحث).

٤ - رغبة الباحث في التخصص في مجال الدراسات الاستشراقية لأهميتها في تاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر وعلاقتها العضوية بالأحداث والتطورات المعاصرة في المنطقة.

ولعل من أهم الصعوبات و المشاكل التي واجهت الباحث ما يلي:

- ١ - اتساع الفترة الزمنية للدراسة، وكثرة المواضيع المختلفة التي تناولها جيب في دراسته، فقد شملت العصر الجاهلي والقرون العشرة الهجرية الأولى من التاريخ العربي الإسلامي.
- ٢ - كثرة الإحالات والإشارات في دراسة جيب خاصة للمصادر الإسلامية والمقالات في دائرة المعارف الإسلامية في طبعاتها المختلفة، ودراسات المستشرقين التي تطلبت الترجمة و التحليل والإختصار لاستخلاص المعاني وهذا جهد إضافي للبحث.
- ٣ - تبني جيب لكثير من آراء وأفكار مستشرقين آخرين دون الإشارة إليهم، وتطلب هذا التوسع في البحث عن المعلومات لبيان صحة ما ذهب إليه جيب وهذا أيضا جهد إضافي للدراسة.
- ٤ - كثرة طروحات جيب لأحكام وآراء عامة ومبهمة دون أدلة أو براهين أو إشارة .
- ٥ - معالجة جيب لبعض القضايا بطريقة شائكة (مثل تحول النظرة للتاريخ من الصبغة الدينية إلى الصبغة الدنيوية) فهو يطرح رأياً بناءً على افتراض أو زعم (أو بناء على آراء مستشرقين لم يشر لهم) ، ثم يضع استنتاجاً ثم يقرر حكماً بشكل عام وذلك بدون أدلة، وفي الوقت نفسه يكون هناك تعارضٌ بين الطرح و الإستنتاج والتقرير، وهذا يتطلب جهداً في معالجة هذا الطرح والعلاقة بين هذه العناصر.

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة و ستة فصول وخاتمة تفصيلها كالآتي:

تناول الفصل الأول لمحة موجزة عن الاستشراق بشكل عام، و حياة هاملتون جيب وشخصيته وثقافته، والمرحلة العملية من حياته، وأهم مؤلفاته، وأسلوبه ومنهجه في دراسته للتاريخ العربي الإسلامي .

و بحث الفصل الثاني موقف جيب من التدوين عند العرب والاسلام، فتناول المعنى اللغوي والإصطلاحي لكلمة تاريخ، وتراث العرب التاريخي قبل الإسلام في جنوب جزيرة العرب، من كتابات ونقوش، وروايات شفوية، وفي شمال جزيرة العرب وما لديهم من مآثور خاصة أيام العرب وأنسابهم، ودراسات المستشرقين لأنساب العرب، ولمحة عن انساب العرب في الجاهلية والأسلام.

وعالج الفصل الثالث جيب والتدوين التاريخي من القرن الاول إلى الثالث الهجري، والروايات التاريخية بعد ظهور الإسلام، والرواية المسندة، ورواد المغازي والسيرة النبوية، وتطور الرواية في صدر الإسلام، ودور فقهاء اللغة والإخباريين في جمع الروايات التاريخية، والوثائق المتوفرة، وصناعة الورق عند العرب، والرواية الشفوية والتدوين المبكر، ودراسة المصادر الإسلامية حول التدوين المبكر و تقييد العلم.

وناقش الفصل الرابع موقف جيب من الوعي التاريخي عند العرب وأثر القرآن في ذلك، ونظرة جيب الدينية للتاريخ، وتفسير الكنيسة المسيحية، والتفسير الإسلامي للتاريخ، ودوافع تبني جيب لنظرة الكنيسة للتاريخ، وموقفه من القرآن والوحي، ونظرته للعقل العربي.

وتضمن الفصل الخامس رؤية جيب للتدوين من القرن الثالث إلى السادس الهجري وبحث السياق التاريخي المتصل، وتطور الرواية التاريخية المسندة، كما تناول اتجاهات الكتابة التاريخية حسب تصنيف جيب لها وهي: التواريخ المحلية، والحواليات المعاصرة، والتراجم والسير، والحواليات الخاصة، وبداية الكتابة باللغة الفارسية، وأنواع المصنفات المتصلة بالتاريخ.

أما الفصل السادس فقد تناول نظرة جيب إلى التدوين من القرن السادس إلى العاشر الهجري، واشتمل على كتابة حواليات التراجم والحوادث السياسية، ودراساتي جيب: ملاحظات على المصادر العربية للحروب الصليبية المبكرة، والمصادر العربية لحياة صلاح الدين، والنظرة العالمية للتاريخ، كما تناول حواليات الموسوعية، والتواريخ العامة وتواريخ الأقاليم و الأسر الحاكمة، والمدارس التاريخية الشامية والمصرية واليمنية، والمصنفات المتخصصة، والتراجم في الادب والطب والعلوم، والمعاجم الشاملة العامة والخاصة.

ومن اهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة: كتاب الخطيب البغدادي، "تقييد العلم"، و"كتاب نشأة علم التاريخ" للدوري، و"التاريخ والمؤرخون" لشاكر مصطفى، وبرنارد لويس وب.م. هولت، "مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث"، وكتاب "علم التاريخ عند المسلمين" لروزنتال، اما المراجع الاجنبية فهي:

H.A.R.Gibb, Encyclopedia of Islam , Supplement Leidon,E.J.BRILL & -

London ,1938,TARIKH

H.A.R.Gibb,Studies on the civilization of Islam, Edit by Stanford.J.Show & -

William R.Polk,Routledge

Goldziher,Muslim studies, VOL 1 &2 -

الفصل الاول: هاملتون جيب

اولاً: نبذة عن الاستشراق

- أ: التعريف والنشأة والتطور
- ب: دوافع الاستشراق
- ج: مناهج البحث عند المستشرقين
- د: آثار الاستشراق

ثانياً: هاملتون جيب

- أ: نشأته وحياته وثقافته
- ب: مؤلفاته وامتيازاته العلمية
- ج: منهج جيب
- د: اسلوبه ومنهجيته لأهم المواضيع في الدراسة

أولاً : نبذة عن الاستشراق

كثر الحديث عن الاستشراق في الشرق والغرب، وتعددت الدراسات حوله، وتباينت الآراء والمواقف منه ابتداءً بمفهوم ماهية الاستشراق وتعريفه ونشأته وبداياته الفعلية وترتيب دوافعه وأهدافه ونتائجه الفكرية والمادية والمعنوية، التي انعكست على علاقات الشرق والغرب أو كما يسميها المستشرقون الإسلام والغرب^١.

وسيظل الاستشراق موضع جدل وبحث، وينظر إليه بأنه ظاهرة، أو حركة أو علم، ويمكن القول أنه تقليد معرفي غربي يهدف إلى دراسة كل ما يتعلق بالشرق عامة (الصين والهند وبقية شعوب وأمم اسيا والعالمين العربي والإسلامي) من لغات وتاريخ وحضارة و فكر وثقافة و دين (خاصة الدين الإسلامي)، وينطلق بشكل عام من دافعين في آن معاً الخوف والرغبة من الإسلام كمصدر تهديد لوجود أوروبا المسيحية، والإعجاب بما عند الشرق من حضارة وثروات وتراث للسيطرة عليه^٢.

لم يحظ الاستشراق من جانب العرب والمسلمين بالدراسة والبحث الكافيين لما قام به المستشرقون الغربيون، وحتى الدراسات والأبحاث التي أجريت وعلى قلتها في العدد والنوعية فإن من قاموا بها كانوا ذوي اتجاهات فكرية، متعددة وأساليب بحثهم ودوافعهم متنوعة، لذلك ينظر إلى كثير ممن بحث في الاستشراق سواء أثنى ومدح أو اتهم وقدح بأنه في وضع المتهم أو أنه لم يسلم من النقد أو المعارضة^٣. وبسبب ما يكتنف مصطلح الاستشراق من غموض فقد تعددت الآراء حول تاريخ البدايات الأولى والنشأة، له فهناك من يعطيه فترة زمنية، أو يربطه بحادثة معينة، أو عصر محدد، أو من خلال علاقات الشرق بالغرب.

بدأت دوافع وأهداف الاستشراق بسيطة بسبب معرفة الغرب المحدودة عن الإسلام، لكنها تطورت وتشعبت تبعاً لتطور الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية في أوروبا من جهة، وفي

^١ أركون، محمد وآخرون، الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى ، ط/١، بيروت، ١٩٩٤م، مقدمة المترجم، ص ٩ - ١٥ . انظر: النملة، علي بن إبراهيم، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط/١، الرياض، ١٩٩٣م، ص ٩.

^٢ قطب، محمد، المستشرقون والإسلام، مكتبة وهبة، ط/١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٣- ١٤ . السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، مكتبة دار البيان، ط/١، الكويت، ١٩٦٨م، ص ٩. فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية حتى بداية القرن العشرين) ترجمة عمر لطفي العالم دار المدار الإسلامي، ط/٢، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٥- ١٧. فريد هاليداى، الإسلام وخرافة المواجهة - الدين والسياسة في الشرق الأوسط- ترجمة محمد مستجير، مكتبة مدبولي، ط/١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٣٢.

^٣ النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٩. السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٩، ١٥.

الشرق العربي الإسلامي من جهة أخرى وربما كانت النتائج والآثار الإيجابية والسلبية غير متوقعة لكلا الطرفين.

وهناك من يربط الاستشراق بالحروب الصليبية والتنصير والتبشير والإستعمار وبمصالح اليهود لذا يتوجب تقديم فكرة عامة ملخصة عن الاستشراق.

أ: التعريف والنشأة والتطور

يعتبر مصطلح الاستشراق عام يطلق على اتجاه وأسلوب فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة العرب والإسلام بصفة خاصة^١، واشتقت كلمة الإستشراق (Orientation) من الشرق، وهي كلمة مولدة عصرية تعني طلب علوم الشرق ولغاته، واستخدمت كلمة مستشرق ترجمة لكلمة (Orientalist) لوصف المشتغل بهذا الحقل المعرفي^٢، ويعود أول ظهور لها في اللغات الأوروبية إلى عام ١٦٣٠م، حيث أطلقت على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية/ اليونانية، وفي اللغة الإنجليزية نحو عام ١٧٧٩م، وفي اللغة الفرنسية عام ١٨٣٨م. كمصطلح في معجم الأكاديمية الفرنسية^٣.

ويستخدم مصطلح الاستشراق في الثقافتين العربية والغربية ويشير إلى أمور أهمها:

- البحث في مختلف أنواع المعارف والعلوم التي أنتجها المتخصصون الغربيون بدراسة الشرق وكتب الرحالة والدبلوماسيين والمبعوثين والموظفين من الدول الغربية التي استعمرت أقطار المشرق خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.
- النزعة التي غلبت على فن الرسم الأوروبي واستلهمت الشرق كموضوع فني أثير لديها وهي جزء من الثورة الإبداعية الأوروبية.

^١ سعيد، إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط/٢، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣٨، ٨٠. انظر: العليان، عبد الله علي، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، المركز العربي، ط/١، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م، ص ١٠ - ١١، ١٣ - ١٦. الجليند، محمد السيد، الاستشراق والتبشير - قراءة تاريخية موجزة- دار قباء للطباعة والنشر، (د/ط)، (د/ن)، ١٩٩٩م، ص ١٠. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، ط/٢، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٤.

^٢ اصطيف، عبد النبي، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، المجلد/٢، مادة الاستشراق، ص ١١٦. سعيد، الاستشراق، ص ٣٨. العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ٩. زقزوق، الاستشراق، ص ٢٥.

^٣ اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، ص ١٦٦. زقزوق، الاستشراق، ص ٢٧. عثمان، عبد المنعم فؤاد محمود، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة في الإسلام، مكتبة العبيكان، ط/١، الرياض، ٢٠٠١م، ص ٣٠.

- اتخاذ الشرق موضوعاً للمؤلفات الأدبية أو " الهجرة إلى الشرق على الورق" كما عبّر عن ذلك بعض الأدباء مثل غوته (Goethe)(١٧٤٩-١٨٣٢م)، وغونر إيكيلوف (Gunnar Aakilov) (١٩٠٧-١٩٦٨م)، وهي ظاهرة قديمة في الادب الأوروبي^١.

وهناك صلة مشتركة تؤثر بشكل عضوي على العناصر أعلاه من حيث هوية المستشرق الجغرافية والقومية، وبداية نشأة الاستشراق الرسمي وما قبل الرسمي، وتحديد الدوافع والأهداف و ترتيبها حسب الأهمية من حيث الزمن والمصالح لمن قام بالاستشراق^٢.

والمستشرق كل من يقوم بدراسة وتدرّيس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه سواء كان مختصاً بعلم الإنسان (انثربولوجي)، أو عالم إجتماع، أو فقيه لغة (فيلولوجيا)، أو مؤرخ، أو مختص باللاهوت وما يقوم به هو استشراق^٣.

وهذا تعريف عام، لكن هناك من يحاول أن يعرف المستشرق تبعاً لتقسيم جغرافي / ديني غربي مسيحي، أو شرقي غير عربي، أو عربي غير مسلم مثل : لويس شيخو و فليب حتي وغيرهما^٤. أو على أساس علمي أو أيديولوجي فكري سياسي/ ديني^٥.

نشأة الاستشراق

يواجه من يبحث في نشأة الاستشراق صعوبة في تحديد زمن بعينه^٦، لأن البدايات غير واضحة تماماً، وينطلق كل من يحاول تحديد هذا التاريخ من مفهوم أن الاستشراق معرفة ينتجها غير الشرقي (الغربي تحديداً) عن الشرق، ويحفزه على ذلك المواجهة والاتصال بعدة أشكال بين الغرب - سواء دولة، امبراطورية، جماعة دينية - وبين الشرق، وهذا يعني أن تاريخ هذه المعرفة يرتبط بشكل وثيق بزمن تلك المواجهة^٧.

^١ اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، ص ١٦٦.

^٢ النملة، الاستشراق في الأدبيات العربي ص ١٣-١٤.

^٣ سعيد، الاستشراق ، ص ٣٨. زقزوق، الإستشراق، ص ٢٤ - ٢٥. الجليند، الاستشراق والتبشير، ص ١٠. العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ٩.

^٤ النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ١٧ - ٢٠.

^٥ العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ص ٦. انظر: العاني، عبد القهار داود عبد الله، الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان، ط/١، عمان ٢٠٠٠م، ص ٢٩.

^٦ النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٢٣.

^٧ اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، " مادة الاستشراق"، ص ١٦٦.

لذلك تباينت الآراء وتعددت حول النشأة، فهناك من يرجعها لفترات مبكرة لزمان الإسكندر المكدوني^١، أو بداية دعوة الإسلام: وفود الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى قيصر الروم ونجاشي الحبشة^٢، أو مؤلفات يوحنا الدمشقي (٦٧٦ - ٧٤٩ م) "محاورة مع مسلم" و"إرشادات النصارى في جدل المسلمين"^٣. أو ما كتب من مذكرات ورسائل ورحلات الحجاج النصارى، وكتب الرحلات ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين، ومراحل الصراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس و صقلية و الحروب الصليبية^٤.

لا يمكن اعتبار هذه التواريخ مقبولة كبداية لنشأة الاستشراق، لأنها في الغالب جهود فردية حتى لو كان خلالها محاولات لترجمة القرآن الكريم أو لبعض المصادر العربية الإسلامية، لأن مفهوم الاستشراق كما اتضح لم يكن تبلور بعد من حيث الدلالة والشمول هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الاستشراق بمعناه الحقيقي بدأ فعلياً بدراسة فقه (فيلولوجيا) اللغات الشرقية والعربية بشكل خاص.

ويرى كثير من الباحثين أن نشأة الاستشراق كانت عقب فشل الحروب الصليبية في الشرق من خلال الدعوة لفهم معتقدات المسلمين وإمكانية ترجمة تراث العرب والمسلمين لمواجهةهم بأسلوب مغاير للحرب وذلك بعد صدور قرار مجمع فيينا (Vienna) عام ١٣١٢م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية لدراسة اللغة العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس و أكسفورد، وبولونيا وأفينيون وسلامنكة^٥، ويلاحظ أن الدافع والسبب الأول في نشأة الاستشراق كان دينياً بقرار مجمع كنسي.

أما عن تطور الاستشراق فقد ساهمت كراسي اللغة العربية بإنتشارها في الجامعات الأوروبية والأمريكية التي وجدت فيها كما بدأت ترجمة بعض الكتب وأهمها القرآن الكريم وأخذ الاستشراق يتطور في القرن السادس عشر وما بعده في عصر النهضة الأوروبية، لعدة عوامل ساهمت في السعي نحو فهم أفضل للإسلام والمسلمين أهمها النزعة الإنسانية / الرومانسية، والروح العالمية، والبحث عن آفاق جديدة في المعرفة، وهذه أدت إلى دراسات أكثر موضوعية.

^١ المرجع نفسه، ص ١٦٦.

^٢ النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٢٣.

^٣ زقزوق، الاستشراق، ص ٢٥ - ٢٦.

^٤ الحيدري، ابراهيم، صورة الشرق في عيون الغرب، دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي، دار الساقى، ط/١، ١٩٩٦م، ص ١٥. زقزوق، الاستشراق ص ٢٨. الموسوعة العربية العالمية، مجلد/١، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، ط/١، الرياض، ١٩٩٦م، مادة الاستشراق، ص ٦٧٦.

^٥ سعيد، الاستشراق، ص ٨٠، العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ١٩ - ٢٠. اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، ص ١٦٧، الجليند، الاستشراق، ص ١١-١٢. الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، ص ٣٣. زقزوق، الاستشراق. ص ٣٤ - ٤٥. النملة، الاستشراق في الأدبيات، ص ٢٩، البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، مكتبة وهبة، ط١٢، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٤٢٩.

ومن مظاهر التطور الأخرى أن النظرة المركزية الأوروبية إلى العالم والكون لم تعد ممكنة بعد الإكتشافات الجغرافية، وانطفاء جذوة الحروب الدينية الأوروبية التي استمرت لعدة قرون بلا جدوى، وشهد هذا القرن السادس عشر تشجيعاً ملحوظاً من البابوية الرومانية على تعلم اللغات الشرقية لأسباب تبشيرية، فضلاً عن أهمية ذلك في مسألة إعادة توحيد الكنائس المسيحية الشرقية التي كانت العربية أو السريانية أو القبطية لغة للشعائر الدينية، كما تم إنشاء كرسي للغة العربية في كلية فرنسا (college de France)، وإقامة أول مطبعة عربية عام ١٥٨٦م في روما على يد فرديناند دومديتشي (Ferdinand de Medici) كبير دوقات توسكانيا. والتي يسرت طباعة الكثير من المؤلفات العربية في الطب والفلسفة والعربية^١.

وشهد القرن السابع عشر تطوراً ملحوظاً في مجال الاستشراق مثل انشاء كراسي اللغة العربية في جامعتي كمبردج وأكسفورد، وظهرت دراسات هامة عن الإسلام والثقافة واللغات الإسلامية، غلبت عليها الروح الموضوعية خاصة في فرنسا وانجلترا، بينما ظلّت الدراسات الاستشراقية في ألمانيا وهولندا مرتبطة باللاهوت المسيحي ونصوص العهد القديم واللغة العبرية^٢.

وأهم ما يميّز هذا القرن النشاط الواسع والكبير على مختلف المستويات لجمع المخطوطات العربية والإسلامية في مختلف حواضر القارة الأوروبية ونتج عن ذلك سلب ونهب أعداد كبيرة من أهم مصادر التراث العربي الإسلامي^٣، بلغت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي أكثر من (٢٥٠,٠٠٠) مجلد من نواذر المخطوطات، وما زال العدد في تزايد حتى الوقت الحاضر^٤.

واستمرت في القرن الثامن عشر النظرة الموضوعية المحايدة مع تعاطف نحو الإسلام بسبب النظرة العقلية والنزعة الرومانسية نحو الشرق، إلا أن المبادئ والمفاهيم التي نادى بها عصر التنوير تحولت عن مسارها، فتحول مفهوم التقدم الاجتماعي والأخلاقي إلى تقدم إقتصادي تكنولوجي، كما تحول مفهوم العقلانية الإنساني إلى فكرة المركزية الأوروبية، التي تقيّم أية حضارة أو فكر أو ثقافة سابقة وفق مقاييسها ومصالحها، وتجسد ذلك باعتقاد الإنسان الأوروبي بأنه أكثر عقلانية وتقدماً وواقعية، وأن الشعوب الأخرى أكثر تخلفاً وتأخراً وجهلاً. و تحول الاستشراق إلى مؤسسة ضخمة تلقى الدعم من عدة

^١ سذرن، ر.و، نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى، ترجمة علي فهمي حشيم و صلاح الدين حسن، مركز الحضارة العربية، ط/٢، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٧٨ - ٧٩. زقزوق، الاستشراق، ص ٣٦ - ٣٨. اصطيّف، الموسوعة العربية، مادة الاستشراق، ص ١٦٧.

^٢ اصطيّف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، " مادة الاستشراق"، ص ١٦٧. زقزوق، الاستشراق، ص ٣٩ - ٤٠.

^٣ اصطيّف، المرجع نفسه، ص ١٦٧. زقزوق، المرجع السابق، ص ٣٩ - ٤٠.

^٤ الموسوعة العربية العالمية، مجلد/١، ص ٦٧٧.

جهات. وسعت أوروبا عن طريقها إلى السيطرة على الشرق سياسياً وإجتماعياً وعسكرياً وأيدولوجياً وعلمياً^١.

وتعتبر الفترة من نهايات القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية عصر الإزدهار الأكبر للاستشراق، فقد تضخمت مؤسساته وتزايدت دراساته وأصبح علماً مستقلاً له أساليبه ومناهجه وأهدافه ودوافعه، ويمثل مصالح متداخلة. ومن أبرز مظاهر نشاطاته إزدياد عدد المستشرقين في كافة التخصصات، وإصدار المجلات والدوريات التي وصل عددها إلى أكثر من (٣٠٠)، وإنشاء الجمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية في أوروبا وأمريكا، وعقد المؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية والندوات^٢.

ب: دوافع الاستشراق

تعددت دوافع الاستشراق و بواعثه تبعاً للغايات والأهداف المنوطة به، فهناك ترابط وثيق فيما بينهما، فهي الأساس النظري والعملية لتطور الدراسات الاستشراقية في ثلاث مراحل: الإنطلاقة والتوسع والإزدهار. فالإنطلاقة كانت بدافع ديني يهدف للحيلولة دون دخول الشعوب النصرانية في الإسلام من خلال تشويه محاسنه وإقناعهم بعدم صلاحياته لهم. وكذلك التوسع في الدراسات المتنوعة حتى شملت الأمة الإسلامية، ووضع الافتراءات المختلفة على العقيدة والشريعة لإضعاف المسلمين والسعي لتنصيرهم. وساهم الإزدهار الذي ربط الاستشراق بالإستعمار لإخضاع البلاد العربية والإسلامية، وتمجيد القيم الغربية المادية الرأسمالية والحط من قدر الإسلام وإتباعه و وصفهم بالتأخر والرجعية^٣.

ويؤكد ذلك قول المستشرق الفرنسي ماسينيون (Massignon) (١٨٨٣- ١٩٦٢ م): " إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدينة المسيحية"^٤، ويكشف بصراحة عن هدف الاستشراق بقوله: " لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم، دمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وآدابهم، والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدون بكرم أخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب

^١ سعيد، الاستشراق، ص ٧٢. الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، ص ٣٩. اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، " مادة الاستشراق"، ص ١٦٧.

^٢ زقزوق، الاستشراق، ص ٤٦ - ٥٢. العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ٢٥. اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، مادة الإستشراق، ص ١٦٧ - ١٦٨. الحيدري، صورة الشرق، ص ٦٣.

^٣ عثمان، من افتراءات المستشرقين ص ٣٢. زقزوق، الاستشراق، ص ٨٤ - ٨٨.

^٤ عثمان، من افتراءات المستشرقين، ص ٣٣،

في أن نبعثهم ضعفاء"^١، ومعظم الدراسات الحديثة ترى ان دوافع الاستشراق كانت بدافع ديني، هو الأساس في نشأة الاستشراق.^٢

بدأ به الرهبان كرد فعل لنتائج الحروب الصليبية لتحقيق عدة غايات مثل درء مخاطر اعتناق النصارى للإسلام، نقل ميدان الصراع من ساحة الحرب إلى حقل الفكر والمعرفة، وتأهيل المبشرين (المنصرين) ، والتشكيك بكل ما يتصل بالإسلام والعرب والمسلمين.^٣

أما الدوافع الأخرى للإستشراق: الإستعماري، العلمي، السياسي، الإقتصادي فهناك تداخل فيما بينهما وهي انعكاسات لتطور الدافع الديني للإستشراق.

الدافع الإستعماري يرتبط بشكل وثيق مع الدافع السياسي ومع التبشير (التنصير)، فالاستشراق يدعم الإستعمار بالمعلومات والنصح والإرشاد، وهناك الكثير من المستشرقين كانوا يعملون بشكل رسمي كمستشارين للدوائر الإستعمارية، كما أن التنصير كان مصاحباً للاستشراق والإستعمار المباشر.^٤

الدافع السياسي ارتبط الاستشراق بالإستعمار المباشر من بدايته فكان المرشد والمخطط والمستشار للمستعمر، وبعد انتهاء الإستعمار، لا يزال الدافع السياسي مستمراً، ولا يقتصر على الغرب فقط، إنما تمارسه مختلف دول العالم ممن كان لها ماض في الاستشراق أو لم يكن^٥، طالما أن هناك تقسيمات مثل الدول العظمى، والدول الصناعية، ومجموعة دول الكبار مقابل مصطلحات الدول النامية، ودول الشمال والجنوب وغيرها.

الدافع العلمي، اهتم الغرب منذ العصور الوسطى بمعارف الشرق، وأدخل في أبحاثه العلمية جميع علوم الشرق التي يتكون منها الاستشراق، وكان من الممكن لهذا الاستشراق أن يكون علمياً ومحايدياً و موضوعياً، وفي الوقت نفسه أن يكون لخدمة أهداف غير علمية كالتنصير والسيطرة السياسية.^٦

^١ القفاري، ناصر بن عبد الله، وناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط/١، الرياض، ١٩٩٢م، ص ١٨٢ .

^٢ انظر: قطب: المستشرقون والإسلام، ص ٥٤ - ٥٧ . السباعي ، الاستشراق والمستشرقون، ص ١٧ - ١٨ . النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٣٣- ٣٦ . العليان، الاستشراق، ص ٢١ - ٢٨ . القفاري، الموجز في الأديان ، ص ١٧٨ . عثمان، من إفتراءات المستشرقين، ص ٢٧ - ٢٨، البهي، الفكر الإسلامي، ص ٤٣٠ .

^٣ زقزوق، الاستشراق، ص ٨٤ - ٨٨ . الجليند، الاستشراق والتبشير، ص ١٦ . اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، " مادة الاستشراق " ، ص ١٦٧ .

^٤ السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ١٩ . النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٣٨ ، ٤٦ - ٤٩ . عثمان، من افتراءات المستشرقين، ص ٢٩ - ٣٠ . القفاري، الموجز في الأديان، ص ١٧٩ .

^٥ السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٢٠ - ٢١ . النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٣٩ ، ٤٩ - ٥٣ .

^٦ الخوري، بولس ، الإسلام والغرب، الإسلام والعلمانية، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البوليسية، ط/٢، لبنان، جونية، ١٩٩٧م، ص ٤٣ - ٤٤ .

ويجدر هنا التنويه بالاستشراق " العلماني " وهم المستشرقون الذين يسعون إلى أن يكون دافعهم علمياً، لكنهم يعتبرون أنفسهم في الوقت نفسه مؤمنين وشهوداً لإيمانهم المسيحي ومن المشاهير الذين تألقوا في هذا المضمار بوكوك (Pococke) (١٦٠٤-١٦٩١ م)، وسلفستر دي ساسي (Silvester de Sacy) (١٧٨٥-١٨٣٨ م) ودوزي (Dozy) (١٨٢٠-١٨٨٣ م) ورينان (Renan) (١٨٢٣-١٨٩٢ م)، ونولدكده (Noldeke) (١٨٣٦ - ١٩٣٠ م)، وغولد زيهر (Goldziher) (١٨٥٠- ١٩٢١ م)، وسنوك هورغرونيه (Snouk Hurgronje) (١٨٥٧ - ١٩٣٦ م)، وكايتاني (Caetani) (١٨٦٩- ١٩٢٦ م) .^١

ويعقب الخوري أن الموضوعية العلمية تجعل الاستشراق قيمة بحد ذاته، غير أنها تجعله أيضاً أداة فعالة للعمل الديني أو للعمل السياسي.^٢ ويرى بعض الباحثين أن الدافع (الهدف) العلمي على نوعين: دافع علمي مشبوه، ودافع علمي نزيه خالص، والدافع العلمي المشبوه هو امتداد للأهداف السابقة، لكنه ادعى العلمية والموضوعية، فأقبل على دراسة تراث الإسلام و علومه وحضارته وكل ما يتعلق بالدين الإسلامي، لغايات الطعن والتشويه والتشكيك في صحته ونسبة القرآن والحديث والفقهاء إلى الوضع والإختلاق أو أنه منقول عن مصادر يهودية ونصرانية وفارسية ويونانية.^٣ وهذا محكوم بتوجيه أيولوجي ونزعة تفوق سيادة الغرب.

أما الدافع العلمي النزيه فإن غايته من الدراسات الاستشراقية، المعرفة العلمية المجردة من خلال حب الإستطلاع والإعجاب بالإسلام و تعاليمه و واقعيته و حضارته وتراثه، فكتبوا دون التأثير بدوافع دينية أو سياسية أو استعمارية، وهؤلاء التزموا الموضوعية أكثر من غيرهم لذلك جاءت دراساتهم أقل خطأً وأقرب إلى الإعتدال وهي قليلة العدد ونادرة لعاملين: الأول عدم توفر الموارد المالية أو الدعم لديهم للاستشراق، والثاني، عدم قبول هذه الدراسات لدى رجال الدين والسياسة والمستشرقين المتعصبين، فهي لا تدر عليهم ربحاً ولا مالاً ولا رواجاً أو قبولاً لدى العامة.^٤

^١ المرجع نفسه، ص ٤٦ .

^٢ المرجع نفسه، ص ٤٦ .

^٣ السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٢٢ - ٢٥ . قطب، المستشرقون والإسلام، ص ٤٧، ص ١٣٢ - ١٣٤ . النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٥٥ . العليان. الاستشراق بين الإنصاف و الإجحاف ، ص ٢٨ . اصطيف، الموسوعة العربية، المجلد/٢، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

^٤ النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٥٥ - ٥٦ . السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٢٦ - ٢٧ . القفاري، الموجز في الاديان، ص ١٨٠ - ١٨١ . الموسوعة العربية، مجلد/١، مادة الاستشراق، ص ٦٧٧ - ٦٧٨ . عثمان ، من افتراءات المستشرقين، ص ٣٠ . الجليند، الإستشراق والتبشير، ص ٢٤ .

الدافع الإقتصادي التجاري فقد شجعت الدراسات الجغرافية والثقافية والاجتماعية عن الشرق رجال المال والإقتصاد والشركات وممثلي الحكومات على الإهتمام بموارد الشرق لغايات تجارية بغية الحصول على المواد الخام للصناعات الأوروبية، وإيجاد أسواق لبضائعهم بأسعار رخيصة لقتل الصناعات المحلية القائمة والمزدهرة في أنحاء العالم الإسلامي، فقاموا بتكليف المستشرقين وإرسالهم للشرق لتوفير المعلومات اللازمة عن الحياة الإقتصادية والتجارية.^١

ويدخل هذا الدافع في واقع الأمر ضمن الدافع الإستعماري والسياسي، ويلاحظ هذا بوضوح في سيطرة بريطانيا حتى الوقت الحاضر على منتجات دول الكومنولث البريطاني وأشهرها الهند " درة التاج البريطاني"، و سيطرة فرنسا على منتجات دول الكومنولث الفرنسي في إفريقيا .

اتجه المستشرقون إلى إيجاد عدد من المؤسسات ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر، بعد أن انتشرت كراسي اللغة العربية من مطلع القرن الرابع عشر، وذلك لتسهيل عملية سيطرته على الشرق، فقام بإنشاء مدارس لتدريس اللغات الشرقية الحية في فرنسا عام ١٧٩٥ م ثم تواصل إنشاؤها في مختلف الدول الأوروبية .

كما اهتم الإستشراق بتأسيس الجمعيات العلمية لدراسة الشرق في هولندا (Scientific societies for the study of Orient in Netherland) (١٧٧٨ م) ، وجمعية البنغال الآسيوية الملكية / كلكتا (Royal Asian Society of Bengal / Calcutta) (١٧٨٤ م) ، والجمعية الآسيوية في باريس (Asian Society of Paris) (١٨٢٢ م)، والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية / لندن (British Royal Asian Society/ London) (١٨٢٣ م). والجمعية الشرقية الأمريكية (American Oriental Society) (١٨٤٢ م)، والجمعية الشرقية الألمانية (German Oriental Society) (١٨٤٥ م) ، ومجلة بومبي الآسيوية (Asian Journal of Pompey)، وغيرها وجميع هذه الجمعيات كانت تُصدر مجلة تتبع لها تنشر فيها دراساتها.

وأصدر الإستشراق العديد من الدوريات والمجلات في أوروبا وأمريكا منها : مجلة صندوق الكنوز الشرقية في فيينا

(Journal of Eastern treasures in Vienna)، ومجلة الإسلام (Journal of Islam) ١٨٩٥م، ومجلة العالم الإسلامي (Journal of Muslim World) ١٩٠٦م، ومجلة الدراسات الإسلامية / لندن (Journal of Islamic Studies) ١٩١١ ، ومجلة الإسلام في ستراسبورغ (Journal of Islamic Studies) ١٩١٠

^١ السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٢٠. القفاري، الموجز في الأديان ، ص ١٧٩ . عثمان، من إقتراءات المستشرقين، ص ٣١ . النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص ٣٧ - ٣٨ . الجليند، الاستشراق والتبشير، ص ٢٢ . الموسوعة العربية العالمية، مجلد/١، ص ٦٧٧ .

(Islam \ Strasbourg) وهذه العناوين كانت تصدر في أكثر من دولة واستمرت غالبية هذه المجلات والدوريات في الصدور حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وظهر بعد الحرب العالمية الثانية جمعيات و روابط جديدة للمستشرقين، ومجلات و دوريات أقل شمولاً وأكثر تخصصاً مثل : رابطة المستشرقين البريطانيين (Association of British Orientalists) عام ١٩٤٦م، و رابطة شمالي أمريكا لدراسات الشرق الأوسط (Middle East Studies Association of North America) عام ١٩٦٦م، والجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط (British Society for Middle East Studies) عام ١٩٧٤م ولها مجلة نصف سنوية، والرابطة الفرنسية لدراسات الشرق الأوسط (french Association for Middle East Studies) عام ١٩٧٤م، ولها مجلة نصف سنوية، والرابطة الفرنسية لدراسات الشرق الأوسط (french Association for Middle East Studies) عام ١٩٧٤م، ولها مجلة نصف سنوية، والرابطة الفرنسية لدراسات العالم العربي والاسلامي (French Association for Arabic and Islamic world Studies) عام ١٩٩٠م، وعدد من المجلات المتخصصة مثل المجلة الدولية لدراسات الشرق الاوسط (International Journal of Middle East Studies) / نصف سنوية ، ومجلة التاريخ الاجتماعي والإقتصادي للشرق (Journal of social history and economic development of East) ١٩٥٨، ومجلة الأدب العربي (Journal of Arabic Literature) ١٩٧٠م، ومجلة المغرب (Journal of Morocco)، ومجلة ادبيات (Journal of the literature)، ومجلة الدراسات الإسلامية (Journal of Islamic Studies)، كما ظهر عدد من الفهارس أهمها الفهرس الإسلامي / لندن، واشتمل على فهرسه لأكثر من (٥٠٠) دورية تعنى بالدراسات الإسلامية في مختلف اللغات غير الشرقية.^١

وسائل المستشرقين

- اعتمد المستشرقون وسائل عدة لنشر أفكارهم وأبحاثهم و دراساتهم وأهمها:
- التأليف في مواضيع مختلفة عن الإسلام والتراث الإسلامي وحول القرآن والرسول (صلى الله عليه وسلم) وإصدارها.
 - اصدار المجلات والدوريات الخاصة بالاستشراق ، وإضافة إلى المجلات و الصحف المحلية، والمجلات الخاصة بمراكز الأبحاث العلمية في بلادهم بلغ عددها أكثر من (٣٠٠)
 - إلقاء المحاضرات في الجامعات والمنتديات العلمية في أوروبا والعالم الإسلامي
 - إنشاء الموسوعات ودوائر المعارف وأشهرها دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopedia of the Islam) حيث صدرت بعدة لغات أوروبية ، طبعة أولى وثانية وموجز مختصر لها. ودائرة معارف

^١ اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، " مادة الاستشراق" ، ص ١٦٨.

الدين والأخلاق (Encyclopedia of Religion and Ethics)، ودائرة معارف العلوم الإجتماعية ودراسات متصلة بالتاريخ .

انشاء المكتبات لجمع المخطوطات والكتب الشرقية وفهرستها والتعريف بها
ارساليات التبشير (التنصير) إلى العالم الإسلامي، لتزاول وتقدم خدمات وأعمال ظاهرها إنساني مثل
: المستشفيات وخدمات الرعاية الصحية والجمعيات الخيرية والمدارس، والنوادي الإجتماعية والمراكز
الثقافية وملاجئ الأيتام ودور المسنين ومنازل الضيافة، والجمعيات المسيحية للشبان والشابات.
عقد المؤتمرات المحلية (عقد أول مؤتمر للمستشرقين الألمان في مدينة درسدن (Dresden) بألمانيا
عام ١٨٤٩ م) والإقليمية والدولية، فقد أدرك المستشرقون أهمية التعاون بينهم وتبادل المعلومات
المتعلقة بالشرق، لتنسيق الجهود ومنعاً لتكرار الأبحاث وتوفيراً للوقت والجهد والمال، فتنادوا إلى عقد
مؤتمرات لهم كل ثلاث أو أربع سنوات، وعقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس ١٨٧٣م
وتوالى عقد المؤتمرات في العواصم وأهم المدن الأوروبية والأميركية وفي بعض المدن العربية
والإسلامية مثل القاهرة واستنبول ودلهي.

- وكان لهذه المؤتمرات أهمية كبيرة، على سبيل المثال شارك في المؤتمر السابع عشر الذي عقد في
اكسفورد عام ١٩٢٨م (٩٠٠) عالم من (٢٥) دولة يمثلون (٨٠) جامعة و(٦٩) جمعية علمية
تناولت أبحاثهم مختلف الموضوعات المتعلقة بتاريخ الشرق وأديانه ولغاته . وبلغت المؤتمرات
حوالي(٢٩) مؤتمراً دولياً كان آخرها في باريس عام ١٩٧٣م^١، والذي أعلن فيه تغيير اسم مؤتمر
"الاستشراق" (التقليدي) الدولي إلى اسم " مؤتمر العلوم الإنسانية للشرق الأوسط وشمال أفريقية
(Conference on Human Studies anthropological to the Middle East and North)
Africa \ New Mexico 1978) " والذي عقد لأول مرة في المكسيك عام ١٩٧٨ م.^٢

ج) مناهج البحث عند المستشرقين

احتذى المستشرقون في الغالب اسلوباً ومنهجاً يتلخص بوضع فكرة معينة، ثم البحث عن أدلة
لثباتها، ولا يهم مدى صحة الأدلة، إلا بقدر ما تدعم آرائهم الشخصية، وغالباً يتم استنباط الكليات من
الجزئيات او من الشواذ او الأحاديث أو الروايات الضعيفة وفي الوقت نفسه يتجاهلون الكتب والمصادر
الإسلامية التي تتحدث عن الفكرة التي يطرقونها والأمثلة على ذلك كثيرة^٣ منها اعتماد أميل درمنجهام

^١ عثمان، من افتراءات المستشرقين، ص ٣٦ - ٣٧ . انظر: الصقار، سامي، بحث بعنوان : " الجوانب الإيجابية لنشاط
المستشرقين البريطانيين " مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود، الرياض ، ١٩٨٢م، مجلد ٩، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

^٢ عبد الملك، أنور، الفكر العربي في معركة النهضة، ترجمة بدر الدين عرودي، دار الآداب ، ط/١، بيروت، ١٩٧٤ م،
ص ١٢٩، ١٤٠ .

^٣ السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٤٥ - ٥٢ . الفقاري، الموجز في الأديان، ص ١٨٤ .

(Emile Dermnjheim) (١٨٥٨ - ١٩١٧ م) في كتابه "حياة محمد"، ومنتغمري واط (Montgomery Watt) في كتابه محمد في المدينة، و غوستاف لوبون (Gaustave Lebon) في كتابه حضارة العرب على روايات الواقدي حول زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من زينب بنت جحش وتركوا الروايات الصحيحة المحققة^١.

ويدعي أغلب المستشرقين أنهم يطبقون الموضوعية والحياد في دراساتهم وفقاً للمناهج الأوروبية، وهذا القول في ظاهره علمي صحيح، لكن الواقع أثبت أن غالبه مصطنع موضوع مبني على الإنتقائية حسب ميولهم، وغايته الطعن والتجريح في التراث الإسلامي، خاصة العقيدة والشريعة والتاريخ. لأن البحث العلمي النزيه والموضوعي لا صلة له إطلاقاً بالطعن والتشكيك والبحث عن نقاط الضعف، وتسقط الأخطاء، بل يجب التثبت من صحة النصوص والاسانيد، وليس التماس الأدلة والأسباب الواهية الضعيفة وغير الثابتة، لأن ما يبني عليها من آراء وأحكام ونظريات لأ أساس له من الصحة وليس فيه من العلم شيئاً لأن الأصل انحراف عن المنهج العلمي السليم.^٢

ويؤكد ذلك ما قاله برنارد لويس (Bernard Lewis): " لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة وراء الحواشي المرصوفة في الأبحاث العلمية". وعبر عن ذلك جيب بطريقة أخرى بقوله: " لقد قامت في صفوفهم (المستشرقين) في السنوات الأخيرة محاولة إيجابية، تحاول النفوذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الديني للمسلمين، بدل السطحيات التي اصطبغت بها دراساتهم السابقة ".^٣

ويؤكد المستشرق نورمان دانييل (Norman Daniel) ذلك بقوله: " رغم المحاولات الجدية المخلصة، التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة، لتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحين عن الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجرداً تاماً كما يتوهمون". و يوضح منتغمري واط الصورة بشكل أقرب للواقع بقوله: " جدد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا عن الإسلام ، وعلى رغم الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا ما زالت قائمة ".^٤

^١ الموسوعة العربية العالمية، مجلد/١، " الاستشراق"، ص ٦٧٩ . عثمان ، من افتراءات المستشرقين، ص ٢٦ .

^٢ زقزوق، الاستشراق، ص ص ٩٢ - ٩٤ . عثمان، من افتراءات المستشرقين، ص ص ٢٥ - ٢٦ . النملة، الاستشراق في الأدبيات الأوروبية، ص ٥٧ . حنفي، حسن، مقدمة في علم الإستغراب، مركز الكتاب للنشر، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٥ .

^٣ عثمان، من افتراءات المستشرقين، ص ٢٦ . القفاري، الموجز في الأديان.

^٤ الطهطاوي، محمد عزت اسماعيل، التبشير والاستشراق (أحقاد و حملات على النبي محمد (ص) وبلاد الشام)، الزهراء للإعلام العربي، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٥ .

ويرى بعض الباحثين أن المستشرقين المعاصرين كفوا في كتاباتهم عن التجريح والظعن المباشر، لانهم وجدوا أن هذا الأسلوب لا يؤدي الهدف المطلوب منه لأنه يثير حفيظة العرب والمسلمين، واتبعوا أسلوباً آخر، فيبدون الحديث بالمديح للإسلام، والرسول.. ثم يستخدمون كلمة.. لكن ... ليضعوا و يذكروا بعدها ما يشاؤون من تهم و ظعن و تشويه ونقد ما بدأوا به مثل : " أن الإسلام عظيم ... لكنه مأخوذ من اليهودية والنصرانية ، الإسلام عظيم.. لكنه كان حدثاً تاريخياً في حينه لم يعد صالحاً للتطبيق الآن، الإسلام عظيم .. لكنه أخذ الأنظمة من الفرس والرومان، الرسول عظيم... لكنه كان يتخيل أنه رسول و تتراءى له الرؤى فيصدقها، الرسول عظيم .. " لكنه بعد أن استقر في المدينة انقلب طاغية وطارده اليهود وشردهم والأمثلة على ذلك كثيرة، ويرى قطب أن مؤسس هذه المدرسة هو هاملتون جيب و تتلمذ عليه كثيرون أبرزهم جرونيباوم، و ولفرد كانتول سميث.^١

د: آثار الاستشراق

يُعد الاستشراق من المواضيع التي ثار وما زال حولها خلاف شديد أدى لإشكالية في علاقات الشرق والغرب بشكل عام، وفيما بين الباحثين العرب والمسلمين أنفسهم بشكل خاص، وتباينت الآراء حوله، فهناك من يُشيد بأعمال الاستشراق وخدماته للتراث العربي الإسلامي، وآخرون يرفضون الاستشراق جملة و تفصيلاً ويصفونه بالسلبية والتعصب والكيد والتآمر على كل ما هو عربي إسلامي و فريق مُعتدل ينظر للإستشراق بحذر شديد.^٢

و الواقع أن جميع الآراء لها ما يبررها كل من زاويته، لكن لا شك أن هناك آثار إيجابية، وربما تؤدي النظرة السلبية لانصراف الباحثين العرب والمسلمين عن الإنتفاع بالإيجابيات، لذا يجب النظر للإستشراق بما له وما عليه، لأن الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الموضوعية والحقيقة التاريخية.

آثار الاستشراق الإيجابية، يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١- الإهتمام بدراسة وتدريس اللغات الشرقية وخاصة العربية ، وإنشاء الكراسي لها في معظم الجامعات الأوروبية ثم تطورت إلى إيجاد مدارس للغات الشرقية.^٣

^١ قطب، المستشرقون والإسلام، ص ٥٩ - ٦١. البهي، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٤ - ٥٥.

^٢ الصقار، الجوانب الإيجابية للمستشرقين، ص ١٥٧. أحمد، محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ط/١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٢٩، ١٤٠. الطهطاوي، التبشير والاستشراق ، ص ٤٩ - ٥٠. النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ١٠٧ - ١٠٩.

^٣ العليان، الاستشراق بين الانصاف والإجحاف، ص ٢٩. الصقار، الجوانب الإيجابية للمستشرقين، ص ١٧٨ - ١٧٩.

٢- كان لهم جهود كبيرة في تحقيق التراث الإسلامي و جمع المخطوطات والكشف عنها وتحقيقها ونشرها، وترجمة بعضها، وعمل الفهارس لها، وحفظ المتها لك منها وترميمه، وتصنيف المعاجم اللغوية في لغات الشعوب السامية وهذه الأعمال ذات قيمة علمية كبيرة ساهمت في النهضة العلمية الحديثة في العالم الإسلامي.^١

٣- ساعد الاستشراق في تطوير مناهج النقد للبحث في التراث الإسلامي في عدة مجالات مثل مناهج الدراسات الأدبية، وتاريخ الأدب العربي رغم أن للعرب باع طويل فيه خاصة في علم التاريخ بشكل عام والأدب بشكل خاص ومع ذلك أفادوا من جهود المستشرقين المنهجية وتأثروا بطرقهم في البحث لتاريخ الأدب بالإعتماد على الجهود الجماعية بين الشرقيين والمستشرقين ومن نتائجها تاريخ كمبردج للأدب العربي (Cambridge History of Arabic Literature)، صدر منه ٤ مجلدات بجهود عربية وأجنبية من أهل الاختصاص في ٤ قارات أوروبا وأمريكا وأسيا وأفريقيا.^٢

٤- ترجمة ونشر وتصنيف التراث العربي الإسلامي إلى اللغات الأوروبية منها ٢٤٦٦ كتاب إلى اللغة الفرنسية حتى عام ١٩٥٩ وإنشاء المكتبات الكبيرة.^٣

٥- الفهرسة وأعمال الببلوغرافيا ومناهج الدراسات، و تصنيف التراث كمواضيع رئيسية مثل دراسات حول الإسلام، النبوة، السيرة، وكتب الفقه والأصول وتواريخ الخلفاء، تواريخ الفتوحات، الأسر الحاكمة، الفنون، الآداب، العلوم وغير ذلك.^٤

٦- الإهتمام بالآثار وإنشاء المتاحف وجمع النقوش والنقود، فقد كان للمستشرقين جهود كبيرة في جمع الآثار القيمة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي لا سيما مصر والعراق واليمن، كما قاموا بفك رموز بعض الخطوط القديمة واهتموا بفنون العمارة خاصة الإسلامية، و جمع النقود و عمل الفهارس الكبيرة لها.^٥

هناك ملامح إيجابية ساهم الاستشراق بأبرازها بشكل غير مباشر بعضها انعكس على العالم الإسلامي نفسه والبعض الآخر على الفكر العالمي منها:

^١ أحمد، آثار الفكر الاستشراقي، ص ١٣٧. العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ٢٩ - ٣٠. الصقار، نشاط المستشرقين، ص ١٧٥ - ١٧٨، ١٨٧ - ١٨٨. اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، ص ١٦٩.

^٢ أحمد، آثار الفكر الاستشراقي ص ١٣٧. اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، ص ١٦٩.

^٣ الصقار، نشاط المستشرقين، ص ١٨٧ - ١٩٣. العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ٣٠، ٣٦.

^٤ العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ٣٠، ٣٦. اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، ص ١٦٩.

الصقار، نشاط المستشرقين، ص ١٩٦ - ١٩٧.

^٥ الصقار، نشاط المستشرقين، ص ٢٠٤ - ٢٠٦. العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ص ٢٩.

٧ - أدى اهتمام الاستشراق بدراسة واقع العالم الإسلامي، إلى تشجيع المسلمين لدراسة أوضاعهم بأنفسهم والإهتمام بواقعهم، فقد أشار الاستشراق إلى مواطن الضعف والقصور خاصة الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة، مما دفع علماء المسلمين إلى محاولة بلورة فكر إسلامي أصيل ومعاصر للرد على آراء المستشرقين وعلاج مشاكل مجتمعاتهم المعاصرة.

٨ - دفع الاستشراق المسلمين لتطوير نظامهم التعليمي والعلمي والتربوي والجامعي.

٩ - ساعد الاستشراق في تحديد مكانة التراث الإسلامي بين تراث الشعوب الأخرى لإهتمامهم بالمنهج المقارن بين الإسلام والأديان الأخرى خاصة اليهودية والنصرانية، وتحديد مكانة الفكر الإسلامي العالمية كفكر منافس للحضارات والثقافات الأخرى^١.

اما المآخذ على الاستشراق: فالاستشراق معرفة انتجتها الثقافات الأوروبية الغربية عن الشرق لمصلحتها في مواجهة الشرق لإخضاعه والسيطرة على مقدراته، وهي مبنية على افتراضات خارجة عن الشرق، وأدى ذلك لإشكالية لأن الغرب مارس الاستشراق ضمن التقليد المعرفي الخاص به، بينما يحاول الشرقي نقد الاستشراق لتقييمه ورفع التهم والإفتراءات عن نفسه. وتتجلى ملامح هذه الإشكالية في الجوانب السلبية التي مارسها الاستشراق باختصار بما يلي :

(١) تطبيق معايير وقيم ومبادئ ونظم ونظريات مستمدة من تقاليد الثقافات الغربية، التي لا تتفق وتقاليد وثقافة الشرق وتطورها عبر العصور.

(٢) اعتماد كثير من الدراسات الاستشراقية على مواد ومعطيات محدودة وهامشية، وإصدار تعميمات شاملة لا تملك مصداقية، بحثية كافية

(٣) تقصير مناهج الدراسات الاستشراقية، لا سيما القديمة منها عن بلوغ مرتبة الإجابة والإتقان، بالقياس لما تحقق في الحقول المعرفية الأخرى في الثقافات المختلفة، فمعظم الدراسات الاستشراقية إلى عهد قريب ظلّ متأثراً بنظرة فقه اللغة (الفيلولوجية) في تناوله لكثير من الظواهر الشرقية.

(٤) ضعف الإختصاص لدى المستشرق التقليدي، الذي يقحم نفسه ومعرفته القائمة على اللغة والدين أساساً في جميع شؤون الشرق.

(٥) عدم النظر إلى معتقدات الشرق ومقدساته بطريقة لائقة وتناولها أحياناً بالإستخفاف المقنّع بادعاء الموضوعية والحيادية، والمزاعم غير المقنعة، مقابل احترام وتبجيل الشرقيين (العرب والمسلمين) في تعاملهم مع مقدسات و معتقدات غيرهم مع عدم إيمانهم بها أحياناً.

(٦) عدم التمكن الكافي في اللغات الشرقية خاصة في مجال تحقيق النصوص والدراسات الأدبية والنقدية للآداب الشرقية، ونتج عن ذلك أخطاء فاحشة لا تغتفر.

^١ أحمد، آثار الفكر الإستشراقي، ص ١٣٧ - ١٣٨.

٧) فقدان النزاهة العلمية في حالات غير قليلة تجاه المادة المدروسة والإنطلاق من مسلمات مسبقة، تمليها في الغالب أهواء سياسية أو دينية متطرفة و تحفزها أغراض تتصل بمصالح دنيوية لا تليق بالعلماء والباحثين.

٨) عدم التعامل المباشر مع الواقع الشرقي في أغلب الحالات، والإكتفاء بدراسته عن طريق الكتب والتقارير والأبحاث العلمية (عن بعد)، وإصدار المعرفة عن الشرق والإكتفاء بها حتى لو كانت مخالفة للواقع.

٩) انغلاق الاستشراق على ذاته والإيمان بقدرته على انتاج المعرفة الاستشراقية دون الإستعانة بالشرقيين.

١٠) توظيف المعرفة الاستشراقية في حالات كثيرة لأغراض غير انسانية، ووضعها تحت تصرف الدوائر السياسية (الإستعمارية) والإقتصادية والعسكرية والتبشيرية لتعزيز هدف السيطرة على الشرق والتحكم بثرواته الطبيعية والبشرية.^١

استمرت هذه السلبيات في مخرجات الاستشراق خلال الفترة من نهاية القرن الثامن عشر وحتى النصف الثاني من القرن العشرين ولا يزال بعضها مستمرا حتى الآن. ويلاحظ أن بعض هذه السلبيات أخذ بالإنحسار في العقود الأخيرة نتيجة جملة من التحولات الإيجابية التي يخضع لها هذا التقليد، خاصة بعد إعلان نهاية الاستشراق التقليدي في مؤتمره الأخير عام ١٩٧٣ في باريس، وظهور المدارس الاستشراقية الحديثة بعد مؤتمر نيومكسيكو عام ١٩٧٨م. باسم مؤتمر الدراسات الإنسانية (الأنثروبولوجية) لمنطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا) Conference on Human Studies anthropological to the Middle East and North Africa \ New Mexico (1978).^٢

ثانياً: هاملتون جيب

لم يكتب هاملتون الكسندر روسكين جيب (Hamilton Alexander R. Gibb) سيرته الذاتية أو يترجم لحياته، إنما هناك معلومات بسيطة وضعها بعض من ترجم أحد مقالاته أو مؤلفاته إلى العربية، خاصة دور النشر، هناك ترجمات لحياته لا بأس بها في "موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي، وأخرى في كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي. لكن أوسع وأوفى ترجمة له وضعها صديقه وزميله أستاذ التاريخ الإسلامي في مدرسة الدراسات الشرقية التابعة لجامعة لندن ألبرت حوراني والتي سيعتمد عليها مع الإشارة للمراجع الأخرى في مواقعها.

^١ اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، مادة " الاستشراق"، ص ١٧٠ - ١٧١.

^٢ اصطيف، الموسوعة العربية، مجلد/٢، مادة " الاستشراق"، ص ١٧٠ - ١٧١.

أ: نشأته وحياته وثقافته (١٨٩٥ - ١٩٧١ م)

ولد هـ.أ.ر.جيب في الإسكندرية بتاريخ ٢ كانون الثاني عام ١٨٩٥ م. وهو الإبن الأصغر لأبوين اسكتلنديين هما: الكسندر كروفود جيب (Alexander Crawford Gibb) وجين آن غاردنر (Jane Ann Garner) توفي أبوه عام ١٨٩٧م، الذي كان مديراً لشركة أبو قير لإستصلاح الأراضي في الدلتا ، لكن أمه بقيت في الإسكندرية حيث كانت معلمة في كنيسة مدرسة البنات الأسكتلنديات، وقد أرسلته للدراسة في اسكتلندا عندما بلغ الخامسة من عمره (١٩٠٠م)، ودرس في الثانوية الملكية في أدنبرة، وتخرّج منها عام ١٩١٢ م، وكان يمضي بعض عطلات الصيف إلى جانب أمه^١، التحق بجامعة أدنبرة عام ١٩١٢م، وتخصص في دراسة اللغات السامية (العربية والعبرية والآرامية)، ثم التحق بالخدمة العسكرية إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م في سلاح المدفعية البريطاني و شارك في الحرب على جبهتي فرنسا و إيطاليا^٢.

وقد تزوج عام ١٩٢٢م، من هيلين جيسي ستارك (المشهورة باسم إلالا) ، وانجبا ابناً أسمياه إيان، وابنة أسمياها دوروثي^٣، وقام بزيارة طويلة للشرق العربي خلال الفترة ١٩٢٦ - ١٩٢٧م، درس خلالها الأدب العربي المعاصر، وقد سبق له أن أمضى إجازتين طويلتين في الشمال الإفريقي لنفس الغاية^٤. كان جيب مُتديناً، وزاهداً مُتقشفاً ، عاش مع زوجته وأبنائه في أسرة مُتماسكة وطريقة مُنظمة، وكان يعتني بملابسه وكُتبه وأثاثه و بيوته بشكل جيد، ويُنظر لها أنها للإستعمال وليس للعرض^٥.

أما عن حياته العملية فقد عمل عام ١٩٢١ م محاضراً للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية التابعة لجامعة لندن (School of Oriental Languages)، ونال درجة الماجستير في الفنون عام ١٩٢٢م، وعيّن عام ١٩٢٩م بوظيفة قارئ (Reader) في تاريخ العرب والادب العربي، وخلف السير توماس أرنولد (Thomas Arnold) بعد وفاته عام ١٩٣٠م على كرسي اللغة العربية في جامعة لندن وكمحرر بريطاني في دائرة المعارف الإسلامية، واستمر في ذلك حتى عام ١٩٣٧م. عندما انتخب ليشغل

^١ حوراني، ألبرت، إنجازات مستشرق، ترجمة سلام فوزي، مجلة الفكر العربي، العدد/٣١، كانون/٢- آذار ١٩٨٣م، السنة الخامسة، بيروت، ص ٣٧٣. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط/١، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٠٥. العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط/٣، القاهرة، ١٩٦٥م، ج/٢، ص ٥٥١. زناتي، أنور محمود، زيادة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية (د/ط)، القاهر، (د/ت)، ص ١٠٠ - ١٠١.

^٢ حوراني، إنجازات مستشرق، ص ٣٧٣. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٠٥. زناتي، زيارة للاستشراق، ص ١٠٠-١٠١.

^٣ حوراني، المرجع نفسه، ص ٣٧٣.

^٤ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٠٥.

^٥ حوراني، المرجع نفسه، ص ٣٧٤ - ٣٧٥، ٣٧٩.

استاذ كرسي اللغة العربية في جامعة أكسفورد خلفاً للمستشرق ديفيد صموئيل مرغوليوث (David Samuel Margoliouth).

انتسب لرابطة تعليمية في كلية القديس جون من عام ١٩٣٧ وحتى ١٩٥٥م عندما اختارته جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية كأستاذ جامعي وأستاذ كرسي اللغة العربية فيها، وفي عام ١٩٥٧م تم تعيينه مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط في نفس الجامعة حتى عام ١٩٦٤م، حيث أصابته سكتة دماغية حادة أفقدته المقدرة على النطق والحركة، فعاد إلى إنجلترا وعاش متقاعدًا رهين منزله وبقي مديراً فخرياً لمركز الدراسات وله الإمتياز بحق الإشراف على رسائل الدكتوراة في أمريكا وبريطانيا، وتوفيت زوجته عام ١٩٦٩م، وكانت وفاته في ١٠/٢٢/١٩٧١^١.

كما تمتع جيب بعقلية متميزة كتلميذ ومفكر، وكان له تأثير قوي على طلابه وزملائه المدرسين وعلى العالم وعلم الاستشراق، وعلى مجتمع أوسع من القراء الإنجليز (المجتمع الغربي)، فقد أوضح لهم طريقاً يستطيعون من خلاله فهم الدين الإسلامي، كما أثر في المجتمع الإسلامي وثقافة معتقية لجبل كامل أو أكثر^٢.

كانت أيام صباه موحشة و نادراً ما حدث أولاده عنها، و تأثرت شخصيته بعاملين: الأول - عالم شرق البحر الأبيض المتوسط فالإسكندرية مكان ولادته وطفولته، و وفاة والده عام ١٨٩٧ م، ووالدته فيها عام ١٩١٣ م . وزياراته المتكررة لها في حياة والدته وبعد وفاتها. والثاني- عالم اسكتلندا، وبريطانيا و أمريكا^٣.

اما ثقافة جيب فقد دَرَسَ في جامعة أدنبرة اللغة العبرية والعربية والآرامية وفقه اللغات السامية واتفق عدة لغات بطلاقة الإنجليزية والفرنسية واللاتينية، بينما الألمانية والإيطالية والإسبانية بدرجة أقل، و كان لديه إلمام بالروسية، وميل تجاه الفارسية والتركية، وكان خطة باللغة العربية والإنجليزية جميلاً^٤. تأثر جيب بالروائي الإنجليزي السير والتر سكوت (Walter Scott) (١٧٧١ - ١٨٣٢ م) - أحد أشهر خريجي ثانوية أدنبرة- خاصة في روايته الطلسم أو التعويذة التي تناول فيها الحديث عن صلاح

^١ حوراني، انجازات مستشرق، ص ٣٧٣ - ٣٧٥. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٠٥. انظر أيضاً: العقيقي، المستشرقون، ج/٢، ص ٥٥١. العليان، المستشرقون بين الإنصاف والإجحاف ص ٨٦ - ٨٧. أرنولد، توماس، تراث الإسلام، ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د/ط)، بيروت، (د/ت)، ص ٢٥٩، (مقدمة المترجم). جيب، بنية الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، (د/ط)، دمشق ١٩٥٩م، ص ٥٣ (مقدمة المترجم).

^٢ حوراني، انجازات مستشرق، ص ٣٧٣ - ٣٧٥.

^٣ المرجع نفسه، ص ٣٧٥، ٣٧٩.

^٤ المرجع نفسه، ص ٣٧٥.

الدين الأيوبي فأعجب جيب بشخصيته كَبطل وفارس نبيل في تعامله مع الصليبيين بشكل عام و مع ملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد (Richard the Lionheart) بشكل خاص . وظل جيب يُعطي هذه الرواية لطلابه على مدى (٥٠) عاماً كعمل يتعلمون منه الكثير عن التاريخ الإسلامي.^١

كما تأثر بعدة شخصيات مثل مدير ثانوية أدنبرة الملكية السير إدوارد دنيسون روس (Edward Denison Ross)، الذي شجعه على اختيار موضوعه لرسالة الماجستير " غزو العرب لآسيا الوسطى (فتح العرب لمدينة كَشغر عام ٧١٥ م)، وكذلك الأخوان استاذي كرسي الفلسفة في جامعة أدنبرة: جيمس سيث (James Seth)، و أس برنفيل باتيسون (Brenneval Pattinson) اللذان وفرا له التعليم الميسر على منوعات اسكتلندية في فلسفة أوغيست كانت (Auguste Kant)، كما درس مقرر سيث في الفلسفة الأخلاقية.^٢

وكان للسير توماس أرنولد تأثيره العميق والأطول عليه، فقد عرّفه بالتقاليد المركزية للدراسات الأوروبية حول الاستشراق، وأعطاه دروساً كثيرة في العربية، وكان لأرنولد اهتمام كبير بانتشار الإسلام ومؤسساته، وربما أثر عليه في هذه الجوانب، كما تأثر جيب بالمصري محمد حسنين عبد الرزاق الذي عَلم اللغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية ما بين ١٩٢٠م إلى ١٩٢٣م، وكان جيب على اتصال دائم به خلال زيارته اللاحقة لمصر.^٣

وتأثر جيب في دراسته لطبيعة المجتمع الإسلامي والإعتقادات في الحضارة الإسلامية بأراء وأفكار أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)^٤، وكذلك فيما كتبه في الجزء الثاني من كتابه " المجتمع الإسلامي والغرب " كان متأثراً ببعض نظريات ماسينيون عن الطبيعة المشتركة للمجتمع الإسلامي.^٥

ويذكر حوراني أن جيب فسر العقيدة المسيحية متأثراً بفلسفة " أوغيست كانت "، التي درسها أثناء دراسته في جامعة أدنبرة، وكان في أواخر الثلاثينيات والأربعينيات يقرأ بنهم شديد كتباً عن الدين والفلسفة وعلم النفس للبحث عن مصادر ليستطيع أن يشرح الإسلام من خلالها ووجد ذلك في كتابات الفيلسوف أ.رجي. كولينغود (R.G.Collingwood) الذي كان له أكبر الأثر عليه خاصة في كتابه (Speculum Mentis).^٦

^١ حوراني، انجازات مستشرق، ص ٣٧٥. انظر أيضاً: والترسكوت، رواية الطلسم، تراث الإنسانية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، (د/ط)، القاهرة، (د/ت)، المجلد الأول، ص ٨٧٥ - ٨٦٦.

^٢ حوراني، انجازات مستشرق، ص ٣٧٦.

^٣ المرجع نفسه، ص ٣٧٦ - ٣٧٧. العقيلي، المستشرقون، ج/٢، ص ٥٥١.

^٤ المرجع نفسه، ص ٣٨٤.

^٥ المرجع نفسه، ص ٣٨٦.

^٦ المرجع نفسه، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

والمعروف أن كولينغود كان يكتب ضمن إطار هيجلي واسع يركز فيه على المفهوم العقلي الفلسفي في تفسير الدين ورموزه والعبادات، وحاول جيب تعريف طبيعة الرموز الإسلامية وأشكال العبادات معتمداً على تقليد هام للدراسات الأوروبية والذي شكله جولد زيهر وشدد فيه على تطور مذهب أهل السنة، كما كان لأفكار زميله الأقدم منه (ومواطنه في الوقت نفسه) دنكان بلاك مكدونالد (Dunkan Black Macdonald) أثر كبير وعميق عليه خاصة كتابيه: تطور اللاهوت الإسلامي- "فلسفة التشريع والنظرية القانونية" - و كتاب " الموقف الديني والحياة في الإسلام".^١

كما تأثر جيب بفلسفة يمثلون التقاليد الألمانية هما: ريتشارد فالترز (Richard Valters) الذي ساعدت أبحاثه حول امتصاص الإسلام للتقليد اليوناني الفلسفي في تكوين أفكار جيب الخاصة عن كيفية انتقال العناصر الفكرية من حضارة إلى أخرى، كما أن جيب مديناً لعمله في فلسفة التشريع لجوزيف شاخت (Gosef Schacht).^٢

كانت اهتمامات جيب متعددة ومتنوعة بدأها بدراسة اللغات السامية وآدابها، والتوراة والعقائد المسيحية واعتقادات و ممارسات شعوب الشرق الأدنى القديم، و كذلك الفلسفة والعلوم الطبيعية^٣، كما كان لديه اهتمام خاص بإبراز أهمية الدراسات الشرقية التي أهملت في الجامعات البريطانية، وأدراجها في الجدول المركزي للحياة الفكرية البريطانية التي انبثقت عنها في الأصل.^٤

ومن أبرز اهتمامات جيب دراسة الدين والتاريخ الإسلامي واللغة والآداب العربي في الماضي والحاضر والمستقبل وتجلي ذلك في كتاباته: الإسلام إلى أين؟ (Whither Islam) كما نشر بين عامي ١٩٤٧-١٩٥٣، ٤ مقالات حول الفكر الديني في الإسلام وهي : نزعات حديثة في الإسلام (Modern trends in Islam) ١٩٤٧م، ومبنى الفكر الديني في الإسلام (The Structre of religious thought in Islam) ١٩٤٨م، والمحمدية (Mohammedanism) ١٩٤٩م، وتفسير للتاريخ الإسلامي (An interpretation of Islamic history) ١٩٥٣م.^٥

كانت دراسته للتاريخ الإسلامي من خلال تطور الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب والمسلمين (مدار بحث هذه الدراسة) من أطول مقالاته العديدة وأعماله الكبرى.^٦

^١ المرجع نفسه، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

^٢ حوراني، انجازات مستشرق، ص ٣٩٠.

^٣ المرجع نفسه، ص ٣٧٦.

^٤ المرجع نفسه، ص ٣٧٦.

^٥ المرجع نفسه، ص ٣٧٩-٣٨٤.

^٦ المرجع نفسه، ص ٣٨٦.

يذكر بدوي معلومة (تتعلق بمكانة جيب العلمية و شهرته) تدعو للدهشة، بقوله: " و قد نال في حياته كثيراً من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علمياً، والواقع أن هاملتون جيب كانت شهرته فوق قيمته العلمية، وانتاجه أدنى كثيراً من الشهرة التي حظي بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم^١. ولم يوضح لنا بدوي ما دعاه لهذا القول ولا حتى أي إشارة أو تفسير، وهذا يتطلب البحث عن علاقة جيب بالحكومة البريطانية، وربما يصعب الحصول على مثل هذه المعلومات إذا كانت ضمن الملفات والوثائق الخاصة.

مؤلفاته و إمتيازاته العلمية

كانت أغلب مؤلفاته جيب على شكل مقالات ينشرها في الدوريات البريطانية المختلفة، وبعضها يكتبها بالفرنسية، أو تترجم إلى اللغات الأوروبية، بينما مؤلفاته من الكتب فهي محدودة العدد مقارنة بعدد مقالاته، وبعض كتبه عبارة عن مجموعة مقالات أصدرها جيب في كتاب مثل "النظم والفلسفة والدين في الإسلام".

سار على هذا النهج عدد من الباحثين ودور النشر في حياة جيب و بعد وفاته، مثل كتاب " صلاح الدين الأيوبي" (Saladin) جمع وتحرير يوسف إبيش، وكتاب "دراسات في حضارة الإسلام" (Studies on the civilization of Islam) تحرير ستانفورد شو ووليم بولك (Stanford J.shaw & William R.Polk) وتوزع انتاج جيب بين ثلاثة ميادين: التاريخ العربي الإسلامي، والدين الإسلامي (خاصة ما يتعلق بالفكر السياسي)، والأدب العربي وله بعض الترجمات.

أما في التاريخ العربي الإسلامي- من أهم ما كُتِب " المجتمع الإسلامي والغرب" (Islamic Society and the West)، العلاقات العربية البيزنطية في صدر الإسلام والعهد الأموي، " تفسير التاريخ الإسلامي"، " الأهمية الاجتماعية للشعبوية" (Social Significance of the Shuubiya)، "رسوم الخراج الذي أصدره عمر بن عبد العزيز"، "ملاحظات على المصادر العربية للحروب الصليبية المبكرة" (Notes on the history of the early Crusades) "ترجمة ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي"، ومجموعة من المقالات.

أما في الدين الإسلامي، فمنها كتاب " المحمدية" وأصدره في طبعة ثانية باسم " الإسلام" "الاتجاهات الحديثة في الإسلام"، نظرية الماوردي في الخلافة" (Al-Mawardi's Theory of the Khailafah)، "الأصول الإسلامية في نظرية ابن خلدون السياسية" (The Islamic Background of Ibn Khaldon's Political Theory)، "الإسلام إلى أين؟ مبنى الفكر الديني في الإسلام"، "تطور الحكومة في صدر الإسلام" (The Evolution of Government in Early Islam) و غيرها.

^١ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٠٥.

ومن كتبه في الادب العربي - " مدخل لتاريخ الأدب العربي "، "دراسة الآداب العربية المعاصرة" (Manfaluti &) (Studies in Contemporary Arabi Literture)، "المنفلوطي والأسلوب الجديد" (the NewStyle)، "المجددين المصريين"، و"القصة المصرية"، "خواطر في الأدب العربي" (Khawatir fil-Adab al-Arabi)، " بدء التأليف النثري"، و" نشأة الإنشاء الأدبي " و غيرها^١.

الإمتيازات العلمية

- نال جيب عدة امتيازات و رتب علمية في حياته أهمها:
- أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة لندن ١٩٣٠ - ١٩٣٧ م .
 - أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة أكسفورد ١٩٣٧ - ١٩٥٥ م.
 - أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة هارفرد ١٩٥٥ - ١٩٦٦ م.
 - مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد ١٩٥٧ - ١٩٦٦ م.
 - رتبة زميل شرف في كلية القديس جون ١٩٣٧ - ١٩٥٥ م.
 - رتبة زميل في عدد من المراكز العلمية والاكاديميات البريطانية، والدنماركية والجمعية الأمريكية الفلسفية / فيلادلفيا.
 - رتبة زميل شرف في الأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم، وأكاديمية القرون الوسطى الأميركية، و مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد.^٢
 - محرر في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأولى، والثانية والمختصرة.
 - منح لقب سير (فارس) عام ١٩٥٤ م ، إضافة إلى عدد من الأوسمة الفرنسية والهولندية.^٣

^١ للمزيد انظر: حوراني، انجازات مستشرق، ص ٣٧٨ ، ٣٨٢ - ٣٨٦ . العقيلي، المستشرقون، ج/٢، ص ٥٥١ - ٥٥٤ . بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٠٥ - ١٠٧ .

^٢ حوراني، انجازات مستشرق، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ . العقيلي، المستشرقون، ج/٢، ص ٥٥١ . بدوي. موسوعة المستشرقين، ص ١٠٥ .

^٣ حوراني، المرجع نفسه، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ . العقيلي، المستشرقون، ج/٢، ص ٥٥١ .

ج - منهج جيب وأسلوبه

الملاح العامة لمنهج وأسلوب جيب

تناول جيب دراسة التاريخ العربي الإسلامي من خلال تطور الكتابة التاريخية (التدوين) عند العرب والمسلمين بإسلوب شامل ومكثف وبلغه اختزالية (جزلة) قوية ومؤثرة، فهو يطرح رأياً أو فكرة أو انتقاداً أو حتى استنتاجاً في بضع كلمات أو جملة أو أسطر قليلة ويحيل القارئ / الباحث إلى مصدر أو عدد من المصادر الإسلامية، أو فترة زمنية، أو دراسة لأحد المستشرقين، أو إلى مواد أو مقالات في دائرة المعارف الإسلامية .

ويصدر في أحيان كثيرة أحكاماً، أو يعطي آراء عامة تتصل بنواحي عديدة في التاريخ الإسلامي ويستخدم تعابير كقوله: " وقد أثبتت التحقيقات الأخيرة، أو الدراسات الأخيرة، أو الدراسات الحديثة أن فلان ... نزيه، أو ليس مطعون فيه، أو أنه دقيق، أو أنه لم يقصد ذلك لذاته، أو يقصد عكس ذلك... ويرمي بذلك إلى أن يُخالف ما ذكرته المصادر الإسلامية عن المذكور.

ويستخدم في بعض الحالات عبارات مثل: إن الحكم أو الرأي الأخير حول كذا لم يصدر بعد، أو يشير إلى قضايا أو مسائل بأنها ما زالت معلقة ولم تحل بصورة نهائية بعد، أو أن فلان رغم شهرته أو تفوقه إلا أن عليه بعض المآخذ والعيوب، .. أو أنه يخيب آمالنا أحياناً ، وهذه كلها بشكل مبهم.

واتبع جيب أسلوباً واضحاً في منهجه لدراسة التاريخ الإسلامي، فهو يبحث دائماً وأبداً عما يعتبره نقاط ضعف أو عيوب أو ملاحظات ومآخذ سلبية ويعبر عن ذلك بعدة صيغ مثل : وجود عنصر القصص والأساطير والخرافات، أو الأخذ من المصادر الفارسية واليهودية والمسيحية أو اليونانية، أو عدم النقد للمصادر أو عدم الدقة والتحري، وأحياناً يستخدم عبارات الكذب المتعمد، التضليل، التزوير، إخفاء الحقائق

وعندما يطرح رأياً أو فكرة أو حكماً أو استنتاجاً عن فترة زمنية معينة أو نوع من المصنفات أو أحد المصنفين فإن ما يصدره يكون في الغالب قطعياً ومطلقاً وعماماً، وعندما يأتي بأمثلة ليؤكد وجهة نظر سواء واحد أو أكثر يتضح أنه كان مبالغاً أو غير دقيق.

يعتمد جيب في كثير مما يطرح من آراء على دراسات و آراء لمستشرقين آخرين سواء كانوا معاصرين أو سابقين له، أحياناً يشير لبعضهم وغالباً لا يشير، والأهم من ذلك أنه يأخذ هذه الآراء ويتبناها على علاتها دون تمحيص أو نقد وهي التي توافق هواه وتوجهه، بينما لا يأخذ ممن يخالف وجهة نظره، حتى لو كان مختصاً أو رائداً في ذلك الموضوع.

د: أسلوبه ومنهجيته لأهم المواضيع في الدراسة:

يبدأ جيب دراسته برسم تصور بأن هناك مشكلة في نشأة التدوين التاريخي عند العرب لم تُحل بصورة نهائية بعد، ويعزو ذلك لدخول الفصص والأساطير اعتماداً على دراسة المستشرق ف. كرنكو (F.Krenkow) وبعض الإفتراضات والمزاعم دون توضيح^١. ويحاول التدليل على وجهة نظره بأن ما وصلنا من بلاد اليمن مجرد روايات شفوية فحواها قصص وأساطير غامضة أحمّتها وسداها المبالغة والتهويل وبضعة أسماء لملوك، وذلك رغم وجود النقوش المكتشفة منذ القرن التاسع عشر. وتجاهله لوجود تقويم ثابت في اليمن من سنة ١١٥ قبل الميلاد.^٢

ويذكر جيب أن هناك اضطراباً وتشويشاً في كامل علم الأنساب عند العرب معتمداً على آراء المستشرق جولدزيهر (Goldzieher, Ignas) في دراسته عن الشعوبية والنسابين من الموالي الذين كتبوا في مثالب القبائل العربية، ويتبنى هذا القول كثير من المستشرقين أمثال : مارغوليوث (Margoliuth) وروبرتسن سميث (Robertson Smith) وماكلينان (Maclinan)^٣.

ويظهر جيب تحيزاً واضحاً في حديثه عن فقهاء اللغة ومساهماتهم في الكتابة التاريخية ويُرکز على أن الدور الفاعل كان لعناصر من الموالي مثل أبو عبيدة معمر بن المثنى وهشام بن الكلبي، وينفي التهم المنسوبة لهما بنتيجة فحوصات المستشرقين دون دليل. ويؤكد أن هذه التهم دليل نزاهة وتميز وتحيز غير مقصود، وبالمقابل تجاهل الكثير من فقهاء العرب المشهورين والمعاصرين لهما وهذا أمر ملفت للنظر^٤. ورغم حديثه عن تطور التدوين بإستخدام الرواية المسندة والدقة، ونقد الأخبار التاريخية، إلا أنه أكد وجود عناصر مشكوك فيها في الفترتين المكية والمدنية من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (ويقصد تدوين السيرة النبوية)، ويبدو أن رأيه هذا مبني على دراسة المستشرق المعاصر له ليفي ديلا فيدا (D.Levi Della Vida) للمغازي والسيرة النبوية^٥.

وحاول جيب وضع ابن اسحاق في إطار تطور كتابة السيرة فقد نسب له فكرة ابتكار تقسيم السيرة إلى ثلاثة أقسام واعتبره تطوراً هاماً، بينما تجاهل ذلك في حديثه عن الزهري وأكد تحيزه للموالي حتى في هذه المسألة. لا بل يذهب أبعد من ذلك بقوله أن جميع المؤلفين في السيرة كانوا من الموالي، وهذا غير

^١ انظر : باب الرواية الشفوية /اليمن الفصل الثاني من الدراسة.

^٢ انظر: باب الرواية الشفوية /اليمن الفصل الثاني من الدراسة.

^٣ انظر باب دراسات المستشرقين لأنساب العرب الفصل الثاني من الدراسة.

^٤ انظر: باب دور فقهاء اللغة الفصل الثالث من الدراسة.

^٥ انظر: باب الرواية المسندة الفصل الثالث من الدراسة.

صحيح، كما أنه استخدم مصطلح مولى/ موالى في تلك الفترة المبكرة التي لم يكن يعني فيها من هو أصله غير عربي^١.

وأشار جيب إلى أن تطور المنهج التاريخي في كتابة السيرة بلغ نهايته في كتابي المغازي للواقدي، والطبقات الكبرى لابن سعد اللذين اعتمدا فيهما على الرواية المُسنَّدة، واحتذاءً جميع كتاب السيرة فيما بعد، ثم عاد ووصف هذا التطور بأنه قريب مما كتبه وهب بن منبه^٢ وشَتَّان ما بين مغازي الواقدي وطبقات ابن سعد وبين ما كتبه وهب بن منبه.

يحاول جيب إضعاف مصداقية التدوين للتاريخ من خلال طرح آراء متناقضة مثل التشكيك بوجود وثائق في المدينة، رغم وصفه للدقة في التسلسل التاريخي للحوادث التي توحى بوجود مثل هذه الوثائق^٣، وقوله باستمرار تداول الرواية الشفوية لتدوين التاريخ حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رغم إنشاء مصنع للورق في بغداد سنة ١٧٨ هـ^٤.

ينوه جيب إلى أن هناك عدة أسباب مهمة ساهمت في الوعي التاريخي في المجتمع الإسلامي ومنها الحجج التاريخية الواردة في القرآن لكن دون توضيح لهذه الحجج وكيفية مساهمتها. وتوصل من خلال تعقيبته على مرحلة الوعي التاريخي إلى استنتاج مثير للجدل: " بأن التاريخ من وجهة النظر الدينية، إنما هو مظهر لتدبير إلهي غايته حكم الجنس البشري"^٥.

ذكر جيب أنه أصبح لدى العرب دقة ونقد وواقعية عندما كان التاريخ مرتبطاً بعلم الحديث، لكن عندما بدأوا يكتبون في التاريخ العالمي أصبح من الصعب التمييز بين العناصر الأسطورية وشبه الأسطورية والتاريخية في كتاباتهم ويُعني بذلك دخول الأساطير الفارسية والترجمات من الثقافات الأخرى إلى صلب التدوين التاريخي^٦.

استثنى جيب في حديثه عن أقدم التواريخ المحلية كتاب أخبار مكة للأزرقي باعتباره من كتب السيرة، والواقع أنه تاريخ محلي لمكة، وتجدر الإشارة لكتاب تاريخ محلي لمكة بالإسم نفسه للفاكهي، المعاصر للأزرقي و الأقدم منه وهو أوفى وأشمل منه، وربما كان هناك دراسة سابقة حول كتاب الأزرقي مع التصنيف الخاطيء واعتمد عليها جيب بأنه من كتب السيرة^٧.

^١ انظر: باب السيرة النبوية عند الزهري وابن اسحق الفصل الثالث من الدراسة.

^٢ انظر: باب السير والمغازي وأثرها في الكتابة التاريخية الفصل الثالث من الدراسة.

^٣ انظر: باب الوثائق وصناعة الورق الفصل الثالث من الدراسة.

^٤ انظر: الفصل الرابع: الوعي التاريخي عند العرب من الدراسة.

^٥ انظر: باب النظرة الدينية للتاريخ الفصل الرابع من الدراسة.

^٦ انظر: باب اثر الرواية الفارسية الفصل الرابع من الدراسة

^٧ انظر: باب التواريخ المحلية الفصل الخامس من الدراسة.

سعى جيب دائماً لتكرار الإنتقادات مثل : الإفتقار إلى النقد والتحري، أو الجمع بين الأساطير والروايات المتفاوتة في صحتها، أو القصص والأساطير اليهودية والنصرانية عندما يتحدث عن المصنفات في التواريخ العالمية، أو العامة، أو المحلية خاصة إذا تضمنت مقدماتها أو الأجزاء الأولى منها تاريخ العالم قبل الإسلام بإسهاب أو ايجاز، وهذه المعلومات تشغل في الغالب جزءاً يسيراً من الكتاب، والجزء الأكبر/ أو باقي الأجزاء تتحدث عن التاريخ الإسلامي وهي الأهم، لأنها مجرد وصولها للتاريخ الإسلامي تفيض بذكر الحقائق التاريخية والوثائق والروايات الشفوية المسندة من الرواة الثقة (محدثين وفقهاء في الغالب) أو من مصادر سابقة مدونة تتم الإشارة لها^١.

وبالمقابل هناك مستشرقون آخرون لا ينظرون إلى ملاحظات جيب بكثير من الإهتمام إنما يركزون على القيمة العلمية المتعلقة بالتاريخ الإسلامي، وخاصة الفترة الزمنية والمنطقة الجغرافية التي كانت مدار بحث الكتاب. ومثال ذلك كتاب "فتوح مصر والمغرب" لابن عبد الحكم والفرق بين انتقادات جيب للكتاب وتقييم روزنتال لنفس الكتاب بقوله: " بأنه مصنف في التاريخ الاقليمي لم نجد ما يوازيه في اي مكان آخر فيما بقي لنا من الكتب بالرغم من معالجة المؤرخين المصريين والاندلسيين لهذا الموضوع"^٢. اعتاد جيب تقديم طروحات مبهمة دون أدلة أو إشارات مثل حديثه عن كتابة الحوليات المعاصرة (امتزاج التاريخ العام بالتاريخ المحلي) واكتفى بذكر اهتمامات المؤلف وما تفرضه عليه الأوضاع السياسية بشكل عام^٣.

وذكر أن تدوين التاريخ السياسي عندما أصبح من مهمات موظفي البلاط أثر في شكل ومحتوى وروح التاريخ، دون توضيح. ثم عاد وعارض نفسه في بعض ما طرحه وقدم أمثلة هي تواريخ عالمية موسوعية وليست نماذج للحوليات المعاصرة.

يفترض جيب أن ما جاء في مقدمتي "تجارب الأمم" لمسكويه، و"كتاب الوزراء" لهلال الصابئ حول دراسة الحوادث التاريخية من خلال قيم الأخلاق والعظة والعبرة إنما هي دعوة لصبغ التاريخ بالصبغة الدنيوية واستبعاد المفهوم الديني القديم للتاريخ^٤. وربما سبب هذا الإفتراض أن مسكويه استبعد معجزات الأنبياء لأنها خاصة ولن تتكرر كحوادث بشرية عادية، وهذا ما عبر عنه بعض المستشرقين بأن مسكويه أساء للسنة.

أبدى جيب مهارته وبراعته في تشكيل ورسم الصور وإسقاطها ليصل الى ما يريد قوله. فهو يزعم بناءً على افتراضه أن الدعوة للصبغة الدنيوية صادفت قبولاً لدى علماء الأخلاق والأدب دون أدلة أو

^١ انظر: باب التواريخ المحلية الفصل الخامس من الدراسة.

^٢ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٢٣-٢٢٤.

^٣ انظر: باب الحوليات المعاصرة الفصل الخامس من الدراسة.

^٤ انظر: باب الحوليات المعاصرة الفصل الخامس من الدراسة.

أمثلة إنما مجرد استنتاج عام. ثم يغالط نفسه والواقع (علماً أنه يتحدث عن فترة القرن الخامس الهجري) بالقول: " ما دام التاريخ فرعاً من فروع الأخلاق وليس علماً من العلوم (ليقدر) فلا ينبغي أن يتردد المؤرخون في تكيف العبر التاريخية حسب أغراضهم وأهوائهم (ثم يستنتج) فذهب كتب الأدب و"مرايا الأمراء" المليئة بالضلالات مدى بعيداً في إفساد ذوق وملكة النقد عند الجمهور والمؤلفين^١.

سعى جيب دائماً للتذكير وربط ما يراه من عيوب، فبعد أن أوصلنا إلى أضراليل " مرايا الأمراء" يعقب بقوله: " ويمكن أن نذكر في هذا المقام الكثير من الأضراليل والمنحولات التاريخية العديدة التي انتشرت في هذه الفترة أو فيما بعد على شاكلة أخبار سيف بن عمر ومصنفات ابن أعثم وابن قتيبة والواقدي^٢، وهذا الطرح لا يستوي مع المنطق والموضوعية العلمية، وواقع تطور التدوين والكتابة التاريخية عند العرب.

وربما يعود ذلك الى أن آراءه وأحكامه مبنية على آراء لمستشرقين آخرين دون الإشارة اليهم، فمثلاً وصف كتب " مرايا الأمراء" أنها مليئة بالضلالات وهذا مبني على رأي روزنتال في هذه الكتب بقوله: " لا حاجة للقول أنها في العادة مختلقات صرفة"^٣. واعتمد في آراءه في مصنفات سيف بن عمر والواقدي وابن اعثم على آراء بروكلمان^٤.

كان جيب ينظر للكتابة المسجوعة والبلاغة الطنانة أنها عيوب ونقاط ضعف، بالمقابل كان هذا الشائع والمتداول بين العامة والخاصة والمقياس لثقافة الكاتب ومقدرته اللغوية- في القرن الخامس الى الثامن الهجري-، ويرى أن العتبي عمم هذا الأسلوب في كتابه اليميني. والواقع أن انتشار الكتاب بسبب كثرة الذبول والتكمالات له وترجماته إلى لغات أخرى كانت سبب شيوع أسلوب السجع^٥.

له آراء غريبة في التمييز بين مصنفات عربية مسجوعة صنف بعضها بأنه غير متأثر بمؤثرات خارجية مثل "سيرة الظاهر بيبرس" المنظومة شعراً، وتاريخ ابن حبيب المسجوع، بينما يرى أن سيرة تيمور المسجوعة لابن عرب شاه متأثرة بالكتابة الفارسية المعاصرة، وكذلك تاريخ الدولة الفاطمية المسجوع (وهو جزء من عيون الأخبار) للداعية عماد الدين بن إدريس القرشي يرى بأنه صدى للرواية الساسانية القديمة، ولم يوضح لنا ما هو الصوت ولا الصدى^٦.

^١ انظر: باب الحوليات المعاصرة الفصل الخامس من الدراسة.

^٢ انظر: باب المنحولات في التواريخ المحلية الدنيوية الفصل الخامس من الدراسة.

^٣ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٦٨-١٦٩.

^٤ بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ج ٣، ص ٨.

^٥ انظر: باب الحوليات الخاصة الفصل الخامس من الدراسة.

^٦ انظر: باب التواريخ المنظومة والمسجوعة الفصل السادس من الدراسة.

نظر جيب بشكل سلبي لكتاب اليميني للعتبي وكتاب "الشاهنامه" للفردوسي للصلة المشتركة بينهما الأسلوب الأدبي البلاغي ومحتوياتها من القصص والأساطير المبالغ فيها. وله أيضاً نفس النظرة السلبية نفسها تجاه العديد من أنواع المصنفات مثل التواريخ المحلية والعالمية والحواليات المعاصرة وكتب الأدب " ومرايا الأمراء" لأسباب مشابهة.

عندما يتحدث عن المصنفات باللغة الفارسية ورغم أنها تشابه المصنفات أعلاه في كثير من الجوانب من حيث المحتوى والأسلوب، وكان مؤلفوها مقربين من الحكام مثل الكرديزي، والنسوي، والبيهقي والراوندي، نراه لا يشير للسلبيات أعلاه إنما يبرز المعلومات القيمة عند الكرديزي، وانتقاد البيهقي (ابن فندق) للسلطان مسعود الغزنوي، علماً بأن الكثير من المصنفات التي كانت نظرت له سلبية كانت تتضمن معلومات قيمة وأحياناً تنفرد بها.

ويلاحظ عنده النظرة نفسها غير السلبية تجاه المصنفات العربية التي تناولت تاريخ الكنائس والديارات والبطارقة رغم أن معلوماتها عن فترة ما قبل الإسلام تعتمد على كتب المنطق والفلسفة اليونانية والتوراة والانجيل، والمصادر السريانية، والفترة الإسلامية اعتمدت على مصادر عربية وسريانية وفارسية. ربما يؤشر هذا التباين إلى بعد جيب عن الموضوعية، أو أنه انعكاس لتأثره بأراء المستشرقين الآخرين^١.

ينبع موقف جيب السلبي من ابن الأثير من دراستين أجراها للمصادر العربية التي تحدثت عن فترة صلاح الدين الأيوبي، وتوصل إلى أن هناك عدداً من المصادر أهم وأكثر ثقة من ابن الأثير، وأخذ المستشرقون يتداولون هذا الرأي^٢.

وله موقف مشابه من ابن خلدون لكنه لم يدرس آثاره إنما تناول جزئية من فكره السياسي وهي تفصح عما يبحث عنه جيب لدى ابن خلدون وتتلخص في التساؤل التالي: هل ما طرحه ابن خلدون من فكر سياسي كان من مسلم محافظ غير مجدد؟ وهل طرحه نابع من خلفيته الدينية؟ أم أنه متحرر من قيود الدين وما طرحه نابع من تجاربه السياسية؟ وربما هذا يفسر أقوال جيب بأن هناك ملاحظات عليه كمؤرخ، وكفيلسوف في التاريخ وحول أثره في التاريخ الإسلامي وهذه الأمور لا تزال تنتظر حلولاً والحكم الأخير عليه لم يصدر بعد^٣.

ويبدو أن جيب كان يفكر بدراسة ابن خلدون وإصدار الحكم عليه كما فعل مع ابن الأثير، حاول جيب أن يربط بين نظرة المسلمين لكتابة التاريخ العالمي وبين فكرة إحياء الخلافة من خلال مصنف ابن الأثير " الكامل" ومن جاء بعده ممن صنفوا في التواريخ العالمية^٤.

^١ انظر: باب المصنفات التاريخية باللغة الفارسية الفصل الخامس من الدراسة.

^٢ انظر: باب دراسة جيب للمصادر العربية (أ، ب) الفصل السادس من الدراسة.

^٣ انظر: باب التواريخ العامة في المغرب والاندلس الفصل السادس من الدراسة.

^٤ انظر: باب التواريخ العامة في المغرب والاندلس الفصل السادس من الدراسة.

الفصل الثاني

جيب والتدوين عند العرب قبل الاسلام

اولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة تاريخ
ثانياً: تراث العرب التاريخي قبل الاسلام
ثالثاً: جنوب الجزيرة العربية (عرب الجنوب)

أ - معرفة القراءة والكتابة

ب -الكتابات والنقوش

ج -الروايات الشفوية في اليمن

رابعاً: شمال الجزيرة العربية(عرب الشمال).

أ - المأثور القبلي (ايام العرب وأنسابهم)

ب -دراسات المستشرقين لأنساب العرب

ج -الأنساب عند العرب في الجاهلية

التدوين عند العرب قبل الإسلام التمهيد

عاش العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام، بمراحل مختلفة من التطور الحضاري، تراوحت ما بين حياة التنقل معتمدين على الرعي والصيد، وحياة الاستقرار القائمة على الزراعة والتجارة، وبعض الحرف والصناعات الصغيرة التي خلّفت لنا العديد من النقوش والآثار والكتابات والأخبار الشفوية، التي يمكن من خلالها تكوين بعض الملامح عن أوضاعهم وحياتهم قبل الإسلام. ولعل أخبار فترة الجاهلية التي عاشها العرب قبل ظهور الإسلام بنحو مائة إلى مائة وخمسين سنة^(١)، هي أقرب إلى الواقع التاريخي من الروايات التي تحدثت عن أخبار العرب القديمة، وذلك بسبب قربها الزمني من بدايات التدوين التاريخي في صدر الإسلام^٢.

يعتبر التأريخ (التدوين والكتابة التاريخية)، أحد الأركان الهامة في تطور الحياة الثقافية العامة لأية أمة، وأحد فروع المعارف الإنسانية المختلفة، وقد شهدت الفترة الأخيرة اهتماماً خاصاً بعلم التأريخ وذلك لأهميته كموضوع حيوي بذاته، كما أن دراسته ضرورية لفهم الماضي واستشراف الحاضر والمستقبل^(٣).

ظهر علم التأريخ عند العرب والمسلمين في صدر الإسلام^(٤). فكانت بداياته متواضعة في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، حيث اهتم المسلمون بسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومغازيه وحوادث الفتوح وأخبار الخلفاء، ثم تطورت اهتماماتهم حتى شملت مختلف جوانب النشاط الإنساني القديم، وما عاصروه من أحداث في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية وعلوم اللغة والدين والجغرافيا والتاريخ وغيرها. وذلك بفضل مجموعة من العوامل التي واكبت تطور الحضارة العربية الإسلامية حتى بلغت أوجها في القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي. واستمر اهتمام العرب والمسلمين بالتاريخ وتدوينه، حتى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، رغم التراجع والتوقف في نمو حضارتهم.

^١ الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، ط/٢، القاهرة، ١٩٣٢م، ص ١١-١٥.

^٢ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط/١، ١٩٦٨م، ج/١، ص ٨، ٦، ٣٤، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤-٥.

^٣ الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د/ط)، العين، الإمارات العربية، ٢٠٠٠م، ص ٧-٨.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٥.

اهتم الغرب بدراسة الإسلام والتاريخ الإسلامي والعلوم العربية مع نهاية العصور الوسطى فكانت هذه الدراسات من أهم أسباب حركة الاحياء والنهضة في أوروبا^(١). ومن بواعث حركة الاستشراق الأوروبي. التي ساهمت في مرحلة الاستعمار الاوروبي لأجزاء كبيرة من قارتي آسيا وأفريقيا شملت معظم أنحاء العالم العربي والإسلامي.

ولكن دراسة الإسلام بشكل علمي، لم تبدأ في الغرب إلا في القرن التاسع عشر الميلادي على يد عدد من الباحثين (المستشرقين)، كان أولهم فون كريمر (Von Kraemer)، وثيودور نولدكه (Theodor Noldke)، وإغناص جولدتسيهر (Ignase Goldzieher)، وفرنارند وستنفلد (F. Westenfled) الذي قام بأول محاولة لدراسة علم التاريخ عند المسلمين بعنوان "الكتابة التاريخية عند المسلمين"، نشرها عام ١٨٨٢م. ثم تبعه كارل بروكلمان (K Brocklemann) (١٨٦٨-١٩٥٦ م) بكتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي خصص فيه عناوين عديدة تناولت الحديث عن المؤلفات التاريخية عند المسلمين ونشره عام ١٩٠٢م^(٢).

وظهر بعد ذلك العديد من الدراسات حول علم التأريخ وتدوينه والكتابة التاريخية عند المسلمين، لكل من: مرجوليوث، ديفيد صامويل (D. S. Margoliouth)،^(٣) وسوفاجيه، جان وكاين، كلود (Souvaget, Jean & Kien Cloud)^(٤)، ودراسات جيب، هاملتون الكسندر روسكين (Gibb, Hamilton Alexander Roskeen)^(٥)، وروزنتال، فرانس (F. Rosental)^(٦)، وهرنشو (F. J. C. Hearnshaw)^(٧)، وبروفنسال، ليفي (E. Levi Provencal)^(٨)، وغيرهم.

^١ روزنتال، فرانس، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، (د/ط)، بغداد، ١٩٦٣م، ص ٩.

^٢ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٠-١١.

^٣ مارغوليوث، ديفيد صموئيل (Margoliouth. D. S)، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، (د/ط) القاهرة، مجموعة محاضرات ألقاها في جامعة كلكتونا، الهند عام ١٩٢٩م.

^٤ سوفاجيه وكاين، مصادر التاريخ الإسلامي وهو: عبارة عن قائمة ببلوغرافيا.

^٥ جيب . ه . أ . ر.، نشر بحثين: الأول، في دائرة المعارف الإسلامية، ط/١ (١٩٣٤م) مادة علم التاريخ. والثاني، في الموسوعة الإسلامية، الطبعة الإنجليزية مادة (Tarikh). وله مؤلفات أخرى في التاريخ الإسلامي.

^٦ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين. ونشر فيه بعض المصادر الإسلامية التي تحدثت عن علم التاريخ والكتابة التاريخية مثل الكافي، والسخاوي.

^٧ هرنشو، ف. ج. ك، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د/ط)، القاهرة، ١٩٣٧م.

^٨ بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبدالعزيز سالم، محمد صلاح الدين، مكتبة النهضة، د.ط، القاهرة، ١٩٥٦م.

كما تناول عدد من الباحثين العرب موضوع علم التاريخ عند العرب ومصادره والمؤرخين العرب بشكل عام. إلا أن حديثهم عن نشأة الكتابة التاريخية عند العرب ظل محدوداً، مقتصرًا على القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مثل دراسة المرحوم عبد العزيز الدوري^(١)، وحسين نصار^(٢)، وطريف الخالدي^(٣)، والسيد عبد العزيز السالم^(٤)، أما شاكر مصطفى في كتابه التاريخ العربي والمؤرخون فقد تناول فيه المؤرخين ومصنفاتهم على طول التاريخ الإسلامي، وفاروق عمر فوزي وكتابه "التدوين عند المسلمين حتى القرن العاشر الهجري".

أما دراسات هاملتون جيب فأنها تعتبر من أوفى وأشمل دراسات المستشرقين التي تناولت الكتابة التاريخية عند العرب، وذلك لأنها تميزت بالشمول الواسع، والإيجاز الشديد، والتركيز العميق حول نشأة الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب المسلمين، وتطورها خلال فترة زمنية طويلة شملت العصر الجاهلي، والتاريخ الإسلامي بأكمله حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وهذا ما دفعه لإحالة القارئ للرجوع إلى أكثر من (١٥٠) مادة/ مقالة في دائرة المعارف الإسلامية، أو دراسات سابقة أو معاصرة لمستشرقين آخرين أو مصادر إسلامية^(٥) وذلك للتأكيد أو التدليل على وجهة نظره وآرائه في المسائل التي طرحها من جهة، ولزيادة اطلاع القارئ من جهة أخرى، إضافة إلى المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها لإنجاز الدراسة.

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة التاريخ

المعنى اللغوي:

ذكر الجواليقي أن (الأرخ) هو الوقت والتأريخ كأنه التوقيت^(٦). وفي لسان العرب التاريخ: تعريف الوقت، والتوريق مثله، أرّخ الكتاب ليوم كذا: وقّته^(٧). وفي القاموس المحيط (أرّخ) الكتاب

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ.

^٢ حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، منشورات أقرأ، ط/٢، القاهرة، ١٩٨٠م.

^٣ طريف الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب، ترجمة حسين زينة، دار النهار، (د/ط)، بيروت، ١٩٩٧م.

^٤ السيد عبد العزيز السالم، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، (د/ط)، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

^٥ H. A. R. Gibb, Encyclopedia of Islam, Supplemen Leidon, E. J. BRILL & London & Co.

1938, "TARIKH" p. 233-245.

^٦ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ١١٤٥هـ/١١٤٥م)، المُعَرَّب من الكلام الأعجمي

على حروف المعجم، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م، لبنان، ص٤٩.

^٧ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، لسان العرب، دار صادر، (د/ط)، بيروت،

(د/ت)، مجلد/٣، ص٤.

وأرّخه وآرّخه: وقته والاسم الأرخة بالضم^(١) وبيّن الكافيحي أن التأريخ في اللغة هو تعريف الوقت وقيل هو تعريف الوقت وقيل هو تعريف الوقت بإسناده إلى حدوث أمر شائع أو وقوع حادثة أو نحوها، وقيل أيضاً: التأريخ مدة معلومة بين حدثين أو بين أوقات حوادث أخرى^(٢). بينما يذكر السخاوي أن التأريخ في اللغة هو الإعلام بالوقت، يقال: أرخت الكتاب وورخته أي بينت وقت كتابته^(٣). كتابته^(٣). وتأريخ كل شيء آخره، فيؤرخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة وتأريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ولهذا يقال فلان تأريخ قومه، أي إليه ينتهي شرفهم^(٤)، وفي ذلك يرى الدوري أن وضع عمر بن الخطاب التقويم/ التأريخ الهجري^(٥) كان بمثابة العنصر الأساسي في نشأة الفكرة التاريخية عند العرب^(٦).

أما كلمة تاريخ في الأدبيات الأوروبية، فهي مشتقة من الأصل التاريخي لكلمة إيستوريا (Istoria) الإغريقية ويعني البحث عن معرفة البلاد والعادات والمؤسسات السياسية المعاصرة أو الماضية. ثم أقتصر على معرفة الأحداث التي رافقت تلك الظواهر، وعندما انتقلت هذه الكلمة إلى اللغات الأوروبية طرأ عليها بعض التحريف في الشكل والمعنى.

أما الشكل فقد أصبح (Historie) في الفرنسية، و(History) في الإنجليزية، و(Geschichte) في الألمانية، أما المعنى فقد تطور ليشمل الإنسان وفعاليات المؤسسات السياسية والإنسانية (عند الغربيين)، ثم تطور وأصبح التأريخ فكرة شاملة مثل الفلسفة أي أن كل شيء وكل نشاط موضوع لبحثه ويدخل في نطاقه. ومن الجدير بالذكر أن هذا التوسع في معنى كلمة تاريخ كان موجوداً

^١ الفيروز أبادي، مجد الدين أبو الطاهر بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)، القاموس المحيط، دار الحديث، (د/ط)، القاهرة، ج/١، ص ٢٥٦.

^٢ الكافيحي، محيي الدين محمد بن سليمان (ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، المختصر في علم التاريخ، منشور ضمن كتاب "علم التاريخ عند المسلمين"، تحقيق ونشر فرانس روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثني، (د/ط)، بغداد، ١٩٦٣م، ص ٣٢٦، ٣٣٠-٣٣١.

^٣ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، دار الكاتب العربي، طبعة مصورة عن نسختي خزانة المرحوم المحقق أحمد باشا تيمور، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٦.

^٤ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ٧.

^٥ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط/٤، القاهرة (د/ت)، ج ٤، ٣٨-٣٩، ٢٠٩، ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي (المعروف بابن عساکر) (ت ٥٧١هـ/١١٧٦م)، كتاب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق أبو عبد الله على عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي، ط/١، بيروت، ٢٠٠١م، تاريخ مدينة دمشق، ١م، ٣٥-٤٤.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٩.

عند المسلمين في كتب المسعودي، والمقدسي في كتابه البدء والتاريخ، والمختصر للكافيجي^(١)، وغيرهم.

المعنى الاصطلاحي لكلمة تاريخ:

تعني كلمة تاريخ اصطلاحاً الزمن والحقبة، وقد وردت لأول مرة بهذا المعنى في ورقة بردي مؤرخة سنة اثنتين وعشرين للهجرة^(٢)، ويُعرفه السخاوي بقوله: " والتاريخ في الاصطلاح التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه، ويهدف الفحص عن أحوالهم ومعرفة جميع أمورهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم " ^(٣).

بينما يرى ابن خلدون أن التاريخ: " في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيه الأمثال.... وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت و تصرف فيها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا في الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال. وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبدايها، وعلم بكيفيات الوقائع دقيق وأسبابها عميق " فهو لذلك يعتبر التاريخ ((أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعد في علومها))^(٤). وحقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش، والتأنس والعصبيات^(٥)، وأما "ميدان التاريخ فهو البحث البحث في كافة مظاهر النشاط الإنساني في الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وهو ما يعرض للبشر

^١ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٦-١٨، أنظر أيضاً: هرنشو، علم التاريخ، ص ٨-٢٨، حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، ط/٤، القاهرة، (د/ت)، ص ١١-١٢، قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٧، حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، (د/ن)، ط/٢، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٧.

^٢ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٣-٢٤، حلاق حسن، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، دار النهضة العربي، د/ط، بيروت، ١٩٨٦، ص ٤٦.

^٣ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ٧.

^٤ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، (د/ط)(د/م)(د/ت)، العبر، المقدمة، م ١، ٣-٤.

^٥ ابن خلدون، العبر، المقدمة، م ١، ٣٦.

في اجتماعهم من احوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة " (١).

يلاحظ أن مفهوم المعنى الاصطلاحي لكلمة تأريخ عند العرب والمسلمين تطور من الزمن (الوقت) والحقبة ليواكب التطور في الكتابة التاريخية عندهم خاصة الفترة ما بين القرن الرابع والعاشر الهجري، ويؤكد هذا ما تضمنته تعريفات كل من: ابن عساكر وابن خلدون والسخاوي والكافيجي من إحاطة وشمول في المعنى ومن نقد وتحليل وتفسير في المنهج بحيث شملت كافة مظاهر النشاط الإنساني.

وبذلك يكون المؤرخون المسلمون وصلوا لهذا المستوى من التطور في الكتابة التاريخية والسبق بها قبل أوروبا بعدة قرون، أما ما تنادي به المدارس التاريخية الأوروبية الحديثة والمعاصرة مثل المدرسة الألمانية التي أسسها ليوبولد فون رانكه (Leopold von Rake) وشعارها التركيز على جميع الوثائق ونقدها، والمدرسة الفرنسية التي ركزت على النقد، وتطوير مناهج البحث في الدراسات التاريخية، وكذلك المدرسة الفرنسية المعاصرة التي تسمى بـ "الحوليات" (ALANNAL) التي دعت إلى توسيع مفهوم التاريخ ليشمل كل شيء [وهذا ما ذكره ابن خلدون والسخاوي] خاصة في منطقة البحر المتوسط وأفريقيا مثل (الطعام، الألعاب، الملابس، الفنون....)، وهذا التخصيص الجغرافي ينسجم مع توجه الدراسات الاستشراقية بشكل خاص. حيث أعلن مؤتمر المستشرقين الدولي الذي انعقد في باريس ١٩٧٣م، إلغاء تسمية مؤتمر المستشرقين ليصبح مؤتمر الدراسات الإنسانية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا (٢).

يعتبر هاملتون جيب، أن التأريخ هو أحد مصطلحات الأدب العربي (الثقافة العلمية) ويشمل التأريخ الحولي والتراجم والسير وليس تاريخاً شاملاً للتاريخ الأدبي (الثقافة العقلية) ومن هذا المفهوم يرى أن تطوره عند العرب جاء على مراحل .

ثانياً: تراث العرب التاريخي قبل الإسلام .

يرى جيب أن مشكلة نشأة التدوين التاريخي عند العرب لم تُحل بصورة نهائية بعد، فبين الروايات الشعبية الأسطورية التي وصلتنا عن بلاد العرب قبل الإسلام وبين الأخبار التاريخية التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة بما فيها من دقة وضبط وصفة علمية نسبياً هوة واسعة لم تلق تفسيراً بعد (٣).

^١ ابن خلدون، العبر، المقدمة، م١، ٤٢-٤٣.

^٢ قاسم عبده، تطور الفكر التاريخي، ص١٥٢-١٥٤ .

^٣ Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 233.

ويُضيف أن هناك رأياً لعدد من الكتاب المحدثين بأن ما ظهر في القرن الثاني الهجري يعتبر تطوراً حاسماً مقارنة مع ما وصلنا من فترة ما قبل الإسلام، مثل كتاب الملوك (خداى نامه) الفارسي الذي نقل إلى العربية في مطلع القرن الثاني الهجري، وهو يتضمن قصصاً لشخصيات خيالية (ميثولوجية)، وتأملات كهنوتية، وأخبار عن قصة الاسكندر، ويُرجح أن التدوين التاريخي عند العرب نشأ من اجتماع عدد من روافد المواد التاريخية وشبه التاريخية^(١).

وتشمل هذه الفترة الحديث عن تراث العرب التاريخي قبل الإسلام في جنوب جزيرة العرب وشمالها والإشارة لمنطقة الحيرة والشام.

ثالثاً: جنوب جزيرة العرب (عرب الجنوب).

يذكر جيب أنه كان من المتوقع أن يوجد في بلاد اليمن نوع من الروايات المدونة بالكتابة، لأنها كانت مركز حضارة عريقة استمرت لفترة طويلة وحُفظت آثارها بالنقوش المعينية والسبئية والحميرية. إلا أن جميع ما وصلنا يحمل طابع الرواية الشفوية، ويشتمل على بضعة أسماء ملوك قداماء وقصص يشوبها الغموض والمبالغة والتهويل عن ماضٍ قديم، وبعض أخبار أكثر دقة وقعت في القرن السابق للإسلام مثل قصة أبرهة الأشرم ومملكة سبأ وهذه أيضاً يشوبها الإضطراب والتشويش^(٢).

أ_ معرفة الكتابة والقراءة.

يوافق رأي جيب هذا ما يذكره الطبري: "أنه لم يكن لدى العرب في العصر الجاهلي أي نوع من الكتابة التاريخية حتى لدى البلدان المتحضرة مثل اليمن والحيرة (المناذرة)، والشام (الغساسنة)، ... رغم النقوش الموجودة على الآثار الباقية في اليمن، وشمال بلاد الحجاز وجنوبي بلاد الشام، وهذا دليل على عدم معرفة العرب بالخطوط القديمة في بلاد العرب وخاصة الخط الحميري، والمدونات (الوثائق) التاريخية، التي كانت مودعة في أديرة وكنائس الحيرة التي ذكر الكلبي أنه اطلع عليها^(٣).

ربما بنى جيب رأيه في هذه النقطة على قول الطبري أعلاه دون الإشارة له، ومع ذلك فإن ما ذكره كلاً من الطبري وجيب فيه مبالغة كبيرة، وهذا يؤدي لاختلاف الآراء حول هذه النقطة الهامة، والواقع أنه كان لدى العرب في العصر الجاهلي معرفة متواضعة بالكتابة، والقراءة بشكل أفضل مما هو متعارف عليه عن تلك الفترة، إضافة لوجود بعض المدونات لدى العرب، وكانت هذه المعرفة من الأسس لعملية التدوين المبكر عندهم، وبيان ذلك في هذه المرحلة المبكرة من الدراسة فيه توضيح لما ذكره الطبري وجيب وتمهيداً لما سيأتي الحديث عنه حول الرواية الشفوية والتدوين التاريخي المبكر عند العرب، (الفصل الثالث) وسيتم توضيحها بثلاثة نقاط، الأولى: إشارات المصادر. والثانية: التباين

^١ Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 233-234.

^٢ Ibid. P. 234.

^٣ الطبري، تاريخ، ج/١، ص ٦٠٩، ٦٢٨.

بين الآراء. والثالثة: الحاجة للتدوين المبكر. وقد تناولت النقطة الأولى: الإشارات الواردة في المصادر عن عدد من يعرف الكتابة من العرب: منها: "كانت الكتابة في العرب قليلاً" ^١، "وكان في قريش سبعة عشر رجلاً يكتبون أسماءهم" ^٢ كما ذكر أسماء عدد من النساء ممن يعرفن الكتابة والقراءة والبعض يقرآن ولا يكتبن ^٣، "ولم يكتب من العرب إلا بضعة عشر رجلاً" ^٤، "ويذكر أن من كان يعرف العوم والرمي والكتابة يُسمى كاملاً" ^(٥).

وهذا يعني أن المصادر اتفقت على أن العدد كان أقل من عشرين شخصاً، لكن ما ذكره ابن سعد وابن قتيبة وابن عبد ربه كان عاماً في العرب، بينما ما ذكره البلاذري سبعة عشر في قريش وحدها، وهذا معقول على مستوى قريش لكنه غير معقول على مستوى العرب عامة.

ويفهم مما ذكره ابن سعد، حول معرفة الكتابة كإحدى مقومات الكمال الثلاثة في الجاهلية، أن من كان يعرف الكتابة أكثر مما ذكر أعلاه سواء في الحجاز أو في العرب عامة. ويؤيد هذا الرأي عدد كتبة الوحي الذي سيظهر بعد فترة وجيزة في المدينة وحدها.

من جهة أخرى يؤكد ناصر الدين الأسد في دراسته لمصادر الشعر الجاهلي أن عرب الجاهلية عرفوا الكتابة الخط نفسه (غير المنقط) الذي استخدمه الصحابة في صدر الإسلام لفترة امتدت لثلاثة قرون قبل ظهور الإسلام ^٦.

وهذا يوافق ما توصل له الباحث العراقي النقشبندي بأن الخط العربي المستخدم في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ظهر في نقش أم الجمال الذي يعود للفترة ٢٥٠-٢٦٠ ميلادي، ونقش النمارة ٣٢٨ ميلادي وما بعده ^٧.

^١ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، كتاب الطبقات الكبير، عني بتصحيحه وطبعه ادوارد سخاو، طبع مصوراً من كتاب، طبع في لندن، منشورات مؤسسة النصر، طهران، ١٣٢٢هـ، ج/٣، قسم ٢، ص ١٣٦، ١٤٢، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٦، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٠٠.

^٢ البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت ٢٧٩ هـ)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (د/ط)، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٥٨.

^٣ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٨.

^٤ ابن عبد ربه، أبي عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب ابن حدير ابن سالم، (ت ٣٢٨ هـ) العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٨٣. العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٤٢.

^٥ ابن سعد، الطبقات، ج/٣، ق/٢، ص ١٤٢.

^٦ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٦-٤٨.

^٧ النقشبندي، أسامة ناصر، بحث بعنوان "مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٨٣-١٠٢.

كما أن العرب عرفوا علوم اللغة وقواعدها وعروضها وعرفوا المعلمين، ومدارس التعليم والمجالس التي تُتدارس فيها الأخبار والأشعار والأنساب^١. وشملت الكتابة عندهم مواضيع عدة أهمها: كتابة الأخبار والأشعار والأنساب وذكور التجارة والحقوق، والرسائل بين الأفراد والمكاتبة بين الرقيق وسادتهم والنقوش على الخاتم وشواهد القبور والعهود والمواثيق والأحلاف^٢. مثل صحيفة قريش التي كتبتها حينما اجتمعت على بني هاشم وبني عبد المطلب وتعاهدوا وتوثقوا على ذلك وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وبقيت هذه الصحيفة في داخل الكعبة أمداً طويلاً وعندما أخرجوها وجدوا أن الأرضة أكلتها ولم يبقَ منها إلا أسماء الله^٣، مما يعني أن عدد المتمكنين من القراءة والكتابة كانوا كثيراً سواء من قريش أو من العرب، ولو لم يكن كذلك لما وضعت الصحيفة في وسط الكعبة، إضافة إلى حادثة فداء الأسرى ببدر.

كما كان لدى القبائل العربية في الجاهلية كُتب دونوا فيها أشعارهم وأخبارهم وأنسابهم وأيامهم ذكرها الشعراء في قصائدهم، ومنها على سبيل الذكر: قول الشاعر الجاهلي بشر بن حازم الأسدي:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المَعَارُ

وقول الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام معقل بن خويلد الهذلي:

فإنني كما قال مُملي الكتا ب في الرق إذا خطه الكاتبُ

يرى الشاهد الحاضر المُطمئنُّ من الأمر ما لا يرى الغائب^٤

وكان دغفل النسابة (جاهلي وأدرك الإسلام) يكتب الأنساب ويدونها في الصحف وفي ذلك يقول الشاعر الفرزدق:

أوصى عشية حين فارق رهطه عند الشهادة في الصحيفة دغفلُ

أن ابن هنية كان خيرٌ والداً وأتم في حسب الكرام وأفضل

وفي بقية القصيدة يُعد الفرزدق الشعراء الجاهليين، ويفتخر أنه ورث عنهم الشاعرية المتدفقة بقوله:

والجعفري وكان بشرٌ قبله لي من قصائده الكتاب المُجملُ

دفعوا إليّ كتابهنَّ وصيةً فورثتهن كأنهن الجندلُ

^١ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٥٠-٥١.

^٢ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٦١، ٧٦، الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٢٧.

^٣ ابن هشام، أبو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، البصري (ت ٢١٣هـ) أو (٢١٨هـ/٨٣٣م)، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، ط/٢، بيروت، ١٩٩١، مجلد/١، قسم/٢، ص ٢١٩-٢٢٢.

^٤ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٦٣-١٦٤.

ويفهم من ذلك أنه كان بين يديه مجموعات شعرية مدونة لشعراء جاهليين ونُسخ من دواوينهم^١، ومن يدون الشعر يدون النثر خاصة أيام العرب وروايات الأيام. ويذكر السيوطي في رواية لحمّاد الراوية قوله: "أمر النعمان فُنسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد الثقفي قيل له: إن تحت القصر كنزاً، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار^٢ وهذه الرواية تؤكد التدوين عند العرب قبل الإسلام. أما النقطة الثانية: فهي تقوم على التباين بين الآراء القائلة بقلة من كان يعرف الكتابة (القراءة) من العرب عند ظهور الإسلام وبين المعلومات المتزايدة عن مدى توسع انتشار الكتابة عند العرب من خلال دراسة الآيات القرآنية وهي كثيرة ونشير إلى بعض منها:

لقد نزل القرآن باللسان العربي المشهور بالفصاحة والبيان لقوله تعالى: "وهذا لسان عربي مبين"^٣، وقوله: "بلسان عربي مبين"^٤، وقوله أيضاً: "قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج"^٥. وهذا يدل على أن مفردات وتعابير القرآن كانت مألوفة الاستعمال عند العرب، كما أن كثرة ترديد كلمة "الكتابة" وما يتصل بها دليل على انتشارها في جزيرة العرب^٦، ويؤكد ذلك أن القراءات السبع أو العشر للقرآن الكريم إنما هي مجرد اختلافات في لهجات القبائل العربية في أنحاء جزيرتهم.

وأوجب القرآن "كتابة" بعض الوثائق والعقود: الديون، عقود النكاح، والمكاتبة بين الرقيق وسادتهم لتحريرهم. كما ذكر القرآن من مواد الكتابة: "القوم"، "القرطاس"، "المداد"، و "الرق". وأشار إلى وصف الكتب ومسمياتها: "والكتاب المسطور"، "والسجل الذي يطوى الكتب"، "والصحف"، "والصحف الأولى"، "وصحف موسى"، "وصحف إبراهيم وموسى"، والقرآن كان في "صحف مكرّمة" وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) "يتلو صحفاً مطهرة"^٧.

وذكر القرآن فعل "الكتابة" بمعنى الأمر في (٢٩) تسع وعشرين آية، وبمعناها الشائع الآن في (٧) سبع آيات. ووردت كلمة "كتاب" (٢٩) تسعاً وعشرين مرة، "والذين أتوا الكتاب" في (٣٢) اثنتين

^١ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٦٠.

^٢ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ/١٥٠٥م)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، د/ط، دار إحياء الكتب العربية، د/ت، القاهرة، ج/١، ص ٢٤٩.

^٣ سورة النحل، آية ١٠٣.

^٤ سورة الشعراء، آية ١٩٥.

^٥ سورة الزمر، آية ٢٨.

^٦ صالح أحمد العلي، دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، (د/ط) بيروت، ١٩٨٣م، ص ٧٣.

^٧ العلي، تطور الحركة الفكرية، ص ٧٤.

وثلاثين آية، كما وردت كلمة "الكتاب" أو "الكتب" بمعنى الكتب المقدسة في الأديان السماوية في (٣٨) ثمان وثلاثين مرة، وذكرت بعض الكتب المقدسة بأسمائها الخاصة "التوراة والإنجيل معاً" في (٨) آيات، و"الإنجيل" منفرداً (٣) ثلاث مرات، و"التوراة" منفردة في آية واحدة. وأسماء "البيئات" و"الزبر" و"الزبور" و"الصحف" وغيرها^١. وهذا ما يؤكد معرفة العرب لهذه التسميات ودلالاتها ومعانيها في فترة ما قبل الإسلام وهو دليل على انتشار الكتابة والتدوين عندهم قبل الإسلام.

وتؤكد النقطة الثالثة على استخدام العرب التدوين التاريخي عند ظهور الإسلام، حتى عند القبائل وبين البدو^٢. لكنها كانت أكثر شيوعاً واستعمالاً في المراكز التجارية والحضرية. ومع ان القرآن وصف أهل مكة بالأميين، إلا أن المقصود أنهم لم يكن لهم في الجاهلية كتاب مقدس^٣، ويلاحظ في قول قول الطبري شيء من المعارضة لما ذكره في تاريخه.

و دعت الحاجة بعد الهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام فيها، واستمرار نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى التدوين والكتابة، وذلك لتدوين المنزل من القرآن وتدوين المراسلات والمكاتبات والاتفاقيات والمعاهدات وما اقتضته حاجة الدولة الإسلامية.

وكان هناك كتبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتدوين الوحي والمكاتبات الأخرى، وقد اختلف في أعدادهم ما بين ٢٣-٤٣ كاتب وحي^٤، وهذا استمرار لشيء سابق موجود، وهو تأكيد آخر لوجود المعرفة بالكتابة قبل الإسلام ولو على نطاق متواضع.

وتزايدت حاجة الدولة إلى الكتاب بعد الفتوح والتوسع وذلك لضمان الاتصال بين الخلفاء والولاة، كما أن إنشاء الدواوين وتعريبها عام ٦٧٥هـ/٦٩٤م في خلافة عبد الملك بن مروان، كان عاملاً مهماً في تزايد أعداد الكتبة لإدامة سجلات الدواوين خاصة الواردات المالية، وتنظيمات الدولة.

ب_ الكتابات والنقوش

كان في جنوب جزيرة العرب مجتمعات مستقرة، حسنة التنظيم، لديها زراعة متقدمة وتجارة عالمية، ونظام سياسي ملكي وراثي^١. وتُشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال الفترة

^١ العلي، تطور الحركة الفكرية، ص ٧٤.

^٢ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٦-٤٨.

^٣ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣ م)، التفسير الكبير، تحقيق محمد أحمد شاكر، ج ٢، ٢٥٨.

^٤ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، كتاب الخراج، المطبعة السلفية، (د/ط)، القاهرة، ص ٥٧، وما بعدها، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٢، الجهشيارى، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٣م)، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، القاهرة الوزراء والكتاب، ص ٣٨، ٤٠.

١٢٠٠ قبل الميلاد إلى سنة ٥٢٧ ميلادي^٢. خَلَفَتْ لنا هذه الممالك كتابات على الأحجار والنحاس سُجِّلَتْ فيها فعاليات مختلفة مثل: أعمال الملوك، نظام الزراعة، المعاملات التجارية، الحملات العسكرية والتحسينات، وكتابات دينية شملت أسماء الآلهة والنذور والقرايين، وبعض القوانين، وأسماء القبائل والأفراد^٣.

ويذكر مرغوليوث وجود نصوص حميرية مدونة على مواد يمكن حملها^٤. وكذلك وجود نقوش مثل نقش امرؤ القيس الذي خُلِدَ فيه أعماله والمؤرخ لعام ٣٢٨ ميلادي، وكذلك نقش شراويل المؤرخ لعام ٥٧٨ ميلادي الذي يُشير إلى تدمير خيبر^٥، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون عن ابن الأبار أنه ((كان لحميركتابة تسمى المسند حروفها منفصلة، وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذنهم، ومن حمير تعلمت مضراً الكتابة العربية....))^٦.

وكانت النقوش التي عثر عليها دوتي (Doughty) (١٨٤٣-١٩٦٢ م) في شمال بلاد العرب مدونة بلهجة آرامية مختلطة بالألفاظ العربية، بينما نصوص النقوش الدينية التي عثر عليها في جنوب بلاد العرب كان فيها تقارب شديد من العربية الفصحى وهي مدونة بالخط الحميري أو العربي القديم^٧. وأورد مرغوليوث نماذج من نصوص النقوش الجنوبية العربية المترجمة، وأحدها يؤرخ للاحتلال الحبشي لليمن عام ٥٤٣م، الذي لم يترك ذكريات حميدة فيها لأن أهلها كانوا ينظرون بالفخر والاعتزاز لما قام به سيف بن ذي يزن من طرد الأحباش بمعونة الفرس، وهو يعزو وجود نقوش ذات قيمة تاريخية هناك، لقيام عدة ممالك كانت تنظيماً السياسية أكثر تطوراً من غيرها مثل: سبأ، وحمير، وقتبان، وأوسان، ومعين، وحضرموت، وريدان، واليمن (يمنت)^٨.

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٥. روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٣٥-٣٦، قاسم عبده، تطور المنهج التاريخي، ص ١١٦، ١١٥، مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٤١-٤٥.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٥-١٦.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٥-١٦. مرغوليوث، دراسات، ص ٤٥-٤٦، الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ١١-١٢. قاسم عبده، تطور المنهج، ص ١١٦-١٢٠.

^٤ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ٤١، ٤٥.

^٥ روزنتال، علم التاريخ، ص ٣٠، العلي، المفصل، ج/١، ص ٢٣.

^٦ ابن خلدون، العبر، المقدمة، م ١، ٤٤٦.

^٧ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٣٤.

^٨ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٤١-٤٦.

وعُثر في نهاية القرن التاسع عشر على الكثير من النقوش أشار لها الحلاق^(١). كما ذكر النقشبندى في دراسته لتطور الحروف العربية من خلال النقوش المكتشفة أن بعضاً منها يتضمن معلومات تاريخية^(٢). وإذا أعطيت الفرص لمزيد من عمليات التنقيب الواسعة في جنوب الجزيرة العربية، ربما تزودنا النقوش التي سيتم الكشف عنها بمعلومات قيّمة عن منطقة اليمن. ويذكر هرنشو أن العرب كانوا يتناقلون الروايات التاريخية والأخبار شفويّاً على هيئة شعر أو نثر، ما عدا أهل الحواضر في اليمن، فإنهم كتبوا بالخط المُسند أخبار ملوكهم، وكذلك عرب الحيرة فإنهم دوّنوا أخبار مملكتهم وحفظوها في الأديرة والكنائس^(٣).

لم يكن في كتابات جنوب جزيرة العرب تأريخ واضح حتى عام ١١٥ قبل الميلاد، حيث تم اعتماد تقويم ثابت، وهذا التطور يوحى بوجود شيء من الفكرة التاريخية^(٤). بينما ينفي روزنتال وجود وجود أي شعور أو فكرة تاريخية عند العرب في شمال ووسط وجنوب الجزيرة العربية رغم وجود النقوش، وإن وجدت فهو يعزوها إلى المؤثرات الثقافية الخارجية^(٥).

ثم يعود روزنتال – ويعارض نفسه- ويؤكد أنه كان في جنوب الجزيرة مجتمعات متحضرة، لديها زراعة متقدمة، وخبرة سياسية ووسائل لتسجيلها، مما أدى إلى صنع أدب تاريخي، وكان لديهم صورة واضحة للتعبير عن الشعور التاريخي^(٦).

ويُضيف بأنه لم يكن لأتباع الديانة اليهودية أو النصرانية في الجزيرة العربية أي ممارسة لأي شكل من أشكال الكتابة التاريخية، رغم أنه كان لديهم صورة عن العرض التاريخي الذي نقلته إليهم التوراة، سواء كان ذلك من خلال حوزتهم للنصوص أو الفقرات التي نُقِلت إليهم شفاهاً^(٧).

^١ حسان الحلاق، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، ص٤٦-٤٧. قدّم إحصائية باكتشافات الأوروبيين للنقوش في منطقة اليمن مُلخصها:

أ - القديم المعروف بالحميري.

ب - الفرنسي/ جوزيف هاليفي، كشف عام ١٨٧٠ عن ٦٨٦ نقش في نجران وصنعاء.

ج - النمساوي/ ادوارد غلازر، كشف عن ٢٠٠٠ نقش خلال ١٨٨٢-١٨٩٤م.

^٢ النقشبندى، مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها، ص٨٣-١٠٢. دراسة مقارنة لأشكال الحروف وتطور الخط العربي خلال الفترة ٩ قبل الميلاد وحتى ٦٨٣ ميلادي/ ٦٤هـ. وذلك من خلال النقوش المكتشفة في مناطق: بصرى، حرّان، أم الجمال، النمارة، زَبْد (قرية بين قنسرين ونهر الفرات، جنوب شرق حلب، وجبل اسيس (١٠٥ كم جنوب غرب دمشق).

^٣ هرنشو، علم التاريخ، ص٥٢-٥٣.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص١٦.

^٥ روزنتال، علم التاريخ، ص٣٠.

^٦ روزنتال، علم التاريخ، ص٣٥-٣٧.

إن ما تم بيانه بشكل مختصر حول معرفة الكتابة والقراءة لدى العرب قبل الإسلام، ودراسة كل من ناصر الدين الأسد ، وأسامة النقشبندي، والإشارات لدواوين الشعر وكتب القبائل العربية الموجودة في الجاهلية، والإشارات الواردة في القرآن الكريم والحديث عن الكتابات والنقوش المكتشفة في اليمن يوضح أن ماذهب إليه جيب بقوله: " أن جميع ما وصلنا من اليمن كان يحمل طابع الرواية الشفوية" لم يكن دقيقاً إنما كان حكماً أو رأياً عاماً وهذا التباين يدعو للتساؤل: لماذا لم يبق لنا (أو لم يصلنا) من تاريخ اليمن السابق للإسلام، رغم طول عهده سوى بضع أسماء لملوك قداماء، وقصص غامضة لحمتها وسداها المبالغة والتهويل والأساطير؟.

إن الإجابة على التساؤل المطروح تتطلب جهوداً كبيرة يمكن إجمالها بما يلي:

- إعادة دراسة ما وصلنا عن تراث اليمن القديم من نقوش مكتشفة وترجمة محتوياتها وتحليلها من خلال دراسة الخطوط التي كتبت بها سواء المسند أو الحميري. وربما إجراء المزيد من التنقيبات الأثرية خاصة في مواقع المراكز الحضارية للممالك والدول التي قامت في اليمن يمكن أن تُقدّم لنا معلومات تساعد في الإجابة. وكذلك الكتابات (التراث المدوّن) عن اليمن مثل كتاب الأكليل للهمذاني وغيره من المصنفات في شتى المواضيع من تواريخ وكتب التراجم والوفيات.
- دراسة العلاقات بين دول وممالك اليمن القديمة ودورها في الحفاظ أو طمس تراث من سبقها، وكذلك أثر الغزو الخارجي لليمن الحبشي والفارسي ودوره في ذلك.
- العوامل الطبيعية وأثرها في إتلاف التراث الحضاري اليمني القديم.
- البحث الجاد والحديث عن المصادر العربية والإسلامية المحفوظة لدى المكتبات والمراكز العالمية، والتي لم يكشف عنها لحد الآن بالدراسة أو التحقيق وهذه تعتبر مفقودة أو لم تصل إلينا رغم ورود إشارات عنها في المصادر الإسلامية ومنها كتاب الفهرست لابن النديم، وكذلك إعادة قراءة المصادر الإسلامية.

- البحث عن أية دراسات حديثة عربية أو أجنبية حول هذا الموضوع

ومن جهة أخرى يرى جواد علي أن تاريخ الجاهلية هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تاريخ العرب، لأن معظم ما ذكره عبارة عن أساطير وقصص شعبي وأخبار أخذت عن أهل الكتاب لاسيما اليهود، وأشياء وضعها المغرضون في الإسلام لمأرب معينة، لذلك فهو يحتاج إلى تحقيق وفرز لبيان المقبول من غير المقبول، وعندما قام المستشرقون بدراسة تاريخ الجاهلية شككوا في معظم

¹ روزنتال، علم التاريخ، ص ٣٧-٣٨.

معلوماته وتناولوه بالنقد، استناداً على طرق البحث الحديثة المتبعة في الغرب. وبذلك كانت دراساتهم حافزاً لمزيد من الدراسات حول تاريخ الجاهلية وهذا الرأي جدير بالإهتمام والبحث^(١).

وعلى ضوء ما تقدم، فإنه يتضح وجود بعض الافكار للإجابة عن التساؤل المطروح والذي يدور حول قلة المعلومات عن تاريخ اليمن القديم. على الرغم من تضمن النقوش والكتابات بعض المعلومات التاريخية وشبه التاريخية وإن كان فيها شيء من المبالغة أو التهويل.

كما أن النقوش التي أشير إليها كانت في أغلبها مؤرخة، مما يعني أنها تعطي دلالة تاريخية قيّمة، وهي بمثابة وثائق أو روايات تاريخية مدونة، وإن تم تدوينها على الحجارة أو النحاس أو غير ذلك، وأن وجود تقويم ثابت في اليمن كان معروفاً، استمر لمدة سبعة قرون قبل ظهور الإسلام، نقطة هامة جداً أو جديرة بالاعتبار. لأن التقويم (التأريخ) هو أساس الفكرة التاريخية الذي يُعطي الخبر أو الرواية القيمة التاريخية، وعلى الرغم من وجود هذه الإشارة إلا أن جيب لم يتطرق لها لا من بعيد ولا من قريب .

كما أن التناقض في آراء روزنتال حول وجود أو عدم وجود فكرة تاريخية عند العرب في الجزيرة العربية، أو عدمها، وكذلك تأثيرها بمؤثرات خارجية، إنما هو دليل على مواقف وآراء كثير من المستشرقين المتباينة حول الفكرة الواحدة بسبب اعتمادهم على دراسات وآراء غيرهم من المستشرقين واعتبار آرائهم من المسلّمات، مما أدى الى تكرار الفكرة ووجهة النظر البعيدة عن الصواب عند أغلبهم، إن لم يكن جلهم.

ج - الروايات الشفوية /اليمن

يذكر جيب أن الروايات الشفوية التي انتشرت خلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي بشكل واسع، ونسجت حولها طائفة من الأخبار الاسطورية، وزعم أنها تاريخ قديم لبلاد العرب وتمت نُسبُتها إلى وهب بن منبه وعبيد بن شرية الجرهمي، ويرى أن كلا الكاتبين يقدمان دليلاً وافياً على أن العرب الأقدمين كانوا يفتقدون إلى الحس والمنظور التاريخيين حتى عند التعامل مع الأحداث التاريخية والحوادث المعاصرة تقريباً. معتمداً على دراسة ف. كرنكو (F. Krenkow)^(٢).

ويتابع جيب قوله ورغم ذلك تقبلت الأجيال اللاحقة أكثر ما كتباه، وأدخلها المؤرخون وغيرهم من المؤلفين في كتاباتهم. فقد روى ابن اسحاق وعن عبيد بن شرية، وجمع ابن هشام كتاب التيجان لوهب بن منبه بالصورة التي وصلتنا. حتى الطبري أدخل في تفسيره الكبير للقرآن كثيراً من أقاويل وهب بن منبه، وابن خلدون رغم إشارته لسخف بعض هذه الأساطير اليمنية إلا أنه استشهد بتلك

^١ علي، المفصل، ج/١، ص ٤٢.

^٢ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islamic, suppl. P. 234.

الأساطير لإثبات نظرياته. وهكذا بقيت هذه الأساطير عنصراً مخالفاً للمنطق على مدى التدوين التاريخي العربي كله، كما وقفت عقبة في تطوير ملكة النقد وفي الوصول إلى أي فهم واضح للتاريخ القديم^(١). إن إشارة جيب لاقتباسات بعض المصادر أو لبعض الروايات أو بعض النصوص لتفسير بعض الآيات التي تتعلق بالأمم القديمة عن وهب بن منبه صحيحة، لكن آراءه حول التدوين التاريخي ليست دقيقة وذلك من خلال الرجوع لدراسة كرنكو التي أشار إليها ليؤكد وجهة نظره.

فقد ذكر كرنكو في دراسته حول "أقدم كتابين في التراث العربي الشفوي" كتاب التيجان في أخبار ملوك حمير لوهب بن منبه، وأخبار عبيد بن شرية الجرهمي. أن كتاب التيجان يُنسب إلى أبي محمد عبد الملك بن هشام، المشهور بأنه اختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهذبها، ويدعي بأنه أخذ معلوماته عن أسد بن موسى عن أبي إدريس بن سنان عن خاله وهب بن منبه المشهور بمعرفته لتراث اليمن، والكتاب فيه سرد للمعلومات يبدأ من خلق العالم وينتهي بأخبار سيف بن ذي يزن، ويضيف أن وهب يماني المولد والثقافة، ينحدر من أصل يهودي، ويرى أن الهدف المزعوم لوهب هو إعادة كتابة الفترة المضيئة لجنوب الجزيرة العربية، والواقع أنه ردٌ فعل على تفوق القبائل العدنانية (مُضر) وخاصة قريش وما حققته من مجد بعد مجيء الإسلام^(٢).

ويؤكد كرنكو أن هذه المشاعر وجدت في مصطلحات الحقد والعداء التي ظهرت في الخلافة الأموية بين القيسية واليمانية، كما وجدت صورته في فتح الأندلس، ومن المحتمل أن هذا كان الباعث والحافز الرئيسي لأصول الكتابين، كما يرى أن الكتاب الآخر "أخبار عبيد بن شرية" (يهودي من أهل اليمن) هو مشابه في المحتوى لكتاب وهب "التيجان"، ويحتمل أنه من وضع ابن هشام مع تركيز أكثر بالشعر الحميري القديم، والإسهاب في شرح الحوادث بالنثر، واختلاف في بعض التفاصيل حول قصة لقمان، وقصص جديس وطسم وثمود، وقصة بلقيس وسليمان، وذي القرنين والاسكندر، ويخلص كرنكو إلى أنه لا يوجد في الكتابين تاريخ ولا سلسلة رواة لاسناد، وفحوى الكتابين عبارة عن قصص وأساطير لحنمتها وسداها المبالغة، عدا عن المغالطات في تسلسل الحوادث^(٣).

ويذكر أنه اعتمد على ثلاث مخطوطات كتبت في صنعاء ونسخت في الفترة نفسها عن نسخة أصلية غير دقيقة، وهذه المخطوطات موجودة في برلين، وحيدر أباد، ولندن، وألمح أنه توجد في مخطوط حيدر أباد إشارة مفادها: أن محمد بن اسحاق هو الكاتب الأصلي لأخبار عبيد بن شرية، بينما

^١ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islamic, suppl. P. 234.

^٢ Krenkow, F, Islamic Culture, The Hyderabad Quarterly Review, Vol. II. Hyderabad .

Decon, 1928. London, p. p. 55-89. 204- 236 . انظر: هوروفتس، يوسف، المغازي الأولى ومؤلفوها،

ترجمة حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط/١، القاهرة، ١٩٤٩، ص ١.

^٣ Krenkow, F, Islamic Culture, Hyderabad Review, Vol., p. p. 55-89, 204-236.

يعتقد بأنه من المحتمل أن يكون عبد الملك بن هشام هو من وضع الكتاب مع تركيز أكثر بالشعر الحميري القديم، والإسهاب في شرح الحوادث بالنثر^(١). ونظراً لتركيز جيب على وهب بن منبه، لا بد من التعريف به بشكل مختصر.

وهب بن منبه (ت ١١٤هـ/٧٣٢م)، هو ابو عبدالله وهب بن منبه اليماني، من أصل فارسي، ومسقط رأسه بلدة ذمار بجوار صنعاء، ولي القضاء في بلدته لعمر بن عبد العزيز، وعرف بميله للزهد وكان قديراً فترة من الوقت، وسجن في الأعوام الأخيرة من حياته وجُلد لأسباب غير معروفة وكان يتعصب ليمانيته، وهو صاحب الاخبار والقصص، وكان له معرفة بأخبار الأوائل وأحوال الأنبياء، صلوات الله عليهم، وبسير الملوك، وكان له تصنيف بعنوان " ذكر الملوك من حمير وأخبارهم وقصصهم وأشعارهم " في مجلد واحد^(٢)، كما كان صاحب أخبار وقصص، لذلك كان موضع نقد وتشكيك، فهناك من يوثقه وهناك من ينتقده^(٣). ورغم أن المصادر ذكرته بأنه ثقة، روى عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة، إلا أن الرواة لم يأخذوا عنه إلا نادراً^(٤).

واعتمد وهب في مصادر معلوماته على الرواية الشفوية، والكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، التي ادعى أنه أطلع عليها، وقرأ عدداً كبيراً منها، الأمر الذي يصعب تصديقه وقبوله على هذه الصورة كما يقول الدوري^(٥). كما كان له معرفة بالتلمود وأسفار التوراة واللغة العبرية والسريانية، وأخذ الكثير من القصص الشعبي اليمني^(٦). فجاءت معلوماته مختلفة عن نصوص الكتب المقدسة، حيث يرد فيها إضافات تستند إلى شرح آيات من القرآن الكريم. وهناك تعارض بين رواياته، كما أنه لم يكن يترفع عن الادعاء والكذب^(٧) لأنه كان ينقل من سفر التكوين بالنص مع التحريف في الترجمة السريانية^(٨).

ويوافقه

^١ Krenkow, F, Islamic Culture, Hyderabad Review, Vol, p. p. 55-89,204-236.

في هذا الدوري، نشأة علم التاريخ، ٢٢-٢٤، وهورفتس، المغازي الأولى، ص ١.

^٢ انظر ترجمته: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١ / ١٢٨٢ م)، وفيات الأعيان

وأبناء أبناء الزمان، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت ١٩٩٧م، وفيات الأعيان، ج ٣، ٢٢٦، الدوري، نشأة علم

التاريخ، ص ١١٦، ١١٥. هورفتس، المغازي الأولى، ص ٢٧-٢٨.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١١٦.

^٤ هورفتس، المغازي الأولى، ص ٢٩.

^٥ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١١٧-١١٨.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١١٧-١١٨، هورفتس، المغازي الأولى، ص ٢٩-٣٠.

^٧ الدوري، نشأة علم التاريخ ص ١١٩-١٢٠، هورفتس، المغازي الأولى، ص ٣٠-٣٢.

^٨ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١١٩-١٢٠، هورفتس، المغازي الأولى، ص ٣٤-٣٥.

وتنسب له عدة مصنفات عن فترة ما قبل الإسلام مع الاختلاف في تسمياتها، وصلنا منها مقتبسات عند الطبري وابن قتيبة وابن اسحاق، وفيها تناقض، كما وصلنا كتاب التيجان. وينسب له كتاب في المغازي، عثر بيكر على قطعة منه في هايدلبيرج (Heidelberg) مؤرخة لعام ٢٢٨هـ/٨٤٢م، وترجع الأخبار فيها إلى وهب دون سند^(١).

ويرى الدوري أن وهب بن منبه يمانى بعيد عن مدرسة أهل الحديث في المدينة، وأن مغازيه لا يشار إليها في كتب السيرة، كما أنه أدخل عنصر القصة والإسرائيليات لفترة ما قبل الإسلام، وهو أول من وضع هيكلاً قصصياً لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام، وقد تأثر بعض المؤرخين اللاحقين بالمادة والهيكل اللتين وضعهما، كما أن خطوط السيرة وموادها لم تأت عن طريق القصص، إنما كانت من عمل أهل المغازي من المحدثين ومن سار على طريقته من أهل المدينة^(٢). وبعد الإطلاع على كتاب التيجان لوهب بن منبه. يمكن وصفه كما يلي:

يقع الكتاب في (٥٠٠) صفحة من الحجم العادي منها (٣٢١)، صفحة هي نص كتاب التيجان والبقية هي أخبار عبيد بن شرية. والكتاب بشكل عام عبارة عن مجموعة من القصص والأساطير والأشعار والأخبار المثيرة والإسرائيليات، خاصة أخبار ملوك حمير التي تشكل الجزء الأكبر منه، ويجمع الكتاب بين المحادثة التاريخية والقصص الديني والخرافة والأسطورة، وهو لا يمثل مرجعاً تاريخياً أو مصدراً علمياً، إنما يمثل بداية القصة العربية وطريقة روايتها.

أما الروايات والقصص التي يرويها وهب بن منبه مباشرة منه دونما أي إسناد، ويحاول توظيف الآيات القرآنية للتدليل على رواياته، فقد جاءت بعيدة عن القبول والمنطق والصحة، خاصة فيما يتعلق بالحوار والأحاديث بين الله عز وجل وبين سيدنا آدم، عليه السلام، أو الحديث على لسان الملائكة والجان، وفيما يتعلق بمعلوماته وقدراته فهو يروي أن الله سبحانه وتعالى أنزل على جميع النبيين ما مجموعه (١٦٣) كتاباً قرأ منها (٩٣) كتاباً^(٣).

أما الإسرائيليات وهي القصص والأخبار المنحولة والتي وردت في التوراة والتلمود وكذلك الأساطير اليمانية، التي أقمحت وأدخلت للتراث الإسلامي من خلال تفسير بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأمم الغابرة، وأبرز من وظفها في التراث الإسلامي هما:-

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٢٥، هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٣٥-٣٦.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٢٥-١٢٦.

^٣ وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط/٢، صنعاء، (د/ت)، ويتضمن أخبار عبيد بن شرية.

وهب بن منبه، وعبيد بن شرية، وكلاهما قصاص لم يرتقي لمستوى الأخباري وكذلك عامر الشعبي^(١)، ويعتبر كعب الأحبار^(٢) أقدم مصدر من رواة أخبار الإسرائيليات^(٣).

ويبدو حسب وجهة النظر هذه أن السبب المباشر في وضع مثل هذه الاخبار الخيالية والأسطورية. التنافس بين عرب الشمال وعرب الجنوب، وهو السبب الذي دفع وهب لوضع كتاب التيجان. ويؤيد ذلك كرنكو في دراسته المشار لها، وكذلك يؤيد الدوري هذا الرأي بقوله: "إن الروايات اليمانية في المصادر الأولى ذات طابع أسطوري، وقصص خيالية مثل روايات وهب بن منبه وعبيد بن شرية الجرهمي، وهي مزيج من القصص الشعبي والإسرائيليات حاولوا فيها تمجيد عرب اليمن بأن نسبوا إليهم أمجاداً في الحرب والصناعة واللغة والأدب والدين، وذلك للتدليل على أنهم سبقوا عرب الشمال في أمجادهم أو أنهم لا يقلون عنهم في ذلك"^(٤).

وجاءت هذه الروايات بأسلوب مشابه لقصص الأيام "أيام العرب" مع زيادة في الشعر، لزيادة قوة تأثير القصة الخيالية، ويبدو أن دوافع هذه الظاهرة تتصل بظروف العرب في صدر الإسلام، والعوامل السياسية والعصبية والتنافس بين عرب الشمال (مضر)، وعرب الجنوب (اليمن)^(٥).

ومما يساعد على قبول مثل هذه النظرة، هو بيئة الجزيرة العربية، التي تمكنت ما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين من تحقيق وحدة اللغة العربية، وتزامن ذلك مع بروز مكانة ومركز شمال الجزيرة العربية سياسياً واقتصادياً ودينياً، مقابل تراجع مركز جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، وكذلك نشوء الكتابة العربية، واللهجة العربية الشمالية التي تطورت حتى سيطرت على معظم أنحاء الجزيرة العربية^(٦).

ويتجلى ذلك في الفصاحة والبيان والبلاغة. والتي تمثلت في الشعر الجاهلي، الذي يتضمن تراث العرب ومنجزاتهم^(٧)، ويمثل أول إشكال الكتابة التاريخية الإسلامية من حيث البنية (التي تمثلها القصيدة العمودية)، وطرق الرواية والإسناد لأن الشعر ورواته أشبه بالخبر ورواته^(٨).

^١ الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٢٦، علي، المفصل، ج ١، ص ٨٣، ٨٥، روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٥٧-٢٥٩.

^٢ كعب الأحبار، أبو اسحاق كعب بن منبه بن مانع بن هجن الحميري اليماني، يهودي من أهل اليمن (ت ما بين ٣٢-٣٥هـ/٦٥٢-٦٥٥م).

^٣ "م. شميتز M. Schmitz"، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢، ج ٢٦، ص ٨٠٥٥-٨٠٥٦، مادة "كعب الأحبار".

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٧.

^٥ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٧-١٨.

^٦ الخالدي، فكرة التاريخ، ص ١٩-٢٠.

^٧ الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٢٠.

^٨ الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٢٣-٢٤.

لقد اعتمد جيب في طرحه لهذه القضية على نتائج دراسة كرنكو حول أقدم كتب التراث الشعبي عند العرب، التي لم تكن حول مصنفات تاريخية، ووصفها على أنها تاريخ قديم لبلاد العرب (اليمن) بناءً على زعم من نسبت إليهم — وهب بن منبه وعبيد بن شرية- ويعتبر كل من هذين قصاصاً إخبارياً لم يرتق إلى مستوى مؤرخ وهذا ما أكده الدوري، وطريف الخالدي وكرنكو وغيرهم، والاقتراسات من الكتابين التي أشار لها جيب، ما هي إلا جزئيات صغيرة لا تذكر مقارنة مع حجم الأعمال الكبيرة للمُصنِّفين المشار إليهم.

فقد حاول جيب رسم صورة مشوهة لبدايات التدوين التاريخي عند العرب بأنها نشأت على أساس الروايات الشفوية اليمانية (القصص والأساطير) واعتمد في ذلك على دراسة كرنكو وأصدر حكمه بأن هذه الأساطير بقيت عنصراً مخالفاً للمنطق على مدى التدوين التاريخي العربي كله، كما وقفت عقبة في تطوير ملكة النقد والوصول لفهم واضح للتاريخ القديم.

وبالمقابل نرى كرنكو يشكك في صحة نسبة الكتاب إلى لوهب بن منبه ويعتقد أنه من وضع ابن هشام، وأنه لا يوجد في الكتابين تاريخ ولا سلسلة رواة للأسناد وفحوى الكتابين قصص وأساطير تقوم على المبالغة والمغالطات وفيه الكثير من الإسرائيليات وأخبار التوراة والأنجيل.

ورغم إشارة جيب باعتماده على دراسة كرنكو إلا أنه في الواقع لم يأخذ منه سوى جزئية صغيرة وهي وصف لمحتوى الكتابين بأنه قصص وأساطير. وما ذكره من رأي وأحكام هي من عنده مجرد افتراض بناه على زعم ينسب لمجهول حسب تعبيره وهذا بعيد عن المنطق العلمي، وهو يرمي بذلك إلى التشكيك في صحة التدوين التاريخي العربي وقيمه من حيث: الدقة والنقد والعقلانية، وهذا بحد ذاته تشويه للتاريخ العربي من بداياته، وللدِين الإسلامي باعتبار أن الطبري أحد كبار المُفسرين أدخل الأساطير في تفسيره الكبير للقرآن الكريم.

ويمكن تنفيذ ما طرحه جيب من مغالطات حول تسرب القصص والأساطير في بدايات التدوين عند العرب، لكن المجال لا يتسع إلا بإشارة عن نشأة علم التاريخ وموقف الفقهاء والمحدثين من القصص والأساطير خاصة وهب بن منبه وهشام بن الكلبي.

ومن المعروف أن علم التاريخ عند العرب، انبثق من علم الحديث، ونشأ وترعرع على يد المحدثين والفقهاء، وأن كثيراً من المؤرخين المسلمين ينظرون للتاريخ على أنه خدمة لعلم الحديث الشريف فيقول: ((سفيان الثوري: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ))^(١)، أي من شروط علم الحديث أن يكون على علم بعلم التاريخ، فيذكر السلاوي عن الامام الشافعي قوله: ((قرأت علم التاريخ

^١ ابو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي، توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م، كان احد الاعلام بعلم الحديث، وللمزيد عن ترجمته انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م) سير اعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط/١١، بيروت ١٩٩٦، سير اعلام، ج ٧، ٢٢٩-٢٧٩.

كذا وكذا سنة، وما قرأته إلا لأستعين به على الفقه))^(١)، إذ كان من شروط علم الحديث ((ومن عني به، أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله، وبفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحه وسقيمه، ويعرف أهل الحديث به وأحوالهم معرفة تامة إذا كان في بلده علم وعلماء قديماً وحديثاً ثم يشتغل بعد بالحديث بالبلدان والرحلة فيه))^(٢).

فكان الرواد الأول من أبناء الصحابة والتابعين الذين اهتموا بالسير والمغازي ومن أشهرهم: عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ/ ٧١٢م) المؤسس الأول لعلم التاريخ عند المسلمين، وإبان بن عثمان (ت بين ٩٥-١٠٥هـ/ ٧١٣-٧٢٣م)، وشرحبيط بن سعد (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠م)^(٣)، لذلك كانت أعمال الإخباريين والمؤرخين والنسابين وحتى المحدثين الذين يهتمون بالقصص والأساطير والأشعار غير مقبولة في نظر الفقهاء والمحدثين وأمثلة ذلك كثيرة منها:

جاءت السيرة النبوية لابن اسحاق (ت ١٥١هـ/ ٧٦١م) في ثلاثة أقسام: المبتدأ والمبعث والمغازي، جمع فيها بين أساليب المحدثين والقصص (الأحاديث النبوية والروايات التاريخية، والإسرائيليات، والقصص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع).

وفي المبتدأ روى عن أهل الكتاب وأخذ عن وهب بن منبه، لذلك انتقدت سيرته في المدينة، وجاء بعده ابن هشام (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) وعمل على تهذيبها، وذلك بحذف الأقسام الضعيفة في المبتدأ، وطرح منها الشعر الموضوع، بحيث أصبحت أقرب إلى وجهة نظر المحدثين، ونظرة المؤرخين لها حسنة^(٤). ورغم الشهرة الواسعة التي اكتسبها ابن هشام من تهذيبه للسيرة النبوية، فهناك مأخذ كثيرة عليه من الفقهاء والمحدثين، حتى أن اسمه لم يُدرج في قوائم كُتّاب السير التقليديين، ولا في قوائم الذين يُعتبرون ضعافاً وليسوا ثقة، وهذا أمر لافت للنظر^(٥). إن تساؤل كرنكو يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً كما أن الطبري المفسر والمؤرخ لم يأخذ عن الواقدي رغم أنه مُحدث وذلك بسبب ما حام حوله من شبهات من قبل المحدثين^(٦). ورغم ورود إشارات في المصادر تذكر أن وهب بن منبه ثقة، وروى عن ابن عباس وجابر وابي هريرة وغيرهم، إلا أن الرواة لم يأخذوا عنه إلا نادراً^(١).

^١ السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري الدرعي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب، بيروت، ط/١، ٢٠٠٧م، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م ١، ص ٧.

^٢ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، م ١، ٥٥.

^٣ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٣-٩، النبراوي، فتحية عبد الفتاح، علم التاريخ/ دراسة في مناهج البحث، المكتب الجامعي الحديث، ط/١، القاهرة، ١٩٩٣.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٢-٣٥.

^٥ Krenkow, Islamic Culture, Vol. II, p. 230.

^٦ Gibb, Ency. Of Islam, suppl, p.237.

رابعاً: شمال جزيرة العرب (عرب الشمال).

يتحدث جيب عن عرب الشمال، فكان لكل قبيلة روايات ماثورة خاصة فيها تتناقلها الأجيال، وقد تجاوزت في كثير من الحالات أفق القبيلة إلى نوع من المفهوم الجماعي المتصل بالأنساب، فليس هناك ما يُشير إلى وجود مآثور عربي شمالي مشترك، وشكل المآثور القبلي له أهمية لأنه يتناول في الغالب روايات حوادث الأيام "أيام العرب" التي حاربت فيها القبائل والعشائر أعداءها، ويتخلل كل رواية أبياتاً من الشعر، والعلاقة بين الشعر والنثر متفاوتة، أحياناً يكون الشعر نوعاً من الارتجال، وأحياناً أخرى يكون النثر شرحاً للشعر. وفي الحالتين كان الشعر هو الذي حافظ على شيوع الرواية وتناقلها، ولما نُسيئت الأشعار اندثرت الرواية القديمة، لذلك كانت تُنظم أشعار جديدة لتخليد الأحداث المستجدة في تاريخ القبيلة^(٢).

ويصف جيب المآثور القبلي بقوله: "ورغم ما فيه من تحيّر وغموض في الزمن، ومبالغة في الخيال، إلا أنه يعكس الواقعية. وأحياناً جزءاً جوهرياً من الحقيقة، وقد حولت الفتوحات الإسلامية الروايات القبلية عن وجهتها (المقصود من القبيلة إلى الأمة) دون أن تغير من طبيعتها من حيث الترابط بين الشعر والنثر، والمبالغة والبعد عن الدقة، ورغم اتساع أفقها، وكان لهذا أثر في التدوين التاريخي الإسلامي، لأن هذه الروايات أمدت المصنفين المتأخرين بمواد لكتابة تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين"^(٣).

أما أيام العرب "قصص الأيام" أو "روايات الأيام"، فهي اسم أطلق على الروايات العربية التي تحدثت عن الحروب والوقائع التي قامت بين قبائل العرب في الجاهلية قبل الإسلام، كيوم بعاث ويوم داحس والغبراء، وسميت بأسماء البقاع والأماكن التي وقعت فيها هذه الحروب أو بالقرب منها^(٤)، وهي عبارة عن مجموعة من روايات شفوية قبلية جماعية ملكيتها مشتركة للقبيلة، يتم تداولها في مجالس سمر القبيلة ويتخللها الشعر الذي يُعطيها الحيوية والإثارة^(٥)، ويعزز صحة القصة/ الرواية حتى قال ابن

^١ هورفتس، المغازي الأولى، ص ٣٠.

^٢ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 234.

^٣ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 234.

^٤ متفوخ E. Mittwoch، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٣، ص ١٨٠-١٨٢، مادة "أيام العرب"، أيضاً مجلد/٥، ص ٤٣٠-٤٣١.

^٥ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٨-١٩. قاسم عبده، تطور منهج البحث، ص ١١٣-١١٥. حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي، ص ١٢-١٣. روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٣١-٣٣. الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٢٦.

فارس: "الشعر ديوان العرب، به حُفظت الأنساب، وعُرِضت المآثر، ومنه تعلّمت اللغة" (١). وذكر السيوطي "أخرج أبو بكر ابن الأنباري في كتاب الوقف عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال: "إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب" (٢).

لذلك أصبحت هذه الروايات موضع اهتمام اللغويين والنسابين والمؤرخين، مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، وابن قتيبة والمدائني، والأصفهاني، وابن عبد ربه وابن الأثير (٣).

وتكمن أهمية روايات الأيام بأنها صارت جزءاً من الأخبار التاريخية، التي استمرت إلى صدر الإسلام حتى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي حين تم ترجمتها وتصنيفها (٤). وهي تمدنا بمعلومات قيّمة عن أحول العرب في الجاهلية (٥)، وحظيت بعناية خاصة في المجتمع القبلي (٦) كما يلاحظ فيها أثر التيارات السياسية والاجتماعية في فترة صدر الإسلام (٧).

ومن أهم سماتها أنها تخلو من عنصر الوقت والفكرة التاريخية وينقصها السبك، ولا تخلو من العصبية والخيال والمغالة، وإن كانت تحوي في طياتها بعض الحقائق والعناصر التاريخية، أما أسلوبها فهو أسلوب القصص المباشر الذي يفيض بالحيوية والواقعية لاختلاط الشعر بالنثر، ولهذا الأسلوب الأثر الواضح في بداية التدوين التاريخي عند العرب خاصة في الأوساط القبلية (٨).

أ- المآثور القبلي/ أيام وأنساب العرب

يذكر جيب أن العامل الآخر في حفظ التراث القبلي هو اهتمام العرب بحفظ أنسابهم، ففي أوائل الفترة الأموية تحفزت نشاطات علماء الأنساب إثر إنشاء أو تأسيس الديوان وظهور مصالح الأحزاب العربية

^١ أمين، أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط/٦، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٥٧. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٩.

^٢ السيوطي، المزهر، مجلد/٢، ص ٢٦١.

^٣ انظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٩-٢٠.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٩.

^٥ أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، كتاب أيام العرب (ملتقطات من الكتب والمخطوطات)، جمع وتحقيق عادل جاسم البياتي، دار الجاحظ، (د/ط)، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٨، الخالدي، الفكرة التاريخية، ص ٢٦.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٨.

^٧ أحمد جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، دار إحياء الكتب العربية، (د/ط)، القاهرة، ١٩٤٢، المقدمة، ص "ط". الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٩.

^٨ أحمد جاد، أيام العرب، ص ١٩-٢٠. الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٢٦. قاسم عبده، تطور المنهج التاريخي، ص ١٢٠-

١٢١. حسين نصار، نشأة التدوين، ص ١٢-١٣. روزنتال، علم التاريخ، ص ٣١-٣٣.

المتنافسة، التي أدت إلى اضطراب وتشويش في "علم" الأنساب كله^(١). وهو يُشير إلى دراسة جولدزيهر (Goldziher)^(٢).

لم يُبين جيب أسباب الاضطراب أو التشويش في علم الانساب عند العرب، وأن ما ذكره من نشاط النسابين وإنشاء الديوان وظهور مصالحي الأحزاب المتنافسة فهذه العوامل يُفترض أنها تساعد في نمو وتطور علم الأنساب الذي هو العمود الفقري والأساس للديوان والذي يكفل حقوق أصحاب المصالح المتنافسين، وبنى رأيه على دراسة المستشرق المجري (اليهودي الأصل) إغناص جولدزيهر (Ignas Goldziher) الذي يتحدث في الفصل الخامس من كتابه دراسات إسلامية عن حركة الشعوبية وآثارها بشكل خاص في علم الأنساب (Genealogy)، وفي علم اللغة (Arabic Philology)^(٣).

وأهم ما جاء فيها حول الأنساب عند العرب: أنه استعرض أسماء عدد من النسابين الذين كتبوا في مثالب القبائل العربية مثل: هشام ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ما بين ٢٠٧-٢١١هـ/٨٢٢-٨٢٩م)، وعلان الشعوبية (أصله من الفرس. وكان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب والمنافرات، انقطع إلى البرامكة، وكان ينسخ في بيت الحكمة للرشد والمأمون، قيل توفي سنة ٣٣٤ وقيل ٣٥٠ للهجرة)، وتأكّده أن أصولهم جميعاً من الموالي وليس من العرب، كما ركّز في دراسته على أبي عبيدة معمر بن المثنى ودراساته وتميّزه في سائر المعارف والعلوم، وعلو شأنه في اللغة والأنساب وأيام العرب والتاريخ والآداب الفارسية وسيأتي الحديث عن هؤلاء النسابين تحت عنوان فقهاء اللغة في القرن الثاني الهجري.

ووصفهم بأنهم عيَّابون، عملوا على إظهار العيوب والمثالب في تاريخ وأنساب القبائل العربية ذات النسب الصريح، أو أفراد معينين وطرح الشكوك في صحة أنسابهم وكذلك التشكيك في عفة وطهارة الأمهات، والنقاء في العلاقات الزوجية للنيل من أصحابها^(٤). وتناول جولدزيهر عدداً من الأمثلة التي استخدمت من قبل كُتّاب المثالب (الشعوبيون) لبيان المطاعن في أنساب العرب وملخصها:

- محاولة تشويه سمعة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بالادعاء بأنه من أصل هابط، ووجود علاقة مُحرمة بين إحدى زوجاته مع الشاعر عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الكلال بن داه (جده فارسي) والمشهور باسم (وضّاح).

^١ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 234.

^٢ Goldziher, Ignac, Muslim Studies, Edited by: S. Stern, George Allen & Unwin LTD. London, Vol. 1, 1967, p.164. 177-189.

^٣ Goldziher Muslim Studies, , Vol.1 , p.164.177-189.

^٤ Goldzihe, Muslim Studies. Vol.1 .p. p. 178-190.

- نسبة الأبناء بالتبني لأباء ليسوا آباءهم الشرعيين.

- تعليق جولدزيهر على زواج المقت الذي كان معروفاً بالجاهلية (وهو أن يتزوج الابن زوجة أبيه بعد وفاته) والذي استمر حتى بداية الإسلام، حيث أنكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا الزواج وأبطله. ويقول جولدزيهر: وهذا سبب تدمير سمعة السلالات المتأخرة المتحدرة من هذين الزوجين لأنه أجبر الأزواج على الانفصال.

- كذلك محاولة تشويه سمعة الحاكم الأموي خالد بن عبد الله القسري وذلك بتتبع نسبه إلى القبيلة العربية الجنوبية (بجيلة) ونسبته لجدّه الأعلى الذي كان كاهناً وثنياً قبل الإسلام.

ويركز جولدزيهر في نهاية دراسته على أبي عبيدة بأنه كان شعوبياً وأفضل من خدم الشعوبية في مجالات كثيرة. ويرى أن خليفته في خدمة الشعوبية هو علان الشعبي. ويؤكد جولدزيهر أن النسابين كانوا من الموالى، وعيابين، واهتمامهم في المثالب بشكل خاص، مما يعكس الروح الطائفية ونظرتهم المعادية للعرب والإسلام^(١). كما أن الأمثلة التي وظفها لإثبات وجهة نظره، هي مجرد حالات فردية محدودة غايتها التشكيك وتلوّث السمعة، وافتراءات تدحض بسهولة بالنقد البسيط.

ويبدو أن جيب تبنى آراء جولدزيهر دون تدقيق لأنه يتفق معه فيها، ولا بد من توضيح مختصر وسريع لبيان عدم صحة ما ذهب له الاثنان، فأما نسبة الأبناء بالتبني، وزواج المقت، كانت من الحالات النادرة المعروفة عند العرب قبل الإسلام، ولم تكن شائعة في مجتمع العرب بشكل عام، وهي تشبه مسألة وأد البنات التي كثيراً ما يُثار حولها الجدل، مع أنها كانت عند بعض القبائل بشكل محدود جداً.

وأبطل الإسلام جميع هذه الأمور لتصويب بعض الأوضاع غير السليمة في المجتمع الذي نزلت فيها تشريعات كإبطال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لزواج المقت، وإلغاء النسبة بالتبني لقوله تعالى: "أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به"^(٢).

ومن خلال دراسة جولدزيهر يتضح بشكل جلي، أنه لا يوجد بها ما يشير إلى أي معنى له علاقة من قريب أو بعيد بما يطرحه جيب من رأي حول الاضطراب والتشويش في "علم" الأنساب عند العرب بأكمله. وكان في رأيه هذا بعيداً عن الموضوعية والحقيقة التاريخية، لأنه قدّم لرأيه برسم صورة لا يتفق فحواها مع غموض استنتاجه، ولكنه عمّم النتيجة استناداً على دراسة جولدزيهر التي هي مجرد مدح وتمجيد لحركة الشعوبية ودورها في التشويه والطعن والافتراء على العروبة والإسلام. وهي ليست دليلاً

^١ Goldzihe, Muslim Studies. Vol. 1. p. 178-190

^٢ سورة الأحزاب، آية (٥).

على الاضطراب والتشويش، ولا تُمثل في مجملها نقطة ضعف في علم الأنساب، لكنها تمثل مدى توافق المستشرقين في التشكيك والتشويه بكل ما يتصل بالعرب والاسلام.

ب: دراسات المستشرقين لأنساب العرب.

وشأن جيب في ذلك شأن كثير من المستشرقين الذين تبنا نفس الفكرة، لتؤدي الهدف نفسه منهم على سبيل المثال رأي المستشرق مارغوليوث في أنساب العرب من خلال حوار مع جرجي زيدان حول الموضوع نفسه، فيذكر جرجي زيدان أن المستشرق الإنجليزي مارغوليوث قام بترجمة كتابه "تاريخ التمدن الإسلامي" من العربية إلى الإنجليزية. وأرسل له بكتاب شخصي يُعرب فيه عن استغرابه لما جاء في كتابه من آراء حول أنساب العرب يقول فيه: "إن بين ما جاء في كلامكم عن أنساب العرب وبين آراء المستشرقين في هذا الصدد بوناً عظيماً، ولو اطلعتم على كتاب " الأنساب والزواج عند العرب الجاهلية " للأستاذ روبرتسن سميث (Smith .W.Robertson) بعنوان: Kinship and Marriage in Early Arabia لرأيتم أن بين المشهور عندنا والموضوع في كتابكم فرقاً بعيداً، فإن مسألة الأمومة مثلاً قد دَوّن فيها مجلدات كثيرة، ذهب أكثر أصحابها إلى أن العائلة القديمة ليس فيها أب معلوم، إنما ترأسها أم كثيرة الرجال، وحق الأبوة أمر مُستحدّث إدخاله عند العرب لم يسبق عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) بكثير، وأنساب العرب كلها أكاذيب، فأسماء القبائل ليست أسماء رجال قد عاشوا كما يزعمون، بل أكثرها يُشبه المسمى طوتم (Totem) عند الأمم المتوحشة، أي حيواناً ينتسبون إليه لجهلهم بترتيب الطبيعة، فيصدر عن انتسابهم إليه سنن وقوانين لا تخفى آثار بعضها عند العرب الجاهلية". وكان هذا الخطاب دافعاً لجرجي زيدان لتصنيف كتيب بعنوان: "أنساب العرب القدماء"^(١).

ويضيف زيدان أنه درس كتاب روبرتسن سميث بعناية لأن مؤلفه من كبار المستشرقين، وله مؤلفات ذات شأن كبير عن الشرق، وتأثر بكتابات جُلّة العلماء المستشرقين، ويرى زيدان أن مارغوليوث اعتمد على رأي روبرتسن بناءً على شهرته وسعة علمه دونما نقد^(٢).

كما أن روبرتسن نفسه تأثر بما كتبه المستشرق مكليمان (Maclinan) عن الطوطمية عند القبائل المتوحشة في أميركا وأستراليا، وكان مكليمان هذا يحتقر رواة العرب ونسابيهم، وقد رأى بين أسماء القبائل والبطون العربية ما يُشبه أسماء الحيوانات فسَبَقَ إليه وهمه أنها من آثار الطوطمية عندهم. فوضع الحكم نصب عينيه، وأخذ على نفسه أن يُبرهنه ويثبته بأدلة ضعيفة وغير منطقية، واستشهد بنوادير أخبار العرب، ويُعقب زيدان على ذلك بقوله: "وهذا ليس من الإستقراء في شيء"^(٣).

وبهذا يظهر أن رأي جيب في علم الأنساب عند العرب لا يختلف عن رأي جولز زيهير أو

^١ زيدان، جرجي، أنساب العرب القدماء، دار الهلال، ط/٢، القاهرة، ١٩٢١، ص٣-٤.

^٢ زيدان، المرجع نفسه، ص٤-٥.

^٣ زيدان، المرجع نفسه، ص١٥-١٦.

مارجوليوت، أو روبرتسن سميث أو مكلينان لأن كلاً منهم بنى رأيه على الآخر أو تأثر به دونما نقد أو تمحيص، مما يعني أنهم يسيرون على نفس المنهج والهدف في الطعن.

تحدث جيب عن الأنساب وكان له رأي فيها معتمداً على جولد زيهر الذي بنى دراسته على الشعوبية، وموقفها السلبي من أنساب العرب، وبناءً على ذلك لا بدّ من توضيح مختصر عن الشعوبية وعن الأنساب عند العرب في الجاهلية والإسلام. علماً بأن هناك مقالة لجيب تناولت الحديث فيها عن الشعوبية جاءت^(١) بعنوان: "الأهمية الاجتماعية للشعبوية" (The Social Significance of the Shubiya)^(٢).

فالشعبوية حركة ظهرت في العصر الأموي، وتطورت في العصر العباسي، وكان لها اتجاهات سياسية واجتماعية، واتخذت طابعاً ووجهة دينية، انتشرت آثارها في العراق وفارس والأندلس وكانت غايتها تشويه دور العرب في التاريخ وزعزعة السلطان العربي الإسلامي وإضعاف العرب وهدم الإسلام ونسفه من الداخل بأكثر من أسلوب^(٣).

وقد اتبعت الشعوبية أساليب عدة لتحقيق أهدافها بالطعن والتشويه بكل ما يتعلق بالعرب، خاصة الأدباء والكتاب الذين وضعوا كتب المثالب وطعنوا في أنساب العرب^(٤)، وعملوا على إحياء الثقافة الفارسية والتشكيك بالثقافة والقيم العربية الإسلامية^(٥)، لذلك نجد الكثير ممن تصدى لهذه الحركة والرد

^١ سيأتي الحديث عنها عند بحث أثر الرواية الفارسية في التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين.

^٢ H. A. R. Gibb, Studies on the Civilization of Islam, Edit by: Stanford J. Show &

William R. Polk. Rout Ledge & Kegan Paul Limited, London, 1962, p. p. 62-73.

^٣ الدوري، عبد العزيز، الجذور التاريخية للشعبوية، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د/ط)، بيروت، ١٩٦٢، ص ٩-١٢، ٢٣، ٣٤.

^٤ الدوري، الجذور التاريخية للشعبوية، ص ٤٧ وما بعدها، زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، دار الكتاب اللبناني، ط/١، بيروت، ١٩٧٢، ص ٩٥.

^٥ الدوري، الجذور التاريخية للشعبوية، ص ٤٧-٥٦. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، تحقيق شعبان خليفة و وليد محمد العوزة، العربي للنشر، (د/ط)، الفهرست، ص ١٧٢، ٢٣٢، ٣٤٢.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، (ت ٣٣١ هـ - ٩٤٢-٩٤٣م) كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة المصطفى البابي الحلبي، ط/١، القاهرة، الوزراء والكتاب، ص ٣١٦. ابن قتيبة، "كتاب العرب والرد على الشعوبية" رسائل البلغاء، نشر محمد كرد علي، ص ٢٧١، ٣٤٤-٣٤٦. ابن النديم، الفهرست، مجلد/١، ص ١٧٤-١٧٧.

عليها مثل ابن قتيبة، والجاحظ وغيرهم^(١).

ج: الأنساب عند العرب في الجاهلية والاسلام:

اهتم العرب بأنسابهم في الجاهلية لأنها تتعلق بالتنظيمات والمثل الاجتماعية مثل المروءة والشهامة، ومجموعة الفضائل والقيم البدوية، وفكرة النسب (شرف الأصل)، وفكرة الحسب (المآثر والأعمال النبيلة)^(٢). وكانت القبيلة تمثل الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى حلت صورتها المثلى محل "الحقيقة التاريخية"، وكانت شجرات النسب تحفظ شفويًا عن ظهر قلب لأهميتها للتناصر والتفاخر بالأباء والأجداد والمحافظه على النسب نقيًا بعيداً عن الشوائب^(٣). إلا في حالات استثنائية كان يتم تدوينها منعاً للتزوير ولإزالة الشكوك^(٤).

بينما يذكر جولد زيهر نقلاً عن نولدكه أن بعضها كان مدوناً لكن ينفصه التنظيم والتوفر الدائم^(٥). ورغم أن الأنساب كانت أقل أهمية من أيام العرب كأحد أشكال التعبير التاريخي، إلا أنها أكثر دلالة على وجود الإحساس التاريخي^(٦).

وعندما جاء الإسلام أبطل مفعول هذه الرابطة لقوله تعالى: "فإذا نُفِخَ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون"^(٧). وذلك من أجل الاهتمام بتوحيد الأمة الإسلامية^(٨). وانتزاع العرب من الإطار القبلي وربطهم بالتاريخ الوجداني الإنساني وإعطائهم بعداً زمنياً جديداً، قوامه التاريخ الماضي كله، من خلال سلسلة الأنبياء المتعاقبين وربطهم بالدعوة العالمية الجديدة^(٩). ومن هنا ضعفت الروابط الاجتماعية المبنية على النسب وتلاشت لتتصهر في بوتقة الجماعة والأمة الواحدة العربية الإسلامية^(١٠).

^١ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط/٢، مصر ١٩٦١م، البيان والتبيين (الرد على الشعوبية وأهل التسوية)، ج/٢، ص ٥-٦، ج/٣، ص ٥-٧، ١٤، ٢٨-٣٠، ١٣٠.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٨. الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٧٨.

^٣ نصار، التدوين التاريخي، ص ١٣. قاسم عبده، تطور منهج البحث، ص ١٢. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط/٢، بيروت ١٩٧٩، ج/١، ص ٥٥.

^٤ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٣٣-٣٥.

^٥ Goldziher, Muslim Studies, Vol. I, p. 164.

^٦ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٣١.

^٧ سورة المؤمنون، آية (١٠١).

^٨ الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٧٨.

^٩ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ٥٩.

^{١٠} الخالدي، فكرة التاريخ، ص ٧٩.

وحول الإسلام النظرة للأنساب من التفاخر في الجاهلية ضمن إطار القبيلة إلى إطار أوسع وأشمل هو إطار الجماعة الإسلامية ودعوتهم إلى تقوى الله تعالى استناداً لقوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"^(١). وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): ((ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية))^(٢)، بذلك حلت التقوى محل الحمية الجاهلية، وأصبحت النظرة إلى الجماعة (الأمة) بدلاً من القبيلة^(٣). وربما لهذه الأسباب لم يحتل علم الأنساب مكانة مرموقة في بداية صدر الإسلام.

ورغم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) نبذ مآثر الجاهلية بأنها موضوعة، إلا أنه حضَّ على حفظ الأنساب لقوله (صلى الله عليه وسلم): ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم))^(٤). لذلك أقبل أقبل الناس في صدر الإسلام على حفظ وتعلم الأنساب تماماً مثل الفقه^(٥). ثم تزايد هذا الاهتمام به إثر إنشاء الدواوين وتعددتها خلال القرن الأول الهجري.

فقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب بتسجيل الأنساب وتبويبها وتثبيتها في ديوان بقوله: "أكتبوا الناس على منازلهم"، وأوكل القيام بهذه المهمة إلى نسابي قريش وهم عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم^(٦)، وغيرهم. ثم تزايد الاهتمام بعلم الأنساب، وعاد للظهور والتوسع مع بداية الخلافة العباسية لغايات تطوير الدواوين والسجلات وأمور الزواج والمواريث، وظهور الشعوبية، ولتوكيد هوية القبائل العربية (الارستقراطية) التي ضعف نفوذها السياسي عند تزايد الشعوب القوميات غير العربية في دولة الخلافة^(٧).

لذلك ظهرت في الأنساب مؤلفات عديدة، وكان أول من صنف فيها حسب المعلومات المتوفرة، محمد بن السائب الكلبى (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) ومن بعده ابنه هشام الذي أصبح مرجعاً في علم الأنساب لمن

^١ سورة الحجرات، آية (١٣).

^٢ ابو داود سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن ابو داود، حقق اصوله خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٣، ص٤٢٩، حديث رقم ٥١٢١.

^٣ المنجد، صلاح الدين، مقدمة كتاب "طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب"، تصنيف الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول، تحقيق ك. و. سترستين K. W. Zettersteen مطبعة الرقي، (د/ط)، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩، المقدمة، ص٢-٣.

^٤ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق رائد بن صبري ابن ابي علفة، دار طويق، ط١، الرياض-السعودية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٣٩٨، حديث رقم (١٩٧٩).

^٥ ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٣٠٠-٣٤٦ (رواة النسابين الكوفيين). ابن النديم، الفهرست، ج١، فصل النسابون . المنجد، مقدمة طرفة الأصحاب، ص٢-٣.

^٦ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٠٩-٢١٠.

^٧ الخالدي، فكرة التاريخ، ص٧٩-٨٠.

جاء بعده.

واستمر اهتمام العرب بأنسابهم وافتخروا بها على العجم، وعبر عن ذلك الشعراء والخطباء، وقد بنى العرب أركان الأنساب وأسسها في عشر طبقات من آدم عليه السلام حتى الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(١)، وما يهمننا هو أن علم الانساب لعب دوراً واضحاً وقدم خدمة جليلة لعلم التاريخ من حيث جمع المادة التاريخية وخطة الكتابة^(٢)، وانفردت الأمة العربية والإسلامية بوجود علم الأنساب لديها عن سائر الأمم والشعوب.

^١ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د/ط)، القاهرة، (د/ت)، السفر الثاني، ص ٢٧٦-٢٧٧.

^٢ المنجد، صلاح الدين، مقدمة طرفة الأصحاب، ص ٢-٣.

الفصل الثالث

جيب والتدوين التاريخي من القرن الاول وحتى القرن الثالث الهجري

أولاً: الروايات التاريخية بعد ظهور الاسلام

أ: الرواية المسندة / رواد المغازي

ب: السيرة النبوية عند الزهري وابن اسحق

ج: السير والمغازي وأثرها في الكتابة التاريخية

ثانياً: ظهور الرواية في صدر الاسلام

أ: دور فقهاء اللغة

ب: الإخباريون روايات القبائل

ج: الوثائق وصناعة الورق

د: مدونات أبي عبيدة والمدائني

هـ: الرواية الشفوية والتدوين المبكر عند جيب والمستشرقين

و: إشارات الوجود المبكر للتدوين في المصادر الاسلامية

أولاً: الروايات التاريخية بعد ظهور الإسلام.

أ: الرواية المسندة رواد المغازي

يرى جيب أن بداية التأريخ العلمي (المبني على الرواية المسندة أو الوثائق) باللغة العربية (باستثناء ما استعان به هشام الكلبي من وثائق الحيرة) تقتزن بدراسة حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ونشاطاته، ومصدر هذه الدراسة كان في جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بمغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وموطنها المدينة المنورة، ولا نجد في غيرها من المدن علماء في المغازي قبل القرن الثاني الهجري^(١).

يعتبر جيب أن ارتباط المغازي بالحديث، ترك أثراً لا يمحي في التأليف التاريخي وذلك باستخدام الإسناد، الأمر الذي يُفسّر التغيّر الكبير الذي ظهر منذ تلك اللحظة في طبيعة الأخبار التاريخية ودقتها المبنية على النقد، وهذا يعني الإستناد إلى أساس تاريخي، رغم وجود بعض الأخبار المشكوك بصحتها في الفترتين المكية والمدنية من حياة الرسول، (صلى الله عليه وسلم)، وقد أفرز هذا التطور في الجيل الثاني من المسلمين، مصادر للأخبار أكثر من جماعين لها، وأبرز من ألف في المغازي إبان بن عثمان، وعروة بن الزبير، إلا أن من جاء بعدهم لا يروون شيئاً من مصنفيهما^(٢)، أي أن إبان وعروة هم أول الإخباريين. لكن قول جيب بعدم رواية من جاء بعدهما شيئاً من مصنفاتهما غير دقيق فهناك العديد من روى عنهما عن الطبري وابن اسحاق وابن كثير^٣.

يذكر هوروفتس (J. HOROVITZ) في دراسته عن نشأة السيرة النبوية والمغازي، أن المصادر الأساسية لأقوال النبي وأفعاله هي كتب الحديث، والسيرة والتفسير. وأن العنصر الرئيسي والمشارك بين هذه المصادر الثلاثة هو الرواية المسندة التي ترد في صورة المتن ويتقدمها الإسناد. والاختلاف بين هذه المصادر هو في طريقة عرض المادة (الرواية المسندة) ففي كتب الحديث إما أن ترد مرتبة حسب الموضوعات كما في الكتب الستة (الصحاح) أو حسب أسماء الرواة (الصحابة) كما في كتب المسانيد، وفي كتب السيرة فإن الروايات ترد مرتبة حسب السنين، وفي كتب التفسير بالمأثور فتد الأحدث على شكل شرح للآيات القرآنية التي تتصل بموضوعها^(٤).

والمغازي في اللغة تعني غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحروبه العسكرية وهي تتناول حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفترة الرسالة، وكان رواد هذه الدراسات محدثين من أبناء

^١ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam, Suppl. P. p. 234-235.

^٢ Ibid, p 235.

^٣ انظر مثلاً الطبري، و روايات إبان بن عثمان، ج/٤، ص ٤٥٣، ٤٢٠، ج/٦، ص ٣٢٤.

روايات عروة بن الزبير - الطبري ج/١، ص ٢٩٤. ج/٢، ص ٢٩١، ٢٩٨، ج/٣، ص ٣٦، ٤٢، ٥٥، ٦٣، ج/٤ ص ٦٤، ٢١٤، ٥٢٥، ج/٥، ص ٢٢٧، ٢٢٨. ج/٦، ص ١٦٠ - ١٦١.

^٤ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١.

الصحابة البارزين الذين يمثلون مدرسة الحديث في المدينة وأشهرهم: إبان بن عثمان بن عفان (ت بين ٩٥-١٠٥هـ/٧١٣-٧٢٣ م)، وهو أول من اشتهر "بالمغازي" بشكل دقيق، ودون مجموعة خاصة بها، فقام بكتابتها تلميذه عبد الرحمن بن المغيرة (ت قبل ١٢٥هـ/٧٤٣ م)^(١). وإبان أحد فقهاء المدينة السبعة، له شهرة حسنة بين المحدثين، ويتردد اسمه كثيراً في أسانيد الحديث، لكن لا يوجد له ذكر في كتب السيرة عند ابن اسحاق أو الواقدي أو ابن سعد في الأجزاء المخصصة لسيرة النبي^(٢)، وهو يمثل مرحلة انتقالية بين دراسة الحديث ودراسة المغازي^(٣).

أما عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ/٧١٢ م)، فهو ينتسب إلى طبقة الأشراف السابقين للإسلام، كان زاهداً في الدنيا مُحباً للعلم وروايته، اشتهر بمعرفته للأحاديث النبوية الشريفة، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة، وروى ابنه هشام أن والده عروة أحرق كتبه يوم الحرّة سنة ٦٣هـ/٦٨٢ م) يوم انتصار يزيد بن معاوية على أهل المدينة^(٤). وتمثل كتاباته أقدم المدونات عن حوادث خاصة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الأولين، وقد وصلنا بعض منها في كتب ابن اسحاق والواقدي والطبري على شكل رسائل تضمنت إجابات لأسئلة عبد الملك بن مروان^(٥).

واستعمل عروة الإسناد بشكل مرن يعكس نظرة عصره، وقدم قصة متسلسلة دون ذكر الإسناد، بينما نراه في رواياته للحوادث المهمة مثل بدء الوحي والهجرة يُعطي إسناده^(٦). أما أسلوبه في التأليف فهو بسيط، بعيد عن الإنشاء وفيه حيوية وسلاسة، ونظرته واقعية صريحة تخلو من المبالغة، وقد مكّنه نسبه ومنزلته الاجتماعية من الحصول على معلومات تاريخية من مصادرها الأولية خاصة من خالته عائشة ومن أسرته آل الزبير^(٧). ويعتبر عروة مؤسس مدرسة المغازي^(٨).

ويعتبر شرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/٧٤٠ م) ثالث علماء المغازي مع إبان وعروة، فقد درس الحديث، ودون قوائم بأسماء المهاجرين إلى الحبشة والمدينة، وأسماء المشاركين من الصحابة في

^١ ابن سعد، الطبقات، ج/١، ص ٣. هورفتس، المغازي الأولى، ص ١١-١٥. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط ٦، القاهرة، ١٩٦١ م، ج/٢، ص ٣٢١.

^٢ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٣-٩. ابن سعد، الطبقات، ج/٥، ص ١٥٦. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ١٢١، أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٢٠-٣٢١.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٤.

^٤ ابن سعد، الطبقات، ج/٥، ص ١٣٣. هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١١-١٥. أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٢١.

^٥ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١٦-٢٠. أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٢٢.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٥.

^٧ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٥، ٨٧.

^٨ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ٩٩.

معركتي بدر وأحد، وهو يعكس تطور النظرة الاجتماعية للمشاركة في الأحداث الكبرى^(١).
ب: السيرة النبوية عند الزهري وابن اسحاق.

ويذكر جيب أنه ظهر في الجيل التالي لإبان بن عثمان وعروة بن الزبير عدد من المُحدثين قاموا بجمع أحاديث المغازي خاصة محمد بن شهاب الزهري، الذي دوّن ما تجمع لديه من مواد الحديث بناءً على طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز أو الخليفة هشام بن عبد الملك وأودعت في خزانة البلاط الأموي لكنها ضاعت. ويعزى له الفضل في أنه كان أول من أدمج أحاديث من مصادر مختلفة في رواية واحدة (مثل حديث الإفك)، وبذلك سجل تقدماً في العرض التاريخي، ومع هذا فإن عمله فتح الباب لعبث المُحدثين الأقل تدقيقاً^(٢).

ويرى جيب أن أحاديث الزهري أصبحت هي الأساس لكتب المغازي التي صنفها ثلاثة مؤلفين جاءوا بعده من الجيل اللاحق للزهري ضاع أغلبها، ولم يصلنا منها إلا شذرات متفرقة، على أن الكتاب الثالث هو السيرة المشهورة لابن اسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ/٧٦٨م) الذي كان ثمرة مفهوم أوسع من أسلافه ومعاصريه لأنه لم يُقدم تاريخاً للرسول فحسب بل تاريخاً للنبوة بأكملها^(٣).
ويؤكد ما ذهب له جيب أن الدراسات التاريخية بدأت متصلة بدراسة الحديث وكانت فرعاً منه، فأسلوب الرواية التاريخية هو أسلوب رواية الحديث في الشكل والمبنى، ويبدو أن الفكرة التاريخية عند المُحدثين وخاصة في دراسة عروة بن الزبير هي إظهار أهمية السيرة وتجارب الأمة، وأن الاهتمام بالمغازي كان بصورة عامة يعبر عن رغبة اجتماعية وثقافية وليست حالات فردية^(٤).

وظهر في الجيل التالي لإبان بن عثمان وعروة بن الزبير عددٌ من المُحدثين الذين جمعوا الأحاديث الخاصة بالمغازي ومن هؤلاء المُحدثين: أبو فضالة عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري (ت ٩٧هـ/٧١٠م)، وصَفَه ابن اسحاق بأنه أحد كبار علماء الأنصار، وأنه صنّف في المغازي، وروى عنه ابن اسحاق ونقل عنه الطبري والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، (ت ١٠٧هـ/٧٢٥م) ومن كبار علماء عصره، وصنّف في المغازي وأخبار الخلفاء أكثر من كتاب، ويوجد عند الطبري مقتبسات عديدة منه، وكذلك عند البلاذري والواقدي^(٥).

كما أشار جيب إلى مُحدثين آخرين كانا معاصرين للزهري وفقدت مصنفاتهما دون أن يذكر

^١ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٢٥-٢٧. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٦. أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٢٢-٣٢٣.

^٢ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 235.

^٣ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 235

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٨٧-٨٨.

^٥ مصطفى، شاکر التاريخ العربي، ج/١، ص ١٥٦.

اسميها رغم أهمية دورهما في وضع المنهج الحولي في التدوين التاريخي وتدوين السيرة النبوية وهما عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة^(١). أما عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت بين ١٣٠-١٣٥هـ/٧٤٧-٧٥٢م) فهو من الأنصار اشتهر بتبحره في الفقه ورُوي عن مالك أنه قال: "لم يكن أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن حزم"^(٢). أَلَّف كتاباً في المغازي لكنه فقد، واهتم بقوائم أسماء الوفود التي قدمت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وغزواته ورتبها على السنين^(٣) واستفاد منها ابن اسحاق في سيرته^(٤). ونقلها الطبري في تاريخه^(٥).

وهذا يؤكد أنه هو أول من وضع المنهج الحولي في تدوين التاريخ الإسلامي منذ مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي^(٦). كما أنه استخدم الوثائق المدونة كرسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ملوك حمير وكتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي أعطاه لجدّه الأكبر عمرو بن حزم عندما بعته إلى أهالي نجران ليُفقههم في الدين^(٧).

والمحدث الآخر هو عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١١٩هـ)، مدني من الأنصار، اشتهر بمعرفته بالسيرة والمغازي وهو فيها من الثقات، جلس في مسجد دمشق يحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة بناء على طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز، ثم عاد للمدينة يروي معارفه في الحديث والمغازي قرابة عشرين سنة حتى توفي. وكان أسلوبه في الرواية والسند وذكر الشعر يشبه أسلوب عبد الله بن أبي بكر بن حزم^(٨).

أما المؤلفان اللذان أشار إليهما جيب بأنهما مستقلان، وفقدت مصنفاتهما، أو وصل شذرات منها – وهما معاصران للزهري- الأول: أبو روح يزيد بن رومان الأسدي المدني (ت ١٣٠هـ/٧٤٧م)، روى عن عروة وعن معاصره الزهري وتلمذ عليه ابن إسحاق والإمام مالك بن أنس، وألف في المغازي كتاباً وصل إلى الواقدي فاقتبس عنه^(٩) ونجد له مقتطفات لدى ابن سعد والطبري^(١٠). والثاني: أبو الأسود

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٦.

^٢ هوروقنس، المغازي الأولى، ص ٣٧، ٤٧. أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

^٣ هوروقنس، المغازي الأولى، ص ٣٧-٤٧.

^٤ ابن هشام، السيرة النبوية، ج/٦، ص ١٨-١٩.

^٥ الطبري، تاريخ، ج/٣، ص ١٥٢-١٥٨.

^٦ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٥٦.

^٧ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ص ١٥٦. أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٢٤.

^٨ هوروقنس، المغازي الأولى، ص ٤٧-٤٩.

^٩ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٥٧.

^{١٠} الطبري، تاريخ، ج/٢، ص ٤١٠، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٧١، ٤٨٣، ٥٥١، ٥٦٥، ج/٣، ص ١٠١، ١٠٩، ١٢٠، ج/٤، ص ٢٠٤، ج/٥، ص ٢٣٦، ٣٥٣. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٥٧.

الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي (ت ١٣١هـ/٧٤٨م)، تتلمذ على عروة، وكان أستاذاً للزهري وبعض مؤرخي مصر (كابن لهيعة والليث بن سعد) ويوجد بعض القطع من كتاب المغازي ذكرها الطبري^(١)

ويعتبر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ/٧٤٢م) الأبرز بين معاصريه وكذلك من سبقه^(٢)، إذ يعود الدور الأول له في نشأة مدرسة التاريخ في المدينة. وتؤكد دراساته أن أصول المغازي المغازي ترجع إلى ما قام به الفقهاء والمحدثون وتلاميذهم^(٣)، وهي ليست من القصص، ولا استمرار أو أو تطور لأيام العرب في الجاهلية، كما وصف المستشرق ليفي دي لا فيدا (G. Levi Della Vida) المغازي والسيرة النبوية بذلك^(٤).

وهو ما بنى عليه جيب رأيه بقوله: "بوجود بعض الشكوك في أخبار الفترتين المكية والمدنية من حياة الرسول"^(٥)، عند تفسيره لأثر ارتباط المغازي بالحديث في مرحلة ظهور الإسلام وبداية التأريخ العلمي عند العرب والكتابة التاريخية.

وعند تطرق جيب لهذا الموضوع نجده يضع هذا السبق وهذا التقسيم لابن إسحق، وليس للزهري على الرغم من استعمال الزهري تعبير السيرة للدلالة على الدراسات التي تناولت حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٦). كما أنه استعمل مصطلح المغازي كعنوان لهذه الدراسة^(٧) وهو أول أول من حدد إطاراً واضحاً للسيرة ورسم الخطوط العريضة لها، وتتلخص خطته للسيرة في ثلاث مراحل:

الأولى: ما يتعلق بحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة (المبتدأ).
الثانية: نزول الوحي وفترة الرسالة (المكية) والهجرة في مكة والمدينة (المبعث).
الثالثة: وتشمل الفترة المدنية والغزوات والسرايا والسفارات والوفود وأخيراً مرض الرسول ووفاته مع

^١ الطبري، تاريخ، ج/٢، ص ٢٧١، ٣١٦، ٣١٨، ٤٠١. ج/٦، ص ١٧٤. وانظر: مصطفى، شاكرا، التاريخ والمؤرخون، ج ١، ١٥٧.

^٢ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٣٧، ٣٩.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٨٩.

^٤ ليفي دي لا فيدا (G. Live Della Vida)، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط/١، الشارقة، ١٩٦٩، ج/١٨، مادة "مادة السيرة"، ص ٥٥٤٠-٥٥٤١.

^٥ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 235.

^٦ الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، كتاب الأغاني، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الشعب، (د/ط)، القاهرة، ١٩٦٩م، ج ١٩، ص ٥٩.

^٧ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٧.

ذكر بعض التواريخ الهامة للمغازي^(١). وهذه الخطة ومراحلها الثلاثة لم يُشر إليها جيب عند حديثه عن الزهري إنما ذكرها على أنها أسلوب مبتكر لابن إسحاق^(٢)، ويفسر ذلك الدوري بأن بعض الباحثين ومنهم جيب حاولوا أن يضعوا ابن إسحاق في إطار تطور كتابة السيرة، لكن مواد السيرة وهيكلها كانت في الأساس معروفة قبل زمن ابن إسحاق وأن أستاذه الزهري سبقه إلى ذلك^(٣)، فالزهري كان محدثاً^(٤)، ويرى أن العلم ضرورة اجتماعية ودينية إضافة إلى أنه من أعمال التقوى^(٥) ويعتمد في تحقيق الأحاديث والروايات على الإسناد، وخطا خطوة مهمة في الكتابة التاريخية عندما استخدم الإسناد الجمعي^(٦).

واشتملت دراسات الزهري التاريخية على المغازي والأنساب، وتاريخ صدر الإسلام، وتفصيلات عن الأحداث الكبرى، وهذا يدل على الاهتمام بتجارب الأمة، وهو عامل مهم في نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين. فمبدأ الإجماع، وظهور الأحزاب السياسية، والجدل بينها حول الأحداث الماضية، خاصة الفتنة ومسألة الخلافة هل هي بالانتخاب أم بالوراثة ومشكلة التنظيمات الإدارية خاصة الضرائب والديوان، كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية^(٧).

وكان تدوين الزهري لأحاديثه خدمة كبرى لعلم التاريخ، ويذكر أن كتبه كانت تحيطه من كل جانب في داره^(٨). ويؤكد ذلك ما وُجد في خزانة الكتب الأموية أحماًلاً من دفاتر علمه^(٩) وأهم مصنفااته مصنفاته أسماء الخلفاء وهو (قائمة حولية بأسماء خلفاء بني أمية، ونسب قريش، ومشاهد النبي (صلى الله عليه وسلم) التي ذكرها السخاوي^(١٠)).

يبدو اهتمام جيب بابن إسحاق بشكل واضح وعدم الإشارة إلى الزهري أو إلى تلامذته الآخرين

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٧.

^٢ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 235.

^٣ الدوري، عبد العزيز، دراسة في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومؤلفها ابن إسحاق، جامعة الدول العربية، المجمع العلمي العراقي، بحث مقدم إلى دورة مجمع اللغة العربية في بغداد، تشرين ٢، مطبعة العاني، ١٩٦٥م، بغداد، ص ٥، ١١.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٩٠، ٩٢، ١٠٤.

^٥ المرجع نفسه، ص ١٠٥.

^٦ الطبري، تاريخ، ج/٢، ص ٦١١.

^٧ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٠٩-١١٠.

^٨ ابن قتيبة، المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٦، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٦٠-٢٦١.

^٩ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١١٢.

^{١٠} هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٤٩-٦٨. نصار، التدوين التاريخي عند العرب، ص ٦٢-٦٥.

على الرغم من أهميتهم، فالزهري له تلامذة آخرون مشهورون منهم : موسى بن عقبة، ومحمد بن راشد، وابن إسحاق، أما موسى بن عقبة الأسدي المدني (ت ١٤١هـ/٧٥٨م)، فهو متخصص في المغازي، والتزم بمنهج مدرسة المدينة (المحدثين) بالتأكيد على الإسناد، وذكر تواريخ الحوادث، واستفاد من آثار إسناده وشيخه الزهري المكتوبة، إضافة للوثائق والروايات الشفوية^(١). وكان تلميذه مالك بن أنس يقول: "عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة طلبها على كبر السن ولم يُكثر كما أكثر غيره^(٢). واستخدم كتب ابن عباس^(٣).

وصنف كتاباً في المغازي (من عشرة أجزاء) لم يصل إلينا، وتوجد منه قطعة في مكتبة بروسيا الرسمية^(٤). ترجمها سخاو (Sachaw) وذكرت في تقرير عن أعمال المجتمع البروسي للعلوم لعام ١٩٠٤م^(٥). ويتضح أنها كانت تشمل المغازي والهجرة^(٦). وتوجد مقتبسات من كتابه عند ابن إسحاق، إسحاق، والواقدي، وابن سعد، والطبري، وابن سيد الناس وابن كثير، ويتبين منها أن كتابه يشمل قوائم بأسماء المهاجرين إلى الحبشة ومن شارك في بيعتي العقبة، والمشاركين في بدر، وتاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين إضافة إلى إشارات لعهد النبوة وتاريخ ما قبل الإسلام^(٧).

ووضع مادته التاريخية في تسلسل زمني حولي مثل عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وبذلك قدمت مدرسة المدينة بعمل هؤلاء المؤرخين خدمة كبيرة في تطور التدوين التاريخي^(٨). ويتسم كتابه المغازي بالدقة، فقد استخدمه الكثيرون، فالأصفهاني أبو نعيم كتبه بخط يده. واستخدم هذه النسخة نفسها ياقوت الحموي بعد قرنين وجمع ابن قاضي شهبة الأسدي (ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م) قطعة منه. ثم جاء ابن حجر العسقلاني فاحتفظ لنا في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة بالقسم الأكبر من مغازي ابن عقبة تزيد عن ٢٢٥ قطعة^(٩).

أما التلميذ الآخر للزهري فهو معمر بن راشد (ت ١٥٤هـ/٧٧١م)، محدث مشهور صنف كتاباً في المغازي، وصلنا منه فقرات أكثرها عند الواقدي وابن سعد، وبعضها عند البلاذري والطبري،

^١ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٦٩-٧٠. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣١.

^٢ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ٩.

^٣ ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٢١٦.

^٤ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٦٩-٧٣. حسين نصار، التدوين التاريخي عند العرب، ص ٦٦.

^٥ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٧٠-٧١. نصار، التدوين التاريخي، ص ٦٦.

^٦ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٧٠-٧١.

^٧ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٧١-٧٣. نصار، التدوين التاريخي، ص ٦٦. أنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٥،

ص ٢٨٣. الأصفهاني، الأغاني، ج ٣، ص ١٦.

^٨ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج ١، ص ١٥٩. هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٧٢-٧٣.

^٩ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج ١، ص ١٥٩.

ومعظم أخباره عن الزهري، ذهب إلى اليمن وتزوج هناك، واستقر بها وأصبح له تلاميذ في صنعاء أشهرهم: عبد الرزاق بن همام، ومعرم اليمني، الذي جمع كتاباً باسم المغازي، ولعله كتاب أستاذه مع التعليق عليه^(١). ووصلت قطعة من مغازي معمر بن راشد، محفوظة الآن في المعهد الشرقي بشيكاغو، كما وصلت قطع أخرى محفوظة في أسطنبول والرباط ودمشق^(٢).

كانت الصورة الأصلية لسيرة ابن إسحاق تتألف من ثلاثة أقسام: المبتدأ، والمبعث، والمغازي، وقد انتقد الكتاب بشكل قاس لما اشتمل عليه من أحاديث باطلة ومزورة وأشعار منحولة، وأصبح المرجع الرئيسي لتاريخ ما قبل الإسلام وتاريخ صدر الإسلام، ووجدت منه عدة نسخ منقحة، استفاد منها المصنفون العراقيون المتأخرون (ويفترض أنها الأفضل)، إلا أنها فقدت ولم يبق في الميدان إلا ملخص مشوه جمعه المصنف المصري عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م)، ومما هو جدير بالذكر أن جميع المصنفين في المغازي كانوا من الموالي، مع أن المصطلح لم يكن يعني بالضرورة في ذلك الوقت الأصل غير العربي^(٣).

أما محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ/٧٦٨م)، فهو أشهر تلاميذ الزهري الذين صنفوا في المغازي، حيث وصل كتابه كاملاً تقريباً ونشره المستشرق الألماني يوهان فوك (Johann Fueck)، في رسالته بعنوان "محمد بن اسحاق"، في مدينة فرانكفورت عام ١٩٢٥م^(٤).

إن ما قدمه ابن إسحاق في السيرة التي هذبها ابن هشام، هو ما استفاده من أستاذه الزهري وتلميذه موسى بن عقبه ومعمر بن راشد المعاصرين له، ومن كان قبلهم من الرواد في علم المغازي. الذين سبق الحديث عنهم ولم تصلنا مصنفاتهم كاملة^(٥). وربما يعود له الفضل في جمع الأحداث وترتيبها وترتيبها وتبويبها^(٦).

وجمع ابن إسحاق بين أساليب المحدثين والقصاص في كتاباته: الأحاديث، والروايات التاريخية، والإسرائيليات والقصاص الشعبي والشعر الصحيح والموضوع، لذلك كان موضع نقد^(٧).

^١ هوروقنس، المغازي الأولى، ص ٧٣-٧٥. أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٢٨.

^٢ مصطفى، شاعر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٥٩-١٦٠.

^٣ H. A. R. Gib, Ency of Islam., suppl. P. 235.

^٤ هوروقنس، المغازي الأولى، ص ٧٥-٧٧.

^٥ أنظر: الزهري، محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب الزهري، (ت ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م)، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط/١، دمشق، ١٩٨٠، ص ٢٢، ٢٤.

^٦ أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٣٢.

^٧ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٢-٣٣. هوروقنس، المغازي الأولى، ص ٨٠-٨٥.

واتهم بالتشيع وأنه قدرى الرأي^(١). وعاداه في المدينة اثنان من كبار علمائها: هشام بن عروة بن الزبير، ومالك بن أنس^(٢). وقد أورد البغدادي أقوال من اتهم ابن إسحاق أو دافع عنه^(٣). وكذلك ابن سيد الناس الذي ذكر محمد بن اسحاق والطعن عليه، وتوضيح ما رُمي به ومن أثنى عليه أو وثَّقه^(٤).

عالج ابن إسحاق في سيرته الرسائل السماوية قبل الإسلام، وحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ودعوته في مكة والمدينة، وروى ابن هشام (٢١٨هـ / ٨٣٣م) كتاب ابن إسحاق عن تلميذه زياد بن عبد الله البكائي (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م) وذكر في المقدمة التعديلات التي أجراها من حذف وإضافة، ومن خلال مقتبسات الطبري يمكن الإطلاع على ما حذفه ابن هشام وتكوين صورة واضحة عن منهج ابن اسحاق^(٥).

وهناك معاصر آخر لابن إسحاق هو أبو معشر السندي، عبد الرحمن بن الوليد بن هلال (ت بعد ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، صنف في المغازي، وله كتاب تاريخ الخلفاء على الحوليات حتى سنة ١٧٠هـ، وأخذ عنه الواقدي، وابن سعد في المغازي، بينما أخذ عنه الطبري في التاريخ حتى حوادث سنة ١٧٠هـ، وكان يذكر رواته لكنه لا يستعمل الإسناد غالباً. حجة في العلم والتاريخ، لكنه ضعيف في الحديث^(٦). إن قول جيب بأن جميع المؤلفين في المغازي كانوا من الموالي هو تعميم مطلق وغير دقيق، لأن عدداً كبيراً منهم كانوا من العرب مثل: إبان بن عثمان بن عفان، وعروة ابن الزبير وابنه هشام من بعده، وعاصم بن عمرو بن قتادة الظفري وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وابن شهاب الزهري وغيرهم. أما مصطلح "مولى" فهو لا يعني بالضرورة من ينحدر أصله من غير العرب، خاصة تلك الفترة المبكرة وقد ذكر جيب ذلك صراحة^(٧)، وكلمة مولى لها في معاجم اللغة العربية معاني كثيرة

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٤. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٦١.

^٢ أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٣٣.

^٣ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، كتاب تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٧٧، ج/١، ص ٢١٥، ٢٢١، ٣٢٤.

^٤ ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى (ت ٧٤٢هـ /

١٣٤٢ م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار الأفاق الجديدة، ط/١، بيروت، ١٩٧٧، مجلد/١، ص ١٥-٢٣.

^٥ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٨٢-٩٦. أنظر: ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ط/١، بيروت، ١٩٩١، المجلد/١، ج/١، ص ١٠٩.

^٦ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٩٧-١٠١.

^٧ H. A. R. Gib, Ency of Islam., suppl. P. 235.

منها العم وابن العم، والحليف والناصر وهكذا، ومنها معنى العبد أو الخادم أو الرقيق^(١). وهناك كثير من الموالي هم أبناء عرب أصبحوا موالي (كتصنيف اجتماعي) كونهم كانوا عبيداً أو أرقاء من خلال السبي أو الشراء وعملوا كخدم للرجال والنساء في الجاهلية وصدر الإسلام، مثل محمد بن إسحاق نفسه فيذكر الدوري أنه من الموالي، كان مسيحياً من سبي عين التمر في العراق سنة ١٢ هـ ولكن الظاهر أنه عربي مسيحي^(٢).

عاش مؤلفو السير والمغازي الذين أشار إليهم جيب خلال الفترة التي امتدت من ٥٠-١٥٠ هجري، وكانوا منصهرين في مجتمعاتهم ولهم مكانة اجتماعية ودينية مرموقة. فكان منهم المحدث والفقير والقاضي والعالم، وكانوا هم أنفسهم لا يشعرون بأنهم أعراب عن مجتمعهم أو أنهم ليسوا من أصول عربية لأن كلمة مولى كانت تطلق على أجدادهم.

أضف إلى ذلك أن كلمة "موالي" بالمعنى الذي يرمي إليه جيب ظهرت في القرن الثالث الهجري مع حركة الشعوبية وأثارها واستخدمها بهذا المعنى كُتَّاب المثالب وأهل التسوية^(٣). ويلاحظ أن هذا المصطلح يُستخدَم حديثاً وبتركيز شديد في دراسات المستشرقين مثل جولدزيهر، كرنكو، ويوليوس فلها وزن وجيب وغيرهم والقصد أن يسحب عليهم دلالة مصطلح ظهر بعد وفاتهم بقرن من الزمان، وهذا بعيد عن المنطق والموضوعية والهدف الإشارة الى تفوق غير العرب حتى في كتابة السيرة النبوية والمغازي.

ولعل ما عرضه برنارد لويس لأراء بعض المستشرقين ومواقفهم من السيرة النبوية والمغازي ضمن نتائج سلسلة المؤتمرات الدراسية التي نظمتها مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بين عامي ١٩٥٦-١٩٥٨ لمسح وتقويم مسار وخصائص الكتابات التاريخية حول شعوب آسيا وقد استقاها من البحث الأول لأعمال المؤتمر حول السيرة النبوية بعنوان: "المواد التي استخدمها ابن إسحاق" لمونتجمري واط. فيه ما يؤيد وجهة النظر أعلاه يقول لويس: "عرفت السيرة النبوية للمرة الأولى في الثقافة الغربية من خلال كتاب غوستاف فيل (Gustav Weil) وعنوانه "محمد النبي" ١٨٤٣. وتبنى الجيل الأول من المستشرقين موقفاً إيجابياً منها بشكل عام، وذلك بعد استبعاد الفقرات الأسطورية (من وجهة نظرهم) قبلوا باقي السيرة النبوية كسجل دقيق لحياة محمد" (صلى الله عليه وسلم).

بعد ذلك شككت الأبحاث العلمية بالروايات الإسلامية الواحدة تلو الأخرى حتى أخضع كل من

^١ أنظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ١٥م، مادة ولي، ص ٤٠٨-٤٠٩.

^٢ الدوري، السيرة النبوية، ص ٧.

^٣ الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص ٤٨-٤٩.

الفيلسوف الوضعي ليون كايثاني (L.Caitani)، واليسوعي هنري لامانس (Lamance) من وجهة نظر كل منهما هذه الروايات لتحليل تاريخي ونفي دقيق ومُعرض أحياناً. في حين كان العمل الأكاديمي لتور أندري (Tor Andrae) هو بيان الدوافع والمؤثرات التي دفعت المسلمين الأوائل لإعطاء شكل ولون الصورة في قلوبهم للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، بينما ذهب لامانس إلى حد رفض كامل للسيرة على أنها تأويل حدسي مُتميز لبعض فقرات من روايات القرآن وضعت من قبل مؤرخين متأخرين، واتخذ فريق من العلماء موقفاً رافضاً لموقف لامانس: خاصة بيكر (Becker) الذي رفض كثيراً من حجج لامانس، وقبل الروايات الإسلامية وعبر عن رأيه بأنها تبدو معقولة تاريخياً، في حين شكك شاخت في كثير من مواد السيرة خاصة ما يتعلق بالمواريث، في حين تبني مونتغمري واط موقفاً أكثر قرباً من التقاليد الإسلامية. وأبعد عن النقد الحديث المتطرف وأخيراً يعتقد روزنتال بتأثير فكر التوراة للتاريخ على النبي (صلى الله عليه وسلم) نفسه^(١).

ج: السير والمغازي وأثرها في الكتابة التاريخية

ويذكر جيب أن الجيل التالي شهد اتساعاً في نطاق الدراسات والكتابة التاريخية، فقد صنف محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م) كتاباً في المغازي تناول فيه غزوات النبي وكثيراً من الوقائع والحوادث الإسلامية حتى خلافة هارون الرشيد، وبذلك اقترب علم التاريخ من المادة التاريخية التي جمعها فقهاء اللغة واحتفظ "التاريخ" بأسلوبه الخاص في الاعتماد على الأسانيد، ووصلنا هذا المصنف في صورته الأصلية^(٢).

وجاء تلميذه وكاتبه محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤-٨٤٥م) وصنف كتاب "الطبقات الكبرى"^(٣) الذي اعتمد فيه كثيراً على مصنف أستاذه. وتدل فكرة تصنيف معجم للتراجم على تطور جديد في فن التاريخ وتؤكد الارتباط الوثيق بينه وبين علم الحديث، إذ إن هذه المواد جُمعت في الأصل بقصد نقد

^١ برنارد لويس و ب.م. هولت، مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث، ترجمة سهيل زكار، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٨-١٩.

^٢ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 235

^٣ كلمة "طبقات" تستعمل للدلالة على المكان أو الزمان، وتعني للمكان: التساوي أو طبقة فوق طبقة، وللزمان: التساوي أو الشيء بعد الشيء أو الجبل. وعند فقهاء اللغة هي مرادفة لكلمة "قرن". واستعملت عناوين للكتب للدلالة على طبقات متعاقبة من الشعراء والمحدثين والفقهاء واصحاب المهن والعلوم المختلفة أو ذوي السمات المشتركة وغيرهم الذين عاشوا في جيل واحد. والواقع أن مصطلح طبقات كان معروفاً قبل ابن سعد. ويبدو أن الدافع لاستخدامه اهتمام العرب بالأنساب والتراجم ثم تطور هذا المعنى ليشمل عناوين مصنفات كثيرة نُظمت على القرون أو العقود زمنياً، وعلى الأبجدية ترتيباً لمحتوياتها. هيفينينغ (Heffening)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١٥، مادة "طبقات"، ص ٧٦-٧٩.

الأحاديث وتمحيصها^(١).

ويشير جيب إلى أن أهمية طبقات ابن سعد تكمن في إبراز سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) في المجلد الأول والثاني في ناحيتين: الأولى: تكملة تاريخ المغازي وتتضمن أوامر النبي (صلى الله عليه وسلم) ونواهيته وكتبه. والثانية: إضافة أجزاء لأول مرة تناولت الحديث عن صفات وأخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلامات النبوة، وهذه كانت تمهيداً لما عرف فيما بعد بأدب "الشمائيل والدلائل"^(٢).

ويعتبر جيب أن هذا تطور جديد نحو توجيه عناصر الحديث الصحيح في اتجاه آخر من رواية الأحاديث في القصة، وهو قريب مما كتبه وهب بن منبه، وبذلك بلغ تطور المنهج التاريخي للسيرة نهايته، واحتذاه جميع كتاب السيرة فيما بعد^(٣).

يرى جيب أن التطور في كتابة السير والمغازي على يد الواقدي وتلميذه ابن سعد، كان له دور في تطور الكتابة التاريخية، لذا لا بد من إلقاء الضوء على كل منهما و مصنفاتهما بإختصار.

درس الواقدي العلم على شيوخ المدينة، واهتم بالمغازي والسير والتاريخ الإسلامي، واقتصرت مغازيه على الفترة المدنية^(٤) ولم يهتم بفترة الجاهلية^(٥)، ويُعتبر ممثلاً لمدرسة المدينة، فهو أكثر دقة من ابن إسحاق في المادة والأسلوب، كما أنه يعرض الإطار العام ثم التفاصيل ويذكر مصادره الأساسية ويورد الحوادث حسب تسلسلها^(٦).

وساهمت دراساته في تطور الكتابة التاريخية من حيث الإسناد وتحقيق الحوادث، ونقده لمصادره وزياراته للمواقع الجغرافية^(٧). وأخذ الشعر باعتدال، وتقليصه لعنصر القصص في مادته، واستعماله للإسناد الجمعي بشكل منتظم تقريباً، كما أنه أورد قوائم للمشاركين في الغزوات وأكثر من استخدام الآيات القرآنية التي لها صلة بالحوادث^(٨)، وعلى الرغم من أنه كان معاصراً لابن إسحاق، إلا أنه لم يأخذ عنه (أو ربما أنه لم يُصرِّح بذلك) شيئاً، ربما بسبب نظرة أهل المدينة لابن إسحاق، رغم أنه

^١ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 235

^٢ Ibid, P. 235

^٣ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 235

^٤ البغدادي، تاريخ بغداد، ج/٣، ص ٢١٣-٢١٤، ٢١٨-٢٢٣.

^٥ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج/٣، ص ٢١٥.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٥-٣٦. هوروقنس، المغازي الأولى، ص ١١٨-١٢٢.

^٧ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج/٣، ص ٢١٥-٢١٦. ابن سيد الناس، عيون الأثر، مجلد/١، ص ٢٤-٢٦.

^٨ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٦-٣٧. هوروقنس، المغازي الأولى، ص ١٢٤-١٢٥.

يمتدحه ويثني عليه في ترجمته عند الطبري^(١).

له مصنفات كثيرة ذكر منها ابن النديم (٢٨) مؤلفاً منها (٢٢) مصنفاً في التاريخ^(٢). أهمها كتاب كتاب "التاريخ الكبير" الذي تناول فيه تاريخ الخلفاء حتى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م. وكتاب "طبقات المحدثين في الكوفة والبصرة"، وتكمن أهمية هذا الكتاب في إظهار أثر دراسة الحديث في كتابة التاريخ ومساعدة المحدثين في تحقيق الأسانيد، ويبدو أن هذا الكتاب هو الأساس الذي اعتمد عليه ابن سعد في تصنيف كتابه الطبقات الكبرى^(٣).

والواقدي ليس مقبولاً تماماً عند أهل الحديث، بينما هو ثقة عند المؤرخين في السيرة والمغازي والفتوح وربما يعود ذلك لاستعماله الإسناد الجمعي (جمع الرجال والأسانيد في متن واحد)، علماً بأن كلاً من ابن إسحاق والزهري استخدماه من قبله^(٤). بينما يعتبره المستشرقون المؤرخ الأول بسبب اعتماده على الوثائق وتدقيقه الزمني والجغرافي للحوادث التاريخية وذكره لمصادره التي استقى منها معلوماته^(٥). وذكر ابن سيد الناس بأنه من المصنفين في السير والمغازي، وأشار إلى الطعون عليه وكذلك إلى آراء من مدحه ووثقه ممن عاصره من العلماء^(٦).

أما كاتبه وتلميذه ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (١٦٨-٢٣٠هـ/ ٧٨٤-٨٤٥م) فقد كان ثقة عالماً بأخبار الصحابة والتابعين، وأهم مصنفاته كتاب الطبقات الكبرى الذي اعتمد فيه بشكل رئيسي على مصنفات أستاذه الواقدي وعلى ابن الكلبي والهيثم بن عدي والمدائني^(٧). وهو أول مصنف وصلت إلينا منه ترجمة كاملة للنبي (صلى الله عليه وسلم) بعد ابن إسحاق وبه تفصيلات أوفر منه، كما أنه أول من جمع علامات النبوة التي عُرفت فيما بعد بأدب "الشمائل والدلائل"^(٨).

يعتبر كتاب الطبقات تكملة غنية لسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنها تشير إلى أصحابه من الرجال والنساء خاصة الذين كان لهم دور شاركوا في حياة النبي العامة والخاصة، وكذلك تراجم

^١ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج/٣، ص ٢١٧. هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١٢٢-١٢٤.

^٢ ابن النديم، الفهرست، ص ١٧٣-١٧٤. هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١١٤-١١٦.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٧. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٦٦.

^٤ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج/٣، ص ٢١٨-٢٢٨.

^٥ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١٢٥-١٢٦. ، التاريخ العربي والمؤرخون، ج/١، ص ١٦٦.

^٦ ابن سيد الناس، عيون الأثر، مجلد/١، ص ٢٣-٢٨.

^٧ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج/٢، ص ٣٦٩-٣٧٠. ابن النديم، الفهرست، ص ١٧٤-١٧٥.

^٨ متفوخ (E. Mittwoch)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، "مادة ابن سعد"، ص ٣٠٧. هوروفتس،

المغازي الأولى، ص ١٢٦-١٢٩. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٧.

الصحابة والتابعين^(١).

وظهرت مصنفات في السيرة في القرن الثالث الهجري في الشام لكنها اقل أهمية من كتاب ابن سعد، بعد ذلك أصبحت السيرة عبارة عن فصل في مصنفات العصور التالية في معرض تاريخ العالم ولا يخصص لها كتب مستقلة إلا في القرون المتأخرة مثل: ابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م)، عيون الأثر. وعلي برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م)، صاحب السيرة المشهورة بالحلبية^(٢).

ثانياً: تطور الرواية في صدر الاسلام

بين جيب أن نشاط تدوين الحوادث عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) اقتصر على العراق خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، لذلك تبوأ الرواية العراقية الصدارة في المؤلفات التاريخية اللاحقة، وحول تاريخ الخلفاء الراشدين قدمت مدرسة الحديث المدنية مادة استفاد منها عدد من المصنفين (كالواقدي) الذين ينتمون لمدرسة الحديث في المدينة^(٣).

ويذكر أن هناك شكوكاً بوجود وثائق مكتوبة في المدينة، رغم أن الدقة في التسلسل التاريخي للأخبار توحى بوجود مثل هذه المواد. أما ما يتصل بالعصر الأموي فهناك إشارات كثيرة تؤيد وجود الوثائق المعاصرة في دمشق والعراق، ومن المرجح أن المصنفين المتأخرين حصلوا على هذه الوثائق وأخذوا منها الإطار الزمني الدقيق وكذلك القوائم بأسماء الحكام والولاة وأمراء الحج لكل سنة^(٤)، يظهر التناقض بشكل واضح عند جيب حيث يذكر وجود مدونات في القرن الأول الهجري ثم يعود ويشكك بوجود وثائق مكتوبة.

أ: فقهاء اللغة في القرن الثاني الهجري

يتحدث جيب عن دور فقهاء اللغة في القرن الثاني الهجري ومساهماتهم في الكتابة التاريخية عندما قاموا باقتحام ميادين الرواية (التي كانت حكرًا على الرواة والنسابين) وغايتهم من ذلك جمع ما بقي من الشعر القديم وشرحه وتوضيحه، فجمعوا مادة تاريخية كبيرة من خلال الروايات القبلية وغربلوها، ويرى جيب أن أبرزهم كان أبا عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)، مولى من الجزيرة، ويُنسب له منّا كتاب، لكن لم يصلنا أي منها، مع أن المؤلفين المتأخرين أخذوا ما فيها وأدخلوها في مصنفاتهم. وقد تناولت كتبه معظم أنواع الروايات العربية الشمالية تحت عناوين شملت أخبار القبائل والأيام،

^١ متفوخ (E. Mitteoch)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، "مادة ابن سعد"، ص ٣٠٧. هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١٢٩-١٣٢. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٧.

^٢ مصطفى، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٦٨. هوروفتس، المغازي الأولى، ص ١٣٢.

^٣ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 236.

^٤ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 236.

والفتوحات الإسلامية والحوادث الهامة، والمعارك وبعض الفئات مثل قضاة البصرة، والخوارج والموالي^(١).

ويذكر جيب أنه بالرغم من الاتهام الذي وجه لأبي عبيدة وميله للشعوبية للنيل من العرب إلا أن فحص التهم المنسوبة له توحى بأن التهم ذاتها يمكن أن تُحسب برهاناً على نزاهته لا على تحيُّز مقصود لذاته^(٢)، وذلك دون بيان لماهية الفحص ومن قام به ومتى، بينما يؤكد جولدزيهر أنه شعوبي وأفضل من خدم الشعوبية^(٣)، كما يرى جيب أن هناك تشابهاً في المعلومات الواردة في أعمال أبي عبيدة وهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) الذي نظَّم ووسع ما جمعه والده محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ / ٧٦٣م)، وعوانة بن الحكم، وأبو مخنف، وتكاد مصنفاً تتناول الموضوعات نفسها التي طرقتها أبو عبيدة، إلا أنه اهتم بجمع المعلومات التاريخية عن الحيرة وملوكها من مصادر ووثائق مدونة محفوظة في كنائس الحيرة ترجمت له، وبذلك خطأ خطوة طويلة نحو التدوين التاريخي العلمي، ولم يصلنا من هذا الكتاب إلا متفرقات اقتُبست منه، وقد أثبت البحث الحديث دقته بشكل عام، وقيل أن هشام سار على النهج نفسه في باقي مصنفاً باستخدام ما تيسر من نقوش وكتابات، ومع ذلك لم ينبُج من النقد اللاذع واتهام العلماء المحافظين (الفقهاء) له بالتزوير وعدم الثقة^(٤).

أبو عبيدة معمر بن المثنى، هو مولى لبني تميم من قریش (أصله من يهود فارس)^(٥) وتلميذ اللغوي أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه اتجاهه في الكتابة^(٦)، وكان على جانب كبير من الثقافة والإطلاع، فقد جمع بين الثقافات الفارسية واليهودية والعربية، ووصف بأنه أعلم الناس بأيام العرب واللغة والأخبار والأشعار، وقال عنه الجاحظ: "لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه"^(٧).

وذكر ابن النديم: "أن له علم الإسلام والجاهلية، وكان ديوان العرب في بيته"^(٨). وصنف عدداً

^١ Ibid., P.234.

^٢ Ibid. P.234.

^٣ Goldziher, Islamic Studies, p. 184.

^٤ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, Suppl. P.234.

^٥ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبو يعقوب اسحاق، الفهرست، تحقيق شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، العربي للشر، (د/ط)، القاهرة، ١٩٩١، المجلد/١، ص٨٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ١١٩.

^٦ الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢١٤-٢١٥.

^٧ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٥٢. ياقوت، معجم الأديباء، مجلد/٧، ص١١٤-١١٥.

^٨ ابن النديم، الفهرست، مجلد/١، ص٨٦، وانظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ١١٩.

كبيراً من الكتب أشارت لها المصادر^(١). وعدد ابن النديم أسماء (١٠٨) مائة وثمانية منها وشملت مصنفاته تاريخ العرب وصدور الإسلام، والمدن والأمصار، والمفاخر والمثالب والمعارك والأحزاب ودراسات تتعلق بالقرآن والحديث والشعر وفقه اللغة^(٢)، وكان يُطعنُ عليه بأنه مدخول النسب، والدين، ويرى رأي الخوارج، وقيل كان شعوبياً يطعن في الأنساب، فقد عمل كتاب "المثالب" الذي كان يطعن فيه على بعض أسباب (هكذا وردت في المصدر) النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣).

وكان يغلب عليه الغريب وأخبار العرب وأيامهم، ومع معرفته ربما لم يُقم البيت (الشعر) إذا أنشده حتى يكسره، ويُخطئ إذا قرأ القرآن نظراً وكان يبغض العرب^(٤). وربما تعود نزعته الشعوبية لأصله الفارسي^(٥). وبينما ينفي عنه جيب تهمة الشعوبية ويعتبرها حجة على درايته وأن تحيزه غير مقصود لذاته^(٦). فإن جولدزيهر يؤكد أنه كان شعوبياً وأفضل من خدم الشعوبية^(٧).

أما هشام بن محمد السائب فكان أبوه محمد بن السائب الكلبي عالماً بالأنساب والتفسير والتاريخ، وحاول أن يجمع الروايات القبلية المتعلقة بالأنساب معتمداً على أفضل نسابة في كل قبيلة^(٨). فأخذ هشام العلم عن أبيه وعن جماعة من الرواة^(٩). وقد تميز بهذا العلم فوصفه ابن قتيبة بقوله: "كان هشام أعلم الناس بالأنساب، الذي أخذ هذا العلم عن أبيه"^(١٠).

^١ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج/١٣، ص ٢٥٢. أنظر: ياقوت، معجم الأدياء، مجلد/٧، ص ١١٤-١١٥.

^٢ ابن النديم، الفهرست، مجلد/١، ص ٨٦-٨٩.

^٣ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، (د/ط)، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٩٣، ٩٩-١٠٠. أنظر أيضاً: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٣٦. ابن النديم، الفهرست، ص ٨٦. ياقوت، معجم الأدياء، ص ١١٥-١٢٠، اليافعي، أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد/٢، ص ٣٤-٣٥.

^٤ ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٣٦. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ١١٩-١٢٣.

^٥ أمين، ضحى الإسلام، ج/٢، ص ٣٠٥.

^٦ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl, p. 234.

^٧ Goldziher, Islamic Studies, p. 184.

^٨ ابن النديم، الفهرست، مجلد/١، ص ١٦٧-١٧٣.

^٩ ابن خلكان، ج/٣، ص ٢٤٧-٢٤٨.

أنظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٣٣. ياقوت الحموي، أبي عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)، معجم الأدياء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب- تحقيق عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، ط/١، ١٩٩٩، مجلد/٧، ص ٢١٣.

^{١٠} المصدر نفسه، ص ٢٣٣. المصدر نفسه، مجلد/٧، ص ٢١٣.

وتزيد مصنفاته على (١٥٠) ذكرها ابن النديم^(١)، وياقوت^(٢)، والذهبي^(٣) مع اختلاف في أسماء أسماء وترتيب هذه المصنفات، التي شملت تاريخ الأنبياء، والجزيرة العربية قبل الإسلام، وأيام العرب، والتاريخ الفارسي والإسلامي، وكانت مصادره عديدة ومختلفة منها: اعتماده على أهل الكتاب في تاريخ الأنبياء، وعلى الترجمات الفارسية لتاريخ إيران، كما أنه استفاد من الكتابات والوثائق في كنائس الحيرة وأخذ من القصص الشعبي في تاريخ اليمن من مواد أسطورية^(٤). ومن مؤلفاته التي وصلتنا كتاب "الجمهرة في النسب"^(٥)، وكتاب "الأصنام"^(٦).

كان ابن الكلبي واسع الرواية، أثر عنه كثير من المصنفات التي أفاد منها كبار المؤرخين بالنقول المنسوبة له مثل: ابن سعد، وابن قتيبة والطبري والجاحظ والمسعودي، حيث كان يُنظر إليه بأنه في مقدمة الإخباريين وأهل العلم بالتاريخ، كما أخذ عنه من شيوخ اللاحقين لعصره مثل ياقوت الحموي، وعبد القادر البغدادي^(٧).

اتهم ابن الكلبي بعدم الثقة وتعرض للتجريح والظعن، فقد وصفه الإمام أحمد بن حنبل بأنه: "كان صاحب سير ونسب، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه"^(٨). وبأنه متروك الحديث^(٩). ويقول السمعاني السمعاني والذهبي أن ابن الكلبي شيعي وأحد المتروكين والمرفوضين كأبيه^(١٠). وأنه كذاب لا يوثق

^١ ابن النديم، الفهرست، مجلد/١، ص ١٦٧-١٧٣.

^٢ ياقوت، معجم الأديباء، مجلد/٧، ص ٢١٣-٢١٥.

^٣ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ١٣٧٤هـ/١٣٧٤م)، سير أعلام النبلاء، ج/١٠، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط/١١، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٠٢.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٧-٤٨.

^٥ يُعتبر المرجع الوحيد الذي يعول عليه أهل العلم بالنسب، وتوجد منه قطعة صغيرة تتألف من (١٣) ثلاث عشرة ورقة [ربما نفس الجزء الموجود في المتحف البريطاني والذي أشار له الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٧] وقد اختصر ياقوت كتاب الجمهرة في النسب في (١٦٧) مائة وسبع وستون صفحة. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج/١٠، حاشية المحقق، ص ١٠٢.

^٦ كتاب "الأصنام"، وكتاب "نسب الخيل"، أنظر: كتاب الأصنام، لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق أحمد زكريا، الدار القومية للطباعة والنشر، (د/ط)، القاهرة، ١٩١٤م، تصدير المحقق، ص ١٩.

^٧ جواد علي، المفصل، ج/١، ص ٨٨. ابن الكلبي، الأصنام، تصدير المحقق ص ١٢-١٣.

^٨ ياقوت، معجم الأديباء، مجلد/٧، ص ٢١٣. أنظر أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج/١٠، ص ١٠١. وعنده وردت "سمر" بدل "سير". وكذلك: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م)، الأنساب، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٨، ج/٤، ص ٦٣٩-٦٤٠. وردت عنده "صاحب شعر ونسب".

^٩ ياقوت، معجم الأديباء، مجلد/٧، ص ٢١٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج/١٠، ص ١٠١.

^{١٠} السمعاني، الأنساب، ج/٤، ص ٦٣٩-٦٤٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج/١٠، ص ١٠١-١٠٢.

به^(١). لذلك تجنب جماعة من العلماء الرواية عنه^(٢). لكن جيب ينفي عنه هذه التهم بقوله: "إن الأبحاث والأبحاث والتحقيقات الحديثة أثبتت صحة ودقة روايته بشكل عام دونما أي توضيح أو إشارة^(٣).
ويبدو أن جيب اعتمد في رأيه على الدراسة التي أجراها كرنكو Krenkow لسيرة ابن هشام ومقارنتها بدراسة "السهيلي" بعنوان "الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية" وكان رأيه أن الشكوك والتهم لابن هشام هي أيضاً شهادة حسنة له^(٤). وكذلك بروكلمان يقول أن ما اتهم به ابن الكلبي لم يكن كله صحيحاً وأن بحوث المستشرقين العلمية أثبتت أن ابن الكلبي كان محقاً في جوانب كثيرة مما اتهم به^(٥).

ما طرحه جيب عن دور اللغويين صحيح. لكن ما خصَّ به أبا عبيدة وابن الكلبي وتأكيده أنهما من الموالى ومحاولة نفي التهم المنسوبة لهما أمر لافت للنظر. فهناك الكثير من اللغويين ممن سبقوه أو عاصروهم وكان لهم شهرة واسعة وصنفوا في المواضيع والعناوين نفسها ولم يُشر إليهم جيب وهؤلاء ذكرهم ابن النديم ومنهم على سبيل المثال: الفراهيدي، وسيبويه وخلف الأحمر ويونس بن حبيب والكسائي، والفراء والأصمعي وغيرهم^(٦)، وهذه أسماء لها شهرتها في الحضارة العربية الإسلامية ولا يمكن أن يكون باحث مثل جيب لا يعرفهم ولكن يبدو أنه تجاهلهم عن قصد وتعمد من منطلق تحيزه للموالى وغير العرب وخاصة الفرس.

ويثبت هذا وجود مؤلف معاصر لابي عبيدة، كان أشهر وأكثر اسهاماً منه، عرف بشيخ الإخباريين، هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ / ٨٤٠م)، الذي ينسب إليه من ٢٤٠ مصنفاً، لم يصلنا أي منها إنما استفاد منها من جاء بعده، فقد جمع بين الدراسات التاريخية والأدبية، وهو أوسع اتجاهاً من غيره في جمع وتنظيم الروايات، ويمثل درجة أعلى من أسلافه في البحث والدقة لأنه اتبع أسلوب المحدثين في نقد الروايات (الإسناد)، وأصبح من أهم المصادر الأساسية للمؤرخين من بعده^(٧)، وعلى الرغم من أهمية المدائني إلا أن جيب لم يشر إليه مع اللغويين الذي تحدث عنهم، ولا إلى اسهاماته، إنما تحدث عنه أثناء حديثه عن "تاريخ الخلافة" وأشار إلى مؤلفاته الكبيرة في ذلك

^١ الأصفهاني، الأغاني، ج/٩، ص ١٩-٢٠، ج/١٠، ص ١٥٥.

^٢ علي، المفصل، ج/١، ص ٨٨.

^٣ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl, p. 234.

^٤ F. Krenkow, The Tow Oldest Books, Islamic Culture, Vol. II, p. p. 230-231.

^٥ علي، المفصل، ج/١، ص ٨٨.

^٦ ابن النديم، الفهرست، مجلد/١، ص ٦٨-٧٢، ٨١-٩٢.

^٧ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٥-٤٦.

الجانب^(١).

أما نفي جيب التهم عنهما - أبي عبيدة وابن الكلبي- دونما إيراد أدلة وإثبات أو إشارات، فهو رأي لا يمكن قبوله على علته، لأنه قول مبهم وغير دقيق. ويبدو أنه تأثر أو اعتمد فيه على كرنكو وبروكلمان، بينما أكدت المصادر الإسلامية التهم وكذلك جولدزيهر. أما ابن الكلبي فقد كان راوية للمثالب وعياباً^(٢) واعترف صراحة بأن أول كذبة له كانت في نسب خالد بن عبد الله القسري^(٣)، وهذا يعني تركيز جيب على أعمال أبي عبيدة، وتجاهل العلماء الآخرين من أصل عربي، وتركيزه على الموالي من أجل إبراز دور غير العرب، وإعادة الفضل لهم في مجالات عديدة .

ب: الإخباريون وروايات القبائل

يرى جيب ان هؤلاء الكتاب رجعوا إلى مواد راعوا عند جمعها التوفيق بين منهج المحدثين وعلماء اللغة، وكان من أبرزها روايات القبائل العربية في العراق مثل: روايات قبيلة الأزدي التي جمعها أبو مخنف (ت ١٥٧هـ / ٧٧٤م)، ونقل منها هشام ابن الكلبي وهي رواية الكوفة المؤيدة لعلي والمعارضة للأُمويين. وروايات قبيلة كلب (الشام) التي جمعها عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ / ٧٦٤م) وأيضاً نقلها هشام ابن الكلبي فيما بعد وفيها نزعة معارضة لعلي ومناصرة للأُمويين. وروايات قبيلة تميم التي جمعها سيف بن عمرو (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م) وهي قصص تاريخية عن الفتوحات اعتمد فيها على الشعر وصلته بالنثر وهي تشبه قصص الأيام^(٤).

ويضيف جيب بأن هناك روايات قبلية أخرى مثل رواية قبيلة باهلة التي تتصل بحروب قتيبة بن مسلم وهذه اختلفت بشكل واضح عن باقي الروايات من حيث التفاصيل وعنصر التشويق عن الروايات المدونة على ترتيب السنوات في نفس الفترة وما تلاها، ورغم ما فيها من تحيز واضح إلا أن أهميتها تكمن فيما تضمنته من إيضاح للعوامل والمؤثرات الداخلية التي سيطرت على أحوال القرن الأول الهجري ولا يمكن إغفالها^(٥).

والملاحظة الهامة أن المدونات (الروايات) المشار إليها أعلاه كانت تتصل بعلم الحديث من حيث الشكل والدقة في الإسناد [واقترن هذا النشاط باسم الشعبي (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م) أشهر محدثي الكوفة] وهي تخلو من المؤثرات الخارجية في الشكل والمحتوى والموضوع^(٦).

^١ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam, Suppl. P. 236.

^٢ الجاحظ، البيان والتبيين، ج/١، ص ٥٧. الأصفهاني، الأغاني، ج/١٨، ص ٤٩٨.

^٣ الأصفهاني، الأغاني، ج/٢٢، ص ٢٨٠. (رواية ابن الكلبي نفسه)

^٤ H. A. R. Gibb Ency. Of Islam, suppl. P. 236.

^٥ . H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 236

^٦ . H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 236

ومما يؤكد ما ذهب إليه جيب أن الدراسات التاريخية سارت في بداياتها في اتجاهين عامين متميزين وأثرا في مختلف جوانب الحياة. أما الأول فهو اتجاه أهل الحديث (الإسلامي) [مدرسة المدينة] وقد تم الحديث عنه، أما الثاني فهو الاتجاه القبلي الذي كان مركزه العراق (الكوفة والبصرة) وهو ما يطلق عليه في الدراسات الحديثة مدرسة العراق التاريخية^(١)، وهذا ما اشار إليه جيب.

أما الاتجاه الثاني فبدأ في دراسة التاريخ نتيجة استمرار الاهتمام بالمآثر والأنساب القبلية وبسبب الفتوحات الواسعة، ومشاركة القبائل العربية فيها. وهذا أظهر التنافس بين القبائل، والاعتزاز بالأمصار الجديدة وظهور العصبية المحلية والأحزاب السياسية، وكذلك قيام الدولة الإسلامية الواسعة، وتطور التنظيمات الإدارية والسياسية وانعكاس ذلك على توطين القبائل وتدوين سجلات للدولة^(٢).

كما ساهم في ذلك تشجيع الخلفاء الأمويين للتدوين^(٣)، والجهود التي قام بها الإخباريون واللغويون والنسابون في حقولهم المختلفة خاصة في الكوفة والبصرة من خلال النشاط الثقافي العام لجمع الأحاديث النبوية الشريفة والتراث العربي القديم من الشعر والأنساب^(٤).

كما كان لتحول النظرة العامة من القبلية إلى تكوين الأمة، والقبول بفكرة الدولة والبيعة لإمام حتى لو كان ظالماً أو ضالماً، على عدم وجود إمام^(٥). وهذه الأسباب مجتمعة أدت إلى أن تتبوأ الرواية العراقية الصدارة في المصنفات التاريخية اللاحقة لأنها أصبحت الأساس وأهم الإخباريين في هذه المرحلة هم: لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي المعروف بابي مخنف (ت ١٥٧هـ / ٧٧٤م)، إخباري كوفي له اهتمام بالأنساب^(٦) والسير وحوادث التاريخ الإسلامي حتى منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، مثل: صفين، الخوارج، فتوح الشام والعراق وغيرها^(٧). له أربعة وثلاثون مصنفاً ويعتبر من أهم الإخباريين في العراق^(٨). واعتمد في أخباره على روايات القبائل العراقية خاصة قبيلته الأزدي، وتميم وطبي وكنده وغيرها، كما أخذ من روايات المدينة، وهو يُمثل في رواياته التاريخية نظرة العراق/ الكوفة، أكثر من تمثيله نظرة الشيعة الخالص، وتساهل في استعمال الإسناد، لذلك يعتبر راوية ضعيف

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٩-٤٠، ١٣٢-١٣٣. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٦٩-١٧٠.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٩-٤٠. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٦٩-١٧٠.

^٣ ابن النديم، الفهرست، ص ٣٩-٤٠. صلاح الدين المنجد، مقدمة طرفة الأصحاب، ص ٦-٨.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٩-٤٠.

^٥ الطبري، تاريخ، ج/٥، ص ١٥٩-١٦٠.

^٦ الطبري، تاريخ، ج/٥، ص ٢٥-٢٦.

^٧ ابن قتيبة، المعارف، ص ١٩٤. الكتبي، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)،

فوات الوفيات، تحقيق علي بن محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٠م، فوات

الوفيات، مجلد/٢، ص ١٣٥.

^٨ ابن قتيبة، المعارف، ص ١٩٤. ابن النديم، الفهرست، ج/١، ص ١٦٢-١٦٤. الكتبي، فوات الوفيات، ج/٢، ص ١٣٥.

للحديث، وكان يميل للعلويين تجاه الأمويين^(١).

أما سيف بن عمر الأسدي التميمي (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م)، وهو أيضاً إخباري كوفي، له مصنفان: الأول: "الردة والفتوح" وهو طرح طريف في نظرتة التاريخية الذي جمع فيه بين الحركتين. والثاني: جاء بعنوان "الفتنة" ويتحدث فيه عن الفتنة وخاصة وقعة الجمل^(٢)، ولم تصلنا مصنفاته لكن الطبري اعتمد عليه كثيراً كمصدر أساسي في أخباره عن الردة والفتوحات الأولى خلال الفترة (١١-٣٦هـ / ٦٣٣-٦٥٨م)^(٣).

وقد اعتمد سيف على روايات قبيلته تميم بالدرجة الأولى، وقدم النظرة العراقية وميوله تميمية^(٤)، تميمية^(٥)، كما أنه استفاد من الروايات المدنية في أخباره، ومن رواته هشام بن عروة وابن اسحاق^(٦)، وأسلوبه قوي ومؤثر وعاطفي على أسلوب الأيام^(٧). ويرى فلهاوزن وكايتاني بعد دراستهم للطبري وما نقله عن سيف بأنه أقل دقة من غيره من ثقات المؤرخين في رواياته عن العراق مقارنة مع رواياته عن الحجاز / المدينة^(٨).

أما عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ / ٧٦٤م) فهو إخباري كوفي يهتم بالشعر والأنساب^(٩) له مصنفان: مصنفان: "سيرة معاوية وبني أمية" وهو تاريخ لخلفاء بني أمية على التوالي^(١٠)، و"كتاب التاريخ" وتناول فيه أحداث التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وشمل تاريخ الخلفاء الراشدين والردة والفتوحات والفتنة والصراع بين علي ومعاوية وتاريخ العراق وسورية حتى نهاية عبد الملك بن مروان^(١١).

يَميل عوانة في رواياته إلى الأمويين فقد اعتمد في كثير من رواياته على رواية قبيلة كلب

^١ البلاذري، أنساب، ج/٥، ص ٣٨-٤٠. الطبري، تاريخ، ج/٤، ص ٥٢١-٥٢٢، ٥٦٣، ٥٧٢. ج/٥، ص ١٦-٥٩، ٦٣، ٨٧-٨٨، ١٠٢، ١٢٢-١٢٤، ١٢٧-١٢٨، ١٦٥-١٦٦، ٢٦٠-٢٦١. جيب، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "أبو مخنف"، ص ٦٠١.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٣. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٨٠-١٨١.

^٣ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٨٠.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٣. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٨٠-١٨١.

^٥ الطبري، تاريخ، ج/٣، ص ١٨٤-١٨٧. ٢٤٢-٢٤٣.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٣. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٨٠.

^٧ بروكلمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٨، ص ٥٥٧٣-٥٥٧٤، مادة "سيف بن عمر".

^٨ ياقوت، معجم الأدباء، ج/٦، ص ٩٤. ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٤.

^٩ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٢٨.

^{١٠} البلاذري، أنساب، ج/٥، ص ١٣٢-١٣٥. ١٥٩. الطبري، تاريخ، ج/٥، ص ٣٢٣، ٣٥٦.

وروايات شامية وأموية^(١)، وتبدو الصبغة الأموية واضحة في رواياته وكذلك فكرة الجبر التي تبناها الأمويون في تفسير الحوادث^(٢)، ومع ذلك أورد روايات عراقية ومدنية تعكس وجهات نظر الجماعات المناوئة للأمويين^(٣). ويمكن القول أنه لم يكن متحزباً لجهة معينة^(٤).

وأما الشعبي الذي أشار له جيب بأنه شيخ محدثي الكوفة، فهو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عمرو الهمداني (ت ١١٠هـ/٧٢٨م)، ولد بالكوفة وكان أبوه من كبار القراء، وكان مقرباً من الحجاج الثقفي، ثم عمل كاتباً لقتيبة بن مسلم، وبعد ذلك أقام فترة في بلاط عبد الملك بن مروان حيث أرسله في سفارتين: الأولى إلى إمبراطور الروم في القسطنطينية والثانية إلى مصر إلى شقيق الخليفة عبد العزيز بن مروان بن الحكم. وكان الشعبي محدثاً ثقة، ومن تلاميذه أبو حنيفة النعمان، ورويت عنه أحاديث كثيرة في الصحاح، وهو من أشد المعارضين للأخذ بالرأي، قدم لنا معلومات كثيرة عن الأمويين ولم يؤلف كتباً إنما روى ما عنده من حافظته^(٥). واستفاد من رواياته من جاء بعده^(٦)، وربما ذلك كان من خلال تلامذته.

يُلاحظ أن الذين صنفوا في هذه المرحلة كانوا إخباريين ومن الكوفة تحديداً، والتي تمثل الاتجاه القبلي لأنهم اعتمدوا في مصنفاتهم على روايات قبائلهم، وهي تعكس تفاعلهم مع المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية وحتى الحزبية في مجتمعهم، لكنهم استفادوا من روايات المدينة المبنية على الإسناد والتي تمثل الاتجاه الإسلامي، لذلك جاءت أعمالهم مزيجاً بين الاتجاه القبلي وبين الاتجاه الإسلامي، وإن كان الاتجاه القبلي أوضح، وكان هذا تمهيداً لانضواء الاتجاه القبلي في الكتابة التاريخية ضمن الاتجاه الإسلامي (الذي سيظهر فيما بعد) لتصبح الروايات التاريخية مبنية على الإسناد، وهذا من سمات قوتها ودقتها ابتداءً من مطلع القرن الثالث الهجري عند المدائني (ت ٢٢٥هـ/٨٤٠ م) بشكل خاص.

ج: الوثائق وصناعة الورق.

ويؤكد جيب أنه تتوفر دلائل على وجود وثائق إسلامية مكتوبة في العصر الأموي بدمشق

^١ الطبري، تاريخ، ج/٦، ص ٤٨٧-٤٩٤، ٤٩٧. ياقوت، معجم الأديباء، ج/٦، ص ٥٥.

^٢ البلاذري، أنساب، ج/٥، ص ٤٠، ١٤٠، ١٩٤، ١٩٥.

^٣ الطبري، تاريخ، ج/٥، ص ١٦٥-١٦٦، ٤٠٩-٤١٠.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٣.

^٥ كرنكو (F. Krenkow)، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٩، ص ٥٧٩٠-٥٧٩٣، مادة الشعبي. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ١٧٥-١٧٦.

^٦ أنظر: الطبري، تاريخ، ج/٤، ص ٢٠-٢١، ٢٩، ٣٣، ٤٠، ٤٧-٤٨، ج/٦، ص ١٥، ٣٢٧، ٣٧٥.

والعراق^(١)، وذلك اعتماداً على دراسة جروهان أودولف (Adolf Grohman) الذي ذكر: "أن التدوين التاريخي الأول لم يكن كله نقلاً عن الروايات الشفوية، ومن المؤكد أنه كان هناك بعض الوثائق والسجلات والكتب الأصلية التي استفاد منها المؤرخون الذين كتبوا عن فترة صدر الإسلام خاصة، وما فيها من دقة في مضمون الروايات وحيثياتها، ومن الأدلة على ذلك توفر وتداول أوراق البردي في القرن الأول الهجري (العصر الأموي)، ويشير جروهان في دراسته إلى وثائق يرجع تاريخها إلى سنة ٧٠٥ هـ/ ٧٠٥ م وما بعد ذلك^(٢)."

وهناك إشارة تؤكد وجود وثائق مكتوبة في العصر الراشدي، في وقت أبكر مما ذكره جيب وجروهان، بأن هناك وثيقة يعود تاريخها إلى زمن عمر بن الخطاب سنة ٢٢ هـ/ ٦٤٣ م، مكتوبة على ورقة بردي محفوظة في فيينا توضح استخدام التاريخ الهجري^(٣).

ويؤكد هذا فالح حسين الذي يذكر إنه تم العثور على عشرة نقوش مؤرخة بالتقويم العربي الإسلامي، ما بين سنة ٢٢-٦٥ هـ، مما يعني وجود روايات تاريخية في المصادر الأولى^(٤)، وكذلك استخدام الوثائق البردية كمادة لتدوين الكثير من المراسلات الرسمية الإدارية والاقتصادية - خاصة في شؤون الضرائب - والكثير من التراث الفكري في شتى فروع المعرفة، وهذه الوثائق قدمت أكثر الدلائل والبراهين المادية التي يمكن أن تؤكد وجود روايات تاريخية مبكرة، وتؤرخ هذه البرديات للفترة ما بين سنة ٢٢-٦٥ هـ^(٥)، وايضاً ضرب النقود (السكة)^(٦)، وتكمن أهميتها في المعلومات التي قدمتها، وأكدت وجود روايات تاريخية مدونة بوقت مبكر^(٧)، ويذكر إن جيب قام بدراسته التي نحن بصددنا عام ١٩٣٣ م واعتمد في رأيه على دراسة جرومان التي أجراها على أوراق البرديات العربية في مصر بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٤، والتي نسخت كثير من مزاعم المستشرقين وغيرهم بعدم وجود وثائق مكتوبة ومدونات عند المسلمين منذ بداية الدولة الإسلامية.

يتضح مما تقدم أنه لا مبرر لما طرحه جيب من شكوك حول وجود مدونات في المدينة، وتؤكد

^١ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islam, suppl. P. 236

^٢ جروهان، أودولف، أوراق البردي العربية، ترجمة حسن إبراهيم حسن، ٦ أجزاء، دار الكتب المصرية، ط/١، القاهرة، ١٩٢٤، أنظر النماذج، ص ١١-٣٥.

^٣ سيزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الثاني "التدوين التاريخي، ترجمة محمود فهمي حجازي وآخرون، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/١، ١٩٩١، الرياض، ص ٢٥.

^٤ فالح حسين، بحث في نشأة الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٢١٩-٢٣٠، وانظر عن النقوش العشرة نفس الصفحات.

^٥ حسين، بحث في نشأة الدولة، ٢٣٠-٢٣٣.

^٦ وعن النقود انظر: حسين، بحث في نشأة الدولة، ٢٧٢-٢٨٨.

^٧ حسين، بحث في نشأة الدولة، ٢٧٠-٢٧٢.

ملاحظته هذه بأن الدقة في التسلسل التاريخي في رواية الحديث توحى بوجود مثل هذه الوثائق. إن غياب المدونات (الوثائق المكتوبة) بسبب فقدانها أو تلفها أو ضياعها، لا يعني ذلك بالضرورة عدم وجودها، أو عدم معرفة المسلمين في بداية الدولة لها، فهناك إشارات قوية تدل على أنها كانت موجودة في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي، وربما يعود تاريخ بعضها إلى فترة الرسالة و صدر الإسلام والعهد الأموي، ومنها: المراسلات والعهود والمحالفات التي كتبها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والخلفاء الراشدون من بعده، والتي قام بجمعها "محمد حميد الله" في كتابه "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة"^(١).

ويؤكد ذلك ما ذكره حميد الله أن عمر بن الخطاب كانت عنده نسخ العهود والمواثيق ملء صندوق، لكنها احترقت حين أحرق الديوان يوم موقعة الجمام سنة (٨٢هـ / ٧٠١م)، ورغم ضياع أصول أكثر الوثائق، إلا أن رواة الحديث والمؤرخين حفظوا لنا عدداً كبيراً منها في المصادر الإسلامية، وقد أفرد لها حميد الله قائمة مفصلة^(٢)، بيّن فيها مضان هذه الوثائق في المصادر والمراجع المختلفة وأهمها: سيرة ابن هشام، وكتاب الخراج لأبي يوسف، والطبقات الكبرى لابن سعد، وفتوح البلدان للبلاذري، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام^(٣).

ويرى جيب أن نشاط التأليف الأدبي ازداد بشكل عام، في بداية القرن الثالث الهجري، بفضل اتساع النطاق المادي للحضارة وإنتاج الورق، حيث أنشئ أول مصنع له في بغداد سنة (١٧٨هـ / ٧٩٤م). ومن هذه الفترة وصلتنا أقدم المخطوطات للمؤلفات الأدبية، لكن هذه الممارسة لم تقض من فورها على عادة نقل مجموعات المواد عن طريق الرواة (الرواية الشفوية)، التي استمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجري^(٤).

ويستطرد جيب بقوله: وبناءً على ذلك فإنه من غير المؤكد كم من الرسائل (٢٣٠) المنسوبة لعلي بن محمد المدائني البصري (ت ٢٢٥هـ / ٨٤٠م) قد دونت فعلاً في حياته. ومن المرجح أن كثيراً منها عبارة عن نسخ منقحة بشكل طفيف عن مصنفات أبي عبيدة^(٥).

ويبين جيب أن الأهم من ذلك هي أعمال المدائني الكبيرة في تاريخ الخلافة، وتاريخ البصرة وخراسان، وتطبيقه أساليب النقد الدقيقة المستعملة في مدرسة الحديث المدنية على معظم الروايات

^١ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط/٤، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٤.

^٢ المرجع نفسه، ص ٦٤٧-٦٦٤.

^٣ حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٢٩.

^٤ H. A. R. Gibb Ency. Of Islam, suppl. P. 236.

^٥ Ibid., P. 236.

العراقية، مما أكسبه الشهرة والثقة فأصبحت كتبه المصدر الرئيسي لمصنفات العصر التالي، وأكد البحث الحديث دقته بشكل عام^(١)، يقصد بذلك دراسات المستشرقين دون توضيح.

إن ما طرحه جيب في الفقرة السابقة لا ينسجم مع الأسلوب العلمي لأنه افترض وشكك ورجح وأصدر حكماً دون إيراد دليل أو إثبات أو حتى إشارة، لذا سيجري توضيح هذه الأمور لبيان دقة ما ذهب له.

تزايد النشاط في التأليف الأدبي في بداية القرن الثالث الهجري نتيجة لعدة عوامل ظهرت في القرن الثاني الهجري أهمها: جهود فقهاء اللغة والإخباريين والنسابين الذين سبق الحديث عنهم وقيام الدولة العباسية (١٣٢هـ / ٧٤٩م)، وانتقال مركز الخلافة إلى العراق حيث أصبحت بغداد محط أنظار الفقهاء والعلماء والإخباريين، وكذلك سياسة الخلفاء العباسيين وجهودهم في التشجيع على التدوين وتقريبهم للعلماء، والتداخل بين العناصر والثقافات المختلفة في الدولة الجديدة.

كما ساهم في ذلك طبيعة الحياة في المجتمع العباسي خاصة العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٦م) وما اتسمت به من استقرار وازدهار مقارنة بالفترة الأموية التي شهدت حركة التوسع والفتوحات في الشرق والغرب، والحروب الداخلية لقمع الفتن وحركات المناوئين للحكم الأموي. يبدو أن جيب يحاول تأكيد فكرته باستمراره وهي تداول الرواية الشفوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري من خلال تشكيكه بتدوين الشطر الأكبر من المصنفات المنسوبة للمدائني في حياته، وأن العرب والمسلمين لم يستفيدوا من وجود صناعة الورق في بغداد سنة (١٧٨هـ / ٧٩٤م) أي قبل وفاة المدائني بحوالي (٥٠) سنة، مع أن انتشار الورق وتداوله ساهم في ازدياد التدوين والتصنيف وكثرة إنتاج الكتب^(٢). فقد عرف المسلمون منذ العهد الأموي صناعة الورق بأكثر من نوع منها المعروف بالقرطاس المصري (المصنوع من قصب البردي)^(٣)، والرق (المصنوع من الحرير الأبيض)، الذي كتبت فيه الروم^(٤).

واستبدل يوسف بن عمرو الحرير بنسيج القطن في صناعة الورق الدمشقي (سنة ٨٧هـ / ٧٠٦م) لأنه أقل كلفة وأكثر تلبية لحاجات الدواوين بعد تعريبها^(٥). وهناك الورق الخراساني الذي

^١ Ibid., P. 236 .

^٢ مصطفى، شاکر ، التاريخ العربي، ج/١، ص٦٩، ٧٣. العلي، الحركة الفكرية، ص٦٩. جورج عطية، سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم "٢٩٧" بعنوان "الكتاب في العالم الإسلامي"، ترجمة عبد الستار الطلوجي، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٣، ص١٠-١١.

^٣ ابن النديم، الفهرست، ج/١، ص٣٢. العلي، الحركة الفكرية، ص٥٥-٥٨.

^٤ ابن النديم، الفهرست، ج/١، ص٣٢. مصطفى، شاکر ، التاريخ العربي، ج/١، ص٧٠.

^٥ محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣م، ج٤، ص٢٢٢-٢٢٣.

يُصنع من الكتان ويقول ابن النديم: "ويقال أنه حدث أيام الأمويين، وقيل في الدولة العباسية، وقيل أنه قديم، وقيل أنه حديث، وقيل أن صناعاً من الصين عملوه في خراسان وأنواعه كثيرة"^(١). وأنشئت صناعة الورق المسمى بالكاغد من الخرق البالية في سمرقند/ خراسان سنة (١٣٣هـ/ ٧٥١م)^(٢) أو سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٨م)^(٣) ومنها انتقلت صناعته وتطورت وتعددت أنواعه وانتشرت في أرجاء البلاد الإسلامية.

ويصف عرفان شهيد تطوير العرب والمسلمين للورق باستخدام مواد وأساليب جديدة في صناعته بمثابة ثورة كالتي أحدثها يوهان جوتنبرغ في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر بأختراع الطباعة في أوروبا باستخدام الحروف المتفرقة وهذه الثورة لم يستطع ورق البردي أو الرق أن يحدثا مثلها^(٤).

إن صناعة الورق وأهميتها لدى العرب والمسلمين وآثارها في انتشار الكتابة والتدوين وتطور سائر المعارف والعلوم والأفكار وحفظها تتطلب بحثاً طويلاً شاملاً. لكن المجال هنا لا يتسع بأكثر من التنويه المقتضب الذي سلف والذي يبين أن العرب والمسلمين عرفوا صناعة الورق واستخدموه في التدوين والكتابة بفترة مبكرة ولو للأغراض الرسمية، وإن ما تم من تطوير لهذه الصناعة سنة (٨٧هـ/ ٧٠٦م) وإنشاء صناعته في سمرقند إلا مراحل لتحسين الإنتاج وتلبية حاجات تطور المجتمع الإسلامي حتى جاء إنشاء مصنع الورق في بغداد وما توفر له من إمكانيات وجهود الدولة الأمر الذي ساهم في كثرة إنتاج الورق واستعماله من قبل العامة والخاصة ودليل ذلك كثرة حوانيت الوراقين والقراطيس في أنحاء بغداد والعديد من مدن البلاد الإسلامية^(٥).

د: مدونات أبي عبيدة والمدائني

ويؤكد جيب استمرار تدوين المعلومات عن طريق الرواية الشفوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري رغم انتشار الورق في بغداد، والتساؤل المطروح حول عدد مصنفات المدائني التي دُوّنت في حياته، وأن كثيراً من هذه المصنفات كانت عبارة عن نسخ منقحة بشكل طفيف عن مصنفات أبي عبيدة (معمر بن المثنى)، حسب وجهة نظره، كل ذلك دونما دليل أو إشارة. ثم يعود ويذكر أهمية أعمال المدائني في التاريخ وأسلوبه في نقد مصادره الأمر الذي أكسبه الشهرة والثقة حتى أصبح مصدراً رئيساً لمن جاء بعده. إن هذا الطرح من جيب مبهم وغريب ويثير التساؤلات حول آرائه، ويصعب إثبات أو نفي صحة هذا الرأي إلا بعد جهد كبير.

^١ ابن النديم، الفهرست، ج/١، ص ٣٢.

^٢ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/١، ص ٧٢.

^٣ العلي، الحركة الفكرية، ص ٦١-٦٣.

^٤ عطية، الكتاب في العالم الإسلامي، ص ١٠-١١.

^٥ محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٢٢-٢٢٣.

يعتبر المدائني، علي بن محمد بن عبد الله البصري (ت ٢٢٥هـ/٨٣٩م) شيخ الإخباريين واشتهر بالتاريخ والأدب^(١)، وقائمة مصنفاته طويلة تربو على (٢٤٠) مصنف^(٢)، قسمها مرغوليوث إلى (٩) مجموعات تناول فيها أخبار النبي، (صلى الله عليه وسلم)، أخبار قريش، وأخبار الأشراف والنساء، وأخبار الخلفاء وأهمها كتاب أخبار الخلفاء من أبي بكر حتى المعتصم، وأخبار الفتوح، وأخبار العرب وأنسابهم، ورسائل صغيرة عالج فيها مواضيع رئيسية، ومصنفات عن مكة والمدينة، البصرة وغيرها^(٣).

وصفه الخطيب البغدادي بأنه: "كان عالماً بأيام الناس وأخبار العرب وأنسابهم، والفتوح والمغازي، وراوية للشعر صدوقاً في ذلك"^(٤). استفاد المدائني من مصنفات سابقه، وتوسع في جمع وتنظيم الروايات بطريقة أشمل وأوفى، وأضاف لها أبحاثه الخاصة^(٥) وأتجه نحو التخصص والإحاطة بالتفاصيل وكان هذا تطوراً في الرواية التاريخية^(٦). واتبع أسلوب المحدثين في نقده للروايات، وأحياناً يذكر الإسناد كاملاً، وأحياناً يختصر على المصدر المباشر^(٧).

حاز المدائني على ثقة المحدثين أكثر من أسلافه الإخباريين^(٨) لذلك أصبحت أعماله مرجعاً كبيراً لمن جاء بعده، وشهد له بذلك عدد كبير من العلماء المسلمين، وكان يهتم بالإطار التاريخي أكثر من الإطار اللغوي ورونق الكلام^(٩). وهو يمثل مرحلة انتقالية من الرواية المفردة إلى الكتاب المُطرد^(١٠). ووصلنا من مصنفاته كتاب "المتردفات من قريش"، و"كتاب التعازي"، و"كتاب الفرج بعد الشدة"، و"كتاب الختم والرسائل"، و"كتاب السمير"، و"كتاب الجوابات"^(١١)، و"كتاب نسب قريش

^١ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين، ص ٩٩. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٥.

^٢ ابن النديم، الفهرست، ج/١، ص ١٧٧-١٨٦. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢٤٠. مصطفى، شاعر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٨٦.

^٣ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين، ص ١٠٠-١٠٤، أورسولا سزجين (Ursula Sezgin)، موجز دائرة المعارف، ط/٢، ج/٢٨، مادة المدائني، ص ٨٦٤٣-٧٦٤٤. مصطفى، شاعر، التاريخ العربي، ج/١، ص ١٨٦-١٨٨. أنظر: ياقوت، معجم الأدباء، ج/٥، ص ٣٠٩.

^٤ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج، ١، ص ٥١٢

^٥ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٥.

^٦ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٠٠.

^٧ أورسولا سزجين، موجز دائرة المعارف، ط، ٢، ج ٢٨، ص ٨٦٤٤-٨٦٤٥.

^٨ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٦.

^٩ أورسولا سزجين، موجز دائرة المعارف، ط، ٢، ج ٢٨، ص ٨٦٤٤-٨٦٤٥.

^{١٠} مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٠٤.

^{١١} أورسولا سزجين، موجز دائرة المعارف، ط، ٢، ج ٢٨، ص ٨٦٤٥.

وأخبارها" (١).

إن ما طرحه جيب حول مصنفات المدائني - ما تم تدوينه منها في حياته، وأن كثيراً منها عبارة عن نسخ مُنقحة بشكل طفيف عن مصنفات أبي عبيدة - دون دليل لا يمكن الأخذ به، لأنه يحتمل النفي أو الإثبات فيما لو وصلتنا مصنفات الاثنين، وقوله هو بمثابة تأكيد لوجهة نظره بأن نقل وتداول المعلومات استمر حتى نهاية القرن الثالث الهجري معتمداً على الروايات الشفوية رغم إنشاء مصنع الورق في بغداد سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م) (٢).

ولمناقشته هذا الطرح أو التعليق عليه لبيان مدى صحته، فإن هذا يتطلب تتبع آثار كل من المدائني وأبي عبيدة في المصادر التي جاءت من بعدهما وأخذت عنهما ومن ثم دراستها ومقارنتها مع بعضها (سيما وأن مصنفاتهما لم تصلنا). وهذا يحتاج دراسة مستقلة والجهد والوقت اللازمين لها. ولعل في المقارنة الموجزة التالية بعض الضوء للإجابة على هذا الطرح.

فقد صنف ابن النديم المدائني ضمن مجموعة الإخباريين، وذكر أسماء وعناوين المصنفات المنسوبة له وبلغ تعدادها (٢٤٥) كتاباً، تناول الثلث الأول منها أخبار النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأخبار قريش، ومناكح الأشراف والنساء، وفي الثلث الثاني أخبار الخلفاء، وأخبار الحوادث، وأخبار الفتوحات، وأخبار العرب، وفي الثلث الأخير أخبار الشعراء ومواضيع متفرقة مثل الخوارج، والقضاة وبعض المدن (٣)، واتبع أسلوب الإخباريين ومنهج المحدثين في نقد رواياته، وأخذ كثيراً من الروايات المدنية (٤).

بينما صنف ابن النديم أبا عبيدة معمر بن المثنى ضمن مجموعة اللغويين، وذكر أسماء وعناوين الكتب المنسوبة له وبلغ تعدادها (١٠٨) كتاب، كتب في أكثر من نصفها في اللغة والأدب، وفي النصف الآخر صنف في مواضيع: المثالب والمآثر، وأخبار الفتوح وأيام العرب وأخبارها وفي مواضيع أخرى مثل الحديث والقرآن والشعر، والموالي، والأحزاب، والقضاة ومواضيع متفرقة (٥). واتبع أسلوب ومنهج ومنهج اللغويين، واعتمده اللغويون فيما روى وكتب (٦).

ووصلنا من مصنفات المدائني (٧) سبعة تمت الإشارة إليها بينما وصلت من مصنفات أبي

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٥. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج ١، ص ١٨٨.

^٢ سيتم الحديث عن الرواية الشفوية والتدوين المبكر فيما بعد.

^٣ ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ١٧٧-١٨٦.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٥-٤٦. مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين، ص ٩٩-١٠٠. أورسولا سيزجين، موجز دائرة المعارف، ج ٢٨، ص ٨٦٤.

^٥ ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ٨٦-٨٩.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٥٠-٥١. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج ١، ص ١٩٩.

عبيدة (٣) ثلاثة مطبوعة هي: "مجاز القرآن"، و"كتاب النقائص"، و"كتاب العفة"، وثلاثة ما زالت مخطوطة هي: "غريب القرآن"، "إعراب القرآن"، و"الشعر والشعراء" (١).

وأصبح كلاً من المدائني وأبي عبيدة من المصادر الأساسية لمن جاء بعدهما (٢)، من المؤرخين، ومن أبرز هذه المصادر وأهمها على سبيل المثال الطبري في تاريخه. ومن خلال دراسة كتاب الطبري نجد أنه أخذ من مصنفات المدائني أكثر من (٣٠٠) رواية في الحوادث التاريخية ما بين السنوات ١١ هجري إلى ١٩٨ هجري بشكل متسلسل تقريباً (٣)، بينما أخذ من مصنفات أبي عبيدة حوالي (٥٠) خمسين رواية بعضها عن فترة ما قبل الإسلام والبعض الآخر عن حوادث تاريخية ما بين سنتي ٤٠-١٤٥ هجرية وبشكل غير متسلسل (٤).

يتضح من خلال ما تقدم أن رأي جيب حول مصنفات المدائني كان بعيداً عن الواقع، وأنه ربما بنى رأيه على قول بلاشير: "إن العلماء الذين أعقبوا ابن الكلبي وأبا عبيدة أتوا بتواضع أبحاث أسلافهم ... وفي إمكاننا أن نفرّد عن مؤلفات المدائني عدداً من الدراسات الأحادية التي يستدل من عنوانها على أنها مجموعات نواذر ماثورة عن الشعراء" (٥). وقد أثبتت الدراسة أنه يستدل من العناوين غير ذلك.

ونرى بلاشير يمتدح جيل أبي عبيدة، والأصمعي، وابن الكلبي وابن كناسة الكوفي (ت ٢٠٧/هـ ٨٢٢م)، والهيثم بن عدي، وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥/هـ ٨٣٦م) بقوله: "إن الثقة بهؤلاء مطلقة تقريباً" (٦). علماً بأنه كان معاصراً لجميع هؤلاء وأغزرهم تصنيفاً، واشتهر بنقده لمصادره خاصة خاصة الروايات العراقية وصدقه في الرواية وتطبيقه لمنهج مدرسة أهل الحديث المدنية.

هـ: الرواية الشفوية والتدوين المبكر عند جيب والمستشرقين

يؤكد جيب على الرغم من ظهور الورق في بغداد سنة (١٧٨/هـ ٧٩٤م) فإن ذلك لم يقض من فوره على عادة نقل مجموعات المواد بواسطة الرواة حتى نهاية القرن الثالث الهجري (٧). وهذا ليس من الغريب استمرار الرواية الشفوية حتى تلك الفترة وما بعدها لكن في نواحي محددة كحلقات العلم مثل حفظ القرآن وتلاوته، وشرح الآيات وتفسيرها، وشرح الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية وأحكام

^١ ابن النديم، الفهرست، ج/١، ص ٨٦-٨٩.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٦، ٥١. روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٠٠. مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٩٩. أورسولا سيزجين، موجز دائرة المعارف، ج ١، ص ٨٦٤٣-٨٦٤٤.

^٣ الطبري، تاريخ، م ٣، ٢٤٠-٢٤٢، م ٤، ٨٩، ١٥٣. م ٥، ٦٣، ٩٢.

^٤ الطبري، تاريخ، أنظر م ٢، ١٩٣، م ٥، ٢٣٨، ١٤٢، م ٦، ٤٨، ٣٩٠، م ٧، ١٥١، ١٣٠، ١٦٢.

^٥ بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ١٤٥.

^٦ بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ١٤٦.

^٧ H. A. R. Gibb, Ency. Of Islamic, suppl. P. 236.

العبادات وما شابه ذلك.

أما قول جيب باستمرار حفظ المعلومات بالتداول الشفوي حتى نهاية القرن ومن ثم حفظها بالتدوين بعد هذه الفترة فهو أمر مبالغ فيه وغير دقيق لا سيما وأن جيب لم يوضح ذلك أو يقدم دليلاً عليه، وهذا القول يحمل في ثناياه التشكيك وعدم الثقة في صحة ودقة المعلومات المدونة فيما بعد، لأن الرواية الشفوية يشوبها الكثير من المآخذ والطعون من حيث الصحة والدقة واحتمالات النسيان أو الزيادة أو الحذف إضافة إلى الميول والأهواء.

كما أن هذا التشكيك الذي يُوجّهه جيب إلى مصادر التاريخ الإسلامي، الذي انبثق عن علم الحديث النبوي، وسيرة ومغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهذه مسألة كبيرة لها أبعاد عدة تؤثر بشكل سلبي على مصداقية مصادر معلومات التاريخ العربي الإسلامي، التي وجدت في مراحل التكوين الأولى للأمة، وكانت بدايات التدوين عند العرب، الأساس لما بُني عليه فيما بعد، وتأثير ذلك يمس بشكل مباشر التاريخ الإسلامي وبالتالي الدين الإسلامي وهذا شيء على درجة كبيرة من الخطورة. مع العلم أن غالبية من صنف في التاريخ خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى كانوا من الفقهاء والمحدثين، وهناك إشارات كثيرة وقوية تدل على وجود تدوين مبكر عند العرب.

إن الحديث عن الرواية الشفوية والتدوين المبكر من المواضيع الخلافية، لأن الغموض لا يزال يُحيط ببدايات التدوين التاريخي عند العرب وتطوره خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، ورغم الدراسات الكثيرة حول هذا الموضوع في الفترة الأخيرة، معظمها قام بها المستشرقون ما بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، إلا أن الآراء الناتجة عن هذه الدراسات لا تزال مختلفة متضاربة، وهناك ملاحظة لافتة للنظر وهي الإصرار على مفهوم خاطئ يقول بأن الرواية لم تكن إلا شفوية^(١)، يُمكن أن يُعزى هذا الغموض لعاملين أساسيين هما: الدراسات الاستشراقية وما يتصل بها، وبعض المصادر الإسلامية التي أشارت لهذا الموضوع، وسنعرض أولاً لعدد من الدراسات الاستشراقية.

إن رأي جيب في استمرار الرواية الشفوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري من النقاط الرئيسية والهامة في دراسته لتطور الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب والمسلمين لما يترتب عليه من آثار ونتائج تؤدي إلى استمرار الغموض والتباين في الآراء سيما وأن عدد من الدراسات الحديثة والمعاصرة تأخذ بهذا الرأي على أنه من المسلمات. ولأهمية هذه المسألة سيتم معالجتها من خلال إلقاء الضوء على عدد من دراسات المستشرقين التي تناولت هذه النقطة، ومن ثم ذكر عدد من المصادر والدراسات التي

^١ فؤاد سيزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، المجلد الأول، ج٢، بعنوان "التدوين التاريخي"، الرياض، ١٩٩١، ص٣.

أشارت للمدونات المبكرة، وأخيراً بيان أهم ما جاء في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي حول نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن التدوين (المقصود تدوين الحديث النبوي في حالتي النهي والإباحة) في بادئ الأمر وإباحته لتقييد العلم فيما بعد.

تناول عدد من المستشرقين موضوع الرواية الشفوية، فقد أثبت ريجس، شبرنجر (R. Sprenger) في دراسته حياة محمد^(١) (صلى الله عليه وسلم) عدم صحة الفكرة القائلة بأن الحديث كان يتداول أساساً بالرواية الشفوية، وعبر عن ذلك بوضوح في أن المادة التي وردت في المصادر إنما هي مشفوعة بالأسانيد، ويدلل على ذلك بمثال أن الطبري كان ينقل مقتبساته ويأخذها بنصها^(٢).

وهذا يؤكد ما توصل له من قبله هوروفتس في دراسته عن المغازي الأولى ومؤلفيها، والذي يُعدُّ أول من تناول هذا الموضوع في العصر الحديث^(٣). وأحسن ما كُتب فيه^(٤)، ويستند هوروفتس في رأيه إلى أن الكتب التي وصلتنا إنما تضم كُتباً سبقتها حول حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذكرتها المصادر، وقام بإعادة بناء هذه الكتب بناءً على الكتب الأقدم منها اعتماداً على بقاياها الموجودة في المصادر المتأخرة عنها وتبدو فيها كأنها روايات شفوية^(٥).

بينما يعارض المستشرق جولدزيهر، هذه الفكرة بقوله أن الأحاديث النبوية استمر تداولها شفويةً لما بعد القرن الثالث الهجري^(٦)، ما خلا إشارة بسيطة للتدوين في هذا القرن (الثالث الهجري) وهي أن العلماء الثلاثة المتعاصرين البخاري، ومسلم، وأبا علي البصري، كانوا يفضلون الرجال الذين يتعلمون من الكتب^(٧). وهو يذهب إلى أبعد من ذلك محاولاً التأكيد أن تداول وحفظ الأحاديث استمر حتى القرن السادس الهجري من خلال أمثلة لأقوال بعض العلماء والفقهاء وتأكيدهم على الحفظ الشفوي أكثر من الكتابة منهم أبو سعيد عبد الرحمن دوست (ت ٣٥٩هـ / ٩٧٠م)، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م). ويوافق في رأيه هذا سوفاجيه (Sauvaget) الذي يرى أن كل مواد الكتب التي وصلت إلينا (عن القرون الأولى)، إنما هي من مصادر شفوية^(٨). ويذكر جولدزيهر أن ما أشار له شبرنجر من التدوين

^١ شبرنجر، حياة محمد، المقدمة، ج ٣، ص ١٠٠، نقلاً عن سيزكين، تاريخ التراث العربي، م ١، ج ٢، ص ٣.

^٢ سيزكين، تاريخ التراث العربي، مجلد ١، ج ٢، ص ٣.

^٣ Horovitz, Josef, The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors, Islamic Culture, Vol.1, 1927, Vol ,2, 1928.

^٤ هوروفتس، المغازي الأولى، المقدمة، ص (ي، ك).

^٥ سيزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، ج ٢، ص ٤.

^٦ Goldziher, Muslim Studies, Vol.2, p. p. 225-226.

^٧ Ibid., Vol .2 p. p. 185-187

^٨ Ibid , Vol.2 p. p. 185-187.

القديم للحديث النبوي، وعدد الصحائف والكتب بأنها وثائق مدونة من القرن الأول الهجري هي بدون معنى^(١).

في حين كان لباريه (R. Paret)^(٢) موقف غير واضح حيث يذكر أن الطبري استمد مادته عن طريق الرواية الشفوية... ويضيف... وأفاد الطبري أيضاً من كتب غيره مثل: أبي مخنف، وعمر بن شبة، ونصر بن مزاحم، وسيرة ابن اسحاق، والواقدي، وابن سعد، ومحمد الكلبي وابنه هشام من بعده، والمدائني، وسيف بن عمر، وابن طيفور وغير ذلك من الكتب مثل "خداي نامه" الذي ترجمه ابن المقفع^(٣).

وكذلك كان للمستشرق ريجس بلاشير (R. Blachere) أيضاً موقف غير واضح، فهو ابتداءً يذكر اهتمام العرب بتدوين الأخبار والأنساب والأشعار بوقت مبكر وأن فكرة تدوين الشعر لغايات حفظه قديمة عند العرب منذ الجاهلية، وهو يذكر ما قام به النعمان بن المنذر ملك الحيرة (ت ٦٠٢م) من جمعه لأشعار العرب وتدوينها ودفنها تحت قصره الأبيض. حتى جاء المختار بن أبي عبيد الثقفي وأخرجها فيما بعد^(٤).

وظهر اهتمام العرب بجمع الأخبار والأنساب والأشعار في صدر الإسلام ما بين ٣٠-٣٥ هجري، ومع بدايات العصر الأموي حيث صنف زياد بن أبيه (ت ٥٦هـ/٦٧٥م) كتابه "المثالب". وكان لمجالس الخليفة معاوية بن أبي سفيان دور هام في التدوين المبكر فقد كان يأمر كتبته بتدوين محاوراته مع عبيد بن شريه الجرهمي (ت ٦٠هـ/٩٨٠م) وغيره عن أخبار العرب والأمم السابقة^(٥).

ويذكر بلاشير عدة إشارات عن التدوين المبكر منها: قصيدة أعشى همدان (ت ٦٤هـ/٦٧١م) وديوان الشاعر أبي جلدو اليشكري الذي عُثر عليه في كرمان سنة (٨٠هـ/٧٨٤م) وكذلك آثار الشاعر

^١ Ibid., Vol.2, p. 24.

^٢ محرر مادة الطبري في دائرة المعارف الإسلامية.

^٣ باريه، رودي (Rudi Paret)، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد/١٥، "مادة الطبري"، ص ٦٧-٧١.

^٤ بلاشير ريجس، (Blachere, Regis)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، ط ٢، دمشق، ١٩٨٤، ص ١١٩-١٢٠، ١٢٢.

^٥ بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ١١٩، ١٢٠. أنظر: حول مجالس معاوية بن أبي سفيان وعبيد بن شريه الجرهمي، والنسابة دغفل بن حنظله السدوسي (ت ٧٠هـ/ ٦٩٠م)، وكتابه "التظافر والتناصر" ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٣٤. ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ١٥٧-١٥٨، الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٢١، ٢٤٧، ج ٢، ص ٨٠، ٣٥٣. رتر (H. Ritter)، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١٤، ص ٣٢٠-٣٢٣. حسين نصار، التدوين التاريخي عند العرب، ص ٢٢-٢٥. طريف الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب، ص ١٠٢-١٠٤. هرنشو، علم التاريخ، ص ٥٤-٥٥، (فصل اضافته للترجمة العربية عبد الحميد العبادي)، هورفتس، موجز دائرة المعارف، ج ١٦، ص ٤٤٨٢-٤٤٨٣.

الأموي عمر بن أبي ربيعة كانت مدونة (١٠١هـ/٧١٩م)، كما تولى الخطاط خالد بن أبي الهيثم كتابة المصاحف والأخبار والأشعار في زمن خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م)، وغير ذلك^(١).

ويضيف بلاشير أنه برزَ في السنوات الأخيرة من القرن الأول الهجري/ أوائل القرن الثامن الميلادي حادثان ذوا أهمية كبرى: انتشار تدوين الشعر وظهور نوع جديد من الرواة في العراق... فكان ظهور شاعر كبير في القبيلة مدعاة للفخر، وكان الاحتفاظ بآثاره شيء تفرضه نزعة التفاخر في القبيلة. وضياح ذلك التراث يمس شرف القبيلة، وهذا ما يفسر جزع الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ/٧١٤م) عند وفاة شاعر القبيلة. ومثل هذه الحوادث دفع باتجاه تدوين القصائد والأخبار المتعلقة بالقبيلة وعدم الاعتماد على النقول الشفوية^(٢).

ويؤكد بلاشير أن الإخباري عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ/٧٦٤م) كان أعمى وأملى كتابيه المنسويين إليه إملاءً^(٣). بينما نراه يشكك في أن الشعراء الكبار والذين كانوا يعرفون الكتابة مثل خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م)، والمفضل الضبي (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)، وحتى ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) تلميذ المفضل الضبي كانوا يروون الشعر شفويًا^(٤). مع أنه يمتدح عمل ابن الأعرابي في موقع آخر بقوله: "وما أكثر ما نحن مدينون به لعالم كوفي كابن الأعرابي حتى أنه يصعب تحديد مقدار هذا الدين حيث أن هذا العالم لم يترك أي أثر مكتوب"^(٥).

وبالمقابل يذكر الدوري أنه توجد لدينا أدلة وافية على استعمال الكتابة لإعانة الذاكرة أو لحفظ الروايات قبل نهاية القرن الأول الهجري وخلال النصف الأول للقرن الثاني الهجري، وهكذا بدأ ظهور روايات مسجلة إلى جانب الروايات الشفوية^(٦). وفي مطلع القرن الثاني الهجري ظهرت أسماء شيوخ ورواة متضلعين بأنساب قبائلهم ومآثرها ووجدت كتب تحوي أنساباً وأشعاراً وربما أخباراً لبعض القبائل. وكانت هذه الكتب قد جمعت من قبل رواة لكنها كانت تعد ملكاً مشتركاً للقبيلة. فالشاعر الطرماح (ت ١٠٥هـ/٧٢٤م) ذكر كتاب قبيلة تميم، وحماد الراوية كانت لديه كتب قريش وثقيف^(٧).

^١ بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ١٢٢-١٢٣.

^٢ بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ١٢١.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٢٤-١٢٦.

^٤ المرجع نفسه، ص ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧.

^٥ المرجع نفسه، ص ١٤٥.

^٦ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٣٣.

^٧ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٣٣-١٣٤. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، ط ٨، (د.ت)، القاهرة، ص ٤٥٢.

وعن هؤلاء الرواة وفي هذه الكتب توافرت مادة تاريخية للمؤرخين فيما بعد وحوالي منتصف القرن الثاني الهجري نجد رواة وإخباريين ونسابين ولغويين خَلَفُوا مؤلفات تاريخية وثروة من الروايات التاريخية ومواد في الشعر والأخبار والأنساب والحديث مثل أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، وحماد الراوية (ت ١٥٥هـ/ ٧٧١ م) وغيرهم. وكانت مصادرهم رواة القبائل وكتبها بالدرجة الأولى، كما أنهم استعانوا بالكتابة لحفظ بعض إنتاجهم^(١). وفي الفترة نفسها وبعدها بقليل ظهر الإخباريون الكبار (المؤرخين الأولين) مثل أبو مخنف، وعوانة بن الحكم، وسيف بن عمر، وشيخ الإخباريين المدائني^(٢). تم فيما مضى استعراض لعدد من الدراسات والآراء لمستشرقين معاصرين لجيب، والتي تناولت كيفية استمرار تناقل وتداول معلومات ومواد التراث الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وهل كان ذلك بالرواية الشفوية كما يقول جيب؟ أم كان من خلال مدونات يجري انتقالها وتداولها من جيل لآخر؟.

وكانت خلاصة الآراء الناتجة عن الدراسات أعلاه بين مؤيد لوجود التدوين المبكر عند العرب منذ القرن الأول الهجري مثل: شبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣)، وهوروفتس (١٨٧٤-١٩٣١)، وبين من ينفي وجود التدوين ويقول باستمرار الرواية الشفوية مثل: جولدزيهر (١٨٥٠-١٩٢١)، وسوفاجيه (١٩٠١-١٩٥٠)، وبين ممن لهم موقف غير واضح مثل: بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٣)، ورودي باريه (١٩٠١-١٩٨٣) في حين يؤيد فؤاد سيزكين وجود التدوين المبكر. ومن اللافت للنظر أن هؤلاء المستشرقين اعتمدوا على المصادر الإسلامية نفسها، ولكن كان لكل منهم وجهة نظر عكست إما حياده العلمي أو ميله الشخصي وتفسير المعطيات بإسفاف وتعنت ينم عن حقد أو كراهية، وهذا غير مقبول لا من ناحية منهج البحث العلمي ولا يتفق مع سلوك العلماء، كما وصف جولدزيهر دراسة شبرنجر "بأنها ليست ذات معنى"^(٣).

و: إشارات وجود التدوين المبكر في المصادر الإسلامية.

ومما يُضَعِّف رأي جيب السابق حول الروايات الشفوية وجود إشارات كثيرة في المصادر والمراجع تؤكد وجود المدونات في صدر الإسلام مثل: مدونات الحسن البصري (٢١-١١٠هـ/ ٦٤٢-٧٢٨م)، والزهرري^(٤). وذكر الجاحظ أربعة عشر عالماً صنّفوا كتباً في الأنساب عاش معظمهم قبيل

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٣٤.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٣٥.

^٣ انظر: Goldziher. Muslim Studies, Vol 2, P.24.

^٤ رتر (H.Ritter)، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١٤، ص ٣٢٠-٣٢٣، "مادة الحسن البصري". هوروفتس، موجز موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٦، ص ٤٨٨٢-٤٨٨٦، "مادة الزهرري". أنظر أيضاً: سيزكين، تاريخ التراث

الإسلام أو وقت ظهوره^(١). وشهد العصر الأموي في بدايته تركيزاً على الأنساب والتاريخ القديم^(٢) ثم وجدت ظاهرة الاهتمام بالأدب والنواحي الفكرية المختلفة وجمع الأشعار والأخبار التاريخية والسير والمغازي والأحاديث في نفس الفترة، ولم يكن هذا لعوامل دينية إنما بتشجيع الحكام الأمويين بسبب الروح الدنيوية لهم حسب تفسير جولدزيهر^(٣). وهذا يؤشر لوجود التأليف في المجالات الدينية والدنيوية في آن معاً.

ربما كان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أول من أمر بالتدوين بمعناه الواسع فقد أمر عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٠-١٣٥هـ/٧٤٧-٧٥٢م) في رسالة وجهها إليه قوله: "أنظر ما كان من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتبه، فإني خفتُ دُروس العلم وذهاب أهله"^(٤). كما أمر محمد بن شهاب الزهري نحو ذلك^(٥).

وهناك مصنفات الزهري، وابن إسحاق و "المغازي" لأبي معشر نجيب بن عبد الرحمن (ت ١٧٠هـ/٧٨٧م)، الذي حفظ لنا الواقدي وابن سعد عدة فقرات منه، وكان من أسانيد أبي معشر نافع مولى ابن عمر ومحمد بن كعب القرطبي وغيرهما من علماء المدينة، كما أن الطبري استمد منه معلومات عن تاريخ التوراة وتاريخ النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٦).

وكذلك مصنفات الخوارزمي، محمد بن موسى توفي ما بين (٢٢٠-٢٣٠هـ/٨٣٥-٨٤٤م) وعاش في عهد الخليفة المأمون، ولقبه الطبري بالمجوسي والقطرلي نسبة إلى "قطرل" وهي ناحية غربي دجلة بالقرب من بغداد وأهم مصنفاته: كتاب "التاريخ" و"حساب الجبر والمقابلة" ويتضمن عمليات في حساب التفاضل والتكامل، و"كتاب حساب الهند" أو "كتاب الجمع والتفريق"، وكتاب "السند هند الكبير في الزيج" وهو يشتمل على جداول علم الفلك النظري وحساب المثلثات وجيب الزاوية (Sine)^(٧). وهذه المصنفات بالذات لا يمكن أن يتم تداولها شفويّاً رغم أن كاتبها عاش في النصف

العربي، مجلد ١، ج ٢، ص ٦. حسين نصار، التدوين التاريخي عند العرب، ص ٢٢-٢٥. طريف الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب، ص ١٠٢-١٠٤. هرتشو، علم التاريخ، ص ٥٤-٥٥. هوروفتس، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٦، ص ٤٨٨٢-٤٨٨٦.

^١ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥ هـ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البالي، مصر ١٩٣٨م، ج ٣، ص ٢٠٩-٢١٠.

^٢ Goldziher, Muslim. Studies, Vol.1, p. 172.

^٣ Goldziher Muslim Studies., Vol.2, p. 189-190.

^٤ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٣٦.

^٥ المرجع نفسه، ص ٦٤.

^٦ هوروفتس ووزنتال، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١، ص ٦١٢، "مادة أبو معشر".

^٧ فيدمان (E. Wiedman)، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٤، ص ٤٣١١-٤٣١٧، "مادة الخوارزمي".

الثاني من القرن الثاني الهجري والرابع الأول من القرن الثالث الهجري، كما أن مواضيعها تُلفت النظر إلى ما صنّفه أبو الريحان البيروني بعد حوالي ثلاثة قرون.

وهذه مجرد إشارات وأمثلة لا يتسع المقام لذكر أكثر منها، ويعتقد الباحث أن هناك العديد من المصنفات المدونة تعود لفترة مبكرة، لكن لم يتم العثور عليها أو الكشف عنها بعد مثل كتاب المغازي الذي صنّفه وهب بن منبه (ت ١١٠هـ /) وكان يُعتقد أنه مفقود حتى عثر بيكر (C. H. Becker) على مجلد بين مجموعة أوراق بردي شُت رينهاردت (Shott- Reinhardt) في هيدلبرج يحوي قطعة من مغازي وهب بن منبه وتاريخ نسخها عام ٢٢٨هـ وهي ليست بعد وفاة وهب بأكثر من مئة عام^(١).

ومما يؤكد وجود التدوين منذ فترة الرسالة من خلال دراسة الأحاديث النبوية التي نصت على النهي عن التدوين في البداية ومن ثم الإذن والسماح في إباحة التدوين في الفترة الأخيرة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن أهم المصادر الإسلامية التي عالجت موضوع التدوين المبكر كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله^(٢) وهو مصنف جامع لكل ما يتصل بالعلم والعلماء بشكل عام، وتقييد العلم وتدوينه والأحكام الفقهية حول ذلك.

والمصدر الآخر هو الخطيب البغدادي في كتابه تقييد العلم^(٣) والذي اقتصره على جمع الأحاديث النبوية والروايات المتعلقة بالنهي والإذن في التدوين وبيان أسباب المنع والإباحة، كما أنه منظم بطريقة أفضل من معاصره ابن عبد البر لذلك تم اعتماده كأساس لمعالجة هذه النقطة، والإشارة لما هو مشترك مع ابن عبد البر.

لقد اشتهر بين عامة الناس وكثير من الخاصة أن الحديث النبوي ظلّ برهَةً من الزمن يتناقله الحَفَظَةُ والعلماء دون أن يكتبوه، واستمر هذا الظن سائداً حتى جاء الخطيب البغدادي فنتبع هذه المسألة وجمع كتابه تقييد العلم. أما سبب هذا الظن، فهو خطأ في تأويل ما ورد عن المحدثين في تدوين الحديث وتصنيفه، فقد ذكروا أن أول من دون العلم (الحديث) هو ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ أو ١٢٥هـ /)، ولم يُعْطِ العلماء قبل الخطيب البغدادي هذه الأقوال حقها في التأويل العميق، بل رَوَوْا هذه الأقوال

^١ هوروفتس، المغازي الأولى، ص ٣٤-٣٥. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٠.

^٢ ابن عبد البر، أبو يوسف النمري القرطبي الأندلسي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١ م)، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، جزئين.

^٣ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١ م)، تقييد العلم، تحقيق الداني بن فيدال زهوي، المكتبة العصرية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١.

وتناقلوها بشكل يوهم أن ابن شهاب أول من دَوَّن الحديث وكتبه^(١).

وغلبت هذه الفكرة على أصحاب الكتب الجامعة مثل الإمام الذهبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والمقريري وغيرهم، فكانوا يؤيدونها رغم أنهم كانوا يجدون لها نقيضاً، ويذكرون أن من جاء بعد الصحابة والتابعين كانوا يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة كُتبت في عصر الصحابة والتابعين^(٢). ونستنتج من ذلك أنه كان هناك تدوين قبل الزهري بوقت مبكر.

وجاء في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وحاول أن يُثبت أن تقييد العلم كان موجوداً في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفي عصر الصحابة والتابعين، فقام بجمع الأحاديث النبوية والأخبار والروايات التي لها صلة بنشأة تقييد العلم وكان ما جمعه أكثر ممن سبقه، ووجد أنها تنتظم في مجموعتين متضادتين، بعضها يُشير إلى جواز كتابة الحديث والإقبال عليه، والبعض الآخر يُظهر خلاف ذلك، وهذا ما وجدته من سبقه. لكنه وجد فيها شيئاً جديداً وهو أن بعضها يتضمن الإشارة إلى سبب كراهة الكتابة فأفرد لها باباً لإزالة الخلاف ورفع التناقض^(٣).

فقد أفرد البغدادي باباً أسماه "باب نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الكتاب" أورد فيه ١٨ رواية تتضمن أحاديث نبوية في معنى النهي عن كتابة أي شيء سوى القرآن وأهمها الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب غير القرآن فليمحه"^(٤). ثم بيّن في الباب الثاني الأحاديث الموقوفة عن الصحابة مثل أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجميعها تؤكد على النهي عن كتابة الحديث والحض على الحفظ بالسماع دون الكتابة^(٥).

وخصص الباب الثالث لعرض الروايات عن التابعين التي تؤكد النهي عن الكتابة^(٦)، وتناول في الباب الرابع ما رُوِيَ من الأخبار والآثار عن الصحابة والتابعين في كراهة كتابة الحديث والنهي

^١ الزهراني، محمد بن مطر، تدوين السنة النبوية، نشأته وتطوره من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري، دار الهجرة، (د/ط)، الرياض، ١٩٩٦، تدوين السنة النبوية، ص ٥. أنظر: الخطيب البغدادي، تقييد العلم، مقدمة المحقق، ص ٢٢.

^٢ الزهراني، تدوين السنة النبوية، ص ٦٦.

^٣ المرجع نفسه، ص ٦٧.

^٤ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٣٠. أنظر أيضاً: ابن عبد البر، جامع بيان العلم، "باب ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف"، ص ٦٣-٧٠.

^٥ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٣٧-٤٥.

^٦ المصدر نفسه، ص ٤٦-٤٩. أنظر: أبو زهو محمد محمد، مكانة السنة في الإسلام، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٨٤، ص ٢٦-٢٨.

عنها مع بيان ووصف العلة (السبب) في الكراهة وذلك مخافة أن يختلط بنصوص القرآن وهذا أدى إلى أن من كان لديه كتاب مكتوب إما حرقه أو مزقه أو محاه (١).

وفي هذا السياق يذكر الزهري أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) أمر بحرق كتاب في المغازي وجدده بيد أحد أبنائه، لأن ابنه كان يميل إلى مطالعته أكثر من قراءة القرآن (٢). وتتضمن هذه الحادثة إشارتين: الأولى تؤكد الحرص والخوف من اختلاط نصوص الكتب بالقرآن، والثانية أن كتب المغازي كانت متداولة ومنتشرة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وهي تأكيد للتدوين المبكر.

ويُفسر البغدادي الأسباب بقوله: "فقد ثبت أن كراهة من كره الكتابة من الصدر الأول، إنما هي لئلا يُضاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يُشغَلَ عن القرآن بسواه، ونُهي عن الكتب القديمة أن تُتخذ، لأنه لا يُعرف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها ... ونُهي عن كتب العلم في صدر الإسلام وجدته لقلّة الفقهاء في ذلك الوقت والمُميز بين الوحي وغيره، لأن أكثر الفقهاء لم يكونوا فقهوا في الدين ... فلم يُؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن (٣).

ويضيف البغدادي سبباً آخر وهو الخوف من الاتكال على الكتاب وترك الحفظ بقوله: "وأمر الناس بحفظ السنن، إذ الإسناد قريب، والعهدُ غير بعيد، ونُهي عن الاتكال على الكتاب، لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ حتى يكاد يبطل، وإذا عُدم الكتاب، قوي لذلك الحفظ، الذي يصحب الإنسان في كل مكان، لذلك قال سفيان الثوري: "بئس مستودع العلم القراطيس". ورغم ذلك كان سفيان يكتب احتياطاً واستيثاقاً (٤).

وكان غير واحد من السلف يستعين على حفظ الحديث بأن يكتبه ويدرسه فإذا حفظه محاً الكتاب خوفاً من اتكال الطلب عليه، ثم أورد البغدادي عدداً من الروايات حول من كتب الحديث ومحاه بعد أن حفظه، ثم يذكر عدداً ممن ندم على محو الحديث، وكان غالباً من الخوف أن يصير العلم إلى غير أهله، فلا يعرف أحكامه، وربما تحصل زيادة أو نقص تنسب إلى كاتبها الأصلي (٥).

وتناول البغدادي في الأبواب الخامس والسادس والسابع الأحاديث النبوية الدالة على الإذن بكتابة العلم وإباحة تقييده منها: قوله (صلى الله عليه وسلم) لمن شكاه له سوء الحفظ "استعن على حفظك

المصدر نفسه، الروايات رقم ٦٥-٨٣، ص ٥٠-٥٧. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٦٤-٦٦.

٢ المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٣٠.

٣ المصدر نفسه، ص ٥٧. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٦٥-٦٩.

٤ المصدر نفسه، ص ٥٨. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٦٨-٧٠.

٥ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٦٠-٦٢.

بيمينك"^(١)، وقوله (صلى الله عليه وسلم): "قيدوا العلم بالكتاب". في أربع روايات عن عبد الله بن عمرو بن العاص^(٢).

ويدلل البغدادي على إباحة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لكتابة العلم بقول الله تعالى تأديباً لخلقه بكتابة الدين (الذمم) حفظاً له من دخول الريب والشك: "ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلك أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا"^(٣). وهو يفسر ذلك بأن حفظ العلم أصعب من حفظ الدين، لذلك فهو أحرى أن تباح كتابته^(٤).

ومن الأحاديث النبوية الدالة على إذن النبي (صلى الله عليه وسلم) للصحابة بكتابة ما سمعوه عنه عن رافع بن حديج قال: قلنا: "يا رسول الله! إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟"، قال: "اكتبوا ولا حرج"^(٥). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قُلتُ: "يا رسول الله إني أسمع منك شيئاً فأكتبه؟" قال: قال: "نعم"^(٦). وعن شعيب عن أبيه قال: "قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟" قال: "نعم"، قلت: قلت: "في الرضا والغضب"، قال: "نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً"^(٧).

وعن أبي هريرة قال: "لم يكن أحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر حديثاً مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كتب ولم أكتب"^(٨). وفي رواية أخرى ... كان يكتب بيده ويعي بقلبه وكنت أعي ولا أكتب. واستأذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الكتاب عنه فأذن له^(٩). وذكر عبد الله بن عمرو عن صحيفته المسماة الصادقة بقوله: "الصادقة صحيفة كتبتها عن رسول الله (ص)^(١٠). وعن أبي هريرة قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في فتح مكة ... إلى أن قال: "اكتبوا لأبي شاة". (رجل من أهل اليمن طلب من الرسول كتابة خطبته في حجة الوداع)^(١١).

وتضمن الباب الثامن العديد من الروايات عن كبار الصحابة الذين كتبوا العلم أو أمروا بكتابته أمثال: أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وابنه الحسن، وعبد الله بن عباس،

^١ المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٧.

^٢ المصدر نفسه، ص ٦٨-٦٩. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٧٢.

^٣ سورة البقرة، آية ٢٨٢.

^٤ المصدر نفسه، ص ٧١.

^٥ المصدر نفسه، ص ٧٢-٧٤.

^٦ المصدر نفسه، ص ٧٥-٨٢ (ورد معنى هذا الحديث بعدة ألفاظ).

^٧ ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٧٠-٧١.

^٨ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٨٢-٨٤.

^٩ المصدر نفسه، ص ٨٣-٨٤.

^{١٠} المصدر نفسه، ص ٨٤.

^{١١} المصدر نفسه، ص ٨٧. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٧٠.

وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك وغيرهم^(١). وكذلك الباب التاسع خصص لسرد الروايات المُسندة لكبار التابعين وأئمتهم وإذنبهم لتلاميذهم وحثهم لهم على كتابة الحديث^(٢).

ويُفسر البغدادي أسباب التوسع في كتب العلم بعد جيل التابعين بقوله: "إنما اتسع الناس في كتب العلم، وعوّلوا على تدوينه في الصحف بعد الكراهة. لأن الروايات انتشرت، والأسانيد طالت، وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت، والعبارات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا، وصار علم الحديث (يقصد المدون) في هذا الزمان أثبت من علم الحافظ"^(٣).

لقد صح النهي عن التدوين والكتابة في حديث أبي سعيد الخدري لأسباب ذكرت فيما تقدم، وكذلك إباحة التدوين وتقبيد العلم استقر في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن خلال الأحاديث النبوية التي تقدم ذكرها. ويتضح أن النهي كان لفترة محدودة بينما الإباحة بدأت من أواخر حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) واستمرت على طول التاريخ الإسلامي.

فكان نقل الكتب مشافهة يسير جنباً إلى جنب مع نقلها كتابة، وكان ينظر إلى النص المكتوب على أنه تعزيز وتوثيق وتنمية للذاكرة^(٤). وأقرب مثال على ذلك أن القرآن نزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) في صورة شفوية قبل أن يدون في نص مكتوب، وظل الصحابة يتداولون قراءة القرآن بشكل شفوي طيلة حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبعد وفاته حتى قام الخليفة عثمان بن عفان بجمعه (سنة ٣٠هـ/٦٥٢م)، علماً بأن نصوص القرآن كانت تدون أول بأول وحسب نزول الآيات والسور من خلال كتبة الوحي، وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

واستمرت تلاوة القرآن شفويّاً وحفظاً من الذاكرة رغم وجود المصاحف المدونة وحتى الوقت الحاضر. ومن المؤكد أن المسلمين تأثروا بأسلوب حفظ القرآن الشفوي في نقل العلوم والمعارف، وكان لهذا أثر واضح في نظام التعليم الإسلامي وكانت أهمية الرواية الشفوية كوعاء لنقل المعرفة والعلوم إلى جانب النصوص المدونة^(٥).

وكان العلماء الأوائل يحفظون معلوماتهم مُسجّلة يرجعون لها كلما دعت الحاجة، وينقلون معلوماتهم إلى تلاميذهم بالرواية الشفوية التي تعتمد أصلاً على المدونات المحفوظة وليس على الذاكرة،

^١ المصدر نفسه، الروايات، ص ٨٨-١٠٠.

^٢ المصدر نفسه، الروايات، ص ١٠١-١١٥. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٧٠.

^٣ المصدر نفسه، ص ١٦٣.

^٤ جورج عطيه، الكتاب في العالم الإسلامي، ص ١١-١٢.

^٥ سيد حسين نصر، الرواية الشفوية والكتاب في التعليم الإسلامي، الكلمة المنطوقة والكلمة المكتوبة- سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم ٢٩٧ بعنوان "الكتاب في العالم الإسلامي"، ص ٤٩-٥٠. أنظر: مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج ١، ص ٧٥-٧٧.

والتلاميذ بدورهم يدونون ما يسمعون وعند روايتها للآخرين يروونها شفويًا مثل شيوخهم وهكذا، وهذه المعلومات تُعرف بالمصادر باسم الأصول وهناك أمثلة كثيرة منها ما أورده الذهبي^(١)، وابن النديم^(٢)، والبغدادي^(٣).

ويرى بعض العلماء أن النقل الشفوي كان أكثر انضباطاً وأقل فساداً وأعلى ثقة من النصوص المكتوبة، وحتى بالنسبة إلى العلوم غير الدينية فقد أتاحت الكثرة المفرطة من الكتب والتصانيف لبعض الجهال أن يطاولوا العلماء وأدى ذلك لهبوط مستوى الكتب^(٤).

يتضح مما تقدم أن سبب الغموض حول بدايات التدوين واستمرار الرواية الشفوية إنما يرجع إلى بعض دراسات المستشرقين وأرائهم مثل: جولدزيهر، وسوفاجيه، وبلاشير، وباريه، وفهمهم الخاطئ لرغبة عدد من علماء المسلمين الذين يحبذون أخذ العلم عن العلماء الثقة بالرواية الشفوية رغم وجود الكتب لكل منهم وذلك من باب حرصهم على سلامة ودقة النقل ومنع التزوير والوضع.

وهذا ما تناوله ابن عبد البر والخطيب البغدادي بشكل خاص اعتماداً على الأحاديث النبوية الصحيحة لتوضيح الصورة بين نهي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن التدوين وإباحته وأمره بتقبيد العلم.

ويبدو أن جيب يطرح آراءه حسب تأثره ومدى قناعته بمن أخذ عنه الرأي دون تدقيق وملاحظة ما يتحدث به حول النقطة الواحدة، ومثال ذلك موضوع الرواية الشفوية والتدوين المبكر، فقد أشار لغزارة الإنتاج في التأليف الأدبي في القرن الثالث الهجري مع استمرار تداول المعلومات بالرواية الشفوية حتى نهاية ذلك القرن، رغم إنشاء مصنع للورق في بغداد سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م، وهناك بعض الأدلة التي تضعف هذا الرأي، وتعكس الواقع للتدوين المبكر وإن استمرت الرواية الشفوية إلى نهاية القرن، لكنها كانت جنباً إلى جنب مع وجود التدوين المبكر وهو الأساس في حفظ التراث العربي الإسلامي.

ومثال آخر تأكيد جيب وجود مدونات في القرن الأول والثاني الهجريين، ثم يعود ويشكك بوجود وثائق مدونة في المدينة بفترة مبكرة في (القرن الأول الهجري)، بينما يؤكد وجود وثائق مكتوبة في العصر الأموي في دمشق والعراق باعتماده على دراسة جرومان. وأشار جولد زيهر إلى التركيز على

^١ الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) كتاب تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، ١٣٧٤هـ، ج ١، ص ٨٦.

^٢ ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ١١٦.

^٣ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٣٨٣.

^٤ هبة الله البغدادي، أبو البركات، المعترف في الحكمة، حيدر آباد، ١٩٣٨-١٩٣٩م، ج ١، ص ٣.

جمع الأخبار والاشعار والأنساب والتاريخ القديم والمغازي في بداية العصر الأموي^(١). وكذلك قول بلاشيرالذي يعارض جيب في موقفه من التدوين المبكر، بأثبات وجود جيل من الإخباريين مثل ابي عبيدة والهيثم بن عدي وثقته المطلقة بهم في القرن الأول الهجري^(٢)، وما توصل له شبرنجر بأن الحديث النبوي كان يتداول من خلال نصوص مدونة^(٣)، وقول هوروفتس بأن الكتب التي وصلتنا إنما تضم كتباً سبقتها حول حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٤)، وكذلك إشارات بلاشير وباريه لمصنفات توفي أصحابها في منتصف القرن الثاني الهجري ومطلع القرن الثالث الهجري. كما أن جيب لم يأخذ بدراسات كل من شبرنجر وهوروفتس، رغم أنهما متقدمان عليه في الزمن، وهذا يعطي دليل على انتقائية جيب بأخذه ما يوافق هواه من الآراء مما يؤدي الى إبعاده عن الموضوعية العلمية .

^١ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam., suppl., p. 236.

^٢ بلاشير، تاريخ الادب العربي، ص١٤٦.

^٣ شبرنجر، حياة محمد، ج٣، ص١٠٠، نقلاً عن سيزكين، تاريخ التراث العربي، م١، ج٢، ص٣ .

^٤ هوروفتس، المغازي الاولى، المقدمة، ص(ي، ك) .

الفصل الرابع

جيب والوعي التاريخي عند العرب

اولاً: أثر القرآن في وعي العرب

ثانياً: النظرة الدينية للتاريخ

أ: نظرة الكنيسة للتاريخ

ب: التفسير الاسلامي للتاريخ

ج: الاختلاف في النظرة الدينية للتاريخ بين الكنيسة والتفسير الاسلامي

ثالثاً: دوافع تبني جيب لنظرة الكنيسة للتاريخ

أ: موقف جيب من القرآن

ب: نظرة جيب للعقل العربي

رابعاً: رأي جيب في أثر الرواية الفارسية في التدوين التاريخي.

جيب والوعي التاريخي عند العرب

التمهيد

ومن خلال استعراض التطورات السابقة، يخلص جيب إلى أن الحقيقة الأبرز هي أن المجتمع الإسلامي أصبح لديه وعي تاريخي على الرغم من معاداة طائفة من الفقهاء المتقدمين للدراسات التاريخية. ولا ريب في أنه كان للحجج التاريخية الواردة في القرآن، والفخر الطبيعي بالفتوحات الإسلامية الواسعة، والتنافس بين القبائل العربية أثر في نشوء ذلك الوعي^(١).

الواقع أنه لم يكن هناك مُعاداة أو مُحاربة من الفُهاء والمُحدثين للدراسات التاريخية، إنما هو امتثالهم لنهي النبي (صلى الله عليه وسلم) لتدوين الحديث النبوي في بداية الأمر، سيما وأن القرآن نزل منجماً على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثم كراهتهم لعملية تدوين الأحاديث (التي هي أساس الدراسات التاريخية)، مخافة اختلاطها بنصوص القرآن كما تم إيضاحه سابقاً.

لذلك كانت النظرة للفقهاء أو المُحدث الذي يهتم بتدوين الأخبار والأشعار إنما هو خروج عن خط العلماء، وكانت منزلة المُحدث أرفع مكانة وأسمى من منزله الإخباري، ويرجع ذلك إلى شرف موضوع الحديث وأهميته من جهة، وإلى أن الأخبار وخاصة القديم منها كانت مظنة الإغراب والتلفيق والاختلاق أو المبالغة من جهة أخرى. وهذا ما أدى لاتهم ابن إسحاق وابن هشام وغيرهم بالوضع والكذب والتضعيف لأنهم اهتموا بجمع الأخبار والأشعار والإسرائيليات^(٢).

أما ما أشار له جيب من الفخر والزهو بالفتوحات الإسلامية فينظر له بأنه أمر طبيعي، ذلك أن العرب بعد إسلامهم شعروا بأنهم أصحاب رسالة جليلة وعالمية، وأنهم يمرون بمرحلة هامة، ولهم دور تاريخي خطير^(٣)، فقد أضافت الفتوحات وإنشاء دولة كبيرة مآثر وأمجاد جديدة إلى المواضيع القبلية وأفاقاً واسعة في الدراسات التاريخية^(٤).

^١ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam., suppl., p. 236.

^٢ هورنشو، علم التاريخ، ص ٥٧ (فصل إضافه للترجمة العربية عبد الحميد العبادي). أنظر: ص ٣٣-٣٤، ٤٩-٥٠.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢١.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٩. أنظر: كلاوس، كلير، خالد وعمر، ص ٣٨٩. الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب،

وكذلك التنافس بين القبائل العربية فقد كانت موجودة في روايات الأيام^(١). وبعد إسكان وتوطين القبائل في الأمصار الجديدة ظهرت عصبية محلية واعتزاز وولاء لهذه القبائل لمواطنها الجديدة، خاصة وأن المعلومات المتعلقة بالفتوحات كانت مهمة لإسكان القبائل في الأمصار لغايات إدارية^(٢). وظهر التنافس والعصبية بشكل خاص في العراق بسبب الاهتمام بالمآثر القبلية وأمجادها الحربية وتمسك القبائل بحقها في التمتع بموارد البلاد التي فتحوها، وشعور أهل العراق برئاستهم للعالم الإسلامي زمن الخليفة علي بن أبي طالب ومسألة الخلافة والإمامة وظهور الأحزاب السياسية، وقيام الدولة العباسية فيما بعد في العراق، وهذه الأسباب جميعها ساهمت في موضوع التنافس^(٣).

أ: أثر القرآن في وعي العرب

يرى جيب ان من الاسباب التي ساهمت في مرحلة الوعي التاريخي عند العرب والمسلمين هي "الحجج التاريخية التي تضمنها القرآن". وعبر عن ذلك بالإنجليزية^(٤) "The historical arguments contained in the kuran"، فهو لم يوضح المقصود بتلك العبارة، ولم يبين كيفية المساهمة، وجاء كلامه عاماً دون تحديد سيما وأن كلمة (Arguments) تحتل أكثر من معنى مثل: براهين، حجج، مناقشات، مناظرات، مجادلات. وهذه المعاني جميعها تضمنتها السور والآيات القرآنية إضافة إلى الأدلة والإشارات والقصص والعبر التاريخية، وما من شك في أنها ساهمت في توسيع أفق ومدارك المسلمين من خلال التصور الشامل لحياة الإنسان على الأرض من بدء الخليقة وحتى قيام الساعة، فأصبح مفهوم حياة الإنسان مرحلتين يفصل بينهما الموت.

ولعل ما قصده جيب بعبارته أعلاه هو "أثر القرآن على المستوى الفكري للإنسان المتصل بالعقيدة لدى العرب والمسلمين"، فقد حدثت في حياة العرب بعد ظهور الإسلام تغييرات جوهرية انعكست على شتى مناحي الحياة. فالأفكار الواردة في القرآن عن التاريخ كانت الدافع الرئيسي الذي شهده علم التاريخ، إضافة للظروف الموضوعية والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهذه أدت إلى نقلة نوعية هامة في مناهج الدراسات التاريخية وعلم التاريخ نفسه ويمكن ملاحظة ذلك في النواحي التالية^(٥): (وهي تتعلق بالإنسان في أكثر من صورة).

وفكرة التاريخ في القرآن الكريم . وهي تتناول ذات الإنسان، فهو خليفة الله في الأرض، وجد

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٩.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٩.

^٣ المرجع نفسه ، ص ١٤٨.

^٤ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam, suppl. P.236. أنظر أيضاً: كلاوس، كلير، خالد وعمر، ص ٣٨٩.

طريف الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب، ص ٣٥-٣٧.

^٥ قاسم عبده، تطور المنهج التاريخي، ص ١٢٢-١٢٣.

فيها لإعمارها وبناء الحضارة ونشر العدل والحق وفق منهج الله، لذلك نرى أن القرآن تحدث عن الإنسان في (٦٥) خمس وستين آية، وخاطبه بشكل مباشر في آيتين^(١): بقوله تعالى: "يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم"^(٢)، وقوله تعالى: "يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه"^(٣). لذلك فإن العلاقة بين الله والإنسان في القرآن مبنية على سجل تاريخي للحسنات والسيئات وخلفت هذه النظرة أثراً عميقاً في التراث الإسلامي^(٤).

أما النظرة الجديّة للماضي، فقد جاءت السور القرآنية مثل: الأعراف، هود، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، القصص، الحج، وغيرها تتضمن الدعوات لمعرفة ذات الإنسان من خلال رصد الماضي الحضاري للبشر، حيث أشارت إلى ذكريات العرب الماضية، والعودة إلى بدء الخليقة، كما أكّدت على أمثلة التاريخ الغابر، وحوادث الأمم والشعوب الماضية^(٥).

مثل قوله تعالى: "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"^(٦). وقوله تعالى: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة، إن الله على كل شيء قدير"^(٧). ويلاحظ أن مضمون هذه الآيات يؤكد العبر الدينية والخلقية، ويدعو الإنسان للانتشار في الأرض وتأمل الأحداث الماضية واستيعابها وتفسيرها.

النظرة العالمية للتاريخ جاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ، تمثلت في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشر بها أنبياء عديدون، وكان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين^(٨). كما أن الإسلام كدعوة، نزل موجهاً للناس كافة لقوله تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة للناس وبشيراً ونذيراً"^(٩). وقوله تعالى أيضاً: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"^(١٠)، وهذه

^١ عبد اللطيف شراره، الفكر التاريخي في الإسلام، دار الأندلس، ط١، (د.م)، ص٦. الخالدي، فكرة التاريخ، ص٣١-٣٤.

^٢ سورة الانفطار، آية (٦).

^٣ سورة الانشقاق، آية (٦).

^٤ الخالدي، فكرة التاريخ، ص٣١-٣٤.

^٥ قاسم عبده، تطور المنهج التاريخي، ص٤٦-٤٧، ١٢٣-١٢٤. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢٠-٢١. الخالدي، فكرة التاريخ، ص٣١-٣٤.

^٦ سورة الحج، آية (٤٦).

^٧ سورة العنكبوت، آية (٢٠).

^٨ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢٠-٢١. الخالدي، فكرة التاريخ، ص٣١-٣٤.

^٩ سورة سبأ، آية (٣٤).

^{١٠} سورة الأنبياء، آية (١٠٧).

الإشارات تدعو للاهتمام بدراسة تاريخ الأنبياء، ورسالة الإسلام العالمية.

وفي قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"^(١). دعوة صريحة إلى التعارف والمعرفة والإبداع، ومن مفهوم مفهوم هذه الآية اكتسب العرب والمسلمون خبرة وتجربة وثقافة حضارية عميقة كان لها أثر واضح في كتابة التاريخ العام والتاريخ العالمي^(٢).

إن هذه النظرة إلى النبوة إنما هي امتداد لنظرة القرآن إلى كون الزمان حاضراً أبدياً، لأن رسالات الأنبياء هي نماذج للحياة الأخلاقية، وفي الوقت ذاته منهجاً واحداً لمعالجة أزمات المجتمع كافة، وكان لقصص الأنبياء أهمية كبيرة في الفكر التاريخي والكتابات التاريخية عند المسلمين فيما بعد^(٣).

هناك عوامل أخرى ساهمت في الوعي التاريخي عند العرب والمسلمين وجدت بوقت مبكر ولم يُشر لها جيب مثل وضع الخليفة عمر بن الخطاب للتقويم الهجري عام ١٨ هـ. والذي كان العنصر الحيوي في نشأة الفكرة التاريخية، والعمود الفقري للدراسات التاريخية فيما بعد. كما أن القرآن نصّ على أن أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) موسى بها لقوله تعالى: "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"^(٤). وقوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"^(٥). وهذه الآيات تعتبر من الدوافع لدراسة أقوال الرسول (ص)، وأفعاله والتي تمثلت في كتابة السيرة النبوية والمغازي، وجمع الأحاديث النبوية وما تطوّر عن هذه الدراسات من مواضيع مختلفة.

ثانياً: النظرة الدينية للتاريخ

وصف جيب اقتصار جمع الروايات التاريخية على الفقهاء والمُحدّثين بالظاهرة البارزة، واستنتج أن هذا يوحى بوجود سبب أعمق لذلك الوعي، وهو أن التاريخ من وجهة النظر الدينية إنما هو مظهر لنظام أو تدبير إلهي غايته حكم الجنس البشري^(٦). إن هذا الطرح يُمثل نظرة الكنيسة المسيحية للتاريخ وليس النظرة الإسلامية، وهذا موضوع له أبعاد ومرام متعددة وتنعكس آثاره على تفسير نواحٍ كثيرة في التاريخ الإسلامي ولابدّ من إلقاء الضوء عليه بشيء من التوضيح في ناحيتين: الأولى نظرة الكنيسة للتاريخ، والثانية دوافع جيب لتبني هذه النظرة.

^١ سورة الحجرات، آية (١٣).

^٢ حجازي محمد عبد الواحد، القرآن وفكرة التاريخ، دار الوفا لندنيا للطباعة، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص٢٨.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢١. طريف الخالدي، فكرة التاريخ، ص٢٩-٣١، ١٠٢.

^٤ سورة الحشر، آية (٧).

^٥ سورة النجم، آية (٣-٤).

^٦ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam, Suppl. P. 236.

ويستطرد جيب بأن الأجيال الأولى اقتضرت نظرتهم على تتبع ذلك في توالي الأنبياء حتى خاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما أن جميع المذاهب الإسلامية اتفقت على أن هذه النظرة لا تقف عند هذا الحد^(١).

إن قول جيب باقتصار جمع الروايات التاريخية على الفقهاء والمحدثين إنما يعكس الواقع الصحيح، لأنهم كانوا أول من بدأ بكتابة السيرة والمغازي وجمع الأحاديث النبوية، وقوله هذا يُقلل من أهمية الشكوك التي طرحها هو وغيره من المستشرقين حول دقة وصحة تلك الروايات حتى عندما كانت تُنقل بالأسلوب الشفوي، لأن مجرد ذكر الفقهاء والمحدثين يُعني الدقة في تسلسل الإسناد وضبط المتن وإتباع قواعد الجرح والتعديل.

إن تعبير جيب عن دور الفقهاء والمُحدثين في جمع الروايات التاريخية فيه إشارة مبطنة لدور علماء اللاهوت ورجال الدين المسيحي في وضع أصول وأسس المعتقدات الدينية في الكنيسة وتفسير المشيئة الإلهية في التاريخ المسيحي (كصورة موازية لما قام به الفقهاء والمحدثون المسلمون) الذي يتضمن معنى الحتمية أو مفهوم الحق الإلهي وهذه النظرة كانت في أنظمة الحكم القديمة وتطورت بعد نزول الرسالات السماوية.

فقد سادت فكرة الملوك الآلهة في الحضارات القديمة مثل الفراعنة في مصر، والأكاسرة الفرس، وقياصرة روما الوثنية^(٢)، وعند اليونان القدامى الذين أدخلوا الإلهيات في الأفعال الإنسانية في كتاباتهم وسردهم للتاريخ. كما قدّم الرومان التاريخ بأسلوب خطابي طغّت عليه الزيادات لتمجيد الأبطال^(٣).

أ: نظرة الكنيسة للتاريخ

وبعد انتصار المسيحية على الوثنية، ظهر مفهوم لاهوتي صرف وخاص بالتاريخ يقوم على فكرة الخطيئة من آدم إلى يوم القيامة، وعليه فإن حركة التاريخ ليست سوى خطة إلهية لخلاص العالم، وهذه الصورة للتاريخ والإنسان ترى أن جميع الأعمال مُقدّرة سلفاً في الذات الإلهية وليس للبشر دور فيها، وساد هذا التفسير مفاهيم التوراة، في فكرة العهد أو الميثاق بين الرب والشعب المختار، والأرض الموعودة لذلك فإن فكرة الثواب والعقاب غائبة تماماً من الفكر التاريخي في العهد القديم، وفي المنهج التاريخي للكنيسة بشكل أعمق، كما في كتاب أوغسطين وحوليات الرهبان^(٤).

^١ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam, Supple. P. 236.

^٢ عمارة محمد، الإسلام والسلطة الدينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٠، ص٥-٦.

^٣ سيد، أشرف صالح محمد، التفسير اللاهوتي للتاريخ، دورية كان التاريخية (دورية الكترونية محكمة- ربع سنوية)، السنة الثانية، العدد (٥)، ٢٠٠٩، افتتاحية العدد، ص٧.

^٤ سيد، أشرف صالح، التفسير اللاهوتي للتاريخ، ص٧، انظر: قاسم عبده، تطور الفكر الديني، ص٦.

فقد تبنت الكنيسة المسيحية الكاثوليكية الفكر الذي وضعه أشهر آباء الكنيسة القديس أوغسطين (st. Augustin) ٣٥٤-٤٣٠م. في القرن الخامس الميلادي^(١). ويتلخص فكر أوغسطين حول أفكار محدّدة هي: الخطيئة الأولى والمغفرة وما تفرع عنها من مفاهيم الكنيسة. فالخطيئة الأولى عنده هي بداية التاريخ وهي تدور حول حرية الاختيار، حيث توصل إلى قناعة بأن الإنسان بطبعه فاسد^(٢)، وبأنس وتعيس دنّسته الخطيئة، وعاجز وغير مؤهل لفعل أقل الخير ومهيأ لكل الشر^(٣).

وإن تجسّد الله في المسيح هو عهد الخلاص، واليوم الآخر هو نهاية التاريخ وبداية الأبدية، (يوم اكتمال مدينة الله)، وتاريخ البشرية كله تاريخ المدينتين: مدينة الله في السماء، ومدينة الشر في الأرض^(٤). واستناداً إلى التمييز بين المدينتين والصراع عبر الزمن بين الإيمان والكفر طوراً أوغسطين نظرتة إلى التاريخ^(٥). ويقوم أساس فكره على تطوير أفكار أفلاطون وأرسطو لمعرفة الله من منظور مسيحي، والحكمة عنده معرفة الله، وحكمة الإنسانية هي عبادة الله، ومصدر الحكمة هو الكتاب المقدس^(٦).

ووضع أوغسطين فكره هذا بعد سقوط روما عام ٤١٠ م على يد القوط البرابرة من أجل الدفاع عن الكنيسة والعقيدة المسيحية إثر هجوم خصوم الكنيسة عليها بأن الديانة المسيحية كانت سبب سقوط روما^(٧).

^١ علي محافظة، الفكر السياسي الغربي الحديث من بداية القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر، محاضرات أقيمت على طلبة الدراسات العليا في كلية الآداب في الجامعة الأردنية ١٩٨٨-١٩٨٩، ص ١. الخضيرى زينب محمود، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار قباء، (د.ط.)، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٩-١٠. البان ج. ويدجيري (Alban. G. Widgery)، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، ط ٢، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٦.

^٢ محافظة، الفكر السياسي الغربي، ص ١. الخضيرى، لاهوت التاريخ، ص ٩-١٠، ٥١-٥٢. الشرقاوي محمود، التفسير الديني للتاريخ، (د.ن.)، (د.ط.)، (د.م.)، الجزء الرابع والخامس، فصل ٨، التفسير المسيحي للتاريخ، ص ١٨٥-١٨٦. ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص ١٤٦-١٤٧. الكفيشي عامر، حركة التاريخ في القرآن، دار الهادي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٨٧.

^٣ محافظة، الفكر السياسي الغربي، ص ١. الخضيرى، لاهوت التاريخ، ص ٩-١٠، ٥١-٥٢.

^٤ الخضيرى، لاهوت التاريخ، ص ١٧-١٨، ٩٠-٩٥. ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص ١٥٠-١٥١. الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ، ص ١٨٥، ١٩٠-١٩٣.

^٥ محافظة، الفكر السياسي الغربي، ص ١. غالي، بطرس بطرس ومحمود خيرى عيسى، المدخل في علم السياسة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٨، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٦٦. ويدجيري، المذاهب الكبرى، ص ١٥٠-١٥١. الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ، ص ١٨٥-١٨٦.

^٦ الخضيرى، لاهوت التاريخ، ص ١٨-٢١. محافظة، الفكر السياسي الغربي، ص ٢.

^٧ الخضيرى، لاهوت التاريخ، ص ٣٦-٣٧. غالي، المدخل في علم السياسة، ص ٦٥.

وقد سيطر فكر أوغسطين على العقل الغربي لقرون عديدة^(١)، حتى جاء أنسلم (Anselme) رئيس أساقفة كينتربري ومؤسس المذهب المدرسي في القرن الحادي عشر الميلادي ودرس أفكار أوغسطين ونظمها ووضعها في صيغ مدرسية ورغم أنه واجه صعوبة التوفيق بين الإيمان الديني والفكر الحر والعلوم إلا أنه أعطى الأولوية للإيمان لأنه ابن الكنيسة^(٢).

وجاء بعده توماس الأكويني (Thomas d'Aquin) في القرن الثالث عشر الذي امتاز على أنسلم بأنه أغنى فكراً وأعمق تحليلاً واستنتاجاً^(٣). وقام بوضع المذهب العقلاني المشائي^(٤). الذي ركز فيه على العقل. لكنه وجد أنه ليس لديه القوة الكافية لامتلاك حقائق الإيمان بقوله: "العقل هو خادم الإيمان"^(٥).

واستمر تأثير فكر أوغسطين على الأفكار الأوروبية حتى العصر الحديث فقد تأثر به جاك بنيني بوسيه (Jacques- Benigine Bossuete) الذي وضع نظرية الحكم الديني المطلق في القرن السابع عشر^(٦)، وكذلك أوغست كانت (August Kant) في القرن التاسع عشر بنظرية المدينيتين^(٧).

واعتمد أوغسطين في دراسته للتاريخ على منهج التأويل خاصة نصوص الكتاب المقدس التي تتعارض مع العقل، وفسر إرادة الله وإرادة البشر بعدة مواقف وصور وتفسيرات وقدّم أمثلة متناقضة لأنه بنى المقارنات على الخير والشر، وبسبب مواقف وأقوال خصوم الكنيسة، غير أوغسطين مواقفه بشكل مراوغ وخادع وقدّم أدلة غير موفقة، وعاد ليؤكد أن إرادة الله هي الوحيدة الحقة، وأن ليس هناك للإنسان إرادة ولا فاعلية وأن سيطرة الله على التاريخ مطلقة^(٨).

ويُفسّر ويدجيري (A.G. Widgery) سبب اختلاف مواقف وآراء أوغسطين لأنها جاءت وفقاً لمراحل تطور أفكاره، لذلك كانت كتاباته تعاني من الترابط فيما بينها، كما كان هناك تناقض في أفكاره حول حرية الإرادة الإنسانية واختيار الله للإنسان ولم يستطع التوفيق بينها^(٩).

يبدو بشكل واضح أن جيب قدّم لنا وجهة النظر الدينية للتاريخ الإسلامي من خلال مفهوم

^١ الخضير، لاهوت أوغسطين، ص ١٠.

^٢ محافظة، الفكر السياسي الغربي، ص ٢.

^٣ المرجع السابق، ص ٢.

^٤ الخضير، لاهوت أوغسطين، ص ١٠.

^٥ محافظة، الفكر السياسي الغربي، ص ٢.

^٦ محافظة، الفكر السياسي الغربي، ص ٥٩. ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص ١٥٤-١٥٥.

^٧ الخضير، لاهوت أوغسطين، ص ٩.

^٨ الخضير، لاهوت أوغسطين، ص ٩٥-٩٧، ٩٨-١٠١. الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص ٢٨٧. الشرقاوي،

التفسير الديني للتاريخ، ص ١٨٧.

^٩ ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص ١٤٦-١٤٩.

ونظرة الكنيسة للتاريخ والمبنية على فكرة الحق الإلهي في الحكم (القانون الإلهي) والتي تنص على أن الإرادة المطلقة لله وهو المسيطر على كل شيء في تاريخ البشرية، وهو الذي فرض الحكام على الشعوب، فأصبح من واجب الشعوب طاعة الحكام، وذلك نوع من العقاب الإلهي بسبب معصية الإنسان لربه^(١).

ب: التفسير الإسلامي للتاريخ

هناك تباين جلي وفرق أساسي بين ما طرحه جيب وبين التفسير الإسلامي للنظرة الدينية للتاريخ. والذي يعد التفسير العلمي القائم على البراهين والأدلة التي تؤكد على العبر والدروس من أحداث التاريخ وهي تسير وفق منهج إلهي دقيق، وفي الوقت نفسه تؤكد حرية الإنسان وإرادته في الاختيار، وهذا يجعله مسؤولاً عن جميع أفعاله في الدنيا والآخرة^(٢). لقوله تعالى: "إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً"^(٣). وقوله تعالى: "وهديناه النجدين"^(٤). وقوله: "من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها"^(٥). وقوله: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"^(٦). وغيرها من الآيات.

هذا هو الاختلاف في النظرة الدينية للتاريخ بين رؤية الدين الإسلامي ورؤية الكنيسة المسيحية التي تبناها العقل الغربي من العصور الوسطى وحتى العصر الحديث. وبيان هذا الاختلاف يتطلب شرحاً مطولاً خاصة فيما يتعلق بإرادة الإنسان وحرية في الاختيار وعلاقة ذلك بالإرادة والمشئنة الإلهية ولا مجال لبحثه في هذه الدراسة بشكل مستفيض، إنما سنأتي على ذكر بعض الشواهد والنقاط لإيضاح الفرق بين النظرتين.

وعن موقف جيب من مسألة حرية الإرادة، فهو يذكر أن المذهب السني يستند إلى الاتجاه السائد في السور القرآنية المتعلقة بمسألة حرية الاختيار، وأن كثيرين يرون أن هذا المذهب (حرية الاختيار)

^١ الخضيرى، لاهوت التاريخ، ص ٣٦-٣٧. بطرس غالي، المدخل في علم السياسة، ص ٦٥-٦٦.

^٢ خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٧٥، ص ١١-١٢. سمس عيد المعطي بن محمد بن عبد المعطي، نظرة في التفسير الإسلامي للتاريخ، إيتراك للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٨٠. محل، سالم أحمد، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، سلسلة كتاب الأمة، عدد رقم (٦٠)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، قطر، ١٩٩٧، ص ١٢-١٣. الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٨، ٦٧-٦٨. الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص ٢٤٦.

^٣ سورة الإنسان، آية (٣).

^٤ سورة البلد، آية (١٠).

^٥ سورة الجاثية، آية (١٥).

^٦ سورة النجم، آية (٣٩).

هو سبب ظهور ما يُسمى بالجبرية في الإسلام^(١). بينما يرى جيب العكس من ذلك يقصد القول بالجبر هو سبب وجود مسألة حرية الاختيار، وهو ينظر إلى الجبرية في الإسلام أنها مشابهة لما في الديانات الأخرى مثل المسيحية أو الهندوسية^(٢).

وينفي جيب صراحة حرية الإرادة في القرآن ويؤكد فكرة الجبر بقوله: "إن عقيدة الجبر نَسَخَتْ تلك الأقوال التي تؤكد حرية الإرادة في القرآن، ومع أن حرية الإرادة جُعِلَتْ ثانوية المقام (على وجه التحديد) إزاء التوكيد الغالب لفكرة الجبر، فإنها تُمَثِّل عنصراً سليماً في التجربة الدينية^(٣). وهذا تأكيد لمفهوم الجبر في الكنيسة، وتقليل من قيمة حرية الإرادة أصلاً بأنها ثانوية، ووصفها بأنها عنصر في التجربة وليس في التشريع القرآني.

ورأي جيب هذا بعيد عن الصحة لأنه يخالف واقع وأصل الشرع، كما أنه يخلو من الموضوعية لأن الآيات التي تناولت حرية الإرادة في القرآن ما زالت موجودة وهي الأكثر في العدد، ولها قيمة تشريعية كبيرة فهي أساس حركة التاريخ البشري، وكذلك الآيات التي اعتمد عليها أو كما فسرها القائلون بفكرة الجبر أيضاً ما زالت موجودة، ولم ينسخ أي منها الآخر لا بالنص ولا بالمعنى، فهي أجزاء متكاملة من القرآن الكريم المُحَكَّم ولكل آية معنى وسبباً لنزولها والخلاف ليس بين آيات القرآن لا في المعنى ولا في الدلالة لأنه حاشى الله أن يكون ظالماً وقد كتب على نفسه الرحمة، إنما الخلاف نشأ بين من يتبنى هذه الآيات أو تلك تبعاً لقربه أو بعده عن الإيمان بحرية الإرادة أو فكر الجبر.

إن هذا الموقف من حُرِيَّة إرادة الإنسان شائع بين كثير من المستشرقين وأبرزهم جولدتسيهر، الذي يبدو أن جيب بنى رأيه عليه وهو يرى أن إرادة الإنسان وحرية في الاختيار مُحدَّدة بالقدر الأزلي، ويستعرض جولدتسيهر عدداً كبيراً من الآيات القرآنية (التي كان يتبناها القائلون بحرية الإرادة والقائلون بفكرة الجبر) ويخلص إلى القول: "وهو يعتمد على دراسة سابقة للمستشرق هوبرت جريمي (Hubert Grimme) في كتابه "محمد"^(٤): إن سبب التعارض في مسألة حرية الإرادة والقدرة والقدرة ترجع إلى أزمان مختلفة، وذلك حسب الظروف والأحوال لنشاط النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويُفسر ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يقبل موضوع حُرِيَّة الإرادة في الفترة المكية (يقصد

^١ جيب، هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير ستانفورد شو ووليم بولك، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، (د.ط)، بيروت، ١٩٦٤م، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، ١٩٦٦، ص ٤٨.

^٢ جيب، الاتجاهات الحديثة، ص ٤٨.

^٣ جيب، دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٧٣-٢٧٤، انظر ص ١٢١، توثيق رقم ٢

^٤ جولدتسيهر اغناص، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، ط ٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٨٨-٩٣.

الآيات المكية)، أما في الفترة المدنية فأصبحت التعاليم أكثر جبرية. (الآيات المدنية). وبسبب الحيرة التي واجهت المسلمين القدامى والظروف التي عاشوها من شعور بالتبعية وعدم الاستقلال في جميع ميادين الوجدان الإسلامي أدت هذه إلى انتصار مذهب الجبر ونفي حرية الإرادة لأن جميع الأعمال مثل الثواب والعقاب وغيرها تتعلق بشكل مطلق برحمة الله وليس لإرادة الإنسان أي اعتبار أو تقدير" (١). فهذه مجرد عبارات غامضة وغير واضحة ولا يفهم منها شيء، فما المقصود بالحيرة ومن هم المسلمون القدامى، ومتى كانت مرحلة التبعية، وعدم الاستقلال في ميادين الوجدان، سيما وأن جولد زيهر يتحدث عن التحول من حرية الإرادة إلى الجبر في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة.

لقد اعتاد جولد تسيهر أن يُفسر الأشياء ويوظفها كما يحلو له، ورغم أنه اعتمد في آرائه على دراسات المستشرق هربرت جريمي إلا أن هناك الكثير من الملاحظات والانتقادات لآرائه أعلاه ونكتفي بتقديم دليل واحد لبيان عدم صحة رأيه. فالتقسيم الذي قال به جولد تسيهر غير صحيح لا من حيث الزمان ولا من حيث الدلالة، لأنه اعتمد على الآية الكريمة: "وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان علماً حكيماً". آية (٣٠) من سورة الإنسان وهي مدنية ويتمسك بها القائلون بالجبر كحجة لهم. بينما وردت هذه الآية بالنص والمعنى نفسه في سورة التكوير، آية (٢٩) وهي مكية، وعليه فإن تقسيم جولد تسيهر الزماني غير صحيح.

أما من حيث الدلالة فإن جولد تسيهر يجهل تماماً أو يتجاهل عامداً أسباب النزول والتفسير الدقيق للسور والآيات القرآنية. والتي في الغالب تأتي إما لتقرير عبادات أو بيان أحكام شرعية أو حسماً لقضايا خلافية في فترة النبوة وذلك لتعزيز موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) والدعوة لله وبيان مشيئته تعالى.

ويلاحظ من تفسير آيات السورتين أنها تتحدث عن حرية الإنسان وإرادته في اختيار طريق الهداية أو المعصية. وأن هذه الآيات مجرد تذكره للإنسان لقوله تعالى في سورة الإنسان (مدنية): "إن هذه تذكره فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً". وقوله تعالى في سورة التكوير (مكية): "إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم". وعندما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم"، فأنزل الله تعالى: "وما تشاءون إلا أن يشاء الله" أي أن الهداية أو الاستقامة هي بمشيئة الله يُيسر لكل إنسان ما هو بعلمه الأزلي (٢). وليس كما قال أهل الجبر ولا كما قال جولد تسيهر بافتراض التقسيم الزمني على هذه المسألة.

وما يهمنا هو قول جيب الذي بنى رأيه على جولد تسيهر وعلى من سبقه من المستشرقين الذين

^١ جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٩٣-٩٤.

^٢ أنظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، ٧، بيروت، ١٩٨١م،

يتفق رأيهم مع رؤية الكنيسة.

ويلاحظ أن جيب تناول فيما سبق مسألة حرية الاختيار عند المسلمين من خلال مفهوم الأحزاب والفرق (السنة والشيعة)، وليس من منظور أسس العقيدة والدلالات التي عرضها القرآن الكريم في صلب حركة التاريخ البشري، ويؤكد ذلك مناقشته لدور علماء الكلام في الإسلام وقولهم بمبدأ "الكسب" كتصحيح إيجابي لعقائدهم السلبية... مع أن كل شيء مُقدّر، وليس للإنسان قدرة على أن يفعل^(١).

كما حاول جيب إظهار هذه المسألة بأنها عبارة عن سبب أو رد فعل ونتيجة لفكرتين متضادتين في الفكر الديني السني، علماً بأن مسألة الاختيار وردت في آيات وسور القرآن الكريم خلال فترة التنزيل (الرسالة - عهد الرسول). وهي سابقة في الزمان على القول بمبدأ الجبر الذي ظهر فيما بعد، وقال به بعض خلفاء بني أمية لتمكين حكمهم وفرض طاعة الناس لهم.

ويُعرف الشهرستاني مبدأ الجبر بقوله: "هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله تعالى". ويعدد الفرق التي قالت بمبدأ الجبر وهي الجهمية أصحاب جهم بن صفوان، وأهم أقواله: "إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة. إنما هو مجبور على أفعاله: لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، إنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتُنسب إليه الأفعال مجازاً، كما تُنسب إلى الجمادات". ومن فرق الجبرية النجارية والضّرارية^(٢).

ج: الاختلاف في النظرة الدينية للتاريخ بين الكنيسة والتفسير الإسلامي.

لقد أعطى القرآن الكريم إطاراً شاملاً لمدلول التفسير التاريخي لمسيرة الإنسان على الأرض، ومنهجاً متكاملًا للتعامل مع التاريخ البشري، وتصوراً واضحاً للخالق والإنسان والكون وعلاقاتهم وتفاعلاتهم وفق المشيئة الإلهية التي هي أهم الأسباب في حركة الإنسان والأشياء في التاريخ، وذلك حسب نظم وقوانين وسنن كونية تضبط مسيرة البشرية بكل مراحلها في الماضي والحاضر والمستقبل^(٣).

ويتميز التفسير الإسلامي للتاريخ بالواقعية كما هي، ولا يتأثر بالقيم والمثاليات الموجودة أو الممكنة الوقوع، لذلك كانت هناك فروق منهجية كبيرة في تفسير التاريخ بين المنهج الإسلامي من جهة وبين منهج الكنيسة والمذاهب الوضعية كما فعل هيجل وماركس وكارل بوبر وغيرهم من جهة أخرى،

^١ جيب هاملتون، ص ٢٧٢-٢٧٣. أنظر: جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٩٠.

^٢ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/)، كتاب الملل والنحل، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو مصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٧٩-٨٣.

^٣ خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١١-١٢، ١٠٦-١٠٨. سمس، نظرة في التفسير الإسلامي، ص ١٩. سالم أحمد، المنظور الحضاري، ص ١٢-١٣. الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص ٢٤٧-٢٤٩.

لأن التفسير الإسلامي ينبثق عن رؤية الله سبحانه وتعالى التي تحيط علماً بوقائع التاريخ بأبعادها الزمنية الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، والبعد الرابع الذي غالباً ما يغيب عن ذهن الإنسان ألا وهو معرفة الله سبحانه وتعالى لأعماق النفس البشرية (فطرة الإنسان وذاته وعقله وعاطفته ووجدانه) وأثر ذلك في حركة التاريخ في أبعادها الحقيقية من خلال رؤية الذات الإلهية التي أحاطت بكل شيء علماً^(١). أما عن المشيئة الإلهية وحرية الإنسان وإرادته، فقد ربط الله تعالى حدوث التغيير في التاريخ بإرادة الإنسان كقانون للفعل التاريخي^(٢). لقوله تعالى: "لا يُغَيِّرُ اللهُ ما بقوم حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم"^(٣). كما بيّن القرآن الكريم أن مشيئة الله (سُنَّه ونواميسه) في التاريخ ماضية لا تتوقف وثابتة لا تتحول أو تتبدل. وإن أي حدث تاريخي إنما هو تعبير عن إرادة الله ومشيئته التي تصاغ من خلال إرادة الإنسان (الفرد والجماعة)، لأن الفعل الإلهي يتخذ شكلين لخلق الحدث وصياغته. أولهما: الفعل الإلهي المباشر ويتراوح بين نواميس الطبيعة والمعجزات مثل خلق السماوات والأرض وخلق آدم واختيار الأنبياء والرسول، والثاني الفعل الإلهي غير المباشر من خلال حرية الإرادة للإنسان والفاعلية المتاحة له على الأرض والمُقَدَّرَة من عند الله بالسنن التي يجري بها قَدْرُهُ في الحياة وذلك وفق قُدْرته من قوى عقلية وبدنية وفكرية، وإمكاناته الذاتية وتطلعاته وخبراته، والمؤثرات البيئية في وقته وزمانه، وتمكين الله للإنسان في الأرض وتسخير ما عليها لخدمته^(٤) لقوله تعالى: "ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون"^(٥). وقوله تعالى: "ولقد آتينا داوود منا فضلاً يا جبالُ أوبي معه والطير وألنا له الحديد"^(٦). وقوله تعالى: "ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ... يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات"^(٧).

وذكر القرآن خلق الله للإنسان في آيات كثيرة منها صورة الإنسان لقوله تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"^(٨). وخليفته في الأرض لقوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في

^١ خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٢-١٣، ١٠٦-١٠٨.

^٢ سالم أحمد، المنظور التاريخي، ص ١٢. الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص ٢٤٧-٢٤٩.

^٣ سورة الرعد، آية (١١).

^٤ خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١١٨، ١٢١، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٨. سمس، نظرة في التفسير الإسلامي، ص ٨١-٨٢.

^٥ سورة الأعراف، آية (١٠).

^٦ سورة سبأ، آية (١٠).

^٧ سورة سبأ، آية (١٢-١٣).

^٨ سورة التين، آية (٤).

الأرض خليفة"^(١). كما ورد استخلاف الإنسان في الأرض في مواضع عديدة من القرآن لقوله تعالى: "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض"^(٢). كما أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود للإنسان لتكريمه وبيان سمو منزلته وسيادته على سائر المخلوقات لقوله تعالى: "وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم"^(٣). وقوله تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم"^(٤). وقوله أيضاً: "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"^(٥). وهذه الآيات مجرد نماذج محدودة للصور والآيات في القرآن الكريم التي تحدثت عن الإنسان^(٦).

إن هذا البيان الموجز يُظهر مبلغ التداخل والتشابك بين إرادة الله تعالى وبين إرادة الإنسان مع الإيمان في ذات الوقت بأن (الكل) من عند الله: "قل كلٌّ من عند الله"^(٧)، وهذا على خلاف النظرية الغربية وما يعرف عندهم (معضلة القدر والحرية).

وبدون هذه الحرية للإنسان لن يكون هناك معنى للموقف الإنساني في حركة التاريخ أو مغزى للخير أو الشر أو ليوم الحساب. لأن هذه الحرية بمثابة التحدي الفعّال للإرادة البشرية وهي تعني في القرآن (المسؤولية) وبدونها ليس هناك معنى لدعوات الأنبياء^(٨).

ومع اهتمام التفسير الإسلامي للتاريخ بإظهار المشيئة الإلهية في مسيرة البشر في الحياة فإنه يرفض مبدأ الحتمية فيها، وفي الوقت نفسه لا يقلل من شأن العنصر المادي (الاقتصادي) في الحياة لأنه مُسَخَّر من عند الله لكنه لا يعتبره العنصر الرئيسي في الحياة^(٩).

هناك نواحي أخرى تساهم في دور الإنسان في حركة التاريخ البشري منها مسألة البعد الغيبي الذي يتميز به التفسير الإسلامي عن سائر تفاسير التاريخ، ويُفرد له مساحات واسعة في الماضي والحاضر والمستقبل، ويجعله من أهم الشروط الأساسية للإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية والوحي

^١ سورة البقرة، آية (٣٠).

^٢ سورة الأنعام، آية (١٦٥).

^٣ سورة الكهف، آية (٥٠).

^٤ سورة الأعراف، آية (١١).

^٥ سورة الحجر، آية (٢٩).

^٦ أنظر: خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٩٢-١٩٥. سالم أحمد، المنظور الحضاري، ص ٤٨. ويدجيري، المذاهب الكبرى، ص ١٣٢. الشرفاوي، التفسير الديني للتاريخ، ص ٢٣٩. الكفيشي، حركة التاريخ في القرآن، ص ٢٤٦. عبد اللطيف شراره، ص ٥-٩. الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب، ص ٣١-٣٤. قاسم عبده، تطور منهج البحث، ص ٤٦-٤٧. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد ١، ص ٥٧-٥٩.

^٧ سورة النساء، آية ٧٨.

^٨ خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٤٠-١٤١.

^٩ سمسّم، نظرة في التفسير الإسلامي، ص ٨٢-٨٣.

والأنبياء والرسل واليوم الآخر، والزمان والوجود (المطلق لله) و(النسبي للإنسان) وهذه جميعها من صميم النظرة التاريخية، وقد أشار القرآن إلى الغيب في أكثر من خمسين موضعاً^(١). منها قوله تعالى: "ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون"^(٢).

وكذلك قضية الموت (وما يعنيه من فكرة الفناء أو العدم)، فهو من أهم التحديات الكثيرة في حياة الإنسان، ولا ينجو منه أحد مهما كان إيمانه أو معتقده، وجاء القرآن ليؤكد هذه الحقيقة^(٣) بقوله تعالى: "كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون"^(٤). لكنه ألغى منها معنى العدم أو الفناء من خلال تأكيده الحياة الآخرة ويوم البعث والقيامة وحساب الإنسان على جميع أعماله في الدنيا^(٥) لقوله تعالى: "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً"^(٦). فأصبح ذلك باعثاً للتوتر الإيجابي الدائم والطموح الأبدي والنزعة إلى الخلود، وهذا بحد ذاته ذاته دافعاً للعمل وحركة الإنسان وفاعليته في صنع تاريخه البشري، لذلك أصبح للماضي قيمة كبيرة في نظر المؤمن وارتبط ذلك بفكرة العبرة والعظة، وامتداد نظرة المسلم إلى ما وراء الواقع (الغيب) وهذا من صميم النظرة التاريخية^(٧).

كما ربط القرآن بين الإيمان والعمل الذي هو أساس العمران البشري والحضارة فقد وردت لفظة العمل في القرآن في عدة صور بلغت ثلاثماية وخمسين مرة، وهذا تأكيد لأهمية العمل في الوجود البشري^(٨).

وهناك مسألة الخطيئة الأولى (عدم طاعة آدم لربه) التي مثلت أول فعل في حرية لإنسان وإرادته في الاختيار، لكن الكنيسة ومن خلال تفسيرها للتاريخ الذي تحكمه جبرية تتجه نحو مثل أعلى

^١ خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٣٢-١٣٤. سمس، نظرة في التفسير الإسلامي، ص ٨١-٨٢.

^٢ سورة البقرة، آية (١-٥).

^٣ خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٣٤-١٣٧. سالم أحمد، المنظور التاريخي، ص ٥٠-٥١.

^٤ سورة العنكبوت، آية (٥٧).

^٥ سالم أحمد، المنظور الحضاري، ص ٥٥-٥٦.

^٦ سورة الإسراء، آية (١٣-١٤).

^٧ سالم أحمد، المنظور الحضاري، ص ٥٠-٥١. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٣٤-١٣٧، ١٤٧-١٥١.

^٨ سالم أحمد، المنظور الحضاري، ص ٥٥-٦٠.

(الخلاص) ألغت هذا الدور للإنسان لأن مسؤولية ارتكاب الذنوب والآثام قد رُفعت عن أتباعها مادام صلب المسيح خُصها منها^(١).

وبالمقابل لا يعتقد الإسلام بالخطيئة الأولى، لأن الله تعالى قد غفر لأدم وتاب عليه^(٢) لقوله تعالى: "وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم"^(٣). ومفهوم التوبة في الإسلام واسع واسع وله دلالات عميقة تمثل نظاماً إصلاحياً جذرياً دائماً يعمل على تجديد حياة الفرد وصيانة المجتمع. وتوبة الله ليست مقصورة على آدم إنما للبشر كافة ودونما وسيط بين العبد والخالق حفاظاً على خصوصية العبد وكرامته، وهناك العديد من الآيات التي تحض على التوبة وبيان مكانة التوابين عند الله فقد وردت كلمة التوبة في القرآن الكريم في عدة صيغ أكثر من أربعين مرة في سورة البقرة^(٤) النساء^(٥)، آل عمران^(٦)، المائدة^(٧)، التوبة^(٨)،

النور^(٩)، النصر^(١٠)، الحجرات^(١١)، والشورى^(١٢).

ووفقاً للتفسير الإسلامي للتاريخ يكون للحياة هدف ومعنى، ويصبح التاريخ شاهداً على أعمال وأفعال البشر، حتى أن فكرة القضاء والقدر لا تقف حائلاً دون نشاط الإنسان المسلم، لأنه مع إدراكه الأكيد أن الله تعالى قدّر كل شيء لكنه يعمل من خلال معاني آيات القرآن^(١٣)، مثل قوله تعالى: "وأن

^١ صديقي، عبد الحميد، تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادي، الدار اللوتينية، (د/ط)، الكويت ١٩٦٦، ص ١٣٧-١٣٨. ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص ١٣٨. خليل، التفسير الإسلامي، ص ٢٦٢-٢٦٣. الشرفاوي، التفسير الديني للتاريخ، ص ١٨٧. سمس، نظرة في التفسير الإسلامي، ص ٨٢.

^٢ ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص ١٣٨، صديقي، تفسير التاريخ، ص ١٣٧-١٣٨.

^٣ سورة البقرة، آية (٣٧).

^٤ سورة البقرة، الآيات رقم (٣٧)، (٥٤)، (١٢٢)، (١٢٨)، (١٦٠)، (١٨٧)، (٢٢٢)، (٢٧٩).

^٥ سورة النساء، الآيات رقم (١٦-١٨)، (٢٦-٢٧)، (٦٤)، (٩٢)، (١٤٦).

^٦ سورة آل عمران، الآيات (٨٩-٩٠)، (١٢٨).

^٧ سورة المائدة، الآيات (٣٤)، (٣٩)، (٧٤).

^٨ سورة التوبة، الآيات (٣)، (١٥)، (٢٧)، (٧٤)، (١٠٢)، (١٠٤)، (١٠٦)، (١١٨)، (١٢٦).

^٩ سورة النور، آية (١٠).

^{١٠} سورة النصر، آية (٣).

^{١١} سورة الحجرات، آية (١٢).

^{١٢} سورة الشورى، آية (٢٥).

^{١٣} سالم أحمد، المنظور الحضاري، ص ٤٨-٥١، ٥٥-٥٦.

ليس للإنسان إلا ما سعى، وإن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى"^(١). وقوله تعالى: "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب"^(٢). ولعل في العبارة المنسوبة لعلي بن أبي طالب: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"، ملخصاً للنظرة الدينية للتاريخ الإسلامي.

ويستطرد جيب ليؤكد رأيه حول النظرة الدينية للتاريخ (نظرة الكنيسة) بقوله إن جميع المذاهب الإسلامية اتفقت على أن النظرة للتاريخ تذهب أبعد من ذلك، فأهل السنة يعتقدون أن استمرار الحكم الإلهي يرتبط بهم (الأمة الإسلامية)، لذلك كانت دراسة التاريخ عندهم تكملة ضرورية لدراسة الوحي الإلهي في القرآن والحديث، أي بدافع ديني كما أن مبدأ الاستمرار التاريخي عندهم كان أحد الأسس في الفكر السياسي الديني السني^(٣). بينما عند أهل الشيعة فإن استمرار الحكم الإلهي في الأرض يتمثل في سلسلة الأئمة، ومثال على هذا المفهوم موقف أبي مخنف (الإخباري الشيعي) الذي كرّس اهتمامه لكتابة تاريخ حركات الشيعة في الكوفة^(٤). وهذه الفكرة صحيحة وموجودة في الفكر الشيعي السياسي، لكن مثال أبي مخنف ليس دلالة تؤكد ما قاله جيب، وربما اليعقوبي في تاريخه يُعطي دلالة أقرب للواقع.

إن اعتقاد جيب وما طرحه (نظرة الكنيسة للتاريخ)، انعكس على قوله باستمرار الحكم الإلهي عند المسلمين من خلال تأكيده إجماع المذاهب الإسلامية (السنة والشيعة) بأن تلك النظرة تذهب لأبعد من ذلك وهو يقصد بذلك مسألة الإمامة/ الخلافة والسلطة الدينية عندهم.

فالأحكام السياسية والدينية لم يعرض لها القرآن بنص أو تفصيل، ويكون الاحتكام لها بالاجتهاد والرأي لمصلحة الأمة (الجماعة)، في إطار الوصايا العامة والقواعد الكلية التي حددها القرآن بدعوته للخير والعدل والشورى^(٥). فالإمامة عند أهل السنة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، وكان عقدها في الأصل من قبل أهل العقد والحل (في الخلافة الراشدة)، ثم أصبحت بعهد من الخليفة لمن بعده^(٦).

ويقول محمد عمارة في هذا السياق أما الإمامة عند الشيعة فهي بالنص والتعيين، لأن الإمام عندهم معصوم عن الخطأ، وله علم غير محدود، وهو بمرتبة الأنبياء. بينما العصمة عند أهل السنة هي

^١ سورة النجم، آية (٣٩-٤١).

^٢ سورة الشورى، آية (٢٠).

^٣ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam, suppl, p. 236.

^٤ H. A. R. Gibb., Ency. Of Islam, suppl, p. 236. وأنظر: كلير وكلاوس، خالد وعمر، ص ٣٨٩.

^٥ عمارة، الإسلام والسلطة الدينية، ص ١٨.

^٦ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ /)، الأحكام السلطانية، مصطفى الباي الحلبي، ط ١، مصر،

للجماعة وليست للفرد لأن الأمة لا تجتمع على خطأ أو ضلال^(١). وممن دعا لفكرة الحق الإلهي في الحكم عند المسلمين هم الشيعة، وبعض الحكام والسلاطين المستبدين، كما تبنت هذه الفكرة المشيخة العثمانية في القرن التاسع عشر لإضفاء طابع السلطة الدينية على سلاطين آل عثمان^(٢).

ثالثاً: دوافع تبني جيب لنظرة الكنيسة للتاريخ

يبدو أن ما طرحه جيب حول نظرة الكنيسة للتاريخ يتصل بجوانب من فكره وقناعاته لم يفصح عنها في دراسته للتاريخ العربي الإسلامي، إنما كان يوظفها بشكل غير مباشر في بناء أحكامه وصياغة آرائه المبهمة والغامضة في هذه الدراسة، وربما إلقاء الضوء على بعضها يساعد في فهم طريقة تفكيره لأن فكر المستشرق لا يتجزأ وأحكامه هي انعكاس لما يؤمن ويعتقد به.

ومن هذه الجوانب نظرتة للكنيسة والإسلام، وموقفه من القرآن والوحي، وموقفه من العقل العربي (كيف ينظر للحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية)، ولبيان مدى اعتماده على آراء ودراسات المستشرقين السابقين والمعاصرين له، وتبنيه لآرائهم وتوظيفها في طروحاته لتعزيز نظره.

أما نظرة جيب للكنيسة والإسلام فإنه يتحدث عن نفسه بأنه مشبّع روحياً بإطار أعراف الديانة المسيحية لأنها (برأيه) تعبّر عن أرفع مستويات الحقيقة الروحية التي يعتنقها، على أن تفسّر كمفاهيم عامة تنطبق على الرؤى المتغيرة تجاه الكون، وليست تعبيراً عن عقائد مُجسّدة. فهو يعتبر أن الكنيسة والمجتمع المسيحي يُعطي كلاهما للأخر حيوية متواصلة. فالكنيسة تلعب دور الجامع التاريخي والأداة الموضوعية لخدمة الضمير المسيحي، كما أنها تشكّل عنصراً ثابتاً على الدوام يتجدد عن طريق التجربة المسيحية ويوجه سردها وفعاليتها معاً^٣.

إن الإشباع الروحي بإطار أعراف الديانة يختلف تماماً عن الاعتقاد بإصولها وتعاليمها، وما يشترطه من تفسير وفهم هو لنفي الجمود والتشدد في عقائد المسيحية من تجسيد وعبادة الأقانيم والثالوث المقدس، وما يعتبره هو من حيوية متبادلة بين الكنيسة والمجتمع المسيحي فهذا رأيه وغايته إضفاء صورة ناصعة لدور الكنيسة والمجتمع المسيحي وهذا مخالف للأساس النظري والتطبيق العملي لمفاهيم الكنيسة ونظرتها للتاريخ من عصر أوغسطين وحتى بعد انفصال الدين عن الدولة، وربما يقصد بالعنصر الدائم المتجدد عن طريق التجربة هو ما صرح به بعض البابوات عن تنازلات أو تساهل فيما يتصل ببعض قوانين الأحوال الشخصية المتعلقة بالطلاق وتعدد أنواع الزواج.

^١ عمارة، الإسلام والسلطة الدينية، ص ٧، ١٨، ٣٠-٣١.

^٢ عمارة، الإسلام والسلطة الدينية، ص ١٨، ٣٣، ٣٤.

^٣ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٢٢.

وبالمقابل يذكر جيب أن نظرتة للإسلام هي نقيض نظرتة للكنيسة، فالجماعة الدينية الإسلامية وأعضاؤها يشكلون مزيجاً متشابهاً تتكون عناصره وتتفاعل مع بعضها ما دام الإسلام نظاماً حياً، وما دامت مبادؤه تُلبى حاجات الوعي الديني لدى معتنقيه^١، وسيتم الحديث عن نظرتة للإسلام لاحقاً بعد الاطلاع على موقفه من القرآن والوحي.

لقد أعرب جيب بشكل صريح أن نظرتة للإسلام هي نقيض نظرتة الإيجابية للكنيسة، وهذا لا شك فيه، لكن ما ذكره يعكس تناقضاً في أقواله وأفكاره، فمن المعروف أن الحيوية من السمات التي ينفرد بها الإسلام عن سائر الديانات السماوية والوضعية، وحاول جيب إلصاق صفة الحيوية المتجددة الدائمة بين الكنيسة المسيحية والمجتمع المسيحي دون توضيح.

بينما ربط استمرار التمازج والتفاعل بين الجماعة الإسلامية وأعضائها بشرط دوام حيوية الإسلام ثم عاد ليصف القرآن أنه قاعدة التفكير الإسلامي وهو عقيدة حية تتجدد وتترسخ دعائمها على الدوام في قلب ونفس المسلم العربي بشكل خاص، وربما يفسر هذا الموقف المتناقض والمناقض للإسلام التزامه منه بعدم الخروج عن حدود نظرة المستشرقين للإسلام.

أ: موقفه من القرآن والوحي

يرى جيب أن القرآن ليس مجرد عقيدة (لاهوتية) إيمانية، إنما هو عقيدة حية تتجدد وتترسخ دعائمها على الدوام في قلب ونفس المسلم خاصة العربي، ويصف القرآن بأنه قاعدة التفكير الإسلامي، وهو مجموعة من الخُطب ألقاها محمد (صلى الله عليه وسلم)، طيلة العشرين سنة الأخيرة من حياته، وهي في أكثرها عبارة عن تعاليم دينية وأخلاقية، أو براهين ساقها ضد خصومه، أو تعليقات على حوادث العصر وتعليمات على الصعيد الاجتماعي والقانوني. والقرآن كتاب واحد عكس الإنجيل الذي هو مجموعة من الكتب تعود إلى تواريخ مختلفة وأشتركت فيها أيدٍ عديدة ومتنوعة.^٢

ويواصل جيب حديثه عن القرآن والوحي بقوله: إن محمد(صلى الله عليه وسلم) نفسه كان يعتقد أن تلك الأقوال (التي هي آيات القرآن الكريم المنزلة على الرسول والتي وصفها جيب بالخُطب) قد أُوحيت له لأنها لا تعود في شكلها إلى عقله الظاهر، وهكذا اعتبر محمد(صلى الله عليه وسلم) تلك الأقوال، وتبعه في ذلك جميع مُسلمي عصره والعصور اللاحقة على أنها كلمة الله المباشرة تلاها الملاك جبريل على محمد (صلى الله عليه وسلم).^٣

^١ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٢٢.

^٢ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٢٧.

^٣ المرجع السابق، ص ٢٧-٢٨، ٣٤-٣٥.

ويوافق جيب في هذا الرأي عدد من المستشرقين منهم جولدتسيهر^١ ، وغوستاف أبفون، جرونباوم، (Gustave.E.Von Grunbaum)^٢. ويعقب جيب على ذلك بأنه ليس من الضروري الإسهاب في هذا الموضوع بعد التحليلات التي قام بها المستشرق وماكدونالد دونكان بلاك (Macdonald Dunkan Black) حول الإستعداد الطبيعي الموجود لدى الساميين وخاصة عند العرب لتقبل فكرة الغيب لأنها شائعة عندهم، ولهم مفهوم خاص عن النبوة^٣.

يرمي جيب من نفيه لنزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى التشكيك بصحة نصوص القرآن وأنها ليست كلام الله المباشر، وكذلك الأحاديث النبوية بقوله أن المسلمين ابتدعوا العصمة للنبي ليثبتوا أن أحاديثه تصدر عن وحي إلهي أيضاً، وهذا قول خطير واعتداء صارخ على القرآن والنبي وسنته، وقد تقول به كثيرون قبل جيب وبعده، لكن ذلك لا يغيّر من الواقع الصحيح والمثبت أي شيء ولا مجال هنا لبيان الأدلة والبراهين التي تدحض هذه الأقوال.

ولا يفهم من هذا القول إلا أنه محض افتراء وتخبط يعكس مبلغ التعصب الأعمى ، وأمر يدعو للغرابة بأن يصدر عن شخص من أبرز المتخصصين بالدراسات الإسلامية. ورغم ذلك فإن جيب يصف القرآن بأنه كتاب واحد بينما الإنجيل مجموعة من الكتب تعود لتواريخ مختلفة، اشتركت فيها أيدٍ عديدة ومتنوعة.

وهذا يدعو للتساؤل كيف يكون الإنجيل (على الحالة التي وصفها جيب) كلام الله المباشر لعيسى عليه السلام ، ولا يكون القرآن الكريم كذلك والذي جُمع في كتاب واحد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتكفل الله تعالى بحفظه لقوله تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"^٤. ولا يُقصد بالتساؤل المقارنة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وإنما الإشارة إلى التناقض بين أقوال جيب.

ب: نظرة جيب إلى العقل العربي

أما نظرة جيب إلى العقل العربي فهو يُبدي منه موقفاً سلبياً غايةً التقليل من شأنه والحط من قيمته، بإسلوب يخلو من اللياقة وأدب الحديث، والكياسة في طرح الأفكار، ومليء بروح التحيز والتعصب، وليس له من غاية سوى التشويه والتهجم على كل ما هو عربي "الإنسان" و " المجتمع " و "الأمة العربية" و :الحضارة العربية" و التاريخ" لأن العقل العربي رمز لجميع ذلك.

^١ جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ١٥ ، ٢٤-٢٥ ، ٧٨-٧٩ .

^٢ جرونباوم، جوستاف أبفون، حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، (د/ن) ، ط/٢ ، ١٩٥٦ ، القاهرة، ص ٧١-٧٣ .

^٣ جيب، الإتجاهات الحديثة، ٢٧-٢٨ .

^٤ سورة الحجر أية ٩.

والملاحظ أن آراء جيب حول العقل العربي إنما هي تبين لبعض آراء وتحليلات مواطنه المستشرق الإسكتلندي ماكدونالد، دنكان بلاك (Macdonald,Duncan Black) (١٨٦٣ - ١٩٤٣) في كتابه "الموقف الديني والحياة في الإسلام" The Religious Attitude and Life In Islam, University of Chicago لذا سنعرض بإيجاز لكتاب ماكدونالد و وصفه وبعض أفكاره التي اعتمد عليها جيب.

أشار جيب في كتابه "الإتجاهات الحديثة في الإسلام" إلى سلسلة المحاضرات التي ألقاها البروفيسور د.ب.ماكدونالد عام ١٩٠٦م من خلال مؤسسة هاسكل^١ ونشرتها جامعة شيكاغو عام ١٩٠٩م بعنوان: "الموقف الديني والحياة في الإسلام" واطلع عليها جيب بعد أربعين عاماً. و وصفه بأنه أفضل كتاب كشف بوضوح وتفهم عميق وسعة إدراك عن مصادر الحياة الروحية لدى المسلمين وما يُرافق ذلك من شعور بالأمر غير المنظورة (الغيبية) والإحساس بما هو وراء الطبيعة.^٢

يتألف كتاب ماكدونالد من عشر محاضرات تقع في ٣١٢ صفحة، تم التركيز فيها على تحديد الموقف الديني والحياة عند المسلمين، وما يهمنها منه المحاضرة الأولى بعنوان: موقف الساميين تجاه عالم الغيب والنبوة كظاهرة سامية خاصة عند العرب". والتي تحدث فيها عن طبيعة الشرقيين، وفقدانهم للإحساس بالقانون واللامبالاة، والتضارب في أفكارهم ومفاهيمهم للأفكار المفردة، كما تناول النبوة وطبيعة الوحي ومقارنة ذلك بين العرب واليهود من خلال: الأشعار وبعض المصطلحات مثل: الشاعر، الكاهن، العراف، الهاتف، الشيطان، التميمة، التعويذة، والعلاقة بين الثنوية والصفوية.^٣

تتضمن الصفحات الخمس الأولى من كتاب ماكدونالد أهم الأفكار الرئيسية التي طرحها وبنى عليها جيب آراءه وتتلخص في: أن الحياة الدينية في الإسلام تؤمن بوجود نظام غيبي^٤ يتفرع عنه ثلاثة أقسام تتمثل خطورتها في حقيقة الغيب وعلاقة الإنسان به، وسلوك الساعي لمعرفة هذا الإيمان ويرى

^١ هاسكل، مؤسسة متخصصة بدراسات مقارنة الأديان في الولايات المتحدة الأميركية، وتقوم بالترتيب لإلقاء محاضرات مستقلة حول بعض الديانات، أو إجراء مقارنات بين ديانات مختلفة والعلاقات فيما بينها، ويقوم بالدراسات مستشرقين مختلفين. وتُلقى في جامعة شيكاغو كل سنتين مرة. انظر:جيب- الإتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة هاشم الحسيني، (د/ط) (د/ث) بيروت، ص ١٦ - ١٧ .

^٢ جيب، الإتجاهات الحديث، ص ١٦ - ١٧ .

^٣ Macdonald,D.B,The Religious Attitude and Life in Islam, Universty of

Chicago,1908,introduction,p.xi.

^٤ Ibid.,- p,1

ماكدونالد أن هذه الأمور تتجسد في مواضيع ما وراء الطبيعة، والجانب النفسي والجانب الأخلاقي للإنسان.^١

ويطرح ماكدونالد في مقدمة محاضراته عدة تساؤلات عن عالم الغيب وعلاقة المسلمين به في الحياة اليومية وما هي طبيعته وحقيقته في الإسلام؟ ثم يستنتج بشكل مباشر بأن موقف المسلم يختلف كثيراً عن موقف الغربي في اتجاه خطواته وخبراته، ويصف المسلم بأنه مجرد شخص يدور في جميع الاتجاهات وأن مفهوم الغيب في الوقت الحاضر مقبول وحقيقي لدى الشرقي أكثر بكثير مما هو لدى أبناء الغرب.^٢

ويرى ماكدونالد أن الشعوب السامية (كجنس وعرق) تعتقد بالغيب وتخضع لتبجيله، وأن العرب لديهم شك في أنفسهم مثل الشك الذي حير محمد (صلى الله عليه وسلم) والذي يظهر عند المسلمين في الوقت الحاضر بدرجات متفاوتة. وهو يفسر ذلك بأن العرب يُظهرون أنفسهم بأنهم لا يؤمنون ولا يعتقدون بسهولة، وأن لهم عقولاً مُميزة فهم يسألون ويهزأون ويشكون في مجالسهم ويدققون ويتأكدون كثيراً من الأساس والطبيعة الخاصة لله (تعالى)، ويعقب بأن العرب يمارسون جميع هذه الأشياء بفضول وعقل محدود في الغالب وبشكل طفولي.^٣

ويذكر ماكدونالد أن أفضل نجاح في حياة العرب هو نجاح محمد (صلى الله عليه وسلم) في دعوته ويقصد بذلك نجاح دعوة الإسلام بين العرب لأنهم يعتقدون ويؤمنون بالغيب أصلاً، ورغم ذلك لم يكن هناك توازن في الإيمان يحمل المسلمين على تجاوز الإنقسامات في مشروعهم الديني.^٤

وأخيراً يقارن ماكدونالد بين العرب واليهود من حيث الإيمان بالأشياء غير المادية (الغيبات) بقوله: لم يكن اليهود في أعظم أيام محاولاتهم (بخصوص الإيمان بالغيب) بهذا العمى والجهل والحماسة مثل هؤلاء العرب " أي أراد إظهار أن العرب أحمق من اليهود، ويؤكد بأننا نجد تطور الإيمان في أوروبا وفي كل مكان، بينما نجد الإذعان والقبول الفوري لما يمس عالم الغيب عند الساميين والذي نعزوه بشكل عام إلى ورع الشرق.^٥

وفيما يلي ملخصاً لموقف جيب وآرائه حول العقل العربي:

^١ Ibid.,- p.2.

^٢ Ibid.,- P.3.

^٣ Macdonald, Religious Attitude. P.4.

^٤ Macdonald, Religious Attitude.P.4.

^٥ Macdonald, Religious Attitude. P.5.

يذكر جيب أن هناك تعارضاً شديداً يدعو للدهشة بين قوة الخيال في بعض مناحي الأدب العربي وبين الصياغة اللفظية والتحدائق في تحليلات العرب وشروحاتهم حتى في مجال الأدب نفسه.^١ ويستطرد جيب في أقواله ويذكر أن الخيال الذي هو مصدر الحياة الذهنية (العقلية) لدى العرب، والذي يُعبر عنه باللغة، فإن الخطاب الفني يخلب لبَّ العربي وينفذ إلى بصيرته دون معالجة بأي منطق أو تفكير للتخفيف من وطأته، لذلك يرى العرب في القرآن عملاً مصدره فوق الإنسان وحتى المسلمين الذين ألفوا إحساس العرب بلغتهم أصبحت لديهم طبيعة ثانية^٢ ، ويؤكد جيب على ضالة دور العرب ومحدودية دورهم ومساهماتهم في الثقافة والعلوم بقوله: وصحيح أن هناك فلاسفة كبار بين المسلمين إلا أن العرب فيهم قلة ومن باب الشواذ (حسب تعبيره).^٣

يوضح سبب ذلك بأن العقل العربي لا يستطيع أن يتحرر من شعوره الحاد بانفصالية وتذرية وفردية عند مواجهة الحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية الملموسة، لأنه يعالج كلاً منها على حدة أي كأنها أحداث منفصلة لا رابط موضوعي بينها. ويرى جيب ذلك بأنه أحد العوامل الرئيسية لانعدام روح القانون لدى العرب، والذي اعتبره ماكدونالد الطبيعة المميزة عند الشرقي.^٤

ويفسر جيب ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يؤمنون بالسحر والجن والعرافين والكهان والأمور الخارقة، واستمرت هذه الصفة (التذرية) عند العرب بعد الإسلام رغم أن الإسلام جاء وحاربها وأبطل كثيراً منها، إلا أن موضوع الإيمان بالغيبات والمعجزات وخوارق الأمور لدى المسلمين يعزز هذه الصفة.^٥

ويوضح برنار فرينيه (كاتب مقدمة الطبعة الفرنسية من كتاب الإتجاهات الحديثة في الإسلام) بأن صفة التذرر/الفردية هي : نزعة التجزئة التي تتمثل في عزل مفاهيم الفكر عن بعضها والحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية (أي أنها منهج تفكير منفصل وغير مترابط أو متلاحم) وهي صبغة مشتركة لدى جميع مفكري الإسلام وجميع المؤمنين الحقيقيين ، ومهما اختلفت أعراقهم. ويعزو جيب تلك الصفة المشتركة إلى أثر القرآن واللغة العربية ذاتها على العرب والمسلمين.^٦

^١ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٣١ - ٣٢.

^٢ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٢٩ - ٣٠ .

^٣ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٣١ .

^٤ ، المرجع نفسه، ص ٣٢.

^٥ المرجع نفسه، ص ٣١ - ٣٢.

^٦ جيب، الإتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة نخبة من العلماء الكبار، د/ط، بيروت، ١٩٧٧، ص ٩ - ١٠ برنار فرينيه- مقدمة الطبعة الفرنسية.

ويستنتج جيب بأن وجود صفة التذرر والفردية في العقل العربي يفسر نفور المسلمين من منهج التفكير العقلاني بسبب سيطرة التفكير الحدسي عليهم منذ القرون الأولى وحتى العصر الحاضر حيث صبغ الإسلام التقليدي والثقافة الإسلامية بطابع ديني دائم، ولا يعزو جيب هذا الأمر إلى دور الفقهاء في الإسلام بتعمية الشعب عن الثقافة إنما بسبب تذرر الخيال والعقل العربي.^١

ويستمر جيب في حديثه بأن في التركيب العقلي (الذهني) للمسلم شيء من جوهر الحلولية الفجة (يعني الإيمان بالأرواح والجن والعمارة والقوى السحرية الغامضة)^٢. واكتفى جيب بالإشارة إلى تحليلات ماكدونالد في محاضرات هاسكل. ويرى أن للمسلم ميلاً للإيمان بالغيبات والإستعداد لتقبل الحكم الديني وهذا ما يفسر الإيمان بالأولياء وشيوخ الطرق الصوفية.^٣

ويؤكد جيب على الإستعداد لدى العرب والمسلمين لتقبل الحكم الديني لأنه يرى أن طريقة تعليم القرآن الكريم هي نمط التعلم الإسلامي بشكل عام. وأن الدور الإجتماعي لمدارس تعليم القرآن أدى إلى هذا الميل في ذهن الطالب لقبول السلطة وطاعتها، علماً بأن رأي جيب هذا جاء ضمن حديثه عن نظام التعليم في الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

لقد جانب ماكدونالد الصواب والحقيقة فيما طرحه حول العقل العربي، فهو لم يقدم أية أدلة وبالتالي لا يمكن وصف ما قدمه سوى أنه محض افتراء وتقوّل يخلو من الموضوعية وغايته التشويه فقط. وتبعه في ذلك جيب وزاد عليه محاولاً تفسير أقوال ماكدونالد أنها بسبب القرآن واللغة العربية حتى عند المسلمين من غير العرب، وكأنها عدوى انتقلت لعقلهم بسبب تعلمهم اللغة العربية واعتناقهم الدين الإسلامي. وهذا ينم عن زيغ ورؤية قاصرة وشطط مرفوض لا يقبله المختصون في علم دراسة الإنسان (الإنثروبولوجيا) ولا حتى الإنسان العادي.

وبالإمكان دحض مزاعم وافتراءات كلاً من ماكدونالد وجيب لكن لا مجال لبحث ذلك هنا لأنه يتطلب البحث في نواحٍ عديدة منها ما يتعلق باللغة العربية من حيث البيان والبلاغة والفصاحة والخيال وبالقرآن الكريم من حيث القوة والبيان والإعجاز والدقة في المعاني التي لا يدرك كنهها إلا من يهضم العربية ويتذوقها. وكذلك إجراء دراسة مقارنة لتطور الفكر الديني عند الأوروبيين والمسلمين من عرب وغيرهم في الماضي والحاضر وعندها يمكن الحكم على ما ذهب له ماكدونالد وجيب ومن يتبنى هذه التقولات.

^١ جيب، الإتجاهات الحديثة (ترجمة هاشم الحسيني).

^٢ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٤٨ - ٤٩.

^٣ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٣٢، ٤٨ - ٤٩.

^٤ هاملتون جيب وهارولد بوين، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، دار المدى، ط/١، دمشق، ١٩٥٧م، المجلد/٢، ص ١٦١.

ويمكن بيان ذلك من خلال دراسة الأوضاع الفكرية والاجتماعية والنفسية للعرب وغير العرب (الذين اعتنقوا الإسلام، خاصة الفرس والتركماني والعجم وغيرهم) قبل الإسلام وبعده ومن الأمثلة على ذلك مقارنة أحوال الإسبان في عهد القوط الغربيين وبعده دخولهم تحت حكم العرب المسلمين ودورهم في نقل الفكر والحضارة لأوروبا.

إن ما طرحه ماكدونالد وجيب ليس غريباً أو مستهجناً لأن ذلك من الأفكار السائدة في المجتمع الغربي بشكل عام ولدى المستشرقين بشكل خاص عن العرب المسلمين. فمثلاً يذكر لنا ألبرت حوراني نقلاً عن أرنست رينان Ernest Renan قوله "إن الروح السامية أنتجت الوجدانية، لكنها غير قادرة على إنتاج شيء آخر، لا أساطير ولا أدب أو فن رفيع وذلك بسبب البساطة الهائلة التي تتسم بها الروح السامية، التي تقفل الدماغ البشري في وجه أي فكرة بارعة، وأي شعور رفيع، وكل بحث عقلائي..." وبالتالي فقد حالت دون نمو العلم.^١

ويؤكد رينان أن الروح الآرية هي التي خلقت كل شيء آخر بالمعنى الصحيح، مثل: الحياة السياسية والفن والأدب، وأن الشعوب السامية ليس لديها شيء من ذلك خاصة العلم والفلسفة خلا بعض الشعراء، وحتى ما يدعى بالعلوم العربية فقد كانت تكمل للعلوم الإغريقية التي لم يقم بها العرب بل قام بها الفرس واليونان الذين اعتنقوا الإسلام، وهذا يعني أن الذين قاموا بها هم الشعوب الآرية، ويُعقب ألبرت حوراني على ذلك بأن المستشرق اليهودي الهنغاري جولد تسيهر استجاب لنظريات رينان وتبناها.^٢ لقد اشتهر أرنست رينان بتعصبه الأعمى ضد العرب والإسلام، وبعده عن الموضوعية، وعجزه عن تبرير آرائه بالأدلة العلمية خاصة في مناظراته مع المفكر الإسلامي جمال الدين الأفغاني في باريس.

ويشير هاشم صالح إلى نظرة المستشرقين للعقل العربي بقوله: "إن هناك من يتهم العقل العربي بأنه سبب التأخر الحضاري مثل برنارد لويس ومكسيم رودنسون، ويذكر بأن أوروبا لم تتقدم حضارياً في العصر الحديث إلا بعد أن خرجت من سجن الحقيقة اللاهوتية المقدسة."^٣ ويعزو رودنسون القصور في الشخصية (العقلية) العربية الإسلامية إلى أسباب سلبية: اقتصادية واجتماعية وتاريخية، ويرى أنه عندما تتغير هذه الظروف السلبية ستتغير العقلية العربية الإسلامية، وعندها سيحصل النهوض الحضاري لدى العرب والمسلمين.^٤

^١ حوراني، ألبرت، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهلية للنشر، د. ط، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٤٠.

^٢ حوراني، الإسلام في الفكر الأوروبي، ص ٤٠ - ٤١.

^٣ هاشم صالح، إنسداد التاريخ، دار الساقى، ط/١، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٢١.

^٤ صالح، إنسداد التاريخ، ص ١٢١.

ويبدو بشكل واضح التوافق الكبير لابل التطابق التام بين آراء سلسلة من المستشرقين من أرست رينان إلى جولد تسيهر إلى ماكدونالد إلى جيب إلى رودنسون إلى برنارد لويس وغيرهم في نظرتهم للعقل العربي وإلى مساهمة العرب والمسلمين في التراث الفكري الإنساني مع الملاحظة أن جيب كان في وسط السلسلة.

بعد سلسلة المآخذ والسلبات التي وصف بها جيب العقل العربي وأهمها صفة التذرر (النظرة الفردية للأحداث)، فإنه يخلص إلى استنتاج مُبهم يناقض به نفسه وهو: " إن تركيز الفكر (العقل) العربي على الأحداث الفردية جعل العلماء المسلمين قادرين على التعمق في المنهج الإختباري العلمي، أكثر من أسلافهم الإغريق والإسكندرانيين، وإن ما قام به باحثوا الإسلام كان المصدر الذي أدخل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصر الوسيط.^١

ويُفهم من استنتاج جيب أعلاه أمران: الأول: اعتراف صريح منه بفضل الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا بإدخال منهج البحث العلمي الذي كان أساس التقدم الحضاري الأوروبي الحديث. والثاني: أن حالة التذرر (الفردية في العقل العربي) على هذا الأساس هي صفة إيجابية وليست سلبية كما وصفها.

لكن جيب يعود ليقال من أهمية ما حققه العرب والمسلمون من التقدم أعلاه بقوله: "رغم أن علماء العرب والمسلمين برعوا في هذا المضمار (منهج البحث العلمي) إلا أنهم واجهوا صعوبة كبرى في مزج نتائج الملاحظة مع التجربة بغية الوصول إلى استنتاجات مثالية تقوم على نظرية القانون الطبيعي، وذلك بسبب العقائد الدينية التي كانت تحد من نشاطهم إلى حد ما.^٢

ويفسر جيب ذلك أنه بسبب الخيال الديني الذي ابتدع صفات للنبي محمد(صلى الله عليه وسلم) مثل العصمة والصفات الخارقة له، كما أن هذا الخيال يعتبر أن القرآن موحى به، وكذلك أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله فهي قدوة لأعمال البشر، وذلك لحاجة علماء المسلمين لتعزيز نظمهم العقائدية والشرعية، والتي أنشأوا منها علم الحديث و صنّفوه إلى صحيح، وشبه صحيح وضعيف.^٣

ويبدو بشكل واضح من خلال تعقيب جيب على استنتاجه أعلاه إصراره على التقليل من أهمية تقدم العرب والمسلمين في هذا المجال، وذلك من خلال تسويغ مبررات غير صحيحة تارة بسبب طبيعة العقل العربي (صفة التذرر والفردية)، وتارة أخرى بسبب عقائد المسلمين التي تحد من نشاطهم العقلي أو الخيال الديني لديهم، وكأنه لا بد من وجود سلبية عند المسلمين. وشأنه في ذلك شأن معظم المستشرقين للحفاظ على مقولة التقدم والتفوق الحضاري الغربي.

^١ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٣٣ .

^٢ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٣٣

^٣ جيب، الإتجاهات الحديثة، ص ٣٤

وقد يفسر هذا العديد من مواقف وآراء جيب غير الموضوعية بأنها تنبثق من تصور عام وخطوط مرسومة بشكل واضح ومتداولة في الفكر الأوروبي، بحيث لا يستطيع أي مستشرق أن يتجاوزها، وإلا ستصبح كتاباته ليست ذات قيمة وخارجة عن سياق المفاهيم الأوروبية، لأن كتابات المستشرقين توضع في الغالب لتلبية طلبات مراكز الدراسات الإستشرافية والدوائر السياسية في مجتمعاتهم أولاً مع توفير التسهيلات كافة لذلك، ولرسم صورة انطباعية سلبية في المجتمع الغربي عن العرب والمسلمين بشكل عام ثانياً.

كما أن منهج البحث العلمي المبني على التجربة والإختبار والملاحظة والذي وضعه المسلمون لم يأت نتيجة جهد فردي إنما كان نتيجة لجهود وأبحاث تراكمية توصل إليها المسلمون في مجالات عديدة وخلال فترة زمنية طويلة، وبالتالي فإن المنطق يقضي بأن من وضع المنهج هو الأقدر على استخلاص النتائج والملاحظة وتفسيرها. ويؤكد ذلك ما تركه علماء العرب والمسلمين من مصنفات علمية مبنية على منهج البحث العلمي. وقد أشار لبعضها العديد من المصادر الإسلامية والدراسات الحديثة وعلى سبيل المثال ابن النديم، والسخاوي، وحاجي خليفة، وكارل بروكلمان، وفؤاد سيزكين وغيرهم. وهذا يؤكد عكس آراء جيب حول استخلاص نتائج البحث العلمي.

أما كيفية تفسير نتائج التجارب فذلك يتعلق بالنظرة لتفسير الحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية من خلال مفهوم ديني أو دنيوي وجاء انتقاد جيب لعلماء المسلمين بعدم ربط نتائج تجاربهم بنظرية القانون الطبيعي (بسبب عقائدهم الدينية) بمثابة التأكيد على استمرار تبني جيب لنظرة الفكر الأوروبي الذي ينفي حرية الإنسان وإرادته في الاختيار، والمخالفة لنظرة المسلمين في تفسير التاريخ في مرحلتين من تاريخ الفكر الأوروبي: الأولى: العصور الوسطى حيث سيطر مفهوم الكنيسة على تفسير التاريخ (مبدأ الجبر)، والثانية: مرحلة الفكر الأوروبي الحديث ابتداء من فصل الدين عن الدولة وعصري النهضة والتنوير وما شهدته أوروبا من تطور في المذاهب الفكرية المنبثقة عن فكرة الحق الطبيعي التي ركزت على القوانين الطبيعية حول حقوق الإنسان في مجالاتها المتعددة ونماذجها المختلفة وآخرها الليبرالية في ملامحها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية والقيم والقوانين والأخلاق^١.

إن ما اعتبره جيب نقطة ضعف أو قصور عند المسلمين في استخلاص نتائج البحث العلمي ليس دقيقاً، بل هي نقطة قوة تحسب لهم، لأنهم اعتمدوا مرجعية واحدة ثابتة وأزلية، تنبثق من إيمانهم واستيعابهم لقدرة الله تعالى في خلق الكون وتسييره لما يجري فيه، بينما تستند نظرية القانون الطبيعي إلى اعتبارات وضعية مادية تحكمها آراء عديدة وتفسيرات متغيرة. وبالتالي فإن جيب جانب الصواب

^١ انظر: محافظة، تاريخ الفكر السياسي، ص ١٤٠.

في رأيه لأنه نظر لمنهج البحث العلمي عند المسلمين من مفهوم الفكر الأوروبي ومن زاوية محددة هي نظرة القانون الطبيعي في تفسير نتائج منهجهم في البحث العلمي.

ويؤيد ما ذهب إليه الباحث من تعقيب وتحليل واستنتاج حول موقف جيب أعلاه من الدراسات التي تطرقت لآرائه وانتقاداته للعقل العربي نذكر منها على سبيل الأمثلة: ما تناولها بالمعارضة والتفنيد بشكل مباشر مثل دراسة نديم البيطار.^١ ومنها ما أشار لها بشكل عرضي^٢، ومنها ما كان عبارة عن اعتراضات وانتقادات لأساليب باحثين ومفكرين عرب ومسلمين تصدوا لدراسات بعض المستشرقين ومن ضمهم البيطار في أسلوبه لتفنيد مزاعم جيب^٣.

لقد تناول البيطار موقف جيب وآراءه من العقل العربي بالنقد والتفنيد بشكل مفصل لجميع النقاط التي أثارها جيب ولا يتسع المجال هنا إلا لذكر أهمها وباختصار شديد، ينفي البيطار صفة التذرر والفردية عن العقل العربي والتي ذكر جيب أنها كانت سبب نفور المسلمين من العقلانية الفكرية قديماً وحديثاً. وبين البيطار أن هذه الصفة كانت تنطبق على المجتمع الأوروبي (وذلك من خلال افتراض جدلي غايته بيان أثر النظرة الدينية في المجتمع العربي ومقارنة ذلك في أوروبا اثناء سيطرة مفاهيم الكنيسة على الفكر الأوروبي) مابين القرن الرابع والرابع عشر الميلادي، واستعرض عدداً من الدراسات الأوروبية التي تؤيد وجهة نظره.^٤

ويضيف البيطار إن وما وصفه جيب بالتذرية والفردية، إنما هو يعبر من هذه الزاوية عن تركيب العقل الغربي، وينطبق عليه أكثر بكثير مما ينطبق على العقل العربي، ذلك أن الليبرالية التي كانت أعظم ثورة أيولوجية في تاريخ الغرب، والتي أثرت في جميع مناحي الحياة الغربية إنما هي أصلاً دعوة إلى الفردية.^٥

كما بين البيطار عدم صحة ما قاله جيب عن العقلية الأوروبية بأنها تقنية وعلمية وهي نقيض العقلية الشرقية والعربية التي وصفها بأنها روحية وصوفية وذلك من مقارنة الحياة العلمية وتطورها عند العرب والمسلمين وما شهدته أوروبا في نفس الفترة من تحجر العقل، وشل الفكر ومحاربة العلم

^١ البيطار، نديم، حدود الهوية القومية (نقد عام)، دار الوحدة، ط/١، بيروت، ١٩٨٢، انظر: الفصل الخامس بعنوان مفهوم الهوية القومية من زاوية استشرافية (جيب والعقل العربي) ص ١١٩ وما بعدها.

^٢ العروي، عبدالله، مفهوم التاريخ، ج/١، (الألفاظ والمذاهب)، المركز الثقافي العربي، ط/١، بيروت، ١٩٩٢م، هامش ص ٢١٨.

^٣ الموسوي، محسن جاسم، الإستشراق في الفكر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط/١، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٩٣-١٩٤.

^٤ البيطار، حدود الهوية، ص ١٢٣-١٢٨.

^٥ المرجع نفسه، ص ١٣٧.

والعلماء وإيقاع أفسى العقوبات بالعلماء والمفكرين والمنادين بالمفاهيم العلمية الجديدة وأشار إلى العديد من الدراسات الأوروبية الحديثة التي تؤيد وجهة نظره وتعارض ما ذهب إليه جيب من آراء حول العقل العربي الإسلامي بشكل خاص^١.

ويوافق الأثري على ما طرحه البيطار من خلال مقارنة المظهر العقلي العام لأوروبا في عصر التنوير (الذي يعتبر أحد أطوار ومراحل الإصلاح والتقدم الأوروبي) والمجتمع الإسلامي في نفس الفترة (التي تعتبر من أشد مراحل الجمود العقلي عند المسلمين) وذلك بعرض بعض الإحصائيات مثال: ان من عوقبوا في أوروبا لإعلانهم سبل الإصلاح والتجديد من العلماء والمفكرين بلغ ثلاثمائة ألف (٣٠٠,٠٠٠)، أحرق منهم أحياء اثنان وثلاثون ألفاً (٣٢٠٠٠) منهم برونو Brune وغالييليو Galilei ودي رومانس De Romanse وغيرهم.

بينما في تاريخ الإسلام ليس هناك إلا حوادث نادرة عوقب بها أفراد بسبب آرائهم ومعظمها لأسباب سياسية أو ادعاء العلم بالأسرار، والنبوة ثم الربوبية مثل الحسين بن منصور الحلاج، وهذه مجرد مقارنة بسيطة لإظهار صورة تأخر المسلمين العقلي في أشد أطوار تأخرهم وبين ما كان لدى الأوروبيين من تأخر عقلي وتخلف في أحد أطوار نهضتهم عصر التنوير^٢.

ووصفت بعض الدراسات الأوروبية الحديثة التي استعرضها البيطار العقل العربي بأنه كان رائداً للعقل الغربي في نهضته وتطوره في مجالات عديدة، وأوضح بعضها أن التقنية (الأوروبية) هي في الأساس شرقية، نشأت وتطورت في الشرق، عندما كان لا يوجد أية تقنية في أوروبا المسيحية خلال الفترة ما بين القرن الرابع والرابع عشر الميلادي، سوى الهندسة المعمارية والتي لم تكن لدوافع فكرية تقنية إنما لحوافز دينية^٣.

وقد انتقد الموسوي أسلوب البيطار في افتراضه الجدلي للرد على جيب في نفي صفة التذرر والفردية عن العقل العربي معتبراً إياه أنه وقع أسير ما فرضه جيب، إلا أنه أتى عليه عندما طبق افتراضه على المجتمع الأوروبي في فترة سيطرة الكنيسة الكاثوليكية ووصفه بالتذرر والفردية^٤. واخيراً هناك عبارة موجزة وصغيرة جديرة بالاهتمام لأن لها دلالة كبيرة فهي تُلقي الضوء على العلاقة الحضارية بين الشرق والغرب وتوضح الأثر الكبير لحضارات الشرق ومنها الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الغربية، كما أنها تنفي الكثير من المزاعم الأوروبية الحديثة حول تخلف الشرق وتقدم الغرب وتفوقه الذاتي، فقد تساءل ويل وآريل ديورانت

^١ البيطار، حدود الهوية، ص ١٢٨ - ١٣٥ .

^٢ الأثري، محمد بهجة، الإتجاهات الحديثة في الإسلام، المطبعة السلفية، دط، القاهرة، ١٩٥١م، ص ١٥ - ١٧.

^٣ البيطار، حدود الهوية، ص ١٣٨ - ١٤٣ .

^٤ الموسوي، الإستشراق في الفكر العربي، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

Wil and Ariel Durant مؤلفا الكتاب الضخم " قصة الحضارة" والذي صدرت أجزاءه على مدى خمسين عاماً في كتاب لهما بعنوان "دروس التاريخ" بالقول : ما هي الدروس التي يمكن أن نخلص إليها بعد أن قضينا حياتنا في إعداد هذه الدراسة؟ وفي معرض الإجابة على هذا التساؤل يقول المؤلفان: أن الجنوب(أي شعوب جنوب البحر الأبيض المتوسط) كان يخلق الحضارة، وأن الشمال كان يغزوها، يخربها ، يستعير منها وينشرها. هذا هو مختصر التاريخ"^١.

رابعاً: رأي جيب في أثر الرواية الفارسية في التدوين التاريخي.

يذكر جيب أن الرواية الفارسية دخلت لأول مرة في صلب التدوين التاريخي الإسلامي عند العرب في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. ويشير بذلك إلى كتاب " خدای نامه" كتاب الملوك (والذي وصفه بأنه يشتمل على قصص خيالية وأساطير)، وكان ابن المقفع (ت ١٣٩هـ/٧٥٦م) نقله إلى العربية قبل ذلك بقرن من الزمان. ويضيف أنه قبل ذلك كانت قد تسربت إلى التاريخ العربي مواد مستمدة من أساطير يهودية ونصرانية تحت ستار تفسير القرآن، وكان لكل ذلك آثار سيئة على التاريخ العربي الإسلامي.^٢

ويستطرد جيب أن العرب اكتسبوا قدراً من الواقعية واحترام مقاييس النقد عندما نشأ التاريخ في أحضان علم الحديث، وهما شرطان في التدوين التاريخي الأصيل. ولكن عندما يتجاوز التاريخ نطاق الميدان الإسلامي (إلى التاريخ العام/العالمي) تعود للظهور الصعوبة القديمة في التمييز بين العناصر الأسطورية وشبه الأسطورية والتاريخية، وذلك بسبب ميل المصنفين العرب للأخذ من المصادر المتيسرة من مواد التاريخ القديم لفارس وغيرها من البلاد. كما أن الدراسات اليونانية انتعشت بفضل الترجمات عن السريانية والتراث اليهودي والمسيحي واليوناني، وهذا أدى للأخذ من مصادر أقل قيمة من خدای نامه.^٣

يتضح مما عرضه جيب أنه تأكيد متكرر لما يتبناه من موقف تجاه التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين وهو اعتقاده بوجود نقاط ضعف وسلبات كبيرة فيه من جراء دخول الأساطير والقصص والخرافات مثل كتاب خدای نامه وغيره من الترجمات عن الثقافات الأخرى وخاصة الفارسية. وهو نقد عام دون تحديد لمواضع الضعف أو الخلل رغم إشارته لعدد من المصادر الإسلامية على اعتبار أنها تؤيد ما ذهب له، وسيتم توضيح ذلك فيما سيأتي.

^١ . Wil and Ariel Durant, The Lessons of History, Simon,Schuster,1968,p,30 .

^٢ . H.A.R.Gibb,Ency of Islam, Suppl.p.237 .

^٣ . Ibid., p.237 .

إن ما طرحه جيب يحمل في ثناياه معاني التشويه والطعن في التاريخ الإسلامي من حيث القيمة التاريخية والموضوعية العلمية، والتشكيك بالثقافة والتراث العربي الإسلامي، وهذا يتعلق بنواحي عديدة وجدت بفترات تاريخية مختلفة لأسباب ودوافع كثيرة تبعاً لظروف تطور المجتمع الإسلامي ولا مجال للحديث عنه في هذه الدراسة إنما سيتم الحديث باختصار عن موضوعين في آن معاً لهما علاقة مباشرة بما طرحه جيب وبينهما تداخل وترابط هما حركة الشعبوية والترجمة خاصة عن الفارسية.

كان لحركة الشعبوية آثار سلبية على الحياة الثقافية في المجتمع الإسلامي، تمثلت بالميول والأهواء والعصبية الفارسية، والعداء للعنصر العربي، ومحاولاتها لإحياء التراث الفارسي والمثل التي كانت سائدة قبل الإسلام في شرق العالم الإسلامي، والديانات الفارسية القديمة (الزرادشتية والمانوية والمزدكية)، وكان لذلك انعكاسات على المصنفات التي وضعت تحت هذه الغاية، ورغم ذلك كان هناك نتائج إيجابية تمثلت في المصنفات التي وضعت للرد على افتراءات وأساليب و ممارسات الشعبويين، وأكسب ذلك التاريخ والثقافة العربية ثروة هائلة ونتائجاً علمياً كبيراً.

يحاول جيب أن يؤكد أثر الرواية الفارسية (السلبى) في التدوين التاريخي عند العرب، وذلك من خلال وصف كتاب خدای نامه المليء بالقصص والخرافات، وأن العرب أخذوا منه ومن مصادر أقل قيمة منه لبيان مستوى الضعف والهبوط في التدوين التاريخي عند العرب .

لقد كرر جيب ذكر هذا الكتاب دون بيان للعيوب التي ظهرت في التدوين عند العرب، لذا سيتم إلقاء الضوء على هذا الكتاب بإختصار شديد لتوضيح موقف وأسلوب جيب في الطعن غير المباشر في تدوين العرب بإظهار القيمة الدونية للكتاب، ورغم ذلك يصر على أنه أثر في التدوين التاريخي العربي. يعتبر كتاب خدای نامه (الذي أشار له جيب) من أهم الترجمات عن الفارسية لأنه يحتوي على قصة التاريخ القومي الفارسي كما يراه الأشراف ورجال الدين الفارسي، وهو عبارة عن خليط من حكايات خرافية وأساطير من الأوفستا (الكتاب المقدس للزرادشتية)، وأحاديث دينية، وقصة الإسكندر. ونظراً لأهميته لدى الفرس وجدت له ترجمات عديدة^٢.

فقد ذكر الأصفهاني: "أنه وجد منها ثمانى (نسخ) ترجمات مختلفة لثمانية ناقلين مختلفين، وأنه ضربها ببعضها حتى استوفى منها مادة الباب الأول من كتابه". وعلق على الترجمات بقوله: وهذه النسخ للتواريخ فيها خلط وأغلاط وفساد كبير"^٣، ويضيف الأصفهاني أن موسى بن عيسى الكسروي قال في كتابه: "أنه نظر في نسخ الكتاب المسمى (خدای نامه) الذي لما نُقل للعربية سُمي "كتاب تاريخ

^١ الدوري، الجذور التاريخية للشعبوية، ص ٤٧ - ٥٦.

^٢ الدوري، الجذور التاريخية للشعبوية، ص ٥١.

^٣ الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) تاريخ سنى الملوك الأرض والانبیاء، مكتبة الحياة، ط٣، بيروت،

ملوك الفرس"، وبحثها بحث استقصاء فوجدها مختلفة حتى أنه لم يظفر منها بنسختين متفقتين، وعلل ذلك باشتباه الأمر على الناقلين من الفارسية إلى العربية.^١

كما ورد عند الأصفهاني أيضاً أن بهرام ابن مردان شاه (موبذ كورة شابور من كورة فارس أنه قال: " جمعت نيفاً وعشرين نسخة مترجمة للعربية من الكتاب المسمى (خدای نامه) حتى أصلحت منها تواريخ ملوك الفرس.^٢ كما وجد البيروني ست ترجمات للكتاب.^٣

ويؤيد ذلك ما جاء في دراسة آرثر كريستنسن (Arthur Christensen) " تاريخ إيران في عهد الساسانيين"، والتي تطرق فيها لكتاب خدای نامه وأشهر الترجمات له، كما أشار فيها لدراسة العالم الروسي البارون فون روزن (Von Rozen) والذي بين فيها أن من قاموا بترجمة خدای نامه أخذوا معلوماتهم من عدة مصادر مع إضافات خرافية من كتب بهلوية وزيادات من كتب أدبية أخرى.^٤ وأضاف كريستنسن أن هناك كتباً أخرى ترجمت غير الخدای نامه مثل: آيين نامه (آيين نامك) أو التقاليد والمراسم، والكاه نامه (الكاه نامك) أو طبقات العظماء وتاج نامه (كتاب التاج)، ومزدك (مزدك نامك) الآداب والأخلاق المجوسية، وقصص تاريخية وشعبية تستند على الخدای نامه^٥ وقد ذكر ابن النديم معظم هذه الكتب.^٦

وتجدر الإشارة الى أن جيب يؤكد الأثر الفارسي في التدوين التاريخي عند العرب في دراسة له بعنوان " الأهمية الاجتماعية للشعبوية" ^٧ "The Social significance of the Shu'ubiya" والتي يؤيد فيها آراء المستشرق جولد تسيهير في دراسته للمظاهر الأدبية للحركة الشعبوية وخلصتها أن الصراع بين العرب والشعبوية كان صراعاً بين مذهبين في الأدب الفارسي والعربي^٨ حيث يقول جيب : "ونحن نُسلم بذلك لجولد تسيهير^٩، ما توصل له جولد زيهير ينم عن قصور في فهم ماهية حركة

^١ الأصفهاني، ص ٢٠ .

^٢ الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص ٢٦ .

^٣ البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) الآثار الباقية عن القرون الخالية، (د/ن)، (د/ط)، (د/م)، (د/ت)، د.م، د.ن، د.ت. ص ٩٩ .

^٤ كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، (د/ط) بيروت، (د/ت)، ص ٤٦ - ٤٨ .

^٥ كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص ٤٩ - ٥٥ .

^٦ ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٥، ٣١٥ - ٣١٦ .

^٧ . H.A.R.Gibb, Studies on the Civilization of Islam, p.62-63 .

^٨ Goldziher, Muslim, Studies, Vol.1, p.191-211 .

^٩ H.A.R.Gibb, Civilization of Islam, p.62 .

الشعوبية، وموافقة جيب لجولدزيهر هي جزئية لأن جيب يرى أن الصراع كان أكبر من ذلك كما سيأتي.

ويبدو بشكل واضح أن غاية جيب من دراسته أعلاه هو أن يثبت أن النزاع بين العرب والشعوبية في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين لم يكن مجرد صراع بين مذهبين في الأدب أو بين قوميتين سياسيتين، إنما كان صراعاً على تقرير مصير الثقافة الإسلامية بمجموعها.^١ وهذا القول فيه الكثير من المبالغة يمكن إيضاحه فيما يلي من خلال الإشارة لبعض النقاط الواردة في دراسته واعتبرها تمثل وجهة نظره وأهمها:

١- يعتبر جيب أن بداية الأثر الفارسي على التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين ترجع إلى نهاية الخلافة الأموية وتحديداً برسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، حيث يرى أنها دليل على وجود أدب في البلاط الأموي مستوحى من مصادر متعددة أحدها ساساني فارسي، واستمر هذا الأثر من خلال الكتاب الأمويين الذين تحولوا لخدمة الخلفاء العباسيين الأول، ومن ثم في الترجمات من الفارسية للعربية التي بدأها ابن المقفع. وفي الدور الذي لعبه الموظفون (من أصول فارسية) في البلاط العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين.

٢- ثم يشير جيب إلى مصنفات الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م) وخاصة كتابه " البيان والتبيين" حيث يقول أنه أدمج فيه من التراث الفارسي، واستخدم المنطق والجدل الإغريقي (وهذا ما قصده بتأثير الحضارة الهلنستية على التاريخ الإسلامي) للرد على الحركات التي أحييتها الشعوبية مثل المانوية التي عُرف اتباعها (بالزنادقة) والثنوية في الدين (التي استخفت بجميع المذاهب الخُلقيّة وعرفت باسم المجوس).

٣- ثم يتطرق جيب إلى ابن قتيبة (٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م) وكتابه " عيون الأخبار" ويقول " أنه أدخل فيه المآثر الفارسية في أدب البلاط والإدارة، وبذلك أوجد مكاناً مستديماً في نسيج الثقافة الإسلامية"، ويخلص جيب من دراسته إلى نقطتين :

الأولى: أن المواد الفارسية التي أدخلها ابن قتيبة في كتابه أصبحت المرجع الأخير في الموضوع واقتبس منها من جاء بعده بشكل مباشر أو غير مباشر.

الثانية: أن الخيوط الساسانية التي أدمجت في نسيج الفكر الإسلامي، كانت غريبة على كيانه المحلي، وظلت كذلك لأنها تتضارب مع التعاليم الإسلامية ، كما أن المآثر الساسانية حمل إلى المجتمع الإسلامي بذرة غير واضحة (مشوشة) لم يستوعبها تماماً ولم يرفضها كلياً.^٢

^١ H.A.R.Gibb,Civilization of Islam,p.62

^٢ H.A.R.Gibb,Civilization of Islam,p.62-73.

كانت دوافع هذه الترجمات عن الفارسية سياسية واجتماعية وحضارية، وأدخلت عناصر قصصية وأسطورية إلى المواد التاريخية، ولم يكن فيها تسلسل زمني، لأنه لم يكن لدى الفرس تقويم ثابت، وقدمت كتب الخدای نامه مادة تاريخية مشوشة، ولم تأت بفكرة أو خطة جديدة للكتابة التاريخية.^١ وكذلك الترجمات عن السريانية واليونانية والمسيحية واليهودية، كانت عبارة عن ترجمات ثقافية لا يوجد فيها ما يدل على أي أثر لها في كتابة التاريخ، سوى إشارات تاريخية بسيطة فيما يتعلق بعرب الحيرة أو عرب الجنوب قبل الإسلام.^٢

ومما يلفت النظر أنه تم نسبة بعض هذه المؤلفات لبعض الأعلام، لتكتسب قيمة خاصة مثل " كتاب التاج" الذي يُنسب للجاحظ وهو بمحتواه الفعلي كتاب آيين نامة وهذا غير معقول.^٣ لأن الجاحظ كان له موقف واضح من الشعوبية وبذل جهوداً في ردوده عليها.^٤ وكذلك كان لابن قتيبة موقف مشابه.^٥ ومن جانب آخر ساعد على إحياء التقاليد الفارسية في البلاط العباسي بعض الوزراء منهم الفضل بن سهل الفارسي الأصل.^٦

يتضح مما تقدم أن ما عبّر عنه جيب بالرواية الفارسية هي عبارة عن قصص وخرافات وأساطير ليست ذات قيمة تاريخية لتؤثر في صلب التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين. ويؤكد هذا الاستنتاج جيب نفسه بقوله: " إن هذه الترجمات التي تحكي آداب البلاط الملكي للدولة الساسانية كانت الغاية منها أن تؤدي غرضاً شبيهاً في بلاط العباسيين.^٧

ويضيف جيب أن الآداب المقيدة في بلاد فارس في العهد الساساني كانت قليلة نسبياً، وما وجد منها كان إما آداب للبلاط أو آداب دينية. وسبب ذلك هو ندرة أدوات الكتابة، وارتفاع أثمانها، كما كان

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٥٤، مصطفى، شاکر، التاريخ والمؤرخون، م ١، ص ٢٠٠-٢٠١

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٥٤ - ٥٥، مصطفى، شاکر، التاريخ والمؤرخون، مجلد ١، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

^٣ الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ص ٥٢ .

^٤ الجاحظ، البيان والتبيين، ج/٢، ص ٥ - ٦، ج/٣، ص ٥ - ٧، ٢٨ - ٣٠ .

^٥ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الغزاري، (ت ٨٢١ هـ / ٨٢١ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي) (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق عبد الله محمد علي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت ٢٠٠٩ م، الجزء الرابع تحقيق عبدالله محمد علي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٩ م. (، بلوغ الادب، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكاتب المصري، (د/ط)، القاهرة، ١٩٩١، ج/١١، ص ١٥٩-١٨٤، انظر: رسائل البلغاء، محمد كرد علي، ص ٣٤٦.

^٦ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٣١٦.

^٧ جيب Gibb، مقالة بعنوان "خواطر في الأدب العربي/نشأة الإنشاء الأدبي" المنجد، صلاح الدين، المنقذ من دراسات المستشرقين، لجنة التأليف والنشر، (د/ط)، (د/ت)، القاهرة، ج/١، ص ١٤٧ . انظر: H.A.R.Gibb, civilization of Islam, p.237 .

الأسلوب الكتابي المستعمل عند الفرس في ذلك العهد أسلوباً ثقيلاً غير مهذب ولا يصلح لنشر ثقافة أدبية عامة.^١

ويبين ذلك بشكل أوضح شبولر برترلد (Spuler Bertold) في دراسه له بعنوان "تطور أعمال التاريخ الفارسية" بأنه لا توجد مصنفات مكتوبة باللغة الفارسية تعالج تاريخ فارس قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلا بشكل نادر، والموجود منها إما باللغات الأجنبية أو اللغة العربية في المقام الأول. ويرجع ذلك إلى أنه لم يكن في إيران أية أهمية للتاريخ قبل الإسلام، كما أن نقوش بستون الشهيرة لا تتضمن سوى تقارير عامة لأعمال الملوك، وكذلك سفر دانيال عبارة عن سجلات تشبه التقارير ورسائل لمساعدة موظفي الدولة في أعمالهم الرسمية.^٢

ويستطرد شبولر في القول أنه وجدت خلال فترة حكم الساسانيين ما بين القرن الثالث إلى السابع الميلادي أساطير تغطي كامل التاريخ الفارسي المعروف (الساساني) لكنها كانت تستبعد معظم الأحداث الهامة، وتقدم الأحداث كأفعال لشخصيات رئيسية محدودة (أبطال وزوجاتهم يمثلون الذات الإسطورية القيادية للشعب)، وهذه الأساطير لا تمثل كتابات تاريخية في فارس قبل الإسلام، ويؤيد ذلك عدم وجود أي مؤلف تاريخي حقيقي بين طوائف الزرداشتية ما بعد الإسلام.^٣

يبدو أن هناك مواقف وآراء متعددة ومتضاربة عند المستشرقين حول ظهور علم التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب والمسلمين. هل هو عربي أصيل؟ أم أنه تقليد مستوحى من نماذج وأساليب ومواد مستقاة من كتب فارسية ورومية وسريانية ويهودية ونصرانية وغيرها؟ ومنها قول بروكلمان، كارل (C. Brockelman): "إن ظهور علم التاريخ عند العرب، وتصنيف الكتب في أحداث وقائع متفرقة، كالغزوات وحروب الردة والفتوح والفتن، على مذهب التحليل والتعليل، وإرجاع الأمور إلى أصولها وأسبابها يرجع إلى اعتماد نماذج الفرس ومذاهبهم في تأليف الكتب عن ملوك العجم لاسيما كتاب (خداي نامه) عن ملوك الساسانيين" ويُعبّر عن موقفه هذا بأنه يتفق مع جولد تسيهر في رأيه بقوله: "ونحن لا نزال نعتقد مع جولد تسيهر". ويضيف بروكلمان ربما كانت كتب التاريخ الرومية، وما ألفه نصارى السريان على أمثالها قد قدمت أيضاً إلى علماء العرب نماذج يحتذونها.^٤

^١ جيب Gibb، مقالة بعنوان "خواطر في الأدب العربي/ بدء التأليف النثري"، المنجد المنتقى، ج/١، ص ١٣٠، انظر:

H.A.R.Gibb, Civilization of Islam, p.223 .

^٢ شبولر برترلد، بحث بعنوان "تطور أعمال التاريخ الفارسية"، انظر: كتاب مؤرخو العرب والإسلام، تحرير برنارد لويس وهولت، (د/ط/د/ت)، لندن، ص ١٩٩ .

^٣ شبولر، مؤرخو العرب والإسلام، ص ٢٠٠ .

^٤ بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ج/٣، ص ٨ - ٩ .

وبالمقابل يعارض روزنتال قول كل من جولد تسيهر ودي سيموجيه (De Somogui). بأن الأسلوب الموضوعي في الكتابة عند العرب والمسلمين، إنما جاء للعرب بتأثير أجنبي (الفرس والرومان) ويعبر عن ذلك بقوله: " إن كل من أكد سيطرة التأثيرات الأجنبية على أصول التاريخ الإسلامي لم ينجح في إيراد الأدلة على ذلك لأن هذا غير ممكن" ^١. وهذا يؤكد أن نشأة علم التاريخ العربي الإسلامي وتدوينه كانت عربية خالصة.

ويؤيد الدوري ما ذهب له روزنتال بأن أشكال الكتابة التاريخية عند العرب إنما نمت من أسلوب السيرة (مثل كتب السيرة والطبقات والسير) ومن أسلوب الأخبار (الكتب التاريخية)، ومن فكرة التاريخ (العام أو التاريخ على السنين). أما أسلوب الأنساب فيظهر في بعض كتب التاريخ العامة وتواريخ الأسر المتأثرة بصيغة الأخبار وفي تواريخ أخرى. وكان عنصر الوقت يتخللها جميعاً ^٢.

ويذكر جيب في دراسة أخرى له ما يثير التساؤل: " ومن الأقوال التي اعتاد الناس سماعها، أن العرب مديونون للفرس في معظم التطورات الحديثة التي جددت على الثقافة الإسلامية. ^٣ إن مثل هذا القول غير مقبول لأنه يخلو من الموضوعية ومنهج البحث العلمي والأدلة والبراهين، فهو رأي أو قول مبني على السماع، مثل الإشاعة يتناقلها الناس دون معرفة مصدرها أو أهدافها، وهي في العادة يتم تداولها في الجلسات الخاصة والعائلية وليس في دراسة أكاديمية لباحث بمستواه. وهذا مأخذ كبير على شخص له تلك السمعة والمكانة والشهرة بين الباحثين والمهتمين في التاريخ الإسلامي. وهو بذلك ينفي بشكل صريح ما طرحه عن الأثر الفارسي ودخول الرواية الفارسية في صلب التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين، وما قدمه مجدداً، تأكيداً لأسلوبه ومنهجه في إصدار آراء وأحكام تتعلق بما يخص تاريخ وتراث العرب والمسلمين، بناء على مواقف وآراء وأقوال شائعة متداولة بين المستشرقين دون دليل قوي، وإن وُجِدَت الأدلة فهي إما ضعيفة لا تصمد أمام النقد، أو أن نقدها يكون في دراسة أخرى لقاتلها مُحَرِّفة إما عن قصد وعمد ينم عن تعصب أعمى وتحيز، وإما عن دون قصد يعكس سوء الفهم.

أما المصنفون الذين أشار لبعضهم جيب وأخذوا من الثقافات السابقة للإسلام خاصة الفارسية مثل: الدينوري، في الأخبار الطوال، واليعقوبي، في تاريخه، وابن قتيبة، في المعارف، وحمزة الأصفهاني، في تاريخ سني ملوك الأرض، والمسعودي، في التنبيه والإشراف، والطبري، في تاريخ الرسل

^١ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٠٦ .

^٢ الدوري، علم نشأة التاريخ، ص ٦٨. انظر: العزاوي، عبد الرحمن حسين، المنهجية التاريخية في العراق إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ط/١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م، ص ٣٤.

^٣ H.A.R.Gibb, Studies on the Sivilization of Islam. p.223 . انظر: المنجد، المنتقى من دراسات

المستشرقين، ج/١، ص ١٣٠ .

والملوك، وآخرون لم يذكرهم جيب. فهؤلاء كتبوا في التاريخ العام/ أو العالمي، لذلك من الطبيعي أن يتطرقوا لتواريخ وثقافات الشعوب السابقة للإسلام بإيجاز أو إسهاب لإكمال حلقات التاريخ العالمي والذي عادة يبدأ بخلق العالم وتاريخ الأنبياء والرسل وتواريخ الأقاليم والأمم القديمة حتى عصر النبوة ثم التاريخ الإسلامي حتى العصر الذي عاش فيه المؤلف.

لذلك أخذوا معلوماتهم عن فترة ما قبل الإسلام، ما كان معروفاً منها في عصر كل منهم وغالباً من النصوص المترجمة للعربية، أو من خلال رحلاتهم وأسفارهم في طلب العلم والمعرفة. وقد أخذوا من هذه المصادر والمراجع بما فيها من حقائق أو أساطير ولسد الفراغ في معلومات الفترة السابقة للإسلام. ورغم أنهم أخذوا منها إلا أنهم نقدوها وأشاروا لذلك بشكل صريح بأنها أسطورية، أو لا يوثق بها والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

اليعقوبي انتقد العديد من رواياته ومصادره خاصة ما يتعلق بالتاريخ الساساني وأشار إلى أنها أسطورية وخرافية لا يوثق بها^١، وربما هذا ما دفع جيب للقول بالأخذ من المصادر القديمة، ويبدو أنه متأثر بآراء فون كريمير (Von Kremer)^٢.

وكذلك المسعودي (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) الذي انتقد بعض من سبقه من الباحثين لتدوينهم القصص الشعبي والخرافات والأساطير مثل ثابت بن قررة الحراني والجاحظ وعبدة بن شريفة و وصف هذه الأخبار بأنها موضوعة من قبل من تقربوا للملوك، وقام هو بتدوينها من باب ذكرها أنها غير مألوفة أو مقبولة^٣. وأما ما قدمه الدينوري كان عبارة عن تاريخ الفرس قبل وبعد الإسلام وغايته إظهار التوازن بين العرب قبل الإسلام (تاريخ اليمن) والتاريخ العربي بعد الإسلام، وتاريخ الفرس لنفس الفترات^٤.

^١ اليعقوبي، أحمد ابن اسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م)، التاريخ تحقيق عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ص١، ص٢٠٠، انظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٥٩، مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٢٥١، فاروق عمر، التدوين عند المسلمين، ص ١٠٨ - ١٠٩، ترحيني، محمد احمد، المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٧٧.

^٢ كريمير، فون، الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، ترجمة خدا بخش، ويذكر مترجم الكتاب أن عنوان الكتاب أصلاً هو "تاريخ الغزوات الثقافية في بلاد الإسلام"، (د/ط)، (د/ن)، (د/ت)، (د/م)، انظر: ص ٥٥ - ٦١، ٦٥ - ٦٦، ٧٠ - ٧٥.

^٣ المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمة حليبي، دار المعرفة، ط:١، بيروت، ٢٠٠٥م، ج١، ص ٢٥-٢٦، ج/١١، ص ١٠٧، ٢٠٦. انظر: فاروق عمر، التدوين عند المسلمين، ص ١٠٨، ١٢١-١٢٢، مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/ ١، ص ٢٤٠.

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٦٢ - ٦٣، مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد /١، ص ٢٤٨.

وهكذا يمكن طرح مزاعم جيب حول الأثر الفارسي ودخول الرواية الفارسية في صلب التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين لأسباب عدة: أورد جيب حول هذه النقطة آراء وأقوالاً متناقضة. فقد ذكر أنه كان لها أثر في صلب التدوين التاريخي، ثم وصفها بأنها كانت تتسم بالضالّة والندرة واقتصر استخدامها في جوانب محددة هي آداب البلاط والمعابد الدينية، وأن تداول هذه المقولة بين الناس كان بطريق السماع.

من جهة أخرى أكدت المصادر الإسلامية التي أشار لها جيب لتأييد وجه نظره، أن المعلومات عن التاريخ الفارسي والساساني بشكل خاص عبارة عن أساطير وخرافات لا يوثق بها، إضافة لما ذكره المسعودي، والأصفهاني والبيروني من نقد للمعلومات المنسوبة للتاريخ الفارسي وفي مقدمتها كتاب الملوك (خدای نامه).

كما أن ما جاء في الدراسات الحديثة للمستشرقين المختصين بالتاريخ الإيراني وخاصة الساساني مثل: كريستنسن، وفون روزن، وبرتولد (Berthold) ينفي بشكل قاطع ما ذهب له جيب حول الأثر الفارسي في التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين ويؤيد ذلك روزنتال بقوله: " إن كل من أكد سيطرة التأثيرات الأجنبية على أصول التاريخ الإسلامي لم ينجح في إيراد الأدلة على ذلك لأن هذا غير ممكن".

إن ما حاول جيب الإشارة إليها بأنها نقطة ضعف أو عيب في التدوين التاريخي العام/ العالمي، هي في الواقع نقطة إيجابية لأن التاريخ العربي الإسلامي استطاع الحفاظ على الأعمال الجليّة والمتنوعة من المعارف والعلوم الإنسانية بشكل عام وإلى جانبها الأساطير الفارسية وغيرها من الثقافات الأخرى التي تغطي فترات من التاريخ الإنساني، ولولا ذلك لأصبحت المعلومات عن تلك الثقافات مجهولة ومنسية من حساب الزمن.

ونشأت حركة الترجمة عند العرب والمسلمين لدوافع متعددة سياسية واجتماعية وحضارية والرغبة لذات المعرفة للاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى حيث قاموا بدراساتها وفهمها وتحليلها ونقدها. وأضافوا عليها وطوروها واستنبطوا الكثير من المعارف وكانوا الرواد في بعضها وقطعوا شوطاً متقدماً فيها لأنهم وضعوا مناهج وأساليب البحث العلمي وسبقوا أوروبا في ذلك رغم ادعاءات الغرب الذي لم يعرف مناهج البحث العلمي قبل نهاية القرن السادس عشر عام ١٥٩٦ م.^١

وبالمقابل نجد نظرة المستشرقين وفهمهم لدوافع الترجمة عند العرب والمسلمين مختلفة. وعلى سبيل المثال نذكر قول جيب حول سبب تأسيس بيت الحكمة في بغداد: " ومن الصعب أن نتصور أن المأمون أسس بيت الحكمة بدافع من رغبته الشخصية في الفلسفة اليونانية، وأقرب إلى المنطق أن نقول إنه اقتنع

^١ مارغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٢٧٤.

بأن الترجمة ستمده بوسائل ملائمة لأن يُطهر الإسلام من بقايا الثنوية وهو يشير إلى ترجمات المنطق والجدل الإغريقي ورسائل الجدليين من النصارى الأوائل الذين استعانوا بها لدحض المعتقدات الوثنية التي كانت سائدة في أوروبا^١.

الفصل الخامس

جيب والتدوين التاريخي من القرن الثالث حتى القرن السادس الهجري

اولاً: السياق التاريخي المتصل.

ثانياً: أوج تطور الرواية التاريخية المسندة.

ثالثاً: اتجاهات الكتابة التاريخية حسب تصنيف جيب.

أ: التواريخ المحلية.

ب: الحوليات المعاصرة.

ج: المنحولات في التواريخ المحلية الدنيوية .

د: التراجم والسير.

هـ: الحوليات الخاصة.

و: المصنفات التاريخية باللغة الفارسية.

ز: المصنفات المتصلة بالتاريخ.

التدوين من القرن الثالث الى القرن السادس الهجري.

يتناول هذا الفصل رأي جيب في تطور الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب من بداية التأليف التاريخي بمعناه الواسع كتابة التاريخ العام من منتصف القرن الثالث الهجري، واتجاهات الكتابة التاريخية ما بين القرن الثالث والسادس الهجري.

أولاً: السياق التاريخي المتصل.

يرى جيب أن التدوين التاريخي المتصل (التاريخ العام أو بداية التأليف التاريخي بمعناه الواسع عند العرب) يرجع إلى منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وذلك من خلال التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة ومصادر أخرى متعددة من المصنفات السابقة وربطها في رواية تاريخية متصلة وأقدم من سار على هذا النهج هو أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ^١.

وتتميز أسلوب التأليف في تلك المرحلة بتدوين تاريخ العالم الذي يبدأ بالخليقة ثم ملخص موجز لتاريخ العالم كمقدمة للتاريخ الإسلامي، حيث يتوسع فيه المؤلف حتى العصر الذي عاش فيه، ويُرجح جيب أن هذه الفكرة ليست جديدة إنما هي عبارة عن توسع في الفكرة التي انطوى عليها مصنف ابن إسحاق التي ترمي إلى ضم الكثير من تاريخ الجاهلية إلى التاريخ الإسلامي ^٢.

إن فكرة كتابة التاريخ العالمي موجودة عند العرب من فترة مبكرة تعود لأيام الزهري أستاذ ابن إسحاق، فقد تناول الزهري في دراسته السيرة النبوية الأحداث السابقة للإسلام منذ خلق آدم عليه السلام، ونوح عليه السلام وانتشار أبنائه في الأرض وتقويم أبناء إسماعيل من نار إبراهيم إلى عام الفيل، والأنبياء السابقين ثم تناول فترة الرسالة المكية والمدنية حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تاريخ صدر الإسلام والحوادث الكبرى ^٣، وحقق الأحاديث والروايات معتمداً على الإسناد واستخدم الإسناد الجمعي وبذلك خطأ خطوة مهمة نحو الأخبار التاريخية المتصلة ^٤، وسار تلميذه ابن إسحاق على نهجه وكتب السيرة النبوية لكنه أخذ كثيراً من مادة القصص والإسرائيليات وبذلك انحطت سويته العلمية وبقيت روايات الزهري المادة الأساسية في سيرته، وانتقدت سيرته في المدينة حتى جاء ابن هشام وهذبها وأصبحت مقبولة ^٥.

^١ . H.A.R.Gibb, Ency. of Islam, suppl. p.236 .

^٢ . Ibid., p.236 .

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٧٢-٨٢ .

^٤ المرجع نفسه، ص ٨٠.

^٥ المرجع نفسه، ص ٨٧.

ويبدو أن جيب يحاول تأكيد ما أثاره فيما سبق حول دخول القصص الشعبي وأخبار أهل الكتاب والأساطير إلى التاريخ الإسلامي (كنفطة ضعف). وقد تم توضيح ذلك في حينه مع التنويه لإشارات من أدخلوها في مصنفاتهم و وصفهم لها بأنها معلومات أسطورية.

صنّف البلاذري كتابين مهمين هما: "فتوح البلدان" و "أنساب الأشراف" تناول في الأول الفتوحات الإسلامية بشكل متسلسل لكل مصر واعتمد فيه على الروايات المحلية للأمصار التي زارها، وعلى روايات المدينة بشكل واضح لأنها تتصف بالدقة والحياد أكثر من غيرها، كما اعتمد على روايات منفردة، ومصادره مؤلفات مكتوبة وروايات شفوية^١.

وتضمن كتابه فصلاً عن أخبار الفتوحات معلومات تتعلق بالنواحي السياسية والعمرانية يندر وجودها في مصادر أخرى مثل أحكام الخراج والعطاء وديوان الخاتم والنقود وغير ذلك. وأظهر فيه قيمة خبرة الأمة فهو سجل شامل للفتوح الإسلامية، وموسوعة حضارية واجتماعية وإدارية، ودليل على دور العرب التاريخي في نشر الدين الجديد.^٢

وتناول في "أنساب الأشراف" التاريخ الإسلامي بشكل عام في إطار الانساب ويسمى أيضاً "الأخبار والأنساب"، وقد وضعه في إطار مميز من حيث الخطة والمادة، فقد جمع فيه بين أساليب مصنفات: الطبقات والأخبار والأنساب، وراعى فيه التسلسل التاريخي وعبر فيه عن فكرة وحدة الأمة والنظرة الاجتماعية للأرستقراطية العربية آنذاك^٣.

اعتمد البلاذري في مصنفاته أسلوب النقد لمصادره والتدقيق لرواياته، وقدم لنا روايات مدنية وأموية، وأعطى أهمية خاصة للروايات التي تعود للمناطق التي وقعت بها الحوادث، واستخدم الإسناد بشكل عام، خاصة في الروايات المدنية، كما استخدم سلاسل أسناد معروفة وأشار لها، وكذلك الإسناد الجمعي مع إضافات بسيطة. وهو متزن وموضوعي في عرض المادة، ومحيد في أخباره رغم اتصاله بالخلفاء العباسيين^٤.

ثانياً: أوج تطور الرواية التاريخية المسندة.

ويرى جيب أن الرواية التاريخية (المسندة)، بلغت أوجها في تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م)، الذي كان فقيهاً ومحدثاً يهدف لأن يكون تاريخه مكملاً لتفسيره للقرآن، فقد عرض

^١ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٤٢ .

^٢ المرجع السابق، ص ٤٢.

^٣ انظر: ترحيني، المؤرخون والتاريخ، ص ٧٥ - ٧٦ . الدوري- نشأة علم التاريخ، ص ٤٢ ؛ ترحيني، التاريخ والمؤرخون، ص ٧٦.

^٤ الدوري- نشأة علم التاريخ، ص ٤٣.

الروايات التاريخية الإسلامية بأسلوب الدقة والنزاهة والإفاضة كما في تفسيره. وهو يمتدح براعته الفائقة ويعتبره يمثل مرحلة هامة في الكتابة التاريخية، لأن من جاءوا بعده لم يهتموا، بجمع وتحقيق مواد التاريخ الإسلامي إنما لخصّوا ما قدمه وزادوا عليها أحياناً من البلاذري.^١

ويأخذ جيب على الطبري عدم إبداء رأيه صراحة في تاريخه كما فعل في تفسيره إنما يشير له بشكل ضمني، وكذلك إيثاره لروايات سيف بن عمر (وصفها جيب بالمنحولة) على مصنف الواقدي (بسبب ما حام حوله من شبهات بين المحدثين)، كما وصف الجزء الأخير من تاريخ الطبري بالضحالة. ويفسر جيب ذلك بتراجع دور الفقهاء والمحدثين إلى المرتبة الثانية في التدوين وتقدم الولاة ورجال البلاط إلى مركز الصدارة في تدوين التاريخ السياسي^٢. إن تفسير جيب لذلك ضعيفاً، ربما هناك أسباب خاصة تتعلق بشخص الطبري لم تمكنه من كتابة هذا الجزء بشكل قوي ومفصل.

يمثل الطبري نقطة الذروة في تطور الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب والمسلمين في كتابه تاريخ الرسل والملوك فقد بلغ فيه منزلة لا تُبارى في طريقة الجمع والنقد والتمحيص للروايات وأسلوب الكتابة، فهو فقيه ومحدث ومفسّر ومؤرخ واعتمد على أسلوب الإسناد، وعبر في كتابه عن فكرتين رئيسيتين في الكتابة التاريخية: وحدة الرسائل السماوية وأهمية خبرات الأمة واتصالاتها على مرّ الزمن^٣.

ركز الطبري على قوة الإسناد لبيان قيمة الروايات، وحفظ لنا روايات لم نجدها عند غيره، وتجنب إعطاء أحكام على رواياته، وفحص الروايات وصنّفها، وكانت مصادره كثيرة، كما كان محايداً لأنه أورد جميع الروايات والأخبار المتعلقة بالحدث الواحد^٤، وأشار إلى أن الغرابة أو عدم الصحة في الخبر ليست منه إنما من نقلة الروايات^٥.

اعتبر الطبري محايداً لأنه أورد جميع الروايات والأخبار لكنه لم يكن محايداً في انتقاء المصادر، وهذه أهم لأنها تأتي بالدرجة الأولى، ففي الوقت الذي أخذ فيه عن سيف بن عمر (٢٣٠)

^١ . H.A.R.Gibb,Sivilization of Islam,p.237

^٢ . H.A.R.Gibb,Sivilization of Islam,p.237.

^٣ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٦٣؛ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٢٥٣. فاروق فوزي، التدوين عند المسلمين، ص ٨١، ٨٤ - ٨٧ .

^٤ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٦٣ - ٦٤؛ صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخون، ص ١٨٥، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٢٥٨.

^٥ الطبري، تاريخ، ج/١، ص ٧ - ٨.

رواية في الحوادث ابتداءً من أخبار السقيفة وانتهاءً بموقعة الجمل^١. كان هناك ثلاثة من أهم الإخباريين أُرخوا للفترة نفسها وهم أبو مخنف والواقدي والمدايني، وأكثرهم عرضة للتجريح أحسن بكثير من سيف بن عمر الذي اتهم بالوضع والكذب والتزوير والزندقة، علماً بأن رواة سيف اثنان هما: السري وهو مطعون، وشعيب بن ابراهيم رجل مجهول^٢.

كان الطبري شاهد عيان على عصره، ويفترض أن يكون الجزء الأخير من تاريخه أقوى الأجزاء، لكنه جاء ضعيفاً ضحلاً^٣، وربما يفسّر ذلك تأثر الطبري باتجاه سياسي معيّن، فقد تجنب أو أعرض عن تدوين كثير من الأخبار التي تحدثت عن نزاعات جدلية في التاريخ الإسلامي مثل: النزاع بين أبي ذر الغفاري و عثمان بن عفان، والمكاتبات بين معاوية بن أبي سفيان ومحمد بن أبي بكر أثناء ولايته (لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم) على مصر، وموقفه من حروب الردة ومقتل عثمان ومن سياسة بعض الخلفاء وبعض الصحابة^٤، أو أن هناك اسباباً دينية مذهبية أو سياسية قد تؤثر عليه بشكل مباشر.

وكان له في حياته موقف سياسي يمثل اتجاه الدولة العباسية، ربما لتلافي الضغوط التي كان يمارسها الخلفاء والولاة على المؤرخين، ويتضح ذلك في تجنبه الحديث عن الفاطميين رغم أنه عاصر دولتهم مدة ٨ سنوات من تأليف الكتاب، - وحوالي ١٣ سنة من آخر أيامه - التي اعلنوا فيها أنفسهم خلفاء ضمن كيان سياسي^٥.

صنف الطبري عدة كتب أهمها: تاريخ الرسل والملوك، وجامع البيان في تفسير آي القرآن، وعدد من المصنفات في الأصول والفروع، وهناك مصنف أشار له ابن كثير بعنوان: "تهذيب الآثار" لكن الطبري لم يكمله، وذكر ابن كثير: أنه لو أتمه لما أحتيج معه إلى شيء لقوله: "لم أر سواه في معناه"^٦، معناه^٦، لكنه لم يوضح لنا محتوى أو مضمون ذلك المصنف.

^١ صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص ١٨٥؛ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ١٨٠ - ١٨١، يذكر ان الطبري أخذ عن سيف بن عمر في أكثر من ثلاثمائة إشارة.

^٢ صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخون، ص ١٨٦؛ فاروق فوزي، التدوين عند المسلمين، ص ٦٦. النبراوي، مناهج البحث، ص ١٥٨-١٦٠.

^٣ الطبري، تاريخ، ج/١، ص ٧ - ٨.

^٤ مرجوليوت، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١١٨-٢٢٢.

^٥ ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، ص ٨٤، انظر: الطبري، تاريخ، اثناء حديثه عن السنوات من ٢٩٦-٣٠٢هـ، عيسى محمد الوحيان، ولاية العهد في العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، اشراف أ. د. فالح حسين، الجامعة الاردنية، ٢٠١١م، ص ٨٥، والهامش، ص ٨٦.

^٦ ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي. (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق احمد أبو ملح وأخرون، دار الكتب العلمية، ط/٣، بيروت (١٩٨٧) المجلد/٦، ج/١١، ص ١٥٦.

أورد مرغوليوث بعض الملاحظات السلبية والإيجابية حول تاريخ الطبري، أما السلبية والتي اعتبرها نقطة ضعف وهي أن مسألة التوسع عن طريق الفتوح ليست بارزة عنده، ولو كانت عنده لربما أعانته على فهم التقدم الاسلامي في فرنسا وأسباب توقفه بانتصار شارل مارتيل (Charles Martel) في معركة بلاط الشهداء (١١٤ هـ / ٧٣٢ م)، وربما يعود السبب الى اهتمام الشيوخ الذين أخذ عنهم الطبري، والكتب التي استفاد منها، اهتمت بالشؤون الداخلية أكثر من الشؤون الخارجية^١.

أما النقطة الإيجابية والتي تذكر للطبري فهي أنه اتبع في تاريخه منهج كبار المحدثين الذي يقوم على اختيار الأحاديث المتفق على صحتها، وعمله يشابه ما قام به مسلم والبخاري في الحديث، من خلال اختيار المادة التاريخية الصحيحة من مجموعة المواد التي أوردها من سبقه، وأخذ عنهم، وقدم عملاً شاقاً وخطيراً وهو الاستمرار بالتدوين التاريخي الى عصره^٢.

ويرى باريه (Rudi Paret) أن قيمة كتاب الطبري في نظر البحث العلمي الحديث، ترجع الى أمانة الطبري في ترديده غير المرتب لرواياته خاصة عندما كان يقصد إعادة بناء الحوادث الخاصة بفترة صدر الاسلام، واستفاد منه من جاء بعده مثل مسكويه وابن الاثير^٣.

ثالثاً: اتجاهات الكتابة التاريخية حسب تصنيف جيب

يذكر جيب أنه عندما اعتبر التاريخ ومقوماته علماً مستقلاً بين العلوم، أخذ ينمو و يتوسع بسرعة كبيرة ، وتزايد ظهور المؤلفات التاريخية حتى أنه ليصبح من المستحيل علينا أن نفعل شيئاً سوى تلخيص أهم الإتجاهات الرئيسية في التدوين التاريخي، حيث جعلها في سبعة اتجاهات^٤. ويذكر جيب إنه حدثت سرعة كبيرة في تطور علم التاريخ عند العرب المسلمين، لأسباب عدة توفرت عند العرب ساهمت في ذلك، وتمت الإشارة لبعضها مثل التوسع في النطاق الحضاري المادي، وتوفر صناعة الورق في العديد من المدن الإسلامية^٥ ، ويُقدّر مصطفىعدد المؤرخين بين القرن الرابع والسادس الهجري بما لا يقل عن (٥٠٠٠) خمسة آلاف مؤرخ، كتبوا ما بين عشرة إلى اثني عشر ألف كتاب وقسم كبير منها يتألف من عدة أجزاء أو في عدة مجلدات^٦.

^١ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٢١-١٢٥ .

^٢ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٢١-١٢٥ .

^٣ باريه، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ط/٢، ج/٢١، ص ٦٢٧٨-٦٢٨٣ .

^٤ H.A.R. Gibb, Ency, of Islam, suppl; p, 237.

^٥ انظر: Ibid, p236. التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٢٩٣ وما بعدها. هرنشو، علم التاريخ ، ص ٥٨-٦٢. النبراوي، مناهج البحث، ص ١٢٤ - ١٢٧ .

^٦ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٧ .

ويرى مارغوليوث أن التدوين التاريخي العربي نشأ بشكل مستقل في ذاته، وتطور بشكل طبيعي لتلبية حاجات المجتمع المحلي، وفيه سمات خاصة به^١. ويبدى تعجبه واستغرابه من الضخامة الهائلة التي بلغها الأدب التاريخي عند العرب وسرعة تطوره، ويشبه ذلك بالتدفق المفاجئ من الماء المخزون في قدر كبير، ويعلل ذلك بعدة أسباب أحدها صناعة الورق التي عرفها المسلمون، ويقارن أثرها في تقليل كلفة إنتاج الورق باختراع الطباعة في أوروبا^٢.

أ: التواريخ المحلية

يبدأ جيب الحديث في الإتجاه الأول عن التواريخ المحلية بأن علماء الأمصار في القرن الثالث الهجري شرعوا بجمع الروايات التاريخية، وإذا استثنينا كتاب تاريخ مكة للأزرقي الذي يعتبر في أساسه من كتب السيرة، فإن أقدم تاريخ محلي هو "فتوح مصر والمغرب" لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م)^٣، وهذا الكتاب يحتوي على نفس المواد المميزة للتواريخ العامة - التي تم ذكرها -، إلا أنه يفتقر إلى ما فيها من عناصر النقد والتحري، كما أن أخبار الغزوات والفتوح فيه تستند إلى الروايات المدنية وروايات محلية غير موثوقة، وكذلك مقدمة الكتاب لم تستمد من مواد مصرية أصلية، إنما من مصادر يهودية وروايات منقولة عن أهل المدينة^٤.

وبعد الرجوع لكتاب الأزرقي تبين أن تصنيف جيب له بأنه كتاب في السيرة لم يكن دقيقاً، فهو كتاب في التاريخ المحلي لمكة، وتناول الجزء الأول منه تاريخ مكة منذ بناء الملائكة للكعبة قبل خلق آدم عليه السلام وحتى البعثة النبوية، وتناول في الجزء الثاني أخبار مكة وفضائل المشاعر الدينية فيها وأماكنها وأعمال الخلفاء في تطوير مرافقها الدينية وخطط القبائل فيها.^٥

^١ مرغوليوث، دراسات، عن المؤرخون العرب، ص ٢٩.

^٢ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخون العرب، ص ١٥-١٦.

^٣ H.A.R. Gibb, Ency, of Islam, suppl; p, 237.

^٤ H.A.R. Gibb, Ency, of Islam, suppl; p, 237.

^٥ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت نحو ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الأخبار، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ط/١، القاهرة، ٢٠٠٤. يذكر فوك (Fock) ان الأزرقي ابا الوليد أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة (ت ٢١٩ هـ / ٨٣٧ م) هو جد المؤلف اعلاه، كان له اهتمام كبير بتاريخ مكة والبيت الحرام، وهو أول من جمع الروايات والمعلومات الخاصة بمكة وأخذها عن: سفيان بن عيينة، والمفتي سعيد بن سالم، والفقير الزنجي، وداد بن عبد الرحمن العطار وغيرهم من المكيين. وقام (الحفيد) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بجمع معلومات جده وزاد عليها، وأخذ أخبار مكة لفترة ما قبل الإسلام من: ابن اسحاق، والكليبي، و وهب بن منبته، أما خطط القبائل ووصف مكة التنظيمي فهو من عمل المؤلف نفسه. انظر: فوك (J.W. Fick)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٣، مادة الأزرقي، ص ١٧٤ - ١٧٥.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدة مصنفات تناولت تاريخ وأخبار مكة^١ وأقدمها هو أخبار مكة للفاكهي (ت ٢٢٧ هـ / ٨٤٢م) الذي يعتبر معاصراً للأزرقي وتوفي قبله، وجاء كتابه في ستة مجلدات، ومحتوياته من حيث العناوين تشابه كتاب الأزرقي، لكنه أوسع وأشمل ويتضمن تفاصيل أكثر، فقد أورد فيه ثلاثة آلاف حديث وأثرتعلق بمكة وسار فيه على نهج المحدثين في الإسناد.^١ لكن جيب لم يشر أو ينطرق له وهو مصنف ضمن تواريخ الأقطار كما أنه أقدم من الأزرقي وابن عبد الحكم.

يبدو من الاطلاع على كتاب عبد الله ابن عبد الحكم (الاب)^٢ أن ابنه عبد الرحمن اعتمد في جمع رواياته الشفوية على أبيه عبد الله بن الحكم^٣ ورواة مصريين كانوا من كبار الفقهاء والمحدثين في مصر منهم: يزيد بن أبي حبيب فقيه مصر وشيخها، ولد ومات فيها (ت ١٢٨ هـ / ٧٤٤م)، وعبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤ هـ / ٧٩٠م) وهو أحد مشاهير قضاة مصر، والليث بن سعد أبو الحارث المصري (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١م) صاحب الروايات الأكثر والأهم في الكتاب وتلميذه سعد بن عمير (ت ٢٢٦ هـ / ٨٤٠م)^٤، وغيرهم من الرواة المصريين^٥، ويتضح من ذلك أن ابن عبد الحكم اعتمد على روايات محلية مصرية موثوقة تعتمد في أساسها على روايات الفاتحين وهذا يخالف ما أشار له جيب بخصوص الروايات المنقولة عن أهل المدينة.

كان ابن عبد الحكم أول مؤرخ مصري دون الروايات الشفوية الخاصة بمصر، وأخذ من مصادر مدونة لعلماء ومحدثين سابقين له. وأشار إليهم بأسمائهم دون ذكر مصنفاتهم مثل يحيى بن عبدالله

^١ الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن العباس المكي، (ت ٢٢٧ هـ / ٨٥٢م)، أخبار مكة، تحقيق عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، دار الخضر، ط/٣، بيروت، ١٩٩٨م.

^٢ جاء كتاب ابن عبد الحكم في سبعة أجزاء، الأول (المقدمة) تحدث فيه عن فضائل مصر وتاريخها قبل الإسلام وفيه الكثير من الأساطير) وهذا ما وصفه جيب Gibb بالمصادر اليهودية، بينما تناول في الفصول الخمسة التالية الفتح الإسلامي، وخطط مصر والضرائب فيها، وإدارة مصر من عهد عمر بن العاص وفتح إفريقيا والأندلس حتى سنة ١٢٧ هـ، وتاريخ مختصر قضاة مصر حتى سنة ٢٤٦ هـ. والفصل الأخير أكبر الأجزاء خصصه لمختارات من الحديث والروايات المنسوبة للصحابة الذين دخلوا مصر وعددهم اثنان وخمسون صحابياً. انظر: مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ١٦٤.

^٣ عبد الله بن الحكم بن أعين القرشي (ت ٢١٤ هـ / ٨٣٩م)، انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في مصر، وما رواه الأب من الأخبار التاريخية حول فتوح مصر والمغرب كان الأساس الذي وضع عليه ابنه المؤرخ عبد الرحمن كتاب فتوح مصر والمغرب، انظر: مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ١٩٥.

^٤ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١م). فتوح الإبن مصر والمغرب، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، ط/١، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٨-٢٠.

^٥ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٠-١١.

والواقدي. كما روى عن معاصرين له مثل ابن صالح وعبد الله بن بكير^١. يعتبر ابن عبد الحكم مصنفًا بارعاً للإخبار، لكنه لم يهتم بنقدها، واهتم بشكل خاص بفترة الصحابة والتابعين^٢. وربما كان قصده من الروايات أن تكون تذكرة صامته للمقارنة بين معيشة وحياة الفاتحين الأتقياء. وبين ولاية مصر الطولونيون الذين بالغوا في حياة الترف والبخ^٣.

وأصبح كتاب ابن عبد الحكم أساساً لمن جاء بعده، وأول من استفاد منه ابن قدير (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) أستاذ أبو عمر الكندي (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)^٤. وأخذ السيوطي معظم كتاب "حسن المحاضرة" من نصوص ابن عبد الحكم، كما نقل المقرئ في فصولاً كاملة منه، وأخذ ياقوت وصف مصر عنه بشكل حرفي^٥. و وصفه روزنتال: " بأنه مُصنّف في التاريخ الإقليمي لم نجد ما يوازيه في أي مكان آخر فيما بقي لنا من الكتب بالرغم من معالجة المؤرخين المصريين والأندلسيين لهذا الموضوع بعده^٦ .

ويؤكد جيب على مسأله الجمع بين الأساطير والروايات التي تتفاوت في مدى صحتها بأنها موجودة بشكل واضح في تاريخ الأندلس المنسوب إلى عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٣م) وكتاب الإكليل للهمداني (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٦م). ويستطرد جب بالقول ولعل التواريخ المحلية التي صنفت خلال القرن الثالث الهجري عن بعض المدن وضاعت جميعها سوى جزء واحد من " تاريخ بغداد" لابن أبي طاهر طيفور، كانت تفوق هذين الكتابين رصانة واتزاناً ودقة في نقل الحقائق^٧ .

هناك شكوك حول نسبة كتاب تاريخ الأندلس لابن حبيب، فقد ذكر إبراهيم الإبياري محقق كتاب " تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية: " أن جميع المصادر التي ترجمت لابن حبيب وعددها أربعة عشر ذكرت بعنوان فتح الأندلس، وأن ما نقله أحمد الرازي في تاريخه كان شيئاً مروياً أو مجموعاً لابن حبيب، وهذه المعلومات مذكورة في التاريخ العام الأندلسي وموجودة في مكتبة بودليانا، وهناك آراء تنسبه لتلميذه ابن أبي الرقاع"^٨ .

^١ عنان، محمد بن عبد الله، مؤرخو مصر الإسلامية، مؤسسة مختار للنشر، (د/ط)، القاهرة، ١٩٩١، ص ٨ - ١٣ .

^٢ توري، (C.C.Torey)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن عبد الحكم، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

^٣ الخالدي، طريف، فكرة التاريخ عند العرب، ص ٩٧ - ٩٩ .

^٤ عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٧ - ١٩ .

^٥ توري، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد/١، ص ٣٣٥- ٣٣٦ . انظر: مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٦٤ .

^٦ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

^٧ H.A.R. Gibb, Ency of Islam, suppl, p, 237.

^٨ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي القرطبي، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٩م، ص ٢٣ - ٢٥ . انظر: مارغوليث، دائرة المعارف الإسلامية، ط ١، م ١، مادة ابن حبيب، ص ٢٤٧-٢٤٨ .

بينما يؤكد المستشرق الإسباني خورخي أغواي نسبة الكتاب لابن حبيب ويصفه بأنه كتاب في التاريخ العام/ العالمي، وليس من تواريخ الأقطار المحلية (كما ذكر جيب) وجاء في ثلاثة أقسام رئيسية : تناول في الأول منه بدء الخليقة حتى البعثة النبوية، وتناول في الثاني التاريخ الإسلامي حتى فتح الأندلس ثم سرداً لأسماء ولادة الأندلس حتى وفاة المؤلف، وتحدث في الثالث عن طبقات أصحاب الرسول، صلى الله عليه وسلم، والتابعين والفقهاء في البصرة والكوفة والشام والمدينة، وفضائل بعض الأشخاص وبعض المواضيع العامة^١ ويبدو أن ما أشار له جيب بالأساطير هي المعلومات المتعلقة بالجزء الأول الخاص بفترة ما قبل الإسلام وقد تم الحديث عن هذه النقطة فيما مضى.

أما كتاب الهمذاني (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥ - ٩٤٦ م)، " من أخبار اليمن وأنساب حمير " المشهور باسم (الإكليل) فهو تاريخ محلي أبرز فيه النواحي الأثرية والجغرافية وركز فيه على أنساب اليمن وجاء في عشرة أجزاء لم يصل منها إلا خمسة أجزاء غير كاملة^٢ . ويذكر الهمذاني أن ما دفعه لتصنيف كتابه هو عدم معرفة الناس لأنسابهم، فقام بجمعها حيث تتبع نسب كل قبيلة، وأشار إلى أن ما قام به الكلبيان (ابن السائب الكلبي وابنه محمد) لم يكن سوى أثر في عفر (ظاهر التراب) وكذلك ابن إسحاق الذي أتى على نسب ولد الهميسع في خمسة أسطر.^٣

ويرى الهمذاني أن النسابين أعلاه لا يقارنون بشيخه أشهر قراء زُبر حمير القديمة ومساندها الدهرية الحنبصي، أبو نصر محمد بن عبد الله بن سعد بن عبد الله بن زرعة بن سبأ الأصغر، كما أنه يعدد مصادره التي أخذ عنها إضافة لما أخذه من علماء صعدة وصنعاء ونجران ورجال حمير وكهلان والجوف وخبوان وتناول فيه أنساب اليمن من آدم عليه السلام حتى زمانه^٤ .

ويذكر مرغوليوث في هذا الصدد أن معلومات ابن الكلبي عن ملوك اليمن لا توحى بكثير من الثقة إذ لم يكن لديه معرفة بالنقوش مثل الهمذاني الجغرافي الوحيد الذي حصل عليها من خلال رحلاته لمواقع النقوش^٥ .

وتجدر الإشارة لما نقله روزنتال عن كتاب " أنباء الرواة " لابن القفطي الذي لم ير سوى خمسة أجزاء متفرقة وقوله بأنه يتعذر وجود الكتاب كاملاً بسبب المثالب المذكورة في بعض قبائل اليمن فقامت

^١ ابن حبيب، عبد الملك السلمي، (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٣م)، كتاب التاريخ، تحقيق خورخي أغواي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩١ م.

^٢ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢١٧، جواد علي، المفصل، ص ٩٠ - ٩١ .

^٣ الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥ - ٩٤٦ م)، من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكوغ الحوالي، مكتبة الإرشاد، (د/ ط)، صنعاء، ٢٠٠٨، ج/ ١، ص ٥٩ - ٦١ .

^٤ الهمذاني، من أخبار اليمن، ج/ ١، ص ٦٠ - ٦٥ .

^٥ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

القبائل المعنية وتتبع نسخ الكتاب وأعدموها. كما نقل روزنتال عن و. لفرجين (O.Löfgren) أن كتاب تاريخ زبيد لجياش بن نجاح لاقى مصير كتاب الهمذاني لأن مؤلفه عرض لمدعيات كاذبة في أنساب بعض الأقاليم للعرب مما حملهم على طمس الكتاب^١.

يبدو أن ما أشار له جيب بالأساطير المستمدة من المصادر اليهودية هي المعلومات الواردة عند ابن حبيب والهمذاني عن فترة ما قبل الإسلام، وهذا هو رأيه وموقفه المتكرر من أي كتاب في التاريخ العام/العالمي أو المحلي/الإقليمي إذا تناول فترة ما قبل الإسلام كتمهيد لكتابه، ومعلوم أن معظم هذه المعلومات كان يتم تداولها شفويًا منذ أقدم الأزمنة باعتبارها جزءاً من الثقافة الشائعة عن الشعوب والأمم القديمة. أما في تواريخ المدن فقد اهتم ابن طيفور بتسجيل وقائع تاريخ بغداد وما جرى بها من الأحداث والأمور التي تتصل بحياة الخلفاء والأمراء والسكان في كافة الجوانب السياسية والاجتماعية والإدارية والعسكرية والإقتصادية والفكرية والعمرانية^٢. ويتألف كتاب ابن طيفور "كتاب بغداد" من ثلاثة عشر جزءاً، فقدت جميعها ما عدا الجزء السادس الخاص بعهد الخليفة المأمون^٣. اعتمد فيه على وثائق في الإحصاءات الثقافية والاقتصادية وغيرها^٤.

وحظي كتاب ابن طيفور بتقدير المسعودي، وامتدحه الخطيب البغدادي، وكان أحد مصادر الطبري^٥. ويبدو أن جيب بنى رأيه على أن تواريخ المدن أكثر دقة واتزاناً من تواريخ الأقطار المحلية (لابن عبد الحكم وابن حبيب والهمذاني) فقط على المجلد السادس الذي وصلنا والمبني على الوثائق المتوفرة في مطلع القرن الثالث الهجري وتحدث عن فترة متقدمة ومزدهرة من الكتابة التاريخية عن أحداث التاريخ الإسلامي، ولو وصلتنا جميع أجزاء الكتاب بما فيها الأول وكان يتضمن الحديث عن فترة ما قبل الإسلام. ربما كان لجيب رأي آخر مشابه لرأيه في التواريخ المحلية، التي اشتملت على ملخص لتاريخ العالم قبل الإسلام.

^١ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢١٧ - ٢١٨.

^٢ مادة "ابن طيفور"، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) "كتاب بغداد، تحقيق: احسان ذنون الثامري، دار صادر، ط/١، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٧، انظر: ك. أبوار، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ابن طيفور، ص ٢٠٥ - ٢٠٦، روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢١٠ - ٢١١، مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٢٨ - ١٣٠.

^٣ ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ٣٩، أبوار، دائرة المعارف، مجلد/١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦، مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٢٨ - ١٣٠.

^٤ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢١٠ - ٢١١.

^٥ أبوار، دائرة المعارف، مجلد/١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

ويذكر جيب أن القرون التالية شهدت إنتاجاً وفيراً من هذه التواريخ المحلية، وكانت عادة تحذو أحد نموذجين تبعاً لاهتمام المؤلف إما التراجم وإما الحوادث التاريخية. ورغم أن تواريخ الحوادث التاريخية التي وصلتنا لا تخلو من العناصر الخيالية، إلا أنها حفظت لنا الكثير من المواد القيمة التي لم تدرج في التواريخ الكبرى، وهي في الغالب ذات أهمية بالغة مثل مصنفات: (النرشخي، وابن القوطية وعمار، وابن سفنديار) وقد وافقت هذه المصنفات من حيث الأساليب وطرق المعالجة القواعد العامة المتبعة في أقاليمهم وزمانهم، ونكتفي بهذا القدر عنها في هذا المقام، لكن يجب أن نذكر منها أنها تُولف جزءاً لا يستهان به في التدوين التاريخي الإسلامي باللغتين العربية والفارسية^١.

صنّف النرشخي كتابه "تاريخ بخارى" سنة (٣٢٢هـ / ٩٤٣ م) باللغة العربية وقدمه للأمير الساماني نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل، ثم ترجمه للفارسية أحمد بن نصر القبائوي (سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م)، بعد أن حذف ما رآه فضولاً مُملاً وزاد عليه ما رآه نافعاً ومفيداً من كتب أخرى، ولم تصلنا هذه الترجمة^٢، وقام محمد بن زفر بن عمر بتلخيص هذه الترجمة الفارسية سنة (٥٧٤هـ / ١١٧٨م) وقدمه لحاكم بخارى برهان الدين عبد العزيز بن مازة، وجرت زيادات من مؤلف مجهول على هذا الملخص بعد محمد بن زفر اشتملت على أحداث امتدت إلى ظهور المغول، وفتح جنكيز خان لبخارى، وأخبار عن محمد خوارزم شاه حتى سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م وهو الكتاب الموجود الآن^٣.

ظهر اهتمام المستشرقين بتاريخ منطقة بخارى وتركستان وتاريخ السامانيين منذ عام ١٨٩٢م مثل: شارل شفير (Ch.Schaefer)، وبارتولد (w.Barthold)، والروسي ليكوشين (N.S.Lykoshin). وترجع أهمية كتاب "تاريخ بخارى" لأنه يُلقي الضوء على تاريخ بلد قديم من أراضي تركستان، وأصبح بعد الفتح الإسلامي من أهم الحواضر الإسلامية، وخرج منه الكثير من العلماء والمحدثين والفقهاء. واشتمل على معلومات عن السامانيين قل أن توجد في مصدر آخر، والكتاب يخلط الحقائق التاريخية بالروايات الأسطورية وأحاديث موضوعة عن بخارى وفضائلها^٤.

ومن الصعوبة التأكد من أصل وجود الروايات الأسطورية، والأحاديث الموضوعة في الكتاب، هل كانت ضمن محتويات النص الأصلي العربي المفقود؟ أم أنها أضيفت أثناء ترجمته للفارسية وما صاحبها من حذف وزيادة أو أثناء تلخيص الترجمة أو ضمن الإضافات الأخيرة التي أُلحقت بالكتاب.

^١ H.A.R. Gibb, Ency of Islam, Suppl, p, 238.

^٢ النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م)، تاريخ بخارى، ترجمه عن الفارسية وحققه أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط/٣، القاهرة، (د/ت)، ص ٥، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٣٧-٣٨.

^٣ النرشخي، تاريخ بخارى، ص ٦، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٢٨ - ٣٩.

^٤ النرشخي، تاريخ بخارى، ص ٦-٧، روزنتال، علم التاريخ، ص ٢٢٠.

كان ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) صاحب كتاب " تاريخ افتتاح الأندلس" لغويًا نحوياً مؤرخاً شاعراً ولد في قرطبة، وعرف بابن القوطية لأن جده عيسى عتيق الخليفة عمر بن عبد العزيز تزوج من أميرة أسبانية تدعى سارة وهي ابنة الملك القوطي أولموندو أوباس (Olemundo oppas) وحفيدة غيطشة (Witiza)، وقام بجمع الروايات والأخبار والحوادث المتعلقة بالأندلس من الفتح الإسلامي وحتى عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (٣١٢هـ / ٩٢٤م).^١

ويبدو أن الكتاب من إنشاء أحد تلاميذه لأن الرواية ترد فيه على لسان أحد سامعيه مثلاً " قال ابن القوطية"، ويتضمن الكتاب بعض الأساطير المبنية على أساس تاريخي، كما يلاحظ أحياناً بعض التعارض بين الأخبار.^٢ ورغم ذلك فإن المستشرق الإسباني بالنثيا يصفه بأنه كتاب عظيم القيمة.^٣

ويصنّف كتاب عمارة اليماني (٥١٥ - ٥٦٩هـ / م) المشهور " بتاريخ اليماني" بأنه نموذج للتاريخ المحلي لليمن، فقد ضمنه وصفاً جغرافياً لأنحاء اليمن، وخصص الثلث الأخير من كتابه للحديث عن شعراء اليمن من ملوك وعلماء وأعيان وأدباء مع ترجمات وتعريف مقتضبة لكل منهم مع الاستشهاد الكثير بالشعر والقوائد الطويلة، التي تعبّر في كثير من الأحيان عن العلاقات والمواقف السياسية بين الأمراء والدعاة الزيديين^٤، وترجع أهمية كتاب عمارة في أنه يُلقي الضوء على فترة غامضة من تاريخ اليمن وأحداثها خاصة تاريخ الدولة الصليحية(٤٣٩-٥٣٢هـ / ١٠٤٧-١١٣٨م)، وهذا سبب شهرة الكتاب والمؤلف الذي أصبح مصدراً لتاريخ اليمن لمن جاء بعده.^٥

ويعتبر تاريخ طبرستان لابن اسفنديار (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) أقدم وأهم ما ألف من التواريخ المحلية باللغة الفارسية عن تلك المنطقة فقد استفاد من تجارب من سبقه مثل المدائني (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٨م) وابن طيفور، والسلامي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦٠م) والنرشخي (ت ٣٢٢هـ / ٩٤٣م) في القرن الرابع الهجري/

^١ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي القرطبي، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الإبياري، دار الكاتب المصري، ط/٢، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٩ - ٢٠. بالنثيا، أنخل جنثال، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (د/ط)، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٢٠٢، شنب، محمد، دائرة المعارف الإسلامية، ط/ ١، مجلد/١، مادة ابن القوطية، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

^٢ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٠٣.

^٣ المرجع نفسه، ص ٢٠٢.

^٤ عمارة اليماني، نجم الدين أبو محمد عمارة بن ابي الحسن بن زيدان الحكمي، (ت ٥٦٩هـ / م)، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوغ الحوالي، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، ط/٣، صنعاء، ١٩٨٥م، ص ٤٥ - ٤٦، ١٩٤.

^٥ عمارة اليماني، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، مقدمة المحقق، ص ٢٥ - ٢٧، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٣٤٨.

العاشر الميلادي. وتضمن الكتاب وثائق هامة قلما توفرت في غيره من المصادر^١ ، وذكر ابن اسفنديار أنه وجد في عام (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) في مكتبة الملك (رستم بن شهریار) في مدينة الري النسخة العربية من كتاب " تاريخ طبرستان" والذي ألفه (اليزدادي) في أيام قابوس بن وشكمير حاكم طبرستان (٣٦٦ - ٤٠٣ هـ / ٩٧٦ - ١١١٢ م) وأخذ هذه النسخة واعتمد عليها في كتابه^٢.

تناول ابن اسفنديار في كتابه وصف طبرستان ومعالمها البارزة وتاريخها في عهد أسرة وشكمير وبنو بويه والأسرة الباوندية الثانية والدولة الغزنوية ودولة السلاجقة^٣ وطغى على الكتاب الحديث عن التاريخ السياسي بصورة عامة^٤ . واشتملت الأجزاء الأولى منه عن فترة ما قبل الإسلام على الكثير من الأمور المتصلة بالأساطير والخرافات ومعلومات من مصادر يهودية ونصرانية^٥ . لكنه متى يصل إلى العصر الإسلامي فإنه يفيض في ذكر الحقائق التاريخية والجغرافية والإخبارية خاصة التفاصيل المتعلقة بسير الرجال المحليين من أصحاب الشهرة والصيت ممن أقاموا في طبرستان أو في خارجها، وأنهى ابن اسفنديار تاريخه بوفاة (رستم بن أردشير ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) لكن هناك من جاء بعده وأضاف سجل الأخبار فيه إلى سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)^٦.

ب: الحوليات المعاصرة

اما الاتجاه الثاني: عن الحوليات المعاصرة، فيذكر جيب أنه من العسير علينا بعد منتصف القرن الرابع الهجري أن نميز بين التاريخ العام والتاريخ المحلي، ومن ثم كان النموذج الغالب على التصنيف التاريخي هو الحوليات المعاصرة (المزج بين التاريخ العام والمحلي)، حيث يُقدّم لها بموجز عن التاريخ العام، وكانت روايات المصنّف واهتماماته مقيدة ضمن حدود النظام السياسي الذي يعيش في كنفه، ويندر أن يتناول أحداث الأقاليم البعيدة بسبب الإنقسامات السياسية^٧.

وأشار جيب إلى أن العامل الأهم هو أن تدوين التاريخ السياسي انتقل في الغالب إلى أيدي موظفي البلاط والمقربين من الحكام. وأثر هذا التغيير في الشكل والمحتوى وروح التاريخ. وكان تدوين الحوادث

^١ ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن الحسن (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)، تاريخ طبرستان، ترجمة أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة العدد (٣٨٢)، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٤١ - ٤٣ .

^٢ براون، إدوارد جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٦٠٨ - ٦٠٩، انظر: مصطفى، شاكرا، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٢٧ .

^٣ ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ص ٥٠-٥١. إيوار (CL.Huart)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد ١، مادة ابن اسفنديار، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

^٤ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٢١ .

^٥ ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ص ٤١ - ٤٣، بروان ، الأدب في إيران، ص ٦٠٩ .

^٦ بروان، الأدب في إيران، ص ٦٠٩ .

^٧ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl p, 238 .

مهمة سهلة لذوي الخبرة من الكتّاب ورجال الدواوين، لأن مصادرهم الوثائق الرسمية وصلاتهم الشخصية حول ما يجري في دوائر البلاط. لذلك تم اقتصار الإسناد على مجرد إشارة موجزة للمصدر حتى تم الإستغناء عنه فيما بعد^١. وكان ظهور الحوليات المعاصرة نتيجة طبيعية لحالة التفكك السياسي التي عاشتها البلاد الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري لدوافع متعددة مثل إثبات الشخصية المحلية، والتعبير عن الانفصال السياسي، والفخر والتنافس بين المدن والأمصار أو لمبادئ مذهبية وسياسية^٢. ورغم ذلك استمر الفقهاء والمحدثون بكتابة التراجم بشكل خاص إضافة لتدوين الحوادث التاريخية^٣.

ويؤكد ذلك أن تدوين التاريخ في مجمله كان متروكاً للجهد الخاص، ومعظم المؤرخين كانوا أشخاصاً عاديين، وليسوا مؤرخين رسميين، وغايتهم تعليم مواطنيهم، ورغم وجود ميل ديني أو هوى وطني أحياناً^٤ ومع توفر المادة التاريخية، وتغير النظرة للتاريخ أخذ كثير من أفاضل العلماء وثقات الفقهاء يقبلون على دراسة التاريخ والتأليف فيه، لأن التاريخ أصبح من أجلّ علوم المسلمين، وأعظمها شأنًا، وأصبح للمؤرخين مكانة مرموقة في مجتمعاتهم^٥.

أما اقتصار الإسناد على الإشارة إليه والتخلي عنه فيما بعد كما أشار جيب فهذا لا يرتبط باضطلاع موظفي البلاط بكتابة الحوليات السياسية المعاصرة، لأن التحرر من الإسناد أو إختصاره وجد منذ القرن الثالث والرابع الهجري في التواريخ العامة عند اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م)، والمسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧ م) وغيرهم. حيث كانوا يكتفون بذكر مصادرهم في مقدمات مصنفاتهم^٦ أو سلاسل إسنادهم كما فعل ابن أعثم في كتاب الفتوح^٧. لذلك فإن اختصار الإسناد كان تقليدًا لشيء سابق معروف، ومع أن سقوط الإسناد أدى إلى انقطاع الصلات بين التاريخ وعلم الحديث، حيث أصبح التاريخ علمًا مستقلاً بمنهجه الخاص، إلا أن الإسناد لم ينقطع تمامًا وبقي بشكل خاص في مصنفات تراجم الرجال ورواة الحديث وتواريخ البلدان مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وبغية الطلب لابن العديم^٨، وبذلك استمر التوثيق بأكثر من طريقة^٩.

^١ Ibid., p238 .

^٢ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٢٨٨، ٣٤٨-٣٤٩، هرنشو، علم التاريخ، ص ٦١-٦٢، السيد سالم، التاريخ والمؤرخون، ص ١٠٥ - ١١٠، سوفاجيه، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٦١-٦٣، مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٨ - ١٩، النبراوي، مناهج البحث، ص ١٢٤ - ١٢٥.

^٣ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٢٧٥-٢٧٧.

^٤ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٢٩ - ٣١.

^٥ هرنشو، علم التاريخ، ص ٦٠ - ٦١ .

^٦ سالم، التاريخ والمؤرخون، ص ٧٥ - ٧٦.

^٧ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٣٨٠-٣٨١ .

^٨ المرجع نفسه، مجلد/١، ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

ويرى جيب أن الحوليات المعاصرة ومعالجة هؤلاء المؤلفين لحوادث عصرهم، تعكس تحيّر طبقتهم ونظرتهم الضيقة للنواحي الإجتماعية والسياسية والدينية، واستُبعدَ في هذه الكتابات المفهوم الديني القديم الذي أضفى على التاريخ سعة الأفق والوقار، فأصبح التركيز فيها على نشاطات الحاكم والحاشية.^٢ وعلى الرغم من حديث جيب عن الحوليات المعاصرة، إلا أنه لم يعط أمثلة عليها، ويبدو أنه كان يقصد كتب الحوليات الخاصة التي وجدت في ولايات المشرق الإسلامي، وقد سبق الحديث عن بعضها ضمن الإتجاه الأول/ التواريخ المحلية) مثل تاريخ بخارى للنرخشي، وتاريخ طبرستان لابن اسفنديار. وهناك كتاب يُطابق تماماً ما عرضه جيب عن الحوليات المعاصرة لكنه لم يشر إليه، وهو كتاب التاجي للصائبى (الجد) إبراهيم بن هلال الكاتب (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م).

ويواصل جيب قوله: بأن معلومات المصنفين (في الحوليات المعاصرة) عن الحوادث السياسية الخارجية لعصرهم موثوقة، بشكل عام رغم ضيق إمكاناتهم وفيها دقة وتحرر نسبي من الهوى السياسي، ومثال ذلك مصنف ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م)، وهلال الصائبى (الحفيد) (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م). ومما يؤكد شيوع هذا النهج ما بقي من كتاب تاريخ مصر للمسبحي (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)، وتاريخ الأندلس لابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م) كأمثلة بارزة.^٣

يبدو أن هناك شيئاً من الالتباس والتعارض فيما طرحه جيب. ويجب التنويه له قبل الحديث عن الأمثلة التي ذكرها، فقد وصف الحوليات المعاصرة بأنها تواريخ محلية سياسية، يقدم لها بموجز عن التاريخ العام العالمي، وإن الكاتب مقيد فيها بحدود الكيان السياسي الذي يعيش فيه ونادراً ما يتناول حوادث الأقاليم البعيدة، وفيها تحيّر ومدح وتركيز على نشاطات الحاكم والحاشية، بينما وصف في الفقرة السابقة معلومات المصنفين فيها عن الحوادث السياسية الخارجية بأنها موثوقة ودقيقة وبعيدة عن الهوى والميول السياسية نسبياً. والأمثلة التي ساقها تصنف كتواريخ عامة/ عالمية حولية وشاملة لمواضيع حضارية وثقافية وأخلاقية فلسفية وليست حوليات معاصرة رغم أنها تتضمن معلومات مفصلة عن أقاليم من صنّفوها.

عمل مسكويه (والأصح مشكويه) أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م) كاتب سر الوزير المهلبى وأمين خزانة كتبه. وكان صاحب حظوة لدى ابن العميد^٤. وقد وظّف الحوادث التاريخية في كتابه: تجارب الأمم" كأمثلة ومواعظ يمكن للإنسان أن يستفيد منها في حياته

^١ المرجع نفسه، مجلد/١، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

^٢ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p , 238.

^٣ H.A.R.Gibb,Ency of Islam,Suppl , p 238.

^٤ مادة "مسكوية"، دائرة المعارف الإسلامي، ط/١، مجلد/ ١، ص ٣٣٨ - ٣٣٩، سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص ١٠١ - ١ - ٢، مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٢٩ - ٣٠.

الخاصة والعامّة بقوله: " إن أمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، وباستطاعة الإنسان أن يقارن الحاضر بالماضي ويهتدي بهدي التجارب التي حصلت للأسلاف... فيحل مشاكله وينجح في مشاريعه.^١ وينظر مسكويه إلى التاريخ بأنه تجارب يستفاد منها. لكنه وجد في هذه الأخبار ما يجري مجرى الأسفار والخرافات التي لا فائدة منها، وصنّف كتابه " تجارب الأمم" لانتفاع أكثر الناس به من الوزراء وأصحاب الجيوش وسواس المدن ومدبري أمور العامة والخاصة وسائر طبقات المجتمع. وبدأ كتابه من بعد الطوفان لقلّة ثقته بالفترة التي سبقتها ولا تفيد بشيء مما عزم عليه، كما ذكر ذلك ولم يتعرض لذكر المعجزات للأنبياء وما تم لهم من سياسات إلا ما كان تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز وهو يدعو إلى التركيز على قيم الأخلاق لتخليد الأعمال الصالحة والسيئة لتكون عبرة للأجيال اللاحقة^٢، وقد اعتمد مسكويه على الطبري بشكل كبير واختصر الرواية وأهمّل الإسناد.^٣ ورغم أنه أمضى حياته (حوالي ٥٠ سنة) في خدمة وزراء السلاطين البويهيين، إلا أنه انتقد أفعالهم السلبية.^٤ وهذا ما أشار له جيب بالثقة والدقة وإهمال الإسناد والبعد عن الهوى السياسي.

وكان الصابئ، أبو الحسن هلال بن إبراهيم (الحفيد) ويعرف بالكاتب أو المنشئ (ت ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ م) أيضاً موظفاً في الدولة وكانت الوثائق تحت تصرفه وأشار لذلك في متن الكتاب.^٥ ويتحدث عن منهجه في تصنيف كتابه بقوله: " فأفلحت مصادره، وأعمل به النطق، فأنجحت مقاصده، وتوخي به الخبر، فأصابت مواضعه، وترجي فيه الحظ فأربحت بضائعه"^٦، ويذكر الصابئ أنه اطلع على مصنفات من سبقه وذكرهم مثل: ثابت بن سنان، والقاضي التنوخي صاحب نشوار المحاضرة، وكتاب الوزراء للجشهياري (ت ٣٣١هـ) وله نقد عليه، وكتاب الأوراق للصولي (ت ٣٣٥ هـ) وانتقده بقوله: لكنه ملأه بالحشو الزائد وكسفه بشعره البارد.^٧ و وصف ابن خلكان هلال الصابئ بأنه كان صدوقاً.^٨

أما المسيحي، (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م)، المؤرخ المصري الذي عاصر عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي وكان مقرباً منه حتى وفاة الحاكم (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) حيث انقطع المسيحي للكتابة والتأليف، وترك لنا

^١ مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب الرازي، (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)، كتاب تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم امامي، ج/١، دار سهرش للطباعة، (د/ط)، طهران، ٢٠٠١، ص ١٢٧.

^٢ مسكويه، تجارب الأمم، ج/١، ص ٤٧- ٥٠.

^٣ سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص ١٠١ - ١٠٢.

^٤ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٢٩ - ٣١.

^٥ الصابئ، أبو الحسن هلال بن محسن بن إبراهيم، (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الأفاق العربية، (د/ط)، القاهرة، ٢٠٠٣، انظر: ص ١٥، ١٦٦، ١٧٠، ٢٤٥.

^٦ الصابئ، الوزراء، ص ٤.

^٧ الصابئ، الوزراء، مقدمة المحقق ص (ض، ظ)، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ١٠٠ - ١٠١.

^٨ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٢٥٦.

مؤلفات كثيرة لكنها ضاعت وأهمها " كتاب التاريخ الكبير " عن مصر، في ثلاثة عشر ألف ورقة (أي ست وعشرين ألف صفحة تقريباً). ولو سلم لنا هذا الكتاب لكان أهم الموسوعات في تاريخ مصر (ولما كان ثمة ما يدانيه فيه سوى المقريري بعد عدة قرون) وتناول فيه ما يتعلق بأخبار مصر حتى عصره، ولم يبق منه سوى جزء في ٧٩ ورقة، تبدأ من آخر سنة ٤١٤ هـ حتى سنة ٤١٦ هـ وهذا الجزء المسمى بالأربعين ولم يكن آخر الكتاب.^١

امتاز المسيحي بدقته وسعة اطلاعه، ورتب تاريخه على السنين (الحوليات) وعرض تواريخ الحوادث بالسنة والشهر واليوم، واهتم بتسجيل الحياة اليومية في مصر بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية، لذلك جاء كتابه على شكل يوميات تحدث فيها طوائف المجتمع وحرفهم وطبائعهم و وصف احتفالاتهم بالأعياد، وأبرز التسامح الديني الذي تمتع به النصارى بعد اضطهاد الحاكم بأمر الله لهم، وحضور الظاهر لاحتفالاتهم^٢.

وأشار المسيحي للأزمات الاقتصادية التي عرضت لها مصر قبل الشدة المستنصرية كما سجل مواكب الخليفة الفاطمي ومجالسه، وخطط و منشآت القاهرة، وأمر النيل، والعقوبات والحياة الأدبية.^٣ كما تناول علاقة مصر بجيرانها في الشام والحجاز والثورات فيها.^٤ وهذا يعني أن المسيحي لم يقدم لنا تاريخاً محلياً فحسب لمصر إنما موسوعة شاملة.

فقد نقل إلينا ابن خلكان ما كتبه المسيحي في مقدمة كتابه: " التاريخ الذي يستغنى عنه بمضمونه عن غيره من الكتب ... وهو أخبار مصر ومن حلّها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة، وذكر نيلها وأحوال من حلّ بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه.... وأشعار الشعراء وأخبار المغنبيين ومجالس القضاة والحكام والأدباء وغيرهم °، وربما كان لكتاب المسيحي أثر فيمن جاء من بعده من حيث الفكرة والمضمون مثل كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وتاريخ دمشق لابن عساكر(ت٥٧١هـ/١١٧٦م).

أما ابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ م) فإنه يعتبر من أقدم وأفضل مؤرخي الأندلس في عصر الطوائف، وكان كاتباً وافر الإنتاج له أكثر من (٥٠) خمسين مصنفاً وصلنا منها واحد هو "

^١ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ١٨٨ - ١٩٠.

^٢ المسيحي، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٢٠ هـ/ ١٠٢٩ م)، أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد السيد وتياري بيانكي، القسم الأول، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية،(د/ط)، القاهرة، ١٩٨٠ م ، المقدمة ص (ط ، ي ، ك).

^٣ المسيحي، أخبار مصر، ص (ط، ي ، ك).

^٤ المسيحي، أخبار مصر، ص (ل).

^٥ ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج/٤، ص ٣٧٧ وما بعدها.

المقتبس في تاريخ الأندلس"^١، وجاء كتابه في عشرة أجزاء تناول فيه تاريخ الأندلس من فتحها على يد طارق بن زياد إلى زمن المؤلف، ولم يبق منها إلا ثلاثة أجزاء، ويذكر أنه عمل صاحب شرطة قرطبة لفترة من الزمن^٢، وامتاز أسلوب ابن حيان ومنهجه بالدقة والاختصار، واستعان بمناهج الكتابة التاريخية الموثوقة قبله وقدم لنا تاريخاً عاماً/عالمياً ومحلياً اشتمل على جوانب فكرية وثقافية وطبقات و وفيات^٣، ويظهر في سرده للحوادث النظرة الشاملة وسعة الأفق والملاحظات الدقيقة، وبعض التفصيلات عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للبلاد، وترجمة دقيقة لكل أمير وأسرته والعلماء في عصره، وعن الحياة الثقافية العامة في البلاد لكل عصر وعن حياة الناس، وقد اتبع به أسلوب الحوليات.^٤

ويتميز ابن حيان بأنه كان بعيداً عن الهوى السياسي، و دقيقاً وموثوقاً في أخباره، فيتحدث عن بيعة الامير عبد الله ويعدد أعماله، وبمن استعان من رجال دولته، ويذكر المخالفين له والخارجين عليه، ثم ينتقل للحديث عن فضائل الأمير وعن نقائصه وإسراعه إلى سفك الدماء حتى ولديه وأخوته ومن خلفهم من صحابته ورعيته وعلى الظنة والشبهة لأكثرهم كما يعيب عليه شدة بخله^٥، إن دراسة المسبحي وابن وابن حيان توضح ما تمت الإشارة له من التعارض والإلتباس فيما طرحه جيب، مما يدل على عدم دقته في الأحكام التي يصدرها غالباً.

ويرى جيب أن التحول من النظرة الدينية القديمة لدراسة التاريخ إلى النظرة الدنيوية كانت لها نتائج خطيرة فقد استعاض المؤرخون عن المبررات الدينية إلى القيم الأخلاقية. لتخليد الأعمال الصالحة والسيئة لتكون عبرة للأجيال اللاحقة كما جاء في مقدمة " تجارب الأمم" لمسكويه وكتاب الوزراء لهلال الصابئ^٦.

إن هذا الطرح ليس دقيقاً وفيه مبالغة وبعداً عن الواقع، فبعد الرجوع للمصدرين يتضح أن كلاً منها دعا إلى الاهتمام بقيم الأخلاق والعظة والعبرة من دراسة التاريخ دون استبعاد المفهوم الديني. فقد ذكر مسكويه أنه لم يجد في المعجزات للأنبياء تجربة إنسية يستطيع الجميع أن يمارسوها أو يعتبروا بها^٧، وربما هذا سبب اتهام المستشرق كاردي فو(Carre Du Voux)، لمسكويه بأنه لم يحترم السنة، وهذا

^١ دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن حيان، ص ٢٦٥.

^٢ بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٠٩.

^٣ ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، لجنة أحياء التراث الإسلامي، مطابع الأهرام، (د/ط)، القاهرة، ص ٧١-٧٢.

^٤ ابن حيان، المقتبس، ص ٧٠.

^٥ بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٠٩.

^٦ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl. P, 238.

^٧ مسكويه، تجارب الأمم، ج/١، ص ٢٨. روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٩٥ - ١٩٦.

لا يعني ترك مسكويه ما كان للأنبياء من تدابير بشرية غير مقرونة بالإعجاز، فقد ألف كتاباً عن الأنبياء بعنوان " أحوال الحكماء و صفات الأنبياء السالفين" ^١ ، ويضيف مسكويه : " وقد ذكرنا أشياء مما تجري على الاتفاق والبخت (القضاء والقدر) وإن لم يكن فيها تجربة، ولا تقصد بإرادة، وإنما فعلنا ذلك لتكون هي وأمثالها في حساب الإنسان وفي خلد و وهمه لئلا تسقط من دايون الحوادث عنده، وما ينتظر وقوع مثله، وإن لم يستطع تحرراً من مكروهه إلا بالاستعانة بالله ^٢ .

لقد سبق الحديث عن تركيز هلال الصابئ على العظة والعبرة وفضائل الأخلاق، في مقدمته لأنه تناول في كتابه أخبار أشهر الوزراء في عهد الخليفة العباسي المقتدر وهم علي بن محمد بن الفرات، ومحمد بن عبد الله الخاقاني، وعلى بن عيسى الجراح، وما كان يجري من دسائس و مؤامرات وتدخل النساء في الحكم وما يعقب ذلك من عزل وحبس وتكيل ومصادرة وانتقام الوزراء اللاحق من السابق وهكذا^٣، ويؤكد استعمال العقل والأخلاق وعرض المصائر الحسنة والسيئة لأخذ العبرة من كل منهم لما جرى له، وهو يعتبر أن ما جرى عقاب من الله على سوء الأفعال ^٤ ، فهو يربط سجل أعمال الإنسان والوزراء وغيرهم بالثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، وفسر عقابهم في الدنيا بما وقع بين بعضهم على بعض من إساءات وانتقام، وهذا من أسس النظرة الدينية الإسلامية للتاريخ ومبدأ حرية الإنسان وإرادته في الاختيار التي سبق توضيحها.

يتضح مما سبق أن دعوة كلاً من مسكويه وهلال الصابئ لدراسة الحوادث التاريخية، هي من خلال الأخلاق والعظة والعبرة النابعة من أصول الدين، وأكدت هذه الدعوة بشكل واضح على أفعال البشر العاديين المتكررة في حركة التاريخ، واستبعد مسكويه تجارب معجزات الانبياء، لأنها خاصة بهم وانتهت بعصر النبوة لكنه أكد إرادة الانسان (القضاء والقدر) وتسجيلها، وكذلك ربط الصابئ الأعمال بالعقاب والثواب، ولم يكن أحداً منهما فقيهاً أو محدثاً، فمسكويه كان فيلسوفاً عالمياً، وهلال الصابئ كاتباً، وكلاهما مقرب من أرباب السلطة بحكم عمله ومطلعاً على خفايا الأمور.

ويبدو أن هذه النظرة لدراسة الحوادث التاريخية كانت تتناسب مع واقع العصر والمجتمع في القرن الخامس الهجري وهما لم يخرجوا عن إطار النظرة الدينية التقليدية، إنما قدماها من زاوية مختلفة " قيم الأخلاق" ويبدو ان لدى جيب تفسير خاص أو إشكالية في فهم طبيعة العلاقة بين الدين والتاريخ والأخلاق .

^١ المصدر نفسه، ج/١، ص ٢٨ .

^٢ المصدر نفسه، ج/١، ص ٥٠ .

^٣ الصابئ، الوزراء، ص ٤-٥، ١٤، ٢٨-٢٩، ٣٢، ٣٤-٣٥ وما بعدها.

^٤ الصابئ، الوزراء، ص ٦ - ٩ .

يعود جيب ليؤكد فكرة التحول لدراسة التاريخ من النظرة الدينية الى النظرة الدنيوية، (المبنية على افتراضه بأن ما قدمه كلاً من مسكويه وهلال الصابئ في مقدمة كتابيهما كان دعوة لقيم الأخلاق واستبعاداً للمفهوم الديني لدراسة التاريخ) ليبين النتائج السلبية بقوله: " وصادفت هذه الدعوة قبولاً لدى جمهور علماء الأخلاق والأدب، وما دام التاريخ فرعاً من فروع الأخلاق، وليس علماً من العلوم، فلا ينبغي أن يتردد المؤرخون في تكيف العبر التاريخية حسب أغراضهم فذهبت كتب الأدب و" مرايا الأمراء" (The adab-books and "Mirrores of Princes") المليئة بمثل هذه الضلالات والانحرافات مدى بعيداً في إفساد ذوق الجمهور وملكة النقد عنده حتى أن بعض المصنفين والمؤرخين المتأخرين لم يسلموا من هذه العدوى^١.

لم يقدم جيب أمثلة عن العلماء أو مؤلفاتهم الذين قبلوا الدعوة لقيم الأخلاق، كما أنه عارض نفسه باعتباره علم التاريخ فرعاً من فروع الأخلاق^٢، ليستنتج حكمه بأنه لا ينبغي أن يتردد المؤرخون في تكيف العبر التاريخية حسب أغراضهم، ليصل الى ما يريد قوله بأن كُتِبَ الأدب و"مرايا الأمراء"، أفسدت الذوق وملكة النقد لدى جمهور المؤرخين دون بيان هذه الضلالات في هذه الكتب، لذلك لا بد من إضاءة حول " مرايا الأمراء"، التي انتشرت في المشرق العربي الإسلامي خلال العصور الوسطى، والكتابات حول الإتجاه التطبيقي العملي من الفكر السياسي الإسلامي وعُرفت بأسماء عديدة منها: الفلسفة السياسية العملية أو الحكمة العملية السياسية، كما سمي بتدبير المنزل وعرفت بنصائح الملوك أو مرايا الأمراء^٣.

ويذكر دمج أن المصنفات التي تندرج تحت مصطلح " مرايا الأمراء" تناولت مواضيع وقضايا متنوعة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق، وعكست صوراً مطابقة لواقع الحياة، وظروف العصر وأنظمة الحكم والسياسات وأخلاق وصفات الملوك العامة وآداب التعامل، وعبرت عن ذلك بأساليب النصيح والوعظ والإرشاد للحكام، وصنّف في نصائح الملوك والأمراء جمع غفير من المفكرين والفلاسفة والفقهاء والمؤرخين، والأدباء، ولا مجال لذكر أسمائهم ومصنفاتهم في هذا المقام^٤.

ويذكر روزنتال أن المؤرخين المسلمين تأثروا بالحكمة الشعبية من نوع المواعظ الخُلقية "مرايا الأمراء" وبعلم التاريخ عند الفرس، فكانت السير والتراجم مليئة بالفلسفة الشعبية والحكميات كما في

^١ H.A.R.Gibb,Ency.of Islam, Suppl, p 238.

^٢ H.A.R.Gibb,Ency.of Islam, Suppl, p ٢٣٧

^٣ دمج، محمد أحمد، مرايا الأمراء (أو الحكمة السياسية والأخلاق التعاملية في الفكر الإسلامي الوسيط)، مؤسسة بحيون للنشر والتوزيع، ط/١، بيروت ١٩٩٤، ص ٩-١٠.

^٤ دمج، مرايا الأمراء، ص ٩ - ١١. روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٦٠ - ١٦٢.

كتاب "العُرُزُ في سير ملوك الفرس" للثعالبي^١، وكذلك اقتبست العلوم السياسية الإسلامية كثيراً من آداب السلطان الفارسية، وبعض نواحي علم الأخلاق الإغريقي، وكان ذلك عاملاً في رسم الصورة المثالية للحاكم المسلم ويقصد أنها جاءت بتأثير الفرس وهذا غير صحيح لأن هناك قواعد تركها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء والفقهاء من بعده، حول هذه الصورة. وقد ذكر ابن (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٢م) في مقدمة كتابه "الفخري" كلاماً طويلاً شاملاً لآداب السلطان "مرآة الأمراء"، كما أشار إلى تاريخ طبرستان لابن اسفنديار^٢.

ويرى روزنتال أن هناك نوعاً من التداخل بين كتب التاريخ وآداب السلطان "مرايا الأمراء" فقد ضمت كتب التاريخ الكثير من آداب السلطان "مرايا الأمراء" خاصة نمط الخطابات الدينية الزهدية، ويعقب روزنتال قائلاً: ولا حاجة للقول أنها في العادة مختلقات صرفة تهدف إلى تصوير المتكلم وكأنه يسير تبعاً لمثل دينية إسلامية^٣، وبالمقابل أخذت آداب السلطان "مرايا الأمراء" الكثير من الأمثلة التاريخية وأدخلتها ضمن نطاق بحثها لدرجة أصبحت من الأهمية أنها احتوت على مختصرات للتاريخ الإسلامي لكن الأمور الجوهرية في النظرية الإسلامية عن الدولة ومؤسساتها السياسية كانت مرتبطة بالنظريات والأعراف الفقهية^٤.

يبدو بشكل واضح التوافق في الرأي بين روزنتال وجيب حول "مرايا الأمراء" رغم تأكيد روزنتال بأن جوهر الأمور النظرية الإسلامية عن الدولة ومؤسساتها السياسية ظلت مرتبطة بالنظريات والأعراف الفقهية، وهذا يعبر عن الصورة النمطية بين معظم المستشرقين في تكرار وترديد الآراء المتعلقة بالتاريخ الإسلامي فيما بينهم دون تمحيص أو تمييز. ويؤكد ذلك أن روزنتال بنى رأيه على القول الشائع^٥ عندهم بأن التاريخ الفارسي على التاريخ الإسلامي والذي تم مناقشته وبيان عدم صحته في أثر الرواية الفارسية وكتاب الملوك خدای نامه في تدوين التاريخ العام / العالمي.

^١ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٦٠.

^٢ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٦٢.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٦٨ - ١٦٩.

^٤ المرجع نفسه، ص ١٦٢.

^٥ بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ج/٣، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف، ط/٥، القاهرة، (د/ت)، ص ٨. يؤكد تناقل الأقوال الشائعة عند المستشرقين بقوله: "ونحن لا نزال نعتقد مع (جولد تسيهر) أن ظهور علم التاريخ عند العرب على هذا النحو يرجع إلى اعتمادهم على نماذج الفرس ومذاهبهم في تأليف الكتب من ملوك العجم ولا سيما كتاب (خودای نامک) عن ملوك بني ساسان، وربما كانت كتب التاريخ الرومية وما ألف نصارى السريان على مثالها، قد قدمت أيضاً إلى علماء العرب نماذج يحتذونها.

ويرى الباحث أن كثيراً من الذين صَنَّفُوا وكتبوا في "مرايا الأمراء" عاشوا مرحلة ضعف الخلافة العباسية وسيطرة المتغلبين على مقاليد الأمر فيها (الأتراك، والبويهيون والسلاجقة) ولم تقتصر الكتابة في هذا المجال على علماء الأخلاق والأدب كما ذكر جيب إنما كانت نسبة كبيرة منهم من الفقهاء والقضاة والمؤرخين الذين كانوا يرون ضرورة إصلاح الأمور في مجتمعاتهم، فكتبوا في النصح والإرشاد للحكام بأسلوب مُهَدَّب وبيَّنوا مآل الأعمال الصالحة والسيئة في الدنيا والآخرة من خلال تفسير آيات القرآن والأحاديث النبوية وسير الحكام السابقين.

ولبيان الفرق الشاسع بين نظرة المستشرقين ومغالاتهم في آرائهم وبعدهم عن الموضوعية وبين واقع ما اشتملت عليه " مرايا الأمراء" سنعرض بإشارة موجزة لما جاء في مقدمة كتاب نصائح الملوك للماوردي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)، ومقدمة كتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقا الذي أشار إليه روزنتال كنموذج للإقتباسات عن الفارسية والوضع والإختلاق رغم أنه متأخر نسبياً في الزمن (ت٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م).

يتحدث الماوردي في مقدمة كتابه عما دعاه لتصنيفه : " ونقول إن ما حملنا على تأليف هذا الكتاب بعدما علمنا من حث الله (جل ذكره) العقلاء من عباده على طلب الأجر... " وعمّا سمعه من الأحاديث النبوية حول التناصح بين المسلمين^١ ، ويرى : "أن الملوك أولى الناس بأن تُهدى إليهم النصائح وأحقهم بأن يُخوَّلوا بالمواعظ، إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية، وفي فسادهم فساد البرية ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة، وفي الكافة هداية إلى مصلحة العالم بأسره... ولهذا ما جرت العادة في الأنبياء أن يبعثهم الله إلى ملوك الأمم وإلى جماعاتهم، مثل ما أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون لقوله: " اذهبوا إلى فرعون إنه طغى " . ولم يقل اذهبوا إلى أهل مصر، فكتبنا كتابنا هذا نصيحة للملوك، وإظهاراً لمحبتهم، وإشفاقاً على أنفسهم ورعاياهم... لأنها نصيحة من قبل وعمل بها من الملوك والساسة وصل الله ملكه الأمدى بالأبدى في دار القرار ومحل الأبرار....^٢ ورأينا أن نجمع ما قصدنا من ذلك في عشرة أبواب^٤ ، وكان الماوردي أحد كبار قضاة الشافعية في بغداد، له عدة مصنفات تتصل بالتاريخ والسياسة والإدارة والأخلاق^٥ .

^١ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)، نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، ط١، الكويت، ١٩٨٣م، ص٣٣.

^٢ الماوردي، نصيحة الملوك، ص٣٤ - ٣٥.

^٣ المصدر نفسه، ص ٣٥.

^٤ المصدر نفسه، ص ٣٦.

^٥ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، مجلد/ ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢.

وبيّن ابن في مقدمه كتابه فضل العلم والكتاب وأهميتهما بقوله: " إن أفضل ما نظر فيه خواص الملوك وسلوكوا إليه أفضل السلوك بعد نظرهم في أمر الأمة وقيامهم فيما استودعوه بالحجة هو النظر في العلوم، والإقبال على الكتب التي صدرت عن شرائف الفهوم فأما فضيلة العلم ظاهرة ظهور الشمس^١ ثم يورد عدة روايات حول العلاقة بين الخلفاء ووزرائهم ويفهم منها مدى كراهة الوزراء أن يكون في الخلفاء والملوك فطانة ومعرفة في أمور الدولة، وهم يحرصون على أن يكون الخليفة صبياً قاصراً، أو كبيراً يشغلون وقته باللهو ومجالس الأشعار المطربة.^٢

يمتدح ابن والي الموصل عيسى بن إبراهيم (الذي أهده الكتاب) بأسلوب مسجوع فيه مبالغة وتعظيم، ويطلب من قارئ كتابه إنه إذا استعظم ما سمع وعرض له الشك فليقارنه (الوالي عيسى) بأعيان عصره وهذا ما دفع المؤلف لتصنيف الكتاب ليكون تذكرة للوالي وتذكرة للمؤلف عند الوالي إذا غاب عنه^٣. ويتحدث عن موضوع كتابه فيقول: " هذا كتاب تكلمت فيه عن أحوال الدول وأمور الملك وذكرت فيه ما استظرفه من أحوال الملوك الفضلاء واستقرته من سير الخلفاء والوزراء ". وجاء كتابه في فصلين تناول في الأول الأمور السلطانية وخواص الملك، وتحدث في الثاني عن دول الراشدين والأمويين والعباسيين^٤ وأوجز في أخبار البويهيين والسلاجقة والفاطميين.^٥

ويذكر ابن أنه التزم في كتابه أمرين: الأول: " أن لا أميل فيه إلا مع الحق، ولا أنطق به إلا بالعدل، والبعد عن سلطان الهوى " والثاني: استخدام العبارات الواضحة لانتفاع الكل، والبعد عن اظهار الفصاحة والبلاغة^٥.

ج: المنحولات في التواريخ المحلية الدنيوية

أما الإتجاه الثالث عند جيب فيتحدث فيه عن المنحولات في التواريخ المحلية الدنيوية^٦، التي تناولت سرد الحوادث التاريخية بقوله: " ويمكن أن نذكر في هذا المقام الكثير من الأضاليل والمنحولات

^١ ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) الفخري في الآداب السلطانية، والدول الإسلامية تحقيق عبد القادر محمد مانو، دار القلم العربي، ط/١، حلب، ١٩٩٧، ص ١١.

^٢ ابن ، الفخري، ص ١٣ - ١٤.

^٣ المصدر نفسه، ص ١٩.

^٤ المصدر نفسه، ص ١٩ - ٢٠.

^٥ المصدر نفسه، ص ٢٠.

^٦ التواريخ المحلية الدنيوية يعمد المستشرقون الى تقسيم التواريخ المحلية الاقليمية الى نوعين دينية ودنيوية، فالتواريخ الدينية هي التي تتناول الحديث عن المدن المقدسة بشكل عام حيث تشمل المقدمة وصف طبوغرافي للمدينة والأماكن المقدسة فيها وذكر الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الدالة على فضلها ثم تعداد لعلماء الدين والشخصيات الدينية الذين عاشوا او ولدوا فيها او كان لهم اتصال بها ثم تطورت حتى شملت كافة العلماء والادباء ورجال الدولة وحتى التجار والاعنياء فيها ثم شملت كتب الطبقات للفقهاء والمحدثين والزهاد والمتصوفة ومن امثلتها كتابي أخبار مكة للفاكهي

التاريخية العديدة التي انتشرت في هذه الفترة أو فيما بعد والتي جاءت على شاكلة أخبار سيف بن عمرو، أي أنها لم تكن كلها موضوعة إنما كانت أصول صحيحة اختلطت بجميع أنواع الروايات الشعبية والأساطير الخيالية وأخبار الدعاية الحزبية وكان وراءها غرض سياسي أو ديني مثل مصنفات ابن أعم، وابن قتيبة والواقدي.^١

لقد سبق الحديث عن سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، لكن جيب عاود الإشارة له هنا ليصفه بأنه النموذج لمن جاء بعده في وضع الأضاليل والمصنفات التاريخية دون توضيح ذلك، ويبدو أنه اعتمد في رأيه على قول بروكلمان: " كان سيف بن عمر في كتبه مغالياً في الفخر بقبيلته، فكان يحرف الأحاديث والأحداث، يُعظم بعضاً، ويُحقّر بعضاً، لكنه كان يُحسن الوصف والبيان، فاغتر الطبري بذلك واختار كتبه مصدراً أصيلاً لما روى من الوقائع في أوائل الإسلام، وتبع الطبري المتأخرون، وبقي سيف بن عمر التميمي الأسدي إماماً في تاريخ العرب وغلبت روايته على غيرها". ونوّه بروكلمان أنه اعتمد في رأيه على فان فلوتن، ويوليوس فلها وزن وكايتاني.^٢

ونبدأ بالواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) الأقرب في الزمن إلى سيف بن عمر، ونلاحظ أنه استخدم الإسناد في كتابه " فتوح الشام"، وذكر شيوخه وأسند كل رواية لكل من شارك بالأحداث، أو أخذ عن مشارك، وكان يرجح الرأي عند اختلاف الآراء بقوله: " وهذا أثبت الأقوال"^٣، وأحياناً كان يتعجب من بعض الأخبار غير المقبولة فيقول: " ولم أسمع بأعجب من هذه القصة"^٤، وذكر المحقق أن الكتاب لحقته بعض الزيادات والتفاصيل من قبل النساخ مثل العجائب والغرائب المثيرة، ومع ذلك بقيت بنية هيكل الكتاب والأحداث متفق عليها في النسخ الموزعة في أنحاء العالم مع تفاوت بسيط في الوصف من حيث التطويل والتقصير.^٥

والأزرق، وتاريخ واسط لابن بحشل، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر وبغية الطالب لابن العديم وغيرها. انظر: روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٢٨-٢٣٥. أما الدنيوية تشمل باقي أنواع التواريخ المحلية مع وجود بعض التشابه مع الدينية وهي في الغالب تتناول تواريخ الحوادث التاريخية للمدينة والأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، وأخبار الوزراء والقضاة، والولاة والخطط والآثار مثل تاريخ بغداد لابن طيفور، وتاريخ قرطبة، والمسبحي وابن ميسر وابن زولاق والمقريري، وتاريخ دمشق لابن القلانسي، والعماد الاصفهاني، روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٠٩-٢٢٢.

^١ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,238.

^٢ بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف، ط/٥، ج/٣، القاهرة، (د/ت)، ص ٣٦.

^٣ الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر، (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) كتاب فتوح الشام، تحقيق صالح موسى درادكة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، (د/ط) اربد، ٢٠٠٧م، ص ١٢.

^٤ الواقدي، فتوح الشام، تحقيق صالح درادكة، ص ١٢.

^٥ الواقدي، فتوح الشام، تحقيق صالح درادكة، ص ١٣.

ويعتبر كتاب "فتوح الشام" للواقدي، من الكتب التاريخية الطريفة واللذيذة، وقد أثبتت التحقيقات التاريخية الحديثة أنه صادق في وصف كثير من الفتوحات التي قام بها العرب في الشام، وأن ما ذكره بعض المستشرقين من أنه كتاب رواية وقصة وليس كتاب تاريخ إنما هو وهم خاطئ.^١

أما ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) فقد تعددت مصنفاته وتنوعت وتناول فيها جميع معارف عصره.^٢ ويهمنها منها كتابه "المعارف" الذي وضعه للخاصة بقوله: " هذا الكتاب جمعت فيه من المعارف ما يحقُّ على من أنعم عليه بشرف المنزلة، وأخرج بالتأدب عن طبقة الحشوة، وفضّل بالعلم والبيان على العامة، أن يأخذ على نفسه بتعلمه.. إذ كان لا يستغنى عنه في مجالس الملوك .. ومحافل الأشراف" وحلقات العلم.^٣

وذكر بإيجاز الفنون الكثيرة التي ضمنها كتابه من ابتداء الخلق إلى الخليفة المستعين بالله العباسي ومواضيع أخرى^٤ وبيّن أن غرضه الإيجاز والتخفيف لأنه لو استقصى كل شيء لطلال الكتاب^٥ وعاش في عصر سادته الإرهاب والفوضى والخوف بسبب ضعف الخلفاء وسيطرة الموالى الأتراك، وشهد مقتل أربعة خلفاء المتوكل (٢٤٧هـ / ٨٦١م)، والمستعين بالله (٢٥٢هـ / ٨٦٦م) والمعتز بالله (٢٥٥هـ / ٨٩٦م)، والمهتدي بالله (٢٥٦هـ / ٨٩٠م)، لذلك التزم ابن قتيبة وغيره من الكتاب والشعراء جانب الحذر الشديد^٦، وطرح قضايا كثيرة حولها خلاف دون بيان رأيه فيها واكتفى بذكر النتائج، كما أورد معلومات من الإسرائيليات نقلاً عن النسخة العربية للتوراة، وعن آدم عليه السلام وأولاده والأنبياء دون تدقيق^٧. وربما كانت هذه المعلومات هي المتداولة والمتوفرة.

وهذا ما قصده جيب بخلط الأصول الصحيحة مع الأساطير الخيالية والروايات الشعبية علماً بأنه حافظ على السند في روايته، كما جاء كتاب المعارف أشبه بموسوعة ثقافية مختارة ملخصة، حافظ فيها ابن قتيبة على السند لكنه اختصر المراجع.

توحي كثرة المصنفات في تلك الفترة حول مواضيع عامة وشاملة إلى وجود تنافس أو سباق بين المؤلفين لأن كثيراً من هذه المعلومات عبارة عن نقول عن بعضهم، وقد تحسب نقطة إيجابية لهم وليست

^١ الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، كتاب فتوح الشام، تحقيق عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية، ط/١، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥ - ٦، ١٤.

^٢ بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن قتيبة"، ص ٣٦٨ - ٣٧٠.

^٣ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ص ١.

^٤ المصدر نفسه، ص ٣-٦.

^٥ المصدر نفسه، ص ٦-٧.

^٦ المصدر نفسه، (ص أ، ب، ج).

^٧ المصدر نفسه، ص ١١٠.

سلبية ضدهم، لأن ذلك يُوفر لنا عدة نواحٍ إيجابية منها وصول أكبر عدد من هذه المعلومات في حال فقدان عدد من مصنفاتهم، والثانية فرصة تدقيق المعلومات ومطابقتها لبيان، الأصل من الناقل منهم. والأخيرة ملاحظة الفروق والزيادات حسب تواريخ حياة و وفاة كل منهم وهذه توفر إضاءات عن الجوانب الغامضة. وهذا يشبه إلى حد ما توفر عدد من النسخ لمخطوط واحد حيث يمكن فرز وتحديد النسخة (الأم/ الأصل/ الأولى) والنسخ المنقولة عنها، فهناك مقولة: بأن العلم الواسع يُصحح بعضه بعضاً ويفسر ظاهرة غامضة"^١.

صنّف ابن أعمم الكوفي (٣١٤ هـ/ ٩٢٦م) كتاب " الردة والفتوح" وهي لفظة طريفة منه أن يجمع هذين الموضوعين في كتاب واحد^٢، وله كتاب آخر " صفين" والمعلومات عنه في المصادر قليلة، وصفه ياقوت " الإخباري المؤرخ"، وهو ضعيف كحدث عند أصحاب الحديث، ولم تذكر المصادر غير ذلك، وتناول في كتابه أخبار الفتوحات من خلافة عثمان حتى عهد المعتصم^٣، كما تضمن الكتاب معلومات هامة عن استقرار العرب في خراسان وفتحهم لأرمينيا وتاريخها تحت الحكم الإسلامي واستقرار القبائل العربية فيها وصدامهم مع الخزر مما لا نجد عند غيره^٤. وترجم أحمد بن محمد المستوفي الهروي كتاب كتاب الفتوح للفارسية (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م) °. ونقل عنه المجلسي في كتابه بحار الأنوار^٦، ووصف بروكلمان كتاب الردة والفتوح بأنه تاريخ قصصي للفتوحات، وتظهر عنده وجهات النظر الشيعية^٧. بينما ذكر محقق الكتاب أن تضعيف ابن أعمم إنما هي لعبة يمارسها بعض المستشرقين^٨.

يتضح بعد إلقاء الضوء على المصنفات التي وصفها جيب بأنها احتوت على الكثير من الأضاليل والمنحولات أن ادعاءه لم يكن دقيقاً، إنما هو مجرد تكرار لمقولات سابقة غايتها الطعن والتشويه سواء عن قصد أو سوء فهم، فهو ابتداءً وصف المصنفات بأنها ذات أصول صحيحة واختلطت بالأضاليل والمنحولات و ربما كان يشير إلى ميول سيف للشيعنة وافتخاره بقبيلته أو ما أخذه ابن قتيبة من التوراة (الإسرائيليات) وقد تمت مناقشة هذه النقطة فيما مضى.

^١ ابن قتيبة، المعارف، ص ٧٢.

^٢ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٣.

^٣ ابن أعمم، أبو محمد بن علي، (ت ٣١٤ هـ/ ٩٢٦م) ، كتاب " الردة والفتوح" ، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٨٦م، المجلد الأول، مقدمة المحقق، (ص أ - ب)، انظر : مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٤٢ - ٤٣.

^٤ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٤٢ - ٤٣.

^٥ ابن أعمم، كتاب الفتوح، مقدمة المحقق، ص أ- ب). مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٤٢ - ٤٣.

^٦ ابن أعمم، كتاب الفتوح، مقدمة المحقق، ص (أ- ب).

^٧ بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٢١٥، مادة ابن أعمم الكوفي .

^٨ ابن أعمم، كتاب الفتوح، مقدمة المحقق ص (ج - د).

ثم أنه عمم هذا الادعاء على مصنفات شملت فترة طويلة تميزت بغزارة الإنتاج من سيف بن عمر (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)، إلى ما بعد ابن أعثم (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) وهذا بعيد عن المنطق العلمي، فقد ظهر خلال هذه الفترة عدد من المؤرخين الكبار مثل خليفة بن خياط والبلاذري واليعقوبي والطبري وغيرهم، كما أن قوله مبني على أقوال مستشرقين سابقين له خاصة بروكلمان الذي اعتمد على مقولات غيره كما أشار بذلك.

سبق لـ جيب في هذه الدراسة أن اتهم كلاً من سيف بن عمر و الواقدي في معرض حديثه عن مواطن الضعف عند الطبري وذلك بسبب إثارة الطبري لمصنف سيف (المنحول على التاريخ كما وصفه جيب. وهذا يوافق تماماً رأي بروكلمان) على مصنف الواقدي بسبب ما حام حوله من شبهة بين المحدثين.

يمكن القول إن تحقيق أي كتاب هو بمثابة دراسة عميقة لمضمونه ونصه، وربما يكون المحقق أقدر من غيره على نقد الكتاب، لذلك نكتفي بما ذكره محققا كتابي الواقدي وابن أعثم بأن ذلك من الأعياب المستشرقين وأوهامهم الخاطئة، في دفع مثل هذه الإدعاءات.

د: التراجم والسير

ويتناول جيب في الاتجاه الرابع الحديث عن التراجم والسير بالقول: " أنه رغم تخلي العالم والمحدث عن دورهما في تدوين التاريخ السياسي للموظفين فقد بقي في أيديهما ميدان أوسع وهو التراجم الذي كان أحد فروع التاريخ التقليدية، وبعد تحول التاريخ السياسي إلى تاريخ حولي للأسر الحاكمة، التزم فن التراجم المفهوم التقليدي للتاريخ وكان أكثر إخلاصاً له. لأن سيرة حياة العلماء " ورثة النبي" كانت في نظر المتعلمين تمثل التاريخ الصحيح، لأمة الله على الأرض، وأكثر صدقاً من تواريخ النظم السياسية الزائلة (وغير الورعة أحياناً) ^١.

ويضيف جيب أنه إلى جانب المصنفات الخاصة بطبقات المحدثين والفقهاء المنتمين إلى المذاهب المختلفة، وجدت مصنفات تخدم بشكل عام غرضاً فنياً. وقلما كانت تراجم بالمعنى الدقيق، وأقدم ما وصلنا من هذا النوع سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن الحكم (ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) الذي استند في أخباره على وثائق مدونة وروايات فقهاء المدينة ^٢.

تعتبر كتب التراجم والسير من أهم المواضيع وأكثرها اتصالاً بتطور تدوين التاريخ الإسلامي فلم تدع صاحب فن أو علم أو صناعة إلا عنيت بالترجمة له حتى كان التراث العربي في هذا الباب أغنى

^١ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,238.

^٢ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,238.

وأوسع من مخزون التراث عند الغربيين، والذين اهتموا بكتابة السير وهي تراجم مطولة مستقلة إلا أنها لم تبلغ ما بلغته التراجم في الأدب العربي من الكثرة والتنوع^١.

ويرى مرغوليوث أن أدب التراجم عند العرب كان في غاية الغنى والجزارة، وجاءت كتب التراجم بألوان عديدة وهي في الغالب تقتصر على فئة خاصة من الأشخاص، وبعضها عام ويصنف مرغوليوث مناهج كتب التراجم بأنها: تحكمي (أي مقيد أو ملتزم بشيء محدد) مثل كتاب الأغاني للأصفهاني (١٠٠ قصيدة ملحنة)، وجغرافي - يعتمد فيه على تنظيم الأقطار مثل يتيمة الدهر للثعالبي، وعيون الأطباء لابن أبي أصيبعة، وحولي مثل طبقات الحافظ الذهبي، وطبقات الشافعية للسبكي، ياقوت الحموي في معجمه^٢.

تأثر مؤلفو السير والتراجم بطريقة المحدثين في استخدام الإسناد^٣. ومثال ذلك سيرة عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن الحكم (ت ٢١٤هـ/٨٢٩م). الفقيه المالكي المصري الذي وصف بأنه كان رجلاً صالحاً ثقة متحققاً إماماً صدوقاً عاقلاً حليماً، ومن أجل أصحاب الإمام مالك وأعلمهم بمذهبه ورواية للحديث^٤.

ويذكر ابن المؤلف (محمد بن عبد الله) مصنف الكتاب سلسلة سند رواية والده ومصادره لسيرة عمر بن عبد العزيز في مقدمة الكتاب بقوله: "حدثني أبي عبد الله ابن عبد الحكم قال: حدثني مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن لهيعة، وبكر بن مضر، وسليمان بن يزيد الكعبي، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن قاسم، وموسى بن صالح وغيرهم من أهل العلم ممن لم أسمهم بجميع ما في هذا الكتاب من أمر عمر بن عبد العزيز على ما سميت ورسمت وفسرت. وكل واحد منهم قد أخبرني بطائفة فجمعت ذلك كله^٥، ويلاحظ أن جميع مصادره كانوا من الفقهاء والمحدثين.

ويصف جيب هذه المصنفات (التراجم) أنها كانت تضم في أكثر الأحيان طبقة ما، أو صنفاً كاملاً من الأشخاص مثل أشهر كتب التراجم الصوفية "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، كما وجد عند الشيعة مؤلفات عن فقهاءهم وعن الشهداء من آل علي مثل مصنف الطوسي^٦.

^١ حسن، محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف، (د/ط)، (د/م)، (د/ت)، ص ٥ - ٦.

^٢ مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٢٠ - ٢١. انظر: سوفاجيه، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٦١ - ٦٣. فاروق عمر، التدوين التاريخي، ص ١٦٢ - ١٦٣.

^٣ حسن محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف، (د/ط)، (د/م)، (د/ت)، ص ٢٠.

^٤ ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله (ت ٢١٤هـ/٨٢٩م)، سيرة عمر بن عبد العزيز، (برواية ابنه أبي عبد الله محمد ت ٣٦٨هـ) تحقيق أحمد عبيد، مكتبة وهبة، ط/٢، القاهرة، ١٩٥٤م، مقدمة التحقيق، ص ١٦ - ١٨.

^٥ ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ١٩.

^٦ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,238

كان أبو نعيم الأصفهاني حُجَّةً في الفقه والحديث والتصوف، وبيّن في مقدمة مصنفه أنه وضعه ليجمع فيه أسماء جماعات وأعلام وأئمة المتصوفة وترتيب طبقاتهم من قرن الصحابة والتابعين حتى عصره. ثم تناول مكانة الأولياء والنسك والعباد والزهاد من خلال الاستشهاد بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأخبار المسندة التي تدل على صفاتهم وفضلهم، كما ذكر تعاريف وأوصاف أهل التصوف من خلال أقوال وأحاديث علماء المتصوفة^١.

لم يلتزم الأصفهاني بمنهج محدد في تصنيف كتابه، لكنه راعى الترتيب في الفضل إلى جانب الزمن فبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ثم باقي الصحابة وبعدهم التابعين ثم من يليهم وهكذا، واستخدم الإسناد في رواية الأحاديث النبوية والأخبار التاريخية بأسلوب السجع المتكلف. لم يذكر مصادره في مقدمة كتابه، لكن يمكن استنباطها من محتويات الكتاب وهي: ما أخذه من شيوخ عصره، والمصادر المتداولة مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السنة، والمصادر التي تحدثت عن المتصوفة وطباقهم^٢.

وترجع أهمية الكتاب في أنه جمع عدداً كبيراً من تراجم المتصوفة^٣، (٦٤٩) زاهداً^٤. واشتمل على على أشعار وأدعية ومناجيات ألهية، وانفرد بأحاديث كثيرة^٥. ويؤخذ عليه إيراد الكثير من الأحاديث الموضوعية دون التنبيه لها، كما أنه أدخل معظم الصحابة ضمن المتصوفة وانتقده ابن الجوزي في "صفوة الصفوة" و"تلبيس إبليس"^٦.

أما كتاب الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨ م)، "اختيار معرفة الرجال" فهو ملخصاً لكتاب "رجال الكشي" لمصنفه أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري وهو أحد شيوخ الطوسي^٧.

^١ الاصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨ م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٣ - ٦١.

انظر: بيدرسن، J.pedersen، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٢، ص ١٠، مادة أبو نعيم الأصفهاني.

^٢ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج/١، مقدمة المحقق ص ١٦ - ١٨.

^٣ المصدر نفسه، ج/١، مقدمة المحقق ص ١٩.

^٤ بيدرسن، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد/٢، ص ١١.

^٥ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج/١، مقدمة المحقق ص ١٩.

^٦ المصدر نفسه، ج/١، مقدمة المحقق ص ٢٠ - ٢٣.

^٧ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨ م)، اختيار معرفة الرجال، (المعروف برجال الكشي)، تحقيق حسن المصطفوي، وانكشاف مشهد، دانكده إلهات ومعارف إسلامي، مركز تحقيقات ومطالعات، د/ط، إسفند، ١٣٤٨، ص ١٢.

وكان الطوسي يُملي في مجالسه على تلاميذه ما يختار من كتاب الكشي، وجرّد منه رجال الخاصة وأبقى على العامة، وصنّفه على ترتيب الطبقات وعلى حروف الهجاء، وكان يهدف من تجريد الكتاب وتلخيصه إلى استبعاد الذين لم يرووا للشريعة ولا روت عنهم الشيعة^١.

ويذكر جيب أن هذه الفترة امتازت بتصنيف معاجم التراجم لمشاهير الرجال والعلماء ممن ينتمون لأحدى المدن أو الأقاليم، وكانت تصنف من قبل العلماء المحليين وهي في الغالب بالغة الضخامة مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) الذي يقع في أربعة عشر مجلداً، ويذكر جيب أن أكثر هذه المؤلفات فقدت، لكن وصلنا منها تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م)، ومن المرجح أن يكون هذا المصنف أكثر شمولاً من أي مؤلف آخر من نوعه بالعربية، كما وصلنا سلسلة من التراجم الأندلسية مثل: ابن الفرضي، وابن بشكوال، وابن الأبار، وبعض المعاجم الصغيرة^٢.

يصنف تاريخ بغداد للخطيب البغدادي مع تواريخ المدن / الأقطار، وفي الوقت نفسه معجماً للتراجم، فقد اشتمل على (٧٨٣١) سبعة آلاف وثمانماية و واحد وثلاثين ترجمه للمحدثين وأرباب العلوم و رجال المجتمع والدولة منها (٥٠٠٠) خمسة آلاف خصّ بها رجال الحديث^٣، وتناول في مقدمة مصنّفه الحديث الحديث عن تاريخ بغداد وبنائها منذ نشأتها حتى عصره، وكبراء من نزل فيها وتسمية علمائها ومدارسها ومساجدها وأبنيتها وخططها وأنهارها وأطرافها وغير ذلك في أكثر من ١٠٠ صفحة^٤.

وأظهر البغدادي في كتابه نواحٍ كثيرة أهمها في مجال الحديث ويلبها الحياة الثقافية في بغداد وما يتصل فيها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، واستخدام الإسناد بدقة، وبذلك أعان على الكشف عن مصادره التي بلغت (٤٤٦) أربعمائة وستة ووأربعين كتاباً ألفت في القرن الثالث والرابع والخامس الهجرية، وفقد معظمها وبذلك أمكن التعرف عليها خاصة في مجال الحديث والتاريخ^٥.

ترجم البغدادي لسائر العلماء الذين عاشوا في بغداد أو زاروها منذ إنشائها حتى عصره وكان ينقد ويمحص ويصحح الروايات بشكل عام، وأشار إلى أخطاء وأوهام من سبقه، وهذا دليل على سعة اطلاعه ومعرفة^٦. ورتب مصنّفه على الحروف الهجائية بصفة عامة، كما راعى أحياناً نظام الطبقات داخل الحرف الواحد والإسم الواحد، وكان يقّم تراجم المتقدمين على المتأخرين دائماً^٧.

^١ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ١٧-١٩، ٢٦.

^٢ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,238

^٣ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مقدمة المحقق، ج/١، ص ٢٢.

^٤ المصدر نفسه، مقدمة المصنف، ج/١ انظر: ص ٣٤ - ١٤٣.

^٥ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج/١، ص ٢٢ - ٢٣.

^٦ المصدر نفسه، ج/١، ص ٢٣.

^٧ المصدر نفسه، ج/١، ص ٢٧.

كان الخطيب البغدادي فقيهاً عالماً حافظاً متقناً متبحراً، غلب عليه الحديث والتاريخ، صنف ما يقرب من مئة مجلد وقيل ستين، وأخذ عنه الكثير من العلماء والفقهاء، وترجم له كثير من كتاب التراجم منهم ابن عساكر في التهذيب، والسبكي في الطبقات، وياقوت الحموي في معجم الأدياء وهذا يدل على فضله وعلمه^١. ولقب بحافظ الشرق كما لقب ابن عبد البر بحافظ الغرب^٢.

وصنّف ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، كتابه تاريخ دمشق الكبير في ثمانين مجلدة، وخصص الجزء الأول منه للحديث عن فضائل الشام وفتوحها وخطتها، وما فيها من مساجد وكنائس ومدارس وأبواب وأنهار و قنوات، ويذكر أن إنجازها تأخر بسبب عوائق الأيام (حوالي ثلاثين سنة)، وشاع ذكر المصنف بين الخواص والعوام حتى طلب منه نور الدين محمود زنكي إنجازها ليطلع عليه. وترجم في باقي أجزاء تاريخه لكل من دخل دمشق أو اجتازها أو من حلّ بها من الأنبياء والخلفاء والولاة والفقهاء والعلماء والقراء والنحاة والرواة وغيرهم^٣. وعرض جملة من الأخبار في شرف الشام وفضلها ومناقب أهلها وما خصّوا وامتازوا به على سائر الأقطار والأمصار ما خلا أهل الحرمين، وبدأ التراجم بذكر من اسمه أحمد لأنه يوافق اسم المصطفى عليه السلام، ثم ذكر باقي التراجم على ترتيب الحروف ولم يرتبهم على أزمانهم بتبويب مرتب^٤، ويعتبر تاريخ ابن عساكر أوسع تواريخ المدن والأمصار في تراجم الرجال حتى عصر المؤلف، ويمتاز أسلوبه بالتحري والبسط والاستقصاء في التراجم والأخبار^٥. وهو أحد المصادر الرئيسية في تاريخ بلاد الشام^٦.

كان ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)، فقيهاً ومحدثاً وخطيباً، و ذكر أنه جمع في كتابه " تاريخ علماء الأندلس" علماء الأندلس و روايتها وأهل العناية منهم، و صنّفه على حروف المعجم بقصد الاختصار، وترجم لأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، وأشار إلى الحقاظ وأهل الرأي وأهل الحديث وأهل الرواية، ومن ارتحل منهم في طلب العلم إلى المشرق، ومن أصبح مرجعاً من الشيوخ، يؤخذ العلم والرواية عنه ومن ولي القضاء وتواريخ الولادة والوفاة لكل منهم^٧، ويذكر أنه ترك تكرار الإسناد تجنباً

^١ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج/١، ص ٩٢-٩٣. مارسيه W.Marcais، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج/١٤، ص ٤٢٤٠ - ٤٢٤٢، مادة " الخطيب البغدادي".

^٢ مارسيه، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج/١٤، ص ٤٢٤٠، مادة الخطيب البغدادي.

^٣ ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، مجلد/١، ص ٢٠.

^٤ ابن عساكر، تاريخ دمشق، مجلد/١، ص ٢٠.

^٥ ابن عساكر، تاريخ دمشق، مجلد/١، ص ١٣-١٤.

^٦ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٢٤١.

^٧ ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف بن نصير الأزدي (المعروف بابن الفرضي)، (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٧، مقدمة المصنف، ص ٩ - ١٠.

للإطالة، لكنه ذكر مصادره في مقدمة مصنفه وأشار لاسم كل منهم باختصار، وذكر خلال المتن ما أخذه عن غيرهم، واستثنى من ذلك ما عاصره وقيده بخطه فإنه لم يذكر أسماءهم، وتضمن كتابه بعض الأخبار^١، وله مؤلفات عديدة ضاع معظمها^٢.

ووصف روزنتال تنظيم ابن الفرضي لمصنفه على حروف المعجم بالبدائي، لأنه لم يجمع فيه القصص والأخبار التاريخية عن مختلف المدن الأندلسية، واتبعه في ذلك معظم من تلاه من أهل الأندلس^٣. بينما يرى المستشرق الإسباني بالنثيا أن مصنف ابن الفرضي أحد النماذج الحقة والجيدة في فن التراجم وهو أقدم معجم في تراجم رجال الأندلس وقال: " أنه بلغ فيه الغاية والنهائية من الحفل والإتقان" ويدلل على ذلك بما ذكره المصنف عن نفسه بأنه لم يذكر شيئاً إلا بعد أن تحقق منه بنفسه ويذكر صراحةً في عدة مواضع أنه لم يجد شيئاً يستطيع أن يطمئن إليه^٤.

وينسب لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ / ١١٧٣م)، الفقيه والمحدث والمؤرخ أكثر من خمسين مصنفاً أهمها " كتاب الصلة"، الذي ركز فيه على تراجم رجال الفقه والحديث والجوانب الأخلاقية وسلوك المترجم لهم، ويعرض أحياناً لبعض النواحي الشخصية عندهم^٥.

ويذكر ابن بشكوال أنه صنف كتابه ليكون صلة لكتاب ابن الفرضي، وأنه تناول فيه أخبار وأثار وسير وبلدان وأنساب ومواليد ووفيات من ترجم لهم، وعمّن أخذوا من أعلام الرواة والفقهاء، ورتبه على حروف المعجم، وسار فيه على نهج ابن الفرضي، ورتب الوفيات حسب الأقدمية بالوفاة، ثم ذكر مصادره التي اعتمد عليها وهم شيوخه و عدددهم سبعة عشر، وعلى مكاتباته مع غيره من العلماء، وعلى النقل من كتب من سبقه مثل ابن الفرضي والحميري ومن معاصريه^٦.

وقال عنه ابن الأبار في كتاب التكملة لكتاب الصلة: " أنه منتهى ما يصل إليه الواصل في معاجم التراجم"، وقال أيضاً: "سَلَّمْ له أكفاؤه بكفايته فيه، ولم ينازعه أهل صناعته الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه، بل تشوّفوا للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه وقد حمله عنه أبو العباس بن العريف

^١ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٠ - ١١.

^٢ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧١، انظر: شنب، محمد بن، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن الفرضي، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

^٣ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

^٤ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

^٥ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣م)، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د/ط)، القاهرة، ١٩٦٦، مقدمة المحقق (ص). انظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٣، محمد بن شنب، دائرة المعارف الإسلامية، ك/١، م ١، مادة ابن بشكوال، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

^٦ ابن بشكوال، كتاب الصلة، ص ١ - ٤.

الزاهد ممن يعد في شيوخه... فاتسعت فائدته وعظمت منفعتة، وهو كتاب في فنّه خبير القيمة، ضروري الاستعمال، لا يستغني أهل الفقه عن التبليغ به والنظر فيه والاحتجاج منه^١.

يصنّف ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) من أكبر العلماء الذين أنجبهم الأندلس، فهو مؤرخ ومحدّث وأديب وشاعر وكاتب صنّف في فنون عدة أهمها: الحديث والتاريخ والأدب ما بين (٣٩-٤٥) كتاباً أحرق معظمها يوم مقتله ووصلنا منها ستة أهمها معجمان في التراجم هما:

كتاب "الحلّة السّيراء" وهو أحد المراجع الرئيسية في تاريخ المغرب والأندلس^٢، ويتضمن تراجم لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس، من القرن الأول إلى منتصف القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي مع مادة تاريخية لا بأس بها، وعن أعلام مشاركة من أهل القرن الأول الهجري ممن شاركوا في فتوح المغرب والأندلس^٣، والكتاب الآخر " التكملة لكتاب الصلّة" ويحتوي على تراجم ١٣٠٠ ترجمة من علماء الأندلس مرتبة على حروف الهجاء^٤، ويذكر ابن الأبار في بداية مصنفه المصادر التي اعتمد عليها و سلسلة الإسناد لكل منهم^٥.

وقد وصف النقاد المحدثون ابن الأبار بأنه مؤرخ كبير واسع الاطلاع، نافذ النظر، صادق الحكم، ناقد وأسلوبه قوي رصين بليغ، فيه فحولة ندرت بين أهل عصره، ومادة التراجم عنده متعادلة من حيث القيمة والغزارة والأصالة، وهو مصدر غني للمؤرخين، ولديه وعي واسع بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي، واستخدام وثائق على جانب كبير من الأهمية^٦.

ويواصل جيب حديثه عن التراجم بالقول أنها استمدت موادها من مصادر أخرى مختلفة منها علم اللغة العربية بفرعيه الإنساني الضيق (فقه اللغة) والإنساني الواسع (الأدب والشعر) وكانت ثمرة الأول طبقات النحاة وتراجم الأعلام من اللغويين و ثمرة الثاني ظهور المصنفات الواسعة عن الكتاب والشعراء و رجال الأدب مثل مصنّف الشعر والشعراء لابن قتيبة و يتيمة الدهر للثعالبي^٧.

^١ ابن بشكوال، كتاب الصلّة، مقدمة المحقق. بالنتيّا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٣.

^٢ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (المعروف بابن الأبار) (٦٥٨هـ / ١٢٦٠). كتاب الحلّة السّيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط/٢، القاهرة، (د/ت) ص ٥١. بالنتيّا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٧٧-٢٧٩. محمد بن شنب، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، م/١، مادة ابن الأبار، ص ١٩٤ - ١٩٥.

^٣ ابن الأبار، الحلّة السّيراء، ص ٥٣.

^٤ ابن الأبار، كتاب التكملة لكتاب الصلّة، تحقيق السيد عزت العطار، مطبعة السعادة، ط/١، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٨، وما بعدها.

^٥ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلّة، ص ٤-٧.

^٦ ابن الأبار، الحلّة والسّيراء، ص ٥٣. بالنتيّا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٨٠.

^٧ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

يذكر ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) في مقدمته: " هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم وأسماء آبائهم... وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم... وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته... وأكثر قصدي للمشهورين من الشعراء من الجاهلية إلى الإسلام^١. ولم أعرض في كتابي هذا لمن غلب عليه غير الشعر...^٢ وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلاله قدر الشعر وعظيم خطره... و عما أودعته العرب من الأخبار النافعة والأنساب الصحاح، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة والعلوم في الخيل والنجوم^٣.

يعتبر كتاب بيتمة الدهر أشهر كتب الثعالبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧ م)، وأفصح في مقدمته أن غايته خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن عن طريق الشعر إذ يقول: " أما بعد.... ولما كان الشعر عمدة الأدب وعلم العرب، الذي اختصت به عن سائر الأمم، ولسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبي(ص) المرسل منهم^٤.

ثم يقارن بين الشعر الجاهلي والإسلامي المتقدم والمحدث والمعاصر بقوله: " كانت أشعار الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين، وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين، وأشعار المولدين أبداع من أشعار المحدثين، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن، و أنظم لطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين... تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز، ومن حد الشعر إلى حد السحر^٥، وقسم الثعالبي كتابه أربعة أقسام حسب المناطق الجغرافية، وبدأ بهم من الأقدم فالأحدث فالمعاصر، وترجم لكل منهم، واستشهد بأجود أشعاره، وذكر تعليقاته وتصويباته وبيّن انتقاداته^٦. وأشار إلى سرقات الشعراء وعلق على المعاني وصوبها، وأبدى آراءه الخاصة حسب الذوق في النقد الأدبي القديم^٧.

ويضيف جيب أن هناك كتبا مشابهة ألقت عن أصحاب المهن الأخرى، كالأطباء والفلكيين، وكان فن الموسيقى حافزاً لتصنيف أعظم كتب التراجم بالعربية في القرون الأولى وهو كتاب " الأغاني" للأصفهاني (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م)، من مصادر التراجم أيضاً السير الذاتية التي كان الإقبال عليها ضعيفاً

^١ ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) كتاب الشعر والشعراء تحقيق مفيد قميحة و محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩.

^٢ المصدر نفسه، ص ١٠.

^٣ المصدر نفسه، ص ١١.

^٤ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ / م)، بيتمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٨٣م، ج/١، ص ٢٥.

^٥ الثعالبي، بيتمة الدهر، ص ٢٥-٢٦.

^٦ المصدر نفسه، ص ٢٦-٣١.

^٧ المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ٤-٨.

في تلك الفترة، ولم يصلنا منها سوى كتابين هما سيرة المؤيد في الدين (ت ٤٧٠هـ / ١٠٨٧م)، و " الاعتبار " لاسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) ^١.

يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م) موسوعة و مصدراً هاماً ومرجعاً لأشهر مائة صوت ولحن وشعر عند العرب، في القديم والحديث حتى عصر المؤلف. فذكر أنه جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها، ونسب كل ما ذكره إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته من إيقاعه وأصبعه التي يُنسب إليها من طريقته ^٢، واختار فيها الأصوات التي دونها أشهر المغنين في عهد الرشيد وبأمره وهم: إسحاق الموصلي، وإسماعيل بن جامع، وفليح بن العوراء، ومعبد بن سريج ويقول في ذلك: " والذي بعثني على تأليفه أن رئيساً من رؤسائنا كلفني جمعه له، و عرفني أن الكتاب المنسوب إلى ابن إسحاق مدفوعاً أن يكون من تأليفه ... وقد صدق لعمرى فيما ذكره" ^٣، ويبين أسلوبه في تصنيف كتابه قائلاً: " ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم.. ثم يذكر الأسباب والعلل في ذلك... " وسائر المائة صوت المختارة فإنها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين، وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات، إنما المغزى فيه ما ضمنه من ذكر الأغاني بأخبارها، وليس هذا ما يضر فيها، وكل ما ذكرناه فيه من نسب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن ابراهيم الموصلي" ^٤.

كما تضمن كتاب الأغاني تفصيلات عن القبائل القديمة وأيامها وحياتها الاجتماعية و حياة البلاط في العهد الأموي وأيام الخلفاء العباسيين، وعرضاً للحضارة العربية من الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وهو مرجع هام للتاريخ الأدبي ومصدر لتاريخ الحضارة في القرن الثالث الهجري ^٥.

اما " كتاب الاعتبار " لاسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، فكان على شكل سيرة ذاتية، تضمّت موجزاً لتاريخ البلاد الإسلامية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي – فترة الحملات الصليبية الثلاث الأولى- كما أنه يعكس المدينة الشامية في أجمل مظاهرها، ومعارضتها للمدنية

^١ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

^٢ الاصفهاني، كتاب الأغاني، مجلد/١، ص ١١.

انظر بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية الموجزة، ط/٢، الشارقة، ج/٢، ص ٣٤٨. نالينو (M.Nalino) ، دائرة المعارف الإسلامية الموجزة، ج/٢، ص ٣٤٩، مادة ابو الفرج الأصفهاني.

^٣ الأصفهاني، الأغاني، ج/١، ص ٦. نالينو، دائرة المعارف الموجزة، ج/٢، ص ٣٥٠. بروكلمان، دائرة المعارف الموجزة، ج/٢، ص ٣٤٨-٣٤٩.

^٤ الأصفهاني، الأغاني، ج/١، ص ٣-٤.

^٥ نالينو، دائرة المعارف الموجزة، ج/٢، ص ٣٥١-٣٥٢. بروكلمان، دائرة المعارف الموجزة، ج/٢، ص ٣٤٩.

الإفرنجية التي وجدت إلى جانبها^١، وكان يهدف من كتابه تقديم العظة للآخرين من خلال تجاربه الشخصية في حياته مثل قوله: " إن ركوب أخطار الحروب لا ينقص من الأجل المكتوب" ، وهي أول سيرة في الأدب العربية^٢. و احتوى الكتاب على إشارات كثيرة عن أحوال بلاد الشام الزراعية والاجتماعية، وأسلوبه قصصي فيه وصف وتناقض ومشاركة بالحوادث أحياناً، وبعض التعابير باللهجة العامية^٣.

أما كتاب سيرة المؤيد في الدين لهبة الله الشيرازي (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م)، فإنه اشتمل على معلومات عن حوادث تاريخية نادرة وأمور خاصة بالدولة الفاطمية يرويها المؤيد داعي الدعاة على شكل مذكرات شخصية مدونة بقلمه، وهو لا يتعرض لعقائد الفاطميين إلا بإشارات بسيطة لا خطر من إذاعتها بين الناس خاصة بين طائفة الفاطميين^٤، و تبدو خطورة الكتاب في أنه يفصح عن أسرار تتعلق بإمام فاطمي هو المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) ، وعن مدى تلاعب الوزراء به وبالدولة والبلاد، وعن سيطرة أم الخليفة و وكلائها على مقاليد الأمور، وهذا يسيئ إلى عقيدة الإمامة والأئمة المعصومين عندهم (حسب زعمهم)، لذلك كان التكتم والتستر على هذا الكتاب عند طائفة البهرة في الهند الذين يزعمون أنهم الوارثون لمذهب الفاطميين و يدينون بطاعة إمام مستور من نسل الطيب بن الأمر بأحكام الله الفاطمي^٥.

ونأتي أهمية السيرة المؤيدية في حديثه عن الأوضاع المضطربة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في كل من الدولة العباسية والدولة الفاطمية، وكشفه عن معلومات هامة في التاريخ والعقائد الفاطمية^٦. والمعلومات الهامة عن أوضاع منطقة فارس في القرن الخامس الهجري والصراع بين السنة والشيعية حيث يؤكد المؤيد أن السنة كانوا أغلبية في فارس وأن الشيعة كانوا أقلية ويسمى

^١ ابن منقذ، أبو مظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد ابن نصر بن منقذ، (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ / ١٠٩٥ - ١١٨٨ م)، كتاب الإعتبار، تحرير فيليب حنّي، دار الكتب العلمية ط/١، بيروت، ١٩٩٩ م، ص ٤.

انظر: كراتشكوفسكي، (Ing.Kratsch Kovsky) دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٣، مادة أسامة بن منقذ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

^٢ أسامة بن منقذ، كتاب الإعتبار، ص ٢٤.

^٣ أسامة بن منقذ، كتاب الإعتبار، ص ٢٦. كراتشكوفسكي، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد/٣، ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

^٤ المؤيد في الدين، هبة الله بن موسى بن داوود الشيرازي، (داعي الدعاة)، السيرة المؤيدية، تحقيق محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، ط/١، القاهرة، ١٩٤٩، ص ١١.

^٥ الشيرازي، السيرة المؤيدية، ص ١١.

^٦ المصدر نفسه، ص ٢٢.

طوائفهم: ديلم، وزيدية، وأمامية اثني عشرية، كما يُفصِّح عن دوره الشخصي في مؤامرة البساسيري^١ على الخلافة العباسية واستمالاته للملك عماد الدولة أبي كاليجار الديلمي البويهبي (٤١٥ - ٤٤٠ هـ / ١٠٢٤ - ١٠٤٨ م)، بالأموال وأنه كان العقل المدبر واليد المدبرة لثورة البساسيري للقضاء على الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية معاً، وذلك من خلال رسائله إلى أمراء العراق والشام و وزراء الدولة الفاطمية وبعض إجاباتهم عليها^٢، أما في العقائد فقد أفصح عن بعضها مثل: تأكيد احتفال الفاطميين بعيد الفطر قبل يوم من احتفال أهل السنة^٣، ووجوب طاعة الإمام^٤، و طاعة داعي الدعوة من طاعة الإمام^٥، وتأويل القرآن تأويل باطني^٦، وأخذ العلم من الأئمة^٧، وأخذ العهد والميثاق لكل من دخل الدعوة^٨

هـ: الحوليات الخاصة

وتناول جيب في الإتجاه الخامس الحديث عن الحوليات الخاصة أو تاريخ الأشخاص الذي يقوم على الجمع بين التاريخ و التراجم والسير حسب المهن، والذي بدأ به المصنفون من وقت مبكر ويذكر أمثلة عليها مثل تواريخ الوزراء للجيشياري (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م)، وهلال الصابئ (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)، والصيرفي (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م)، وتواريخ القضاة للكندي (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)، والخشني (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م)^٩.

واستطرد جيب بأن هناك مزيجاً غريباً بين التراجم السياسية والأدبية في كتاب الأوراق للصولي (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م)، في تاريخ العباسيين، وطَبَّقَ هذا النهج على تواريخ الأسر الحاكمة في أطراف الدولة العباسية خلال القرن الرابع الهجري، حتى حَلَّت هذه الحوليات الخاصة في القرنين الخامس والسادس محل الحوليات التقليدية خاصة في ولايات المشرق الإسلامي.^{١٠}

^١ أبو الحارث ارسلان بن عبد الله، كان مقدم الأتراك في بغداد، خرج على الإمام القائم بالله ٤٥٠ هـ وأخرجه من بغداد وخطب للمستنصر العبيدي (الفاطمي) صاحب مصر، حاربه طُغْرلُكُ السلجوقي وقتله وأعاد القائم لبغداد بعد سنة كاملة، انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، مجلد/١، ص ١٩٢.

^٢ الشيرازي، السيرة المؤيدية، ص ٢٢ - ٢٣.

^٣ المصدر نفسه، ص ٥-٦.

^٤ المصدر نفسه ص ٢٦.

^٥ المصدر نفسه، ص ٩ - ١٠.

^٦ الشيرازي، السيرة المؤيدية، ص ١٦ - ٢٢.

^٧ المصدر نفسه، ص ٢٤.

^٨ المصدر نفسه، ص ١٢٢.

^٩ H.A.R. Gibb. Ency. of Islam, Suppl.p,239

^{١٠} Ibid.,p,239

تحدث الجهشيارى في مقدمة كتابه الوزراء عن أهمية الكتابة والإنشاء من آدم حتى قيام الدولة الإسلامية وتأسيسها وتاريخ الوزارة في الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري.^١ والكتاب مصدر هام للمعلومات التاريخية والإدارية خاصة في النواحي المالية والإقتصادية، إضافة لما يحويه من تراجم للكتاب والوزراء والحجاب والعمال والولاة، وأوارهم في الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية في حالات ضعف و قوة الدولة الإسلامية^٢، و يكشف الكتاب عما تولى به الجهشيارى من روح البحث الدقيق، وتذوق كبير للأدب، وعناية كبيرة بأخلاق الرجال و صفاتهم العقلية.^٣

ويتضمن كتاب "الإشارة إلى من نال الوزارة"، تراجم وزراء الدولة الفاطمية من عهد العزيز بالله إلى أيام الأمر بأحكام الله، وكذلك الإشارة لبعض الحوادث التاريخية حول الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية في مصر وما حولها وعلاقات الخلفاء الفاطميين المتقلبة مع وزراءهم بين الرضى والإنعام والسجن والتعذيب وهكذا^٤، يذكر ابن الصيرفي أن بعض الخلفاء الفاطميين، كانوا يباشرون تدبير شؤون شؤون الدولة وأمورها بأنفسهم مثل المعز لدين الله والحاكم بأمر الله: وكان الوزراء والسفراء الذين يتم اختيارهم، لم تطل أيام نظرهم، ويظهر فيها غريب من أفعالهم، ولا نادر من آثارهم، وإنما أوردتهم حفظاً لمن نال هذه المرتبة، و بلغ هذه المنزلة منهم^٥، وهذه ميزة هامة جدا بأن ذكر الوزراء حسب التسلسل الزمني للوزراء.

وجاء مصنف الكندي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، كتاب " ولاة مصر وقضاتها" نموذجاً لامتزاج التاريخ بالتراجم ويتألف من جزئين: تناول في الأول مصر من خلال استعراض ولايتها منذ الفتح الإسلامي حتى سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٦م)، وبيّن فيه أنواع الولايات مثل: ولاية الصلاة، و ولاية الحرب والشرطة، ومن جُمع له بين الصلاة والخراج^٦. وبيّن في الثاني من ولي القضاء فيها حتى عصره^٧، ويعتبر الكتاب أيضاً تاريخاً محلياً إقليمياً لمصر، فقد عرض فيه بقدر كبير للتنظيمات القضائية و

^١ الجهشيارى، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق، ص ١-٢. سوردل (D.Sourdel)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١٢، ص ٤٤٦، مادة الجهشيارى .

^٢ الجهشيارى، الوزراء، ص ١-٢.

^٣ سوردل، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد/١٢، ص ٤٤٧.

^٤ ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان، (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)، الإشارة لمن نال الوزارة، تحقيق عبدالله مخلص، مكتبة الثقافة الدينية، (د/ط)، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢١.

^٥ ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٢١، ٢٨.

^٦ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٨٩٧-٩٦١م)، كتاب ولاة مصر وقضاتها، مؤسسة الكتب الثقافية، ط/١، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٣. روزنتال، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/٢٦، ص ٨٠٨٤ - ٨٠٨٦، مادة الكندي مؤرخ.

^٧ الكندي، ولاة مصر، ص ٢٢٧.

ممارساتها، واتبع فيه الكندي أسلوب المحدثين بذكر الروايات المسندة عن كل والٍ، وبيان زمن ونوع الولاية والقضاء لكل منهم^١.

وبيّن الخشني (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م) في كتابه "قضاة قرطبة" القضاة الذين تقلدوا القضاء فيها، و من عرض عليهم ولم يقبلوا، و عدد مصادره في مقدمته^٢ و ذكر أنه وضع كتابه بناءً على طلب أمير قرطبة الناصر لدين الله (ت ٣٥٠هـ / ٩٦٠م)^٣. ويعد كتاب الخشني من أهم التراجم الأندلسية لأنه أقتصر على قضاة قرطبة، وتضمّن معلومات عن أحوال القضاء والعلاقات بين القضاة والرعية، و بيان طبيعة المعاملات وصفات القاضي^٤.

يبدو أن الصولي تناول في كتابه "الأوراق" فترة زمنية طويلة من التاريخ العباسي، لكن الكتاب الكامل مفقود، و وجد منه عدة قطع، ويعتبر من أوثق المصادر لهذه الفترات، فقد اشتمل على الكثير من أسماء الأعلام التي لا توجد عند غيره ممن أرخ للفترة نفسها^٥.

قدم لنا الصولي في مصنفه "الأوراق" نهجاً خاصاً في التدوين التاريخي فقد جمع فيه بين التراجم السياسية والأدبية و عرض لنا من خلال أخبار الخليفة الراضي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ / ٩٣٤ - ٩٤١م)، والخليفة المتقي بالله (٣٢٩ - ٣٣٣هـ / ٩٤١ - ٩٤٥م) صورة عن الحوادث السياسية كشاهد عيان معاصر، إضافة لتراجم مختصرة للأشخاص الذين ذكرهم مع تواريخ وفياتهم على شكل رواية قصة متسلسلة، أو يوميات متواصلة^٦.

وعكس الكتاب صورة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لبغداد و محولها، وطبيعة العلاقات بين الخلفاء والسلاطين والأمراء الأتراك المسيطرين على الأوضاع، وكذلك التنافس والصراع

^١ المصدر نفسه، ص ١٤-١٧.

^٢ الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث، القيرواني، الأندلسي، القرطبي، (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م)، "قضاة قرطبة" تحقيق ياسر سلامة أبو طعمة، دار الصمعي، ط/١، الرياض، ٢٠٠٨، ص ٧٦-٧٧.

^٣ الخشني، قضاة قرطبة، ص ٧٥.

^٤ الخشني، قضاة قرطبة، ص ٥١-٥٥.

^٥ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، ما لم ينشر من أوراق الصولي، أخبار السنوات (٢٩٥ - ٣١٥هـ)، تحقيق هلال ناجي، عالم الكتب، ط/١، بيروت، ٢٠٠، ص ٦-٧.

^٦ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، كتاب الأوراق، (أخبار الراضي بالله والمتقي بالله) تحقيق ج. هيورت. دن، مطبعة الصاوي، (د/ط)، القاهرة، ١٩٣٥. انظر مثلاً: ص ١، ٧، ١٧، ١٨-٢٠، ٦٤، تم نشر هذه القطع

كما يلي: فمن سنة ٢٢٦ - ٢٥٦هـ - المستشرقان الروسيان أنس خالدوف وفكتور بيلاييف، روسيا، ١٩٩٨م، و من سنة ٣١٦ - ٣١٨هـ

٢٩٥ - ٣١٥هـ - نشرها هلال ناجي بعنوان " ما لم ينشر من أوراق الصولي بيروت، ٢٠٠٠م، و من سنة ٣١٦ - ٣١٨هـ

- دار الشؤون الثقافية بعنوان " قطعة نادرة من أوراق الصولي، بغداد، ١٩٩٠م، و من سنة ٣٢٢ - ٣٣٣هـ - ج. هورت.

دن " أخبار الراضي بالله والمتقي بالله"، القاهرة، ١٩٣٥م.

بين الوزراء أنفسهم و بين قادة الجند، وتخلل الكتاب الكثير من أبيات الشعر والقصائد الطويلة، و معظمها من نظم الصولي^١.

ويعقب جيب على ظهور الحوليات الخاصة، بأنها كانت خطوة بالغة الضرر على التدوين التاريخي، لأن تعظيم العنصر الشخصي أفسح المجال لتدخل الحكام في كتابة تواريخ عهودهم والإشراف عليها، فأصبح التلفيق وإخفاء الحقائق واضحاً، وحلّ أسلوب الكتاب البلاغي الطنان والمعقد محل الأسلوب السهل البسيط، والذي وضعه إبراهيم الصابئ (ت ٣٤٨هـ/٩٩٤م) في كتابه المفقود "التاجي" الذي ألفه في تاريخ البويهيين، وجاء العتبي (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) وعمّ هذا النهج في مصنفه المشابه "اليمني" في تاريخ سبكتين وابنه محمود الغزنوي^٢.

وضع الصابئ كتابه بناء على طلب عضد الدولة وسماه التاجي نسبة الى أحد ألقاب عضد الدولة (تاج الملة) وتضمن الكتاب الذي أشار له جيب بأنه مفقود- أخبار أهل الجيل والديلم وبعض أحوالهم ومسكنهم ومفاخرهم وقبائلهم ودخولهم في الإسلام وقيامهم بالدعوة مع العلويين وآل البيت، وبيان فضل أهل الديلم وحسن سيرتهم على من سواهم من بلاد العجم^٣. ويمثل الكتاب صورة عن الحوليات الخاصة، فهو يمتدح الديالمة وخاصة آل بويه، ويشير إلى اختلاف الروايات حول أصولهم، ويورد رواية ترجع نسبهم إلى العرب من بني ضبّة، حيث رحل أجدادهم إلى منطقة أذربيجان، وهناك امتزجوا بالسكان الأصليين. حتى أن لغتهم انقلبت إلى الفارسية، وأصبحوا يتحدثون من أصول فارسية عريقة وتنسبهم الرواية إلى بهرام جور بن يزدجرد^٤.

يعد العتبي صاحب كتاب "اليمني" أول مصنف من كُتّاب التراجم والسير المفردة، فقد عرض سيرة السلطان محمود الغزنوي خلال الفترة (٣٦٥-٤٠٩هـ/٩٧٦-١٠١٨م) بشكل مفصل، وقدم صورة واضحة لجهوده في نشر الإسلام وغزواته وأعماله الداخلية وعلاقاته مع القوى السياسية المحيطة خاصة

^١ الصولي، أخبار الراضي والمتقي، انظر: ص ١٠-١٦، ٢٠-٢٤، ٦٢، ٦٦.

^٢ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

^٣ الصابئ، أبو اسحاق إبراهيم بن هلال (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، المنتزع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية، تحقيق محمد حسن الزبيدي، (د/ن)، (د/ط)، (د/م)، (د/ت)، ص ٢٥-٢٩، ٣٧-٣٨.

^٤ الصابئ، التاجي، ص ٢٩-٣٣.

الدولة العباسية^١. واختار عنوان كتابه تيمناً بلقب السلطان بقوله: "... خدمتي دولة السلطان يمين الدولة. وأمين الملة ب (اليميني)، في شرح أخباره ومدح مقاماته في عدته وأنصاره."^٢

أما دوافع العتبي لتصنيف الكتاب فهي متعددة منها: إعجابه بصلاح سيرة السلطان وفضله في نشر الإسلام بقوله: " كان عاقلاً، ديناً خيراً ... ملازماً للجهاد وفتوحه مشهورة". وتلبية طلب ابن السلطان محمد منه بقوله: " ما رسمه إلي الأمير محمد بن يمين الدولة وأمين الملة أن أمتع أهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي البيان يتخذونه سميراً على السهر وأنيباً في المقام والسفر"، ورغبة في الحصول على جائزة وزير السلطان، وتقديم العرفان للبيت الغزنوي^٣. اتسم كتاب العتبي بإسلوبه الأدبي المُعرق بالمحسنات البديعية، والسجع المتكفّف، والتأنق اللفظي والأساليب البلاغية الأخرى، فقد عاش في عصر سادت فيه أساليب الإنشاء والبلاغة، وكانت مقياساً لثقافة الكاتب^٤.

ويؤكد ذلك مدح العتبي لإبراهيم بن هلال الصابئ بقوله: " وقد صنّف طبقات الأدباء والكتّاب تصانيف في ذكر أيامهم، وتصاريف أحوال الزمان بهم، بحسب قوتهم في البيان، وسهمتهم من بلاغة خاطر والبنان، حتى إن ابا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ عمل كتابه المعروف ب (التاجي في أخبار الديلم)، موشىّ عبر ألفاظه الساحرة، ومغشىّ بحلل معانيه الزاهرة، فحلّ عقد البيان بما قيده، وببيض وجه البلاغة بما سوده..."^٥.

ويؤيد شيوع أساليب الإنشاء والبلاغة في تلك الفترة وما يليها ما ذكره ابن الطقطقا بعد ثلاثة قرون في مدحه لمصنّفه " الفخري" و وصفه له: " بأنه أنفع من كتب الحماسة لأبي تمام، ومن كتب مقامات الهمذاني والحريري، التي عدل الناس عنها ومالوا إلى نهج البلاغة لعلي بن أبي طالب.... كما عدل الناس إلى اليميني للعتبي، الذي كتب بفصاحة و بلاغة..."^٦

ورغم أسلوب اليميني الأدبي العسير، إلا أنه قدّم لنا مادة تاريخية كبيرة تكاد تكون المادة الأولية لكثير من المؤرخين في أخبارهم عن محمود الغزنوي وعصره مثل: والجوزاني(٥٩٢ هـ)، و ياقوت(٦٢٣ هـ) ابن الأثير (٦٣٠ هـ) والذهبي(٦٧٣ هـ) وميرخوند (٩٠٣ هـ) وغيرهم. وبسبب الشهرة

^١ العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت مابين ٤١٣-٤٣١ هـ / ١٠٢٢-١٠٣٩ م)، كتاب " اليميني" في شرح أخبار السلطان يمين الدولة، وأمين الملة محمود الغزنوي، تحقيق إحسان ذنون التامري، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط/١، بيروت، ٢٠٠٤، مقدمة المحقق ص (ط).

^٢ العتبي، اليميني، ص ٤٨٣.

^٣ المصدر نفسه، ص ١٨ - ١٩.

^٤ المصدر نفسه، مقدمة المحقق ص (ك/ل)، ص ٩-١٥.

^٥ العتبي، اليميني، ص ١٦-١٧.

^٦ ابن الطقطقا، الفخري، ص ٢١-٢٢.

الواسعة للكتاب وأهميته التاريخية والأدبية واللغوية قام كثير من المصنفين اللاحقين بوضع الذبول والشروح له مثل: ابن فندق البيهقي (ت ٥٦٥هـ) والكرماني (ت ٦١١هـ/١٢١٤م) والخوارزمي (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م) والنيسابوري (ت ٧٢٢هـ/١٣٢٢م) وشرحه المنيني (ت ١١٧٢هـ/١٧٥٨م) بطلب من مفتي الدولة العثمانية^١.

رغم المآخذ التي أشار إليها جيب على الحوليات الخاصة في الكتابة التاريخية من تعظيم العنصر الشخصي وأسلوب البلاغة والسجع المتكلف، إلا أن هذه المصنفات تضمنت معلومات تاريخية هامة خاصة (كتاب اليميني عن الدولة الغزنوية) كانت مادة أولية نادرة لكثير ممن جاء بعدهم من المؤرخين، أما أسلوب البلاغة والسجع فقد كان شائعاً في تلك الفترة ومقياساً لثقافة الكاتب، وتعميم هذا الأسلوب جاء من كثرة الذبول والشروح والتكمالات لهذا الكتاب.

ويتساءل جيب بقوله: " وقد نجد صلة بين كتاب اليميني وبين إحياء الفارسية والتاريخ الفارسي في المشرق، كما وقد نجد فيه أثراً لشعر الملاحم الفارسية الذي ظهر إلى الوجود في الوقت ذاته، مثل شعر الدقيقي والفردوسي، وإذا أمكن تبرئة كُتّاب هذه التواريخ الرسمية من عدم المصادقية عمداً، أو من رذيلتي خضوعهم للحكام وإخفاء الحقائق يظلّ لجوئهم إلى الطنطنة (الكلام المنمق) وافتقارهم إلى القدرة على الحكم السليم يعطي انطباعاً سيئاً عنهم^٢، ويستطرد أنه من سوء الطالع أن الشهرة الواسعة لبعض هذه المؤلفات في أوساط الأدباء، وتوالي صدورها، أدى لاعتبارها نموذجاً للتاريخ الإسلامي بشكل عام، لكن هذه النظرة لا تنصف علم التاريخ الذي أنشأته الأجيال الأولى من علماء الإسلام بصبر وأناة^٣.

أن الصلة التي أشار لها جيب بين هذه المؤلفات هي الصفات السلبية المشتركة بين العناصر المشار لها من عدم مصادقية و مبالغة وأساطير إضافة إلى الأسلوب الأدبي المنمق الطنان، وبيان هذه الصلة يتطلب دراسة جميع العناصر، وهذا لا مجال له في هذه الدراسة، فموقف جيب من كتاب اليميني واضح، أما ما يتعلق بإحياء الفارسية فسنتكفي بإشارات بسيطة عنها لأنها كانت الأساس لعمل الدقيقي والفردوسي (الشاهنامه).

لقد تطورت اللغة الفارسية خلال ثلاثة مراحل من القديمة إلى الوسطى إلى الحديثة، فالفارسية القديمة هي لغة آرية مجهولة، تُنسب إلى قبائل الفرس البدوية النازحة إلى إيران قبل قورش الكبير، وكتبت بالخط المسماري السومري. ولها لغتان شقيقتان هما: الأفيستا وتعني في اللغة القديمة (الأساس والبناء القوي)، وهي ذات صلات قوية باللغة السنسكريتية الهندية القديمة، وكتب بها الأبتاق (كتاب

^١ العتبي، اليميني، مقدمة المحقق ص (ن-س).

^٢ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

^٣ Ibid . p,239 .

زرادشت المقدس) في الديانة الزرادشتية. والسنسكريتية في الهند وكتبت فيها طقوس الديانات الهندوسية والبوذية، وتستخدم حالياً في المعابد من قبل كهنة البراهما.^١

واللغة الفهلوية (البهلوية)- الفارسية الوسطى- هي شكل متطور عن الفارسية القديمة استخدمت في عهد الإمبراطورية الفريثية (Parthion Empire) ٢٤٨ ق.م-٢٢٤م، وأيام الإمبراطورية الساسانية (Sassanid Empire) ٢٢٤ - ٦٥١م، وهي عبارة عن نمط مقطعي مأخوذ من الابدجية الآرامية^٢، وبرزت الفارسية الحديثة بعد الفتح الإسلامي لإيران، وبدأت في الظهور بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، وخلال هذه الفترة تعرضت لتأثير واسع من العربية في المفردات والأساليب الأدبية والمعاني^٣.

ويرى براون أن الأشعار الفارسية التي نشأت في عهد الدولتين الصفارية والسامانية كانت بسيطة، وتخلو من الصناعة البديعية، قريبة من الطبع، سليمة الأداء وتصوير الموضوع^٤. وكانت الأشعار التي وضعت قبل الدولة الغزنوية معظمها عبارة عن مقطوعات " بسيطة"، و" رباعيات"، و" مثنويات"، و" غزليات"، ما عدا الألف بيت من الشعر الذي نظمها الدقيقي، والفردوسي الذي أكمل الشاهنامه، وهي عبارة عن سجل يحوي خرافات وأساطير وحكايات وسير لملوك الفرس وقصص منذ القدم حتى القرن الرابع الهجري شفوية ومدونة^٥.

تضمنت أصول الشاهنامه الشفوية والمدونة في عدة كتب، قسم تاريخي عن الساسانيين، وجزء من قصة دارا، والإسكندر المقدوني، وقسم خرافي من آثار الفرس واليونان مبني على أساس الحدس والتخمين. كما أن معظم ملوك الفرس القدماء (البيشاندانيين والكيانيين) المذكورين في الأبتاق والمحاطين بالكثير من الأساطير الهندية والآرية القديمة أيضاً مذكورين في الشاهنامه^٦.

وحفظت الأبتاق (مثل التوراة) روايات قديمة حول أبطال من قوى الخير والشر في الديانة الآرية القديمة التي قامت على عبادة الطبيعة، وعندما أسس أردشير الدولة الساسانية أحيا الديانة الزرادشتية، وترجمت الأبتاق إلى الفهلوية وأضيفت لها الأساطير القديمة، فأصبح الأبطال وأشباه الآلهة

^١ براون، تاريخ الادب في إيران، ص ١١. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٣٦٤.

^٢ الفردوسي، أبو القاسم منصور بن فخر الدين أحمد بن فرّخ الطوسي، (ت حوالي ٤١١هـ/ ١٠٢٠م) الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البنداري، تحقيق عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٢، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٧. براون، تاريخ الأدب في إيران ص ١١، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٣٦٤.

^٣ الفردوسي، الشاهنامه، ص ٣، براون، تاريخ الادب في إيران، ص ٢.

^٤ براون، تاريخ الادب في إيران، ص ٢٤.

^٥ المرجع نفسه، ص ٢٧-٢٨.

^٦ الفردوسي، الشاهنامه، ص ٢٧.

عبارة عن ملوك إيران القدماء و أضيف عليها خيالات الجماهير، فصار جميع ذلك قصصاً حماسية، احتفظ بها الدهاقون وحدثوا بها وأنشدها في محافلهم وأعيادهم، كما تم إضافة تاريخ الساسانيين إلى جميع ما ذكر ودون في كتاب عُرفَ عند الفرس باسم باستان نامة (كتاب القدماء) أو كتاب خودي نامة (خوتاي نامك) أي سير الملوك^١.

شرح الشاعر الدقيقي^٢ بنظم الشاهنامه شعراً بناءً على طلب الملك الساماني نوح بن منصور (٣٥٠ - ٣٦٥هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) فنظم ألف بيت، لكن الموت حال دون إكمال نظمها، واقترن اسمه باسم الفردوسي لأنه كان السابق في النظم^٣. ويذكر الفردوسي أن كتاب الشاهنامه (نثراً)^٤، كان موجوداً عند شيخ يدعى محمد لشكري، وطلب منه أبو منصور والي طوس أن ينظم الشاهنامه شعراً بناءً على طلب السلطان محمود الغزنوي^٥.

كما يذكر الفردوسي أنه نظم الشاهنامه في ستين ألف بيت من الشعر، واستغرقه العمل بها خمسة وثلاثين سنة ما بين ٣٦٥ - ٤٠٠هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٨م^٦. وأنه أخذ معلوماتها من كتب فارسية حديثة في زمنه^٧. وهناك أربعين نسخة من الشاهنامه دخل عليها زيادات واضحة وأكثرها يشتمل على ما بين ثمانية ثمانية وأربعين إلى اثنين وخمسين ألف بيت^٨، جمعت الشاهنامه أكثر ما وعى الفرس من أساطير وتاريخ وتاريخ وقصص وحكايات منذ القدم حتى القرن الرابع الهجري، وقصص عن الملوك والأبطال الذين يموتون ثم يظهرون مرة أخرى، والعرب في الشاهنامه يمثلون جميع الساميين، وكيومرت وأبناؤه عند

^١ المصدر نفسه، ص ٢٧.

^٢ الدقيقي، أبو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨١م) كان شاعراً ذائع الصيت في القرن الرابع الهجري، وذكره العتبي أنه من شعراء السلطان محمود الغزنوي. انظر: الفردوسي، الشاهنامه، ص ٣٧-٣٨.

^٣ الفردوسي، الشاهنامه، ص ٣٨-٣٩.

^٤ جمع أبو منصور المعمرى كتاب الشاهنامه نثراً لحاكم خراسان (٣٤٦هـ / ٩٥٧م) واعتمد في ذلك على الأخبار القديمة والروايات الشعبية التي أخذها من أربعة أشخاص، وهو الكتاب الذي نظمه الفردوسي شعراً واهدى النسخة الأولى منه إلى أحمد بن محمد بن أبي بكر الخاليجاني، واثانية إلى السلطان محمود الغزنوي بواسطة وزيره الميمندي في ستة مجلدات. انظر: مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد ٢، ص ٣٧٠.

^٥ الفردوسي، الشاهنامه، ص ٤٢-٤٣.

^٦ الفردوسي، الشاهنامه، ص ٣٩-٤٠، ٥٢. انظر "فل. ميناج (V.L.Menage) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢، ج ٢، ص ٧٣٢٤-٧٣٢٦. روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٤٥-٢٤٥.

^٧ المصدر السابق، ص ٦٨-٧٠.

^٨ المصدر السابق، ص ٧٣-٨٢، ٨٧، ٩٢، ٩٣.

الفرس هو آدم وأبناؤه، وكذلك نوح وأبناؤه وهو فريدون وأبناؤه، والنبي إبراهيم وهو زرادشت، والأبستاق هي صحف إبراهيم وغيرها الكثير.^١

يتضح مما تقدم أن المقصود بالصلة هي السلبات المشتركة بين الحوليات الخاصة وإحياء الفارسية. أما الخطورة والضرر الذي أشار إليه جيب والشهرة والصيت خاصة لكتاب اليميني ربما يعود لأسباب ثلاثة: أولها مقياس الذوق الأدبي المشهور عند الكتاب والعامّة في تلك الفترة، وثانيها ما تضمنه الكتاب من شرح بطولات وانتصارات وجهاد السلطان محمود الغزنوي ونشره للدين الإسلامي في شرق العالم الإسلامي والقارة الهندية، وثالثها دور حكام الدويلات المتعاقبة في استخدام ونشر اللغة الفارسية خاصة في بلاطات الملوك والسلاطين لعدم اتقانهم وحتى معرفتهم للغة العربية. ويؤكد ذلك جيب نفسه.^٢

و: المصنفات التاريخية باللغة الفارسية

أما الاتجاه السادس عند جيب فجعله عن بدايات كتابة المصنفات التاريخية باللغة الفارسية، فيذكر أن كثيراً من هذه المصنفات كان عبارة عن ترجمات أو ملخصات لأصول عربية، أقدمها الملخص المشوب بالتعسف لتاريخ الطبري، الذي أعده بشيء من التصرف الوزير أبو علي البلعمي في عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م). ولا تخلو هذه الملخصات من إضافات هامة في كثير من الأحيان مثل مصنف الكرديزي.^٣

يضيف جيب أنه لم يصلنا من المصنفات التي كتبت بالفارسية في تلك الفترة سوى بعض التواريخ المحلية وتواريخ الأسر الحاكمة، وليس فيها ما يميزها عن المصنفات العربية المعاصرة لها في الولايات الشرقية إلا القليل. وكان هناك عدد من المؤلفين يكتبون بالعربية والفارسية مثل النسوي، لكن هناك نموذجاً خرج عن المؤلف، وهي المذكرات اليومية الخالية من الهوى الحزبي لأبي الفضل البيهقي (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) وهو مصنف فريد من نوعه بين ما وصلنا لفترة ما قبل عهد المغول.^٤

كان السامانيون في خراسان (شمال شرق فارس)، وما وراء النهر (السند) سنة أصوليين، عملوا على نشر الإسلام السني بين القبائل التركية في وسط آسيا من منتصف القرن الرابع الهجري، واهتموا بإحياء اللغة الفارسية إلى جانب العربية وكان هدفهم ثقافي وسياسي.^٥

^١ المصدر السابق، ص ٧٣-٨٢، ٨٧، ٩٢-٩٣.

^٢ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

^٣ Ibid , p,239

^٤ Ibid , p,239

^٥ بارتولد، شبولر، بحث بعنوان "تطور أعمال التاريخ الفارسية"، مؤرخو العرب والاسلام، تحرير برنارد لويس وهولت، ص ٢٠٣-٢٠٤.

وبعد هيمنة القبائل التركية (الغزنويون، السلاجقة والخوارزم شاه) في هذه الفترة على مناطق غرب آسيا، أصبحوا ورثة الثقافة السامانية الفارسية وكيّفوا أنفسهم معها، وأصبحت ترجمة البلعمي^١ لتاريخ الطبري للفارسية المصدر الرئيسي لمعلوماتهم التاريخية، واكتسبت شهرة كبيرة بدليل النسخ العديدة من ترجماته حتى في اللغة التركية، ولأنهم كانوا مسلمين جُدد لم يهتموا بتواريخهم قبل الإسلام، إضافة إلى ذلك أن البلعمي أهمل في ترجمته للطبري ذكر أسلافهم الوثنيين.^٢

وبذلك أصبح كتابي البلعمي، والشاهنامه للفردوسي نموذجين ثابتين لطريقة الحياة الفارسية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين^٣.

اما الكرديزي (ت ٤٤٢ - ٤٤٣ هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥١ م)، صاحب كتاب " زين الأخبار" فكان مقرباً من الغزنويين، واتصل ببلاطهم و صنّف كتابه في مقاليتين: الأولى في ثمانية أبواب تناول فيها تاريخ العالم من بدء الخليقة حتى عصره وتاريخ محلي لخراسان^٤. و الثانية في عشرة أبواب بحث فيها المعارف العامة وتعتبر تاريخ موسوعي حضاري^٥.

ويهمنا من الكرديزي التاريخ المحلي لخراسان الذي قدم لنا فيه معلومات هامة ودقيقة. وهي على قسمين الأول- أخذها عن سبقة وتغطي أخبار خراسان من زمن عبد الله بن عامر بن كريز والي الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حتى أبي الفوارس عبد الله بن نوح الساماني، ويتضمن جدولاً بأسماء ولاية وأمراء خراسان من سنة ٢٣هـ/٦٤٣م، حتى ٤٤١ هـ/ ١٠٤٩ م^٦، والقسم الثاني الذي عاصر أحداثه أحواله كما صرّح بذلك يبدأ بأخبار السلطان محمود الغزنوي وينتهي بأخبار السلطان عبد الرشيد بن

^١ البلعمي، أبو علي محمد بن محمد بن عبيد الله المقدسي، ويلقب بـ "أميرك بلعمي"، (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م) كان أبوه وزيراً من قبله لدى السامانيين، عمل وزيراً لعبد الملك بن نوح في أواخر حكمه (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ / ٩٥٤-٩٦٢ م)، ثم وزر لخلفه منصور بن نوح (٣٥٠ - ٣٦٥ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م)، وسبب شهرته قوة شخصيته، وشهرة والده، والأثر الأكبر لمصنّفه التاريخي (ترجمته لتاريخ الطبري)، أقدم مصنّف باللغة الفارسية الحديثة. انظر: بارتولد، دائرة المعارف الإسلامية ط/١، مجلد/٧، ص ٥٨٥-٥٨٧. مادة البلعمي.

^٢ بارتولد، مؤرخو العرب والإسلام، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

^٣ بارتولد، مؤرخو العرب والإسلام، ص ٢٠٥.

^٤ الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي الضحاك بن محمود، (ت ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م)، كتاب زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمدية، ط/١، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٤-٨.

^٥ الكرديزي، زين الأخبار، ص ٨-٩.

^٦ المصدر السابق، ص ٢٨١-٢٩٢.

محمود الغزنوي، ويعتبر هذا القسم من الوثائق الهامة عن تلك الفترة^١. وهو أهم كتاب في التاريخ لدى الإيرانيين^٢.

لقد تنوعت مصادر الكرديزي مثل القرآن الكريم، والتوراة، والأنجيل، ومصادر فارسية و عربية، وبدأ بكتابة القصص القديمة لكنه أوجز في الجزء الأسطوري منها، واعتمد الأسلوب السلس السهل، والإيجاز بشكل عام، وتضمن كتابه معلومات لا توجد عند غيره^٣.

وعمل النسوي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) لدى السلطان جلال الدين منكبرتي (٦١٧-٦٢٨هـ/١٢١٩-١٢٣١م) كاتباً للإنشاء ثم وزيراً على مدينة نسا، وشرط عليه السلطان أن يبقى لجانبه و ينيب عنه أحد ثقافته عليها، وهذا يدل على مدى ثقة السلطان الكبيرة له^٤. و وضع النسوي كتابه بعد وفاة السلطان بعشر سنين و رغم أنه لم يكن تحت تأثيره بشكل مباشر، لكن كتابته تحمل معنى الولاء للسلطان الذي شمله برعايته طيلة فترة حكمه^٥.

لم يكن النسوي من الكتاب البارزين في عصره، رغم أنه تولى منصب كتابة الإنشاء للسلطان، وهو يصرح بأنه قبل في البداية مكرهاً، ولما حصلت له منها فوائد صار يقاتل من يزاحمه عليها^٦. ويتصف أسلوبه بالتواضع و تغلب عليه الصنعة والتكلف، والإكثار من المحسنات البديعية والصور البيانية، والسجع والاستشهاد بآيات القرآن والأمثال العربية، وكان يتقن الفارسية والتركية، أفضل من العربية^٧. سرد النسوي في مصنفه تاريخ المغول من بداياته، وتحدث عن الدولة الخوارزمية وسقوطها في نحو ثلث الكتاب، بينما تناول في باقي الكتاب سيرة السلطان منكبرتي، واتبع في أسلوب معالجة الحوادث على أساس الموضوعات التي اهتم بها، دون التقيد بترتيبها الزمني^٨.

و صنّف البيهقي (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) الملقب بـ " ابن فندق " كتابه تاريخ بيهق (موطنه في خراسان) باللغة الفارسية في ثلاثين مجلداً، فقدت جميعها ما عدا المجلد الأول، وهو ليس تاريخاً لدولة أو لبلد معين بالمعنى الدقيق، إنما هو مجموعة خواطر وأحاديث لرجل سياسي (مذكرات شاهد عيان) عن حياة

^١ المصدر السابق،، ص ٢٩٢ وما بعدها.

^٢ المصدر السابق، ص ١٦.

^٣ المصدر السابق، ص ١٦.

^٤ النسوي، محمد بن أحمد، (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي (د/ط)، مصر، ١٩٥٣، ص ٢٣-٢٤.

^٥ النسوي، سيرة منكبرتي، ص ٢٤.

^٦ المصدر السابق، ص ٣٧، ١٩٤-١٩٥.

^٧ المصدر السابق،، ص ٢٥.

^٨ المصدر السابق، ص ٢٥ - ٢٦.

السلطين الذين عمل معهم، واما كان يجري في الشؤون الداخلية والخارجية^١. وأعطى صورة واضحة عن البلاط الغزنوي أيام السلطان مسعود، و نظام الحكم في الدولة الغزنوية بقوله: " لم ترو كتب التاريخ الأخرى هذه التفاصيل، ولم يذكروا إلا القليل، أما أنا وقد تعرضت لهذا العمل، فإني أود أن أودي حق التاريخ كاملاً، وأن أبحث عن الخفايا حتى لا يخفى شيء من الحوادث^٢، وذلك من خلال الوثائق التي كتبها بخط يده^٣.

وقدم البيهقي في تاريخه وصفاً مسهباً لجغرافية بيهق، ونظام الضرائب فيها، وأخبار ولايتها وأمرائها، ومشاهير الرجال الذين ولدوا فيها وبرزوا في الدين والأدب^٤. كما تحدث عن الحياة الاجتماعية الاجتماعية مثل الاحتفالات بالأعياد الدينية الإسلامية، والأعياد الفارسية، ونظام السخرة ونظام التجسس وغيرها^٥. واعتمد البيهقي في تصنيف كتابه بشكل رئيسي على الوثائق المؤرخة التي كانت بحوزته، وعلى كتب من سبقه وأشار لهم^٦. وعلى روايات النفاة^٧ واتسم أسلوبه بالموضوعية والحيوية، والإيجاز في الإنشاء^٨.

ورغم صلة البيهقي الوثيقة بالسلطان مسعود الغزنوي و وزيره و رئيس ديوانه، إلا أنه كان بعيداً عن الهوى والميول في كتابه، ونراه ينتقد السلطان الذي منحه الثقة و طلب نصحه بقوله: " إنه لعزيز عليّ أن يجري قلبي بمثل هذا النقد، ولكن ما حيلتي في ذلك والتاريخ لا يعرف المحاباة^٩.

ويذكر جيب أن الحكام الأتراك عملوا على إحياء الفارسية، ونقلوها إلى البلاد التي غزوها ما بين الأناضول غرباً والهند شرقاً، واتخذوها لغة للأدب لأنهم كانوا بوجه عام يجهلون العربية، وعند نهاية

^١ البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين، (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م)، الملقب بابن فندق، "تاريخ بيهق"، ترجمة وتحقيق يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، (د/ط)، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١١. انظر: بارتولد، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٩، ص ٦٧، مادة "البيهقي". مينيوي مجتبي بحث بعنوان "المؤرخ الفارسي البيهقي"، مؤرخو العرب والإسلام، ص ٢١٧.

^٢ البيهقي، تاريخ بيهق، ص ١١. بارتولد، دائرة المعارف، مجلد/٩، مادة "البيهقي". مينيوي، المؤرخ الفارسي البيهقي، مؤرخو العرب والإسلام، ص ٢١٨.

^٣ البيهقي، تاريخ بيهق، انظر مثلاً: ص ٣١٩ - ٣٢٣.

^٤ بارتولد، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد/٩، ص ٦٧ - ٦٨.

^٥ البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٤٥١، ٤٧٠ - ٤٧١.

^٦ البيهقي، تاريخ بيهق، ص ١١٥ (مقالة الخواجه عبد الغفار)، ص ٢٨٧، (كتاب محمود الوراق)، ص ٧٣ (كتاب المسامرة في أخبار خوارزم).

^٧ البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٧٦، ٤٣٧، ٧٥٧ وما بعدها.

^٨ مينيوي، مؤرخو العرب والإسلام، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

^٩ البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٤٩٤.

القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بدأ تدوين التواريخ بالفارسية مثل محمد بن علي الراوندي (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) في آسيا الصغرى، وفخر الدين مبارك شاه (ت بعد ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م) في الهند، والذي يعتبر السلف لعدد كبير من المؤرخين الهنود والفرس^١.

يشتمل كتاب " راحة الصدور" للراوندي على تاريخ دولة السلاجقة من قيامها حتى نهايتها (٤٢٩- ٥٩٠هـ/ ١١٥٧ - ١١٩٤م)، ويعتبر الكتاب مرجعاً فريداً للحوادث المفصلة بين عامين (٥٥٥ - ٥٩٠هـ/ ١١٦٠ - ١١٩٤م) وتشمل فترة حكم آخر اثنين من سلاطين السلاجقة أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه وابنه طغرل بن أرسلان^٢.

أما المعلومات والأخبار الواردة فيه تعتبر أصيلة و مفصلة وتروى لأول مرة من شاهد عيان معاصر للأحداث، لأن الراوندي وأخواله، كانوا من ذوي الخطوة عند السلطان طغرل. وهذا مكّنه من الوقوف على المصادر الصحيحة للمعلومات المتعلقة بشؤون وأحداث الدولة^٣. واتسم أسلوب الراوندي بالوضوح والبساطة التي امتازت بها الكتابات الفارسية السابقة لعهد المغول، ومن المآخذ عليه أنه ضمّن كتابه الكثير من الأمثال العربية (٢٦٤) مثل، والأشعار ٢٧٩٩ بيت منها ٥٥١ بيت من نظمه في مدح السلطان كيخسرو بن قلع أرسلان^٤. الذي أهداه الكتاب بعد فتحه لمدينة أنطاليا على ساحل الأناضول الجنوبي^٥.

اعتمد الراوندي في كتابة الجزء الأول من تاريخه (تاريخ دولة السلاجقة) على كتاب سلجوق نامه لظهير الدين النيسابوري، وعلى مشاهداته والوثائق التي اطلع عليها في كتابة فترة أرسلان وطغرل، وعلى مصادر فقهية حنيفية في كتابة الفصول الأخيرة المتفرقة من الكتاب^٦. وصرّح الراوندي أن غايته من تصنيف كتابه تحصيل الذكر الحسن في الدنيا والثواب في الآخرة لأشغاله بالعلم، وتخليد سيرة السلطان كتنكرة للسلاطين من بعده^٧. وكتب في الهند فخر الدين مبارك شاه (وهو من أصل عربي قرشي)، شجرة أنساب الفرس، و وضع سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٧٥م سلسلة نسبه الخاصة به^٨.

^١ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

^٢ الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، (ت بعد ٦٠٠هـ/ ١٢٠٠م)، راحة الصدور وآية السرور، في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة ابراهيم أمين الشواربي وعبد المنعم محمد حسين و فؤاد عبد المعطي الصياد، دار القيم، (د/ط)، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٨-٩، ٢١.

^٣ الراوندي، راحة الصدور، ص ٨.

^٤ المصدر السابق، ص ٢١-٢٢.

^٥ المصدر السابق، ص ١١٠-١١٣.

^٦ المصدر السابق، ص ٢٣.

^٧ المصدر السابق، ص ١٠٧-١١٧.

^٨ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٤٠١.

ز: المصنفات المتصلة بالتاريخ

وفي الاتجاه السابع تحدث جيب عن المصنفات المتصلة بالتاريخ مثل الرياضيات و علم الفلك (الهيئة)، لتحديد زمن الحوادث التاريخية، مثل كتاب " الآثار الباقية" لأبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)، كما أشار جيب إلى المصنفات التي اهتمت بالآثار خاصة خطط المدن اكثر من اهتمامها بالتاريخ مثل المصنف المفقود للهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م)، وحظيت هذه المصنفات باهتمام خاص لدى كتّاب مصر فيما بعد^١ مثل كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي. وأخيراً يشير جيب إلى انتشار اللغة العربية بين النصارى الشرقيين وأثرها في تصنيف كتب بالعربية تناولت تاريخ الكنائس النصرانية، وأبرزها مصنفات ابن البطريق الملكاني يوتخيوس، والأسقف اليعقوبي ساويروس ابن المقفع والمصنف الغريب، واللافت للنظر تاريخ الديارات النصرانية في مصر وغرب آسيا للكاتب المسلم علي بن محمد الشابشتي (ت ٣٣٨ هـ / ٩٩٨ م)^٢.

تناول البيروني (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)، في كتابه الآثار الباقية دراسة وتنظيم التواريخ والتقاويم عند الأمم السابقة من الفرس واليونان والهنود والعرب^٣. و يقارن ذلك بما ورد في آيات القرآن الكريم^٤. و ضمّن كتابه العديد من الجداول الزمنية المتقابلة عندهم، والرسومات واللوحات الفلكية، وجداول بأسماء الملوك وتواريخ حكمهم حسب نظام علمي أثبت فيه تفوق وازدهار علم الفلك في عصره، وكانت غايته تنظيم التواريخ وليس انتقاد الاخبار^٥.

يُثني البيروني في ديباجة مُصنّفه على الأمير شمس المعالي (أحد امراء آل زيار ٩٧٨ - ١٠١٢ م اشتهر بتشجيعه للعلوم والفنون)، لما قدمه له من دعم و توفير للوقت، ويذكر أن سبب تصنيفه لكتابه هو إجابة عن سؤال بقوله: " فقد سألني أحد الأدباء عن التواريخ التي تستعملها الأمم والاختلاف الواقع في الأصول التي هي مبادؤها، والفروع التي هي شهورها وسنوّها والأسباب الداعية إلى ذلك، و عن الأعياد المشهورة، والأعياد المذكورة للأوقات

^١ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

^٢ H.A.R. Gibb. Ency, of Islam, Suppl.p,239

^٣ البيروني، أبو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي، (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)، كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، (د/ن)، (د/ط)، (د/م)، (د/ت)، ص ٥ وما بعدها.

^٤ البيروني، الآثار الباقية، ص ٤٢.

^٥ البيروني، الآثار الباقية، ص ٥٢، ٦٩-٧٣، ٨٨-٩٨، ١٧١-١٧٣، الخالدي، فكرة التاريخ ص ٢٢٦-٢٣١.

والأعمال و غيرها... واقترح على الإبانة ... بأوضح ما يمكن" ^١، ويفتح البيروني إجابته (وضع الكتاب) بقوله: " وأبتدىء فأقول إن أقرب الأسباب إلى ما سئلت عنه هو معرفة أخبار الأمم السالفة، وأنباء القرون الماضية، لأن أكثرها أحوال عنهم و رسوم باقية من رسومهم و نواميسهم.. " ثم يتحدث عن منهجه في وضع الكتاب ^٢.

وصّنف يوتخيوس (يوتخيا) المعروف (ب) سعيد ابن البطريق كتابه " التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق"، وهو تاريخ عام للكنائس والبطاركة تناول فيه الحوادث التاريخية من بدء الخليفة حتى عصره (٣٢٦هـ / ٩٣٧م)، ركز فيه على أحوال وأوضاع و علاقات الكنائس والبطاركة مع الروم والفرس واليهود والمسلمين ^٣، ويشير إلى بعض المصادر التي اعتمد عليها مثل كتب الفلسفة والمنطق لأفلاطون وأرسطو، وأصول العلوم والحساب وغيرها بقوله: " وقد اختلف الناس في التاريخ، اختلافاً متبايناً كثيراً، والذي صح عندي من ذلك، بعد بحث طويل وتعب كثير، جمع إليه مما هو في التوراة وغيرها من الكتب الصحيحة" ^٤.

تناول ابن البطريق في الجزء الأول من كتابه تاريخ العالم من بدء الخليفة حتى هرقل ملك الروم من وجهة النظر المسيحية ^٥، وتناول في الجزء الثاني تاريخ الهجرة (وهو لا يتطرق لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وهجرته) حتى السنة الخامسة من خلافة الرازي بالله العباسي (سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧م) ^٦، يوجد تكملة للجزء الثاني تغطي الأحداث حتى سنة ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م، وهو تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، الذي سار فيه على نهج ابن البطريق.

يخاطب ابن البطريق في مقدمته أماً له اسمه عيسى قائلاً: " فهمت ما أمرت برسمه لك .. في معرفة التاريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية وبرهنت ذلك على مرّ الشهور والدهور

^١ البيروني، الآثار الباقية، ص ٣-٤.

^٢ المصدر السابق، ص ٤-٥.

^٣ ابن البطريق، سعيد، (أفتيشيوس، أويوتخيا أو يوتخيوس)، (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، (د/ط)، بيروت، ١٩٠٥، مجلد/٥، مصطفى، شاكرا، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٤٤٠-٤٤١.

^٤ ابن البطريق، التاريخ المجموع، مجلد/١، ص ٥.

^٥ المصدر السابق، مجلد/١، ص ٢١٩.

^٦ السيد سالم، التاريخ والمؤرخون، ص ١٠٠.

^٧ ابن البطريق، التاريخ المجموع، مجلد/٢، ص ٢٨٨. انظر: بروكلمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج/١٧، ص ٥١٩٦-٥١٩٧.

والأعوام لتستغني بمعرفته عن سؤالك لكل أحد من الخاص والعام. ورسمت لك رسماً... وجعلته مختصراً مفيداً.. مما جمعه من التوراة والإنجيل وباقي الكتب القديمة والمحدثة، وضمنته كتابي هذا " ^١ .

وكان ابن المقفع ساويروس، كاتباً ماهراً أيام الإخشيديين، ثم أصبح أسقفاً قبطياً يؤمن بمذهب الطبيعة الواحدة، ويتقن علم الكتاب المقدس، والعهد القديم، وتفوق في ذلك على معاصريه، فقد عاصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، ونال ثقته وسمح له بمناظرة القضاة المسلمين بالمسائل الدينية^٢، وصنف كتاباً أرخ فيه لبطاركة الإسكندرية، حوالي (٦٨) بطركاً وأكمل من جاء بعده كتابه، لكن الكتاب بأكمله ينسب له، ربما لأنه أول من جمع سير البطاركة^٣. وذكر في مقدمته مصادرِه ومنهجه بقوله: " فاستعنت بمن أعلم من الأخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتي على نقل ما وجدناه منها بالقلم القبطي إلى القلم العربي ... واستنسخت من الأوائل حسبما تضمنته قوانين البيعة.. وما نادى به الأحاديث والأخبار، وأضفت إلى ذلك ما عرفته من سير من شاهدته من البطاركة" ^٤ . ثم عدد أسماء الأديرة التي جمع منها ^٥ . وبدأ بسيرة بسيرة القديس مرقس الإنجيلي^٦ .

وتتبع أهمية كتاب ابن المقفع أنه انفرد بمعلومات عن تاريخ مصر منذ بداية الفتح العربي لها، وأحوالها خاصة أوضاع (المصريين/ النصارى) في أثناء حكم الولاة والدويلات المستقلة حتى العهد الفاطمي من النواحي الاجتماعية والاقتصادية وما تمتعوا من حرية دينية في ممارسة شعائرهم والاحتفال بأعيادهم، وبناء أو تجديد الكنائس. كما يتحدث عن سبب تحول أعداد كبيرة منهم للإسلام بسبب الضرائب.

ونأتي في نهاية هذه المرحلة من اتجاهات الكتابة التاريخية إلى كتاب آخر يعتبره جيب غريباً ولافتناً للنظر وأثار تعجبه و هو كتاب " الديارات" للمؤرخ المسلم الشابشتي (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، وهو عبارة عن موسوعة صغيرة ذات جوانب ثقافية متعددة في التاريخ والتراجم والأدب والحضارة ^٧ .

^١ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ص ٣.

^٢ ابن المقفع ساويروس، توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي. " تاريخ البطاركة"، تاريخ مصر من بدايات القرن الأول حتى العشرين الميلادي، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، ط/١، مجلد/١، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٦-١٠. ايوار، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٣٩٢. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/٢، ص ٤٤٤.

^٣ ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ص ١٥-١٧.

^٤ ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ص ٨٧-٨٩.

^٥ المصدر السابق، ص ٩٧.

^٦ المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢.

^٧ الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، كتاب الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط/٢، مكتبة المثني، بغداد، ١٩٦٦، ص ٩-١٠.

اتبع الشابشتي منهجاً خاصاً في تصنيف كتابه، حيث يذكر اسم الدير ووصفه ورهبانه وما اشتهر به وأقوال الشعراء فيه^١. ثم يشير إلى بعض الحوادث التاريخية التي جرت به^٢. ثم ينتقل إلى سرد بعض الأخبار والحكايات والنكت والأشعار، التي تتصل بأشخاص لهم علاقة بالدير. وأحياناً يسهب في الحديث عن بعض أعلام الأدب أو السياسية أو الإدارة كخليفة أو أمير أو وزير أو كاتب أو أديب عندما يتناول بعض الديارات^٣.

يتضح من خلال استعراض كافة الاتجاهات، حسب تصنيف جيب لها، مدى التطور الذي وصلت له الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين، والذي عكس مبلغ تطور الحياة العلمية وما صاحبه من تنوع في المواضيع والغايات ووزارة في الإنتاج. و بروز عدة ظواهر منها دور الفقهاء والمحدثين والعلماء ورجال الحكم والبلاط واستخدام الإسناد في كتب التراجم والطبقات بشكل خاص، وظهور مصنفات التراجم الشاملة الضخمة والمعاجم عند المشاركة والمغاربة التي ساعدت في التعرف على الكثير من المصنفات المفقودة، كما أمدتنا بمعلومات هامة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والأدبية والإدارية عن المدن والأقاليم، والاستمرار في منهج معاجم التراجم من خلال كتب الصلات، وتكملة الصلات والذبول، مما يوفر فكرة واضحة متسلسلة عن مختلف مناحي الحياة لعدة قرون متوالية لدراسة المناطق والأقاليم، وأخيراً بسط أدب التراجم ظلالة على ميادين متنوعة في الكتابة التاريخية.

^١ الشابشتي، الديارات، تضمن الكتاب حوالي (١٥٠٠) ألف وخمسمائة بيت من الشعر في مجمله لأكثر من (٧٠) سبعين شاعراً ضاعت دواوين أكثرهم).

^٢ الشابشتي، الديارات، ص ٩-١٠.

^٣ المصدر السابق، ص ٣٣.

الفصل السادس

جيب والتدوين التاريخي من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجري

اولاً: كتابة الحوليات

أ: حوليات التراجم

ب: حوليات الحوادث السياسية

ثانياً: دراسة جيب للمصادر العربية

أ: المصادر العربية لحياة صلاح الدين

ب: ملاحظات على تاريخ الحروب الصليبية المبكرة

ثالثاً: النظرة العالمية لكتابة التاريخ

أ: الحوليات الموسوعية

ب: التواريخ العامة في المغرب الاندلس

ج: تواريخ الاقاليم والاسر الحاكمة

رابعاً: المدارس التاريخية

أ: المدرسة الشامية

ب: المدرسة المصرية

ج: المدرسة اليمينية

د: تواريخ الأقطار المحلية (المغرب والاندلس)

هـ: المصنفات المتخصصة

التدوين التاريخي من القرن السادس الى القرن العاشر الهجري

يذكر جيب أن الفترة ما بين القرن السادس والعاشر الهجري تميزت بوفرة المعلومات وتزايد الإنتاج، كما أن تدوين التاريخ استمر بالاتجاهات السابقة، رغم عدد من المظاهر والتغيرات، أبرزها ما طرأ على الصلة القائمة بين كتابة السير(التراجم) وبين التاريخ السياسي وعلى المصنفات التي تناولت التاريخ العام، وذلك بسبب عودة ظهور المؤرخ العالم (الفقيه، المُحدث، ...) إلى جانب المؤرخ الرسمي، وانتقال مركز النشاط في التدوين بالعربية من العراق إلى الشام ومن ثم إلى مصر^١.

أولاً: كتابة الحوليات

كانت الظاهرة الرئيسية في كتابة الحوليات في مستهل هذه الفترة، هي إحياء التاريخ العالمي (الذي يبدأ بخلق العالم)، أو التاريخ العام(الذي يبدأ بظهور الإسلام) وهو الأكثر شيوعاً. وبذلك عادت النظرة القديمة الإنسانية للتاريخ على أنه حوليات للمجتمع البشري، رغم أنه لم يجر أي بحث جديد للقرون الأولى، وتبدو نظرة المؤرخين العملية واضحة في جهودهم للجمع بين تواريخ التراجم والسير والتواريخ السياسية ومثال ذلك ما تم عمله في بعض التواريخ المحلية السابقة كتاريخ دمشق لابن القلانسي^٢.

كان ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) من أعيان دمشق، مؤرخاً أديباً وشاعراً، له عناية بالحديث والفقه والحساب واللغة الفارسية، وعمل كاتباً ورئيساً لديوان الرسائل (الإنشاء)، وديوان الخراج مرتين، وهذا مكنه من الاطلاع على الكثير من الرسائل والأوراق الرسمية، وشابه أهل عصره بالاهتمام بالصنعة والمترادفات بالكتابة، لكنه لم يسرف فيها مثل العماد الأصفهاني وسواه^٣.

وضع ابن القلانسي كتابه " ذيل تاريخ دمشق"، وجمع فيه بين الحوليات القائمة على التراجم والحوليات السياسية و غطى به حوادث السنوات التي عاصرها (٤٤٨ - ٥٥٥هـ/

^١ H.A.R. Gibb, Ency, of Islam, suppl; p, 240

^٢ Ibid., p, 240.

^٣ ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) تاريخ دمشق (المشهور بذيل تاريخ دمشق)، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، ط/١، دمشق، ١٩٨٣م، مقدمة المحقق، ص (ك، م، ن). النبراوي، مناهج البحث، ص ١٢٧-١٢٩. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٢٣٦ - ٢٣٧. عمار، جمال فوزي محمد، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، دار القاهرة، ط/١، ٢٠٠١، القاهرة، ص ٢١٩-٢٢١.

كما تضمن الكتاب ايضاً حوادث السنوات بين عامي (٣٦٠-٤٤٧هـ / ٩٧٥-١٠٥٦م)، وهي نفس الفترة التي كتب فيها ثابت بن سنان تاريخاً لمصر والشام، انتهى به حتى سنة وفاته (٣٦٥هـ / ٩٧٥م)، وجاء بعده هلال بن محسن الصابئ وكتب مذيلاً عليه وقف به حتى سنة وفاته (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م).^١

ربما اعتمد ابن القلانسي على مذيّل هلال بن الصابئ، رغم اختلاف المنهج في الكتابة، فكتاب الصابئ تاريخ عالمي، بينما تاريخ ابن القلانسي تاريخ محلي وقفه على دمشق، ومع ذلك فإنه تناول فيه أخبار الدولتين العباسية والفاطمية، ودول المغرب الأقصى، والسلاجقة والحروب الصليبية الأولى والثانية، فهو يعتبر تاريخ حولي للتاريخ الإسلامي مع التركيز على دمشق حيث قدم صورة واضحة للحياة فيها خلال هذه الفترة^٢، وهذا ما اعتبره جيب بنظرة المؤرخين العملية.

ويعتبر ابن القلانسي أقدم مؤرخ تعامل مع حوادث الحروب الصليبية بشكل مباشر^٣ وأرخ في كتابه لقرنين من الزمن في فترة كانت كثيرة الحوادث، وجاءت أهمية كتابه في أنه أصبح المصدر الوحيد لمن جاء بعده ممن كتبوا عن الحروب الصليبية الأولى مثل سبط ابن الجوزي وابن الأثير وأبو شامة وابن شداد.^٤

لقد تميزت معلومات ابن القلانسي بأنها مستمدة من مصادر أصلية من خلال اتصالاته برجال ديوان الرسائل ومن الروايات الشفوية التي كان يستقيها من شهود عيان ثقافت، ورغم عدم إشارته لأية وثائق فإن استخدامه صيغة الفعل المضارع غالباً تدل على أنه أخذ مادته من الوثائق.^٥

ويذكر ابن القلانسي أنه رتب كتابه على نظام الحوليات وذكر مصادره ومنهجه بقوله: " قد انتهيت في شرح ما شرحت من هذا التاريخ، ورتبته وتحفظت من الخطأ والخلل والزلل فيما علقته من أفواه الثقافت، ونقلته وأكدته الحال فيه بالاستقصاء والبحث إلى أن صححته سنة أربعين وخمسمائة"^٦ . و

^١ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، مقدمة المحقق ص ، (ص،ع). مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٢٣٨-٢٣٩. محمد حلمي محمد أحمد، مؤرخو العرب والإسلام، بحث بعنوان : ملاحظات حول أعمال التاريخ العربية خلال الفترتين الزنكية والأيوبية (٥٢١-٦٤٨هـ / ١١٢٢٧ - ١٢٥٠م)، ص ١٣٦-١٣٧. عمار، المؤرخون في بلاد الشام، ص ٢٠٤.

^٢ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، مقدمة المحقق، ص (ص،ع). سامي الدهان، أعمال التاريخ المحلية في بلاد الشام، ص ١٨٠ - ١٨١. ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام، عمار، المؤرخون في بلاد الشام، ص ٢٠٤-٢٠٥.

^٣ غابرييلي، فرانسيسكو، بحث بعنوان " أعمال التاريخ العربية للحروب الصليبية"، ص ١٥٩-١٦٠، ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام. عمار، المؤرخون في بلاد الشام، ص ٢٢٥.

^٤ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، مقدمة المحقق، ص (ع،س). غابرييلي، أهمل التاريخ العربية للحروب الصليبية، ص ١٥٩-١٦٠.

^٥ النبراوي، منهاج البحث، ص ١٢٧-١٢٩.

^٦ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، مقدمة المحقق ص(س). عمار، المؤرخين في بلاد الشام، ص ٢٠٦، ٢٠٨-٢١٥.

يعتبر تاريخ ابن القلانسي و تاريخ ابن العديم تاريخاً متكاملأ لأهم إمارتين في بلاد الشام خلال الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام.^١ وهذا ما أشار له جيب بجهود العلماء للجمع بين السير والتراجم والتواريخ السياسية.

أ: حوليات التراجم والحوادث.

ويستمر جيب في حديثه عن الجمع بين التراجم والحوادث السياسية، بأن نسبة أحد العنصرين للآخر في المصنّف الواحد تتفاوت تبعاً لإهتمام المؤلف، فبعضها تغطي عليه التراجم/أخبار الوفيات على الحوادث السياسية إلى حد اقتصارها على بضعة عبارات لا رابط بينها كما هو الحال عند: ابن الجوزي، والذهبي و ابن دقماق. بينما العكس تماماً نجد الحوادث السياسية تغطي على الوفيات كما في الكامل لابن الأثير^٢

إن إشارة جيب الى طغيان التراجم في المصنفات أعلاه صحيحة أما قوله باقتصار الحوادث السياسية فيها على جمل مقتضبة لا رابط بينها فهو مبالغ فيه وليس دقيقاً، لأن هذه المصنفات وضعت أصلاً كتواريخ عالمية/ عامة كان فيها التركيز على التراجم كما أشار مصنفوها، ويتضح ذلك من خلال دراستها.

منها كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) "المنتظم في تواريخ الملوك والامم" الذي يعتبر من أشهر مصنفته التي بلغت (٣١١) ثلاثماية وأحد عشر، كما أحصاها حفيده سبط ابن الجوزي، وجاء بعضها في عدة مجلدات.^٣ فهو يُصنّف كتاريخ عالمي، و موسوعة ثقافية ومعجماً في التراجم التي بلغ عددها (٤٣٣٠) ترجمة) أربعة آلاف وثلاثماية وثلاثين ترجمة، سار فيه على منهج المحدثين البعيد عن الصنعة والتكلف، و استخدم الإسناد في رواية الأخبار.^٤

ويوضح ابن الجوزي ذلك بقوله: "فإني رأيت النفوس تشرب إلى معرفة بدايات الأشياء، وتحب سماع أخبار الأنبياء، وتحنُّ إلى مطالعة سير الملوك والحكماء. وترتاح إلى ذكر ما جرى للقدماء، ورأيت المؤرخين يختلف مَقَادهم في هذه الأنباء... فأثبت بهذا الكتاب الجامع لغرض كل سامع".^٥ ويبدأ بذكر

^١ النبراوي، مناهج البحث، ص ١٢٧-١٢٨.

^٢ H.A.R. Gibb, Ency, of Islam, suppl; p, 240

^٣ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، "المنتظم في تواريخ الملوك والامم"، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (د/ط)، بيروت، ١٩٩٥، ج/١، مقدمة المحقق ص (هـ). مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ١٠٨. بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٢٤٤-٢٤٥.

^٤ ابن الجوزي، المنتظم، ج/١، المحقق ص (ح،خ).

^٥ المصدر نفسه، ج/١، ص ٥.

الدليل على وجود الخالق وأول المخلوقات ثم ذكر آدم وأولاده والحوادث إلى زمان النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويتدرج في ذكر الأخبار والحوادث إلى عصره على النظام الحولي^١.

ويصف كتابه و يُبين منهجه وأسلوبه فيه بقوله: " فإذا أنهينا ذكر المهم من الحوادث والحالات في كل سنة، ذكرنا من مات من الأكابر وتعرض بذلك الجرح والتعديل... فقد اجتمع في كتابنا هذا ذكر الأنبياء والسلطين والأحداث والمحدثين، والفهاء والمحدثين، والزهاد والمتعبدين من الشعراء والمتأدبين، وفي الجملة جميع المتميزين من أهل الخير والشر أجمعين، فكان الكتاب مرآة يرى فيها العالم كلّه، والحوادث بأسرها... قد انتقى كتابنا نقي التواريخ، وجمع محاسن الأحاديث والأخبار اللائقة بالتواريخ^٢.

و أدخل تعديلاً على المنهج الحولي بحيث طبق تقسيماً فرعياً للحوادث اتبع فيه نظام العقود على معظم كتابه واستمد ذلك من السيرة النبوية، وبذلك ربط بين التاريخ وأدب الطبقات والتراجم^٣. لم يأت ابن الجوزي بجديد لكنه انفرد بأنه كان الوحيد الذي أرخ وترجم بشكل منتظم ومتسلسل للمسلمين من حكام، ورجال فكر ودين وأدب ومهن مختلفة بشكل نموذجي وغطي حقبة ستة قرون حتى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م^٤.

أما كتاب الذهبي (ت ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)، تاريخ الإسلام، الذي تميّز فيه عن سبقه من المؤرخين مثل تاريخ بغداد و تاريخ دمشق الكبير، وكتابه سير أعلام النبلاء، بوجود تراجم لا وجود لها من المشاهير وغير المشاهير، رغم تقدمهم عليه في الزمن، وكذلك أشار إلى روايات الصحابة والتابعين وتابعيهم، فضلاً عن تفوقه بعدد التراجم والأحداث الحولية^٥.

تناول الذهبي في مصنفه التاريخ الإسلامي منذ بدء الهجرة حتى سنة ٧٠٠هـ فهو تاريخ عام جمع فيه مادة ضخمة واسعة عبر نطاق الزمان والمكان من الأندلس إلى أقصى الشرق الإسلامي شملت الحوادث الرئيسية، وتعاقب الدول. وضمنه مادة واسعة في التاريخ السياسي والإداري، انتقاه من مصادر كثيرة ضاع معظمها كما اعتنى بذكر الأحوال الاقتصادية وما طرأ عليها من تطورات بشكل عام^٦.

^١ ابن الجوزي، المنتظم، ج/١، ص ٦-٧.

^٢ المصدر نفسه، ج/١، ص ٨.

^٣ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٩٨-١٩٩.

^٤ ابن الجوزي، المنتظم، ج/١، المحقق ص (ح).

^٥ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق محمد عبد السلام تدمري، دار الكتب المصري، ط/٢، بيروت، ٢٠٠٨م، ج/١، ص (ب) مقدمة التحقيق.

^٦ معروف، بشار عواد، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط/١، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١١-١٣. انظر: شنب، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٥، مادة الذهبي، ص ٤٥٦٢-٤٥٦٦.

ويصف لنا منهجه وأسلوبه بقوله: " فهذا كتاب نافع... جمعته و تعبت عليه، واستخرجته من عدة تصانيف، يعرف به الإنسان مهم ما مضى من التاريخ من أوائل تاريخ الإسلام، إلى عصرنا هذا من وفيات الكبار... ومعرفة طبقاتهم... وبعض أخباره بأخصر عبارة، وألخص لفظ، وما تم من الفتوحات المشهورة والملاحم المذكورة... " ^١.

ركزَ الذهبي في مصنفه على أخبار الوفيات بقوله: " ولم يعتن القدماء بضبط الوفيات لما ينبغي، بل اتكلوا على حفظهم ، فذهبت وفيات الأعيان من الصحابة ومن تبعهم... فكتبنا أسماءهم على الطبقات تقريباً، و بلغ عدد التراجم حوالي (٤٠،٠٠٠ ترجمة) أربعين ألف ترجمة شغلت حوالي ٨٥% من حجم الكتاب^٢، بينما شغلت المادة التاريخية حوالي ١٥% من الكتاب منها المجلد الأول كاملاً خصصة للفترة المدنية^٤. من حياة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهذا يعادل سدس (٦/١) حجم الكتاب تقريباً وليست مقتصرة على بضعة عبارات لا رابط بينها حسب تعبير جيب .

وقدم لنا الذهبي حتى من خلال تراجمه مادة تاريخية قيمة حول تطور الفكر الإسلامي على مدى سبعة قرون، وكشف عن ملامح الحياة الثقافية والتعليمية ومراكزها على مر العصور ومراحل ازدهارها واضمحلالها في كل مرحلة، واتجاهات العلماء الدراسية، واهتماماتهم العلمية وأسماء المصنفين ومؤلفاتهم^٥.

ويمثل كتاب ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ / ٤٠٦م) نزهة الأنام في تاريخ الاسلام" نموذجاً للتاريخ المحلي الحولي، وإن كانت تراجم الوفيات تحتل نصف حجمه تقريباً، فقد تناول فيه الحوادث والأخبار التاريخية خلال الفترة (٦٢٨- ٦٥٩ هـ / ١٢٣٠-١٢٦١م) في مصر والشام والعراق، وقدم لنا صورة عن الصراع بين ملوك وأمراء الأسرة الأيوبية في مصر والشام، والتهديدات الخارجية الصليبية التي تمثلت باحتلال مدن الساحل السوري، وحملة لويس التاسع على دمياط (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م). وغزو التتار وتدميرهم لبغداد (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م).^٦

^١ الذهبي، تاريخ الإسلام^٢، ج/١، ص ٤-٥. معروف، الذهبي ومنهجه، ص ٣٣٧-٣٤٤.

^٢ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦.

^٣ معروف، الذهبي ومنهجه، ص ٢٢.

^٤ المرجع نفسه، ص ٣٠٦-٣٠٧.

^٥ المرجع نفسه، ص ١٣-١٤.

^٦ ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن أيدير العلاني، (ت ٨٠٩هـ / ٤٠٦م)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طيارة، المكتبة العصرية، ط/١، ١٩٩٩م، مجلد/١، ص ٧، ٢٠-٢١.

وتبدو أهمية كتاب نزهة الأنام في أن مؤلفه عرض فيه لأحداث هامة في تاريخ المنطقة بين نهاية الدولة الأيوبية وظهور دولة المماليك^١ ، وأخذ عن مصادر كان أصحابها معاصرون ومشاركون في أحداث الفترة التي كتب عنها^٢، وأشار لهم بشكل صريح^٣. ورغم بعض المآخذ عليه من عدم الاهتمام باللغة العربية واستخدامه الكثير من الألفاظ العامية، وعدم الدقة في تحري الأخبار، إلا أن العيني والعسقلاني نقلوا عنه بعض الأخبار^٤.

وبهذا يظهر بشكل واضح مبالغة جيب وبعده عن الدقة فيما ذهب إليه من وصفه لهذه المصادر بطغيان التراجم والوفيات على الحوادث السياسية، فكتاب نزهة الأنام تاريخ محلي حولي شغلت الأخبار والحوادث السياسية، نصف حجمه وكذلك المنتظم لابن الجوزي فهو تاريخ عالمي تناول فيه الأخبار والحوادث السياسية من بدء الخليقة حتى عام ٥٧٤ هـ ، و ذكر تراجم الوفيات في نهاية كل سنة وإن أسهب في عددها (٤٣٣٠) أربعة آلاف وثلاثمائة وثلاثين ترجمة. أما تاريخ الإسلام للذهبي الأكثر شمولاً للتراجم (٤٠٠٠٠) أربعين ألف ترجمة فقد، شملت مساحة ٨٥% من الكتاب و ١٥% للحوادث السياسية وهذا بون شاسع بين مساحات الحوادث السياسية في المصنفات المشار لها ، وبين ما ذكره جيب عبارة عن جمل مقتضبة لا رابط بينها. إضافة لذلك فإن التراجم بحد ذاتها وأخبار الوفيات تتضمن معلومات يُستخلص منها مادة تاريخية قيّمة حول تطور المجتمع الإسلامي في كافة مناحي الحياة.

ب: حوليات الحوادث السياسية.

يعتبر كتاب ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) " الكامل في التاريخ " نموذجاً لطغيان الحوادث السياسية على التراجم والوفيات. وهو عكس التراجم السالفة الذكر. حاول فيه ابن الأثير عرض التاريخ بطريقة أقل جموداً بجمعه حوادث المواضيع في إطار حولي، ورغم بعض العيوب في معالجته لمواد كتابه إلا أن حيوية الكتاب وروعته جلبتا له شهرة عاجلة وأصبح مرجعاً للمؤلفين المتأخرين^٥.

جمع ابن الأثير (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) في كتابه " الكامل" بين الحوادث السياسية والتراجم، فهو تاريخ عالمي موسوعي ركز فيه على الحوادث السياسية وذكر في مقدمته سبب تأليفه له وهو حبه لمطالعة كتب التاريخ. والمعارف والآداب، ويبيدي رأيه فيها بقوله: " فلما تأملت رأيها متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة فيها يستحيل إلى العرض، فمن بين مطول ... ومختصر ... فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات، وأرّخ كل منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه وأضاف المتجددات بعد تاريخه إليه،

^١ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ٢١-٢٢.

^٢ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ٣١-٣٤.

^٣ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ١٧-٢٠.

^٤ بيدرسن (J.Pedersen) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مادة ابن دقماق ، ص ٢٧٩-٢٨٠.

^٥ H.A.R. Gibb, Ency, of Islam, suppl; p, 240

والشرقي منهم أخلّ بذكر أخبار الغرب، والغربي قد أهمل أحوال الشرق" ^١، "... فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب... ليكون تذكرة أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا، ولا أقول أنني أتيت بالحوادث المتعلقة بالتاريخ... ولكن أقول أنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد..." ^٢.
ويذكر أنه اعتمد فيه على الطبري خاصة في أخبار وحوادث القرون الثلاثة الأولى... " فنقلتها وأضفت عليها من غيره... " وأنه رتبته على الموضوعات، وذكر الحوادث الكبيرة المشهورة في كل سنة وترجم للوفيات فيها. ثم يتحدث عن الفوائد الدنيوية والأخروية من تصنيف التاريخ ^٣. وأصبح ابن الأثير مرجعاً لمن جاء بعده خاصة فيما يتعلق بأخبار التاريخ الإسلامي، لما اتسم به من الدقة والتحري، ونقده لمصادره و ترجيحه للروايات ^٤.

ثانياً: دراسة جيب للمصادر العربية.

على الرغم من إعجاب جيب بابن الأثير كمؤرخ والتنويه بأهمية كتابه " الكامل" من حيث المحتوى والأسلوب و حيويته التي اكسبته شهرة مبكرة، وأنه أصبح مصدراً مشهوراً لمن جاء بعده، إلا أنه أشار إلى بعض المآخذ عليه والعيوب في طريقة تناوله لبعض مواد كتابه ^٥ دونما أي توضيح أو إشارة لماهية هذه العيوب أو المآخذ أو بيان الموضوع أو الفترة الزمنية، سيما وأن كتاب "الكامل" تاريخ عالمي تناول فيه ابن الأثير الحوادث من بدء الخليقة حتى سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م).

أ- المصادر العربية لحياة صلاح الدين

ويبدو أن هذا الرأي مبني على دراستين مستقلتين لجيب حول المصادر العربية الأولى بعنوان: " المصادر العربية لحياة صلاح الدين" " Arabic sources for the life of saladin " تناول فيها خمسة مصادر عربية هي مصنفات كل من : عماد الدين الأصفهاني/ البرق الشامي والفتح القسي، وأبو

^١ ابن الأثير، أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، مجلد/١، ص٥-٦.

^٢ ابن الأثير، الكامل، ج/١، ص ٦.

^٣ المصدر نفسه، ج/١، ص ٩-١١.

^٤ انظر: العزاوي، عباس، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة والطباعة، (د/ط)، بغداد، ١٩٥٧، ج/١، ص ٣٠-٣٥، ٤١-٤٣. عمار، جمال فوزي محمد، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، دار القاهرة، ط/١، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٦٤-٦٦، ٧٤-٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٨. مصطفى، شاكرا، التاريخ العربي، مجلد/٢، ١١٣-١١٤.

^٥ H.A.R Gibb, Ency of Islam, Suppl, p, 240.

شامة/الروضتين، وابن شداد / النوادر السلطانية، وابن الأثير، الكامل.^١ وابن أبي طي والثانية بعنوان: " ملاحظات على المصادر العربية لتاريخ الحروب الصليبية المبكرة " Notes on the History of " the early Crusades"^٢.

أما دراسة جيب الأولى المصادر العربية لحياة صلاح الدين، فاهم ما جاء فيها مقارنة المصادر وتحليل الروايات والنتائج في فترة صلاح الدين .

مقارنة المصادر:

يذكر جيب أن المؤرخون الذين قاموا بدراسة حياة صلاح الدين أجمعوا على مصدرين عربيين في المنزلة الأولى هما: ابن شداد في النوادر السلطانية، وابن الأثير في الكامل^٣، ومصدرين آخرين في المنزلة الثانية هما: أبو شامة في كتابه الروضتين، وعماد الدين الأصفهاني في الفتح القسي^٤.

ويضيف جيب أن ابن الأثير اشتهر لقرون عديدة كأحد أعظم مؤرخي الإسلام، وتعتبر مؤهلاته وجدارته معتمدة ومقبولة، فقد عاصر صلاح الدين وله موقف مشهور بتحامله عليه. ومع التماس الأعذار له في موقفه هذا فإن روايته حظيت بالقبول بشكل عام، لكن هذه النظرة (السابقة من المستشرقين لابن الأثير) لا يمكن الاحتفاظ بها بعد الآن نتيجة هذه الدراسة^٥، (المقصود دراسة جيب للمصادر العربية لحياة حياة صلاح الدين).

- ويظهر من المقارنة أن كتاب الروضتين لأبي شامة عبارة عن ملخص لكتاب ابن أبي طيء (ت١٢٣٥م) (المعاصر لابن الأثير) وكتابي العماد الأصفهاني: الفتح القسي بشكل خاص، والبرق الشامي بدرجة أقل^٦. وقد أثر كتاب الروضتين على تداول كتاب البرق الشامي الموجود منه حالياً من

^١ H.A.R.Gibb " Arabric Sources For The Life of Saladin" Speculum

(Cambridge,Mass,1950) Bulletin,Vol.XXV.ni.P,P,58-72. لم يتمكن/ الباحث من العثور على نص هذه

الدراسة باللغة الانجليزية، انما وجد لها ترجمة باللغة العربية ضمن عدة مقالات لهاملتون جيب مترجمة ومجموعة في

كتاب بعنوان " صلاح الدين الايوبي" دراسات في التاريخ الاسلامي، تحرير يوسف إبيش، R.Gibb, Studies on The

H.A. CiviLization of IsLam . p,p, 91-94

^٢ H.A.R.Gibb,Notes on the History of the Early Cruades,Bulletin of the School of oriental .Studies,Vol, VII, 1933-1935,p.p 739-754.

^٣ جيب، هـ.ا.صلاح الدين الايوبي، دراسات في التاريخ الإسلام، تحرير يوسف إبيش، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط/٢، بيروت، ١٩٩٦، ص ٦٩.

^٤ جيب، صلاح الدين، ص ٧١-٧٢.

^٥ جيب، صلاح الدين، ص ٧٠.

^٦ المرجع نفسه، ص ٧١.

المجلد الثالث حوادث السنوات ٥٧٣-٥٧٥ هـ ، وجزء من المجلد الخامس حوادث السنوات ٥٧٨-٥٨٠ هـ^١.

ويشير جيب أنه أمكن التعرف على النص الأصلي لكتاب البرق الشامي من منتخبات أبو شامة وكتاب الفتح القسّي، وهذا يدل على أن تاريخ عماد الدين الأصفهاني، ليس تاريخاً عادياً لرواية الأحداث، إنما هو مفكرة مهنية (تحتوي على الكثير من الوثائق الرسمية) وسجلاً لنشاطات المؤلف الكتابية ذات الخصائص الأدبية المتنوعة، كما أنها عرض زمني للحوادث من شاهد عيان كان مرافقاً لصلاح الدين^٢.

ويستطرد جيب إلى أن إسهاب عماد الدين الأدبي في مصنفاته أدى إلى التقليل من تناولها لصعوبة قرائتها حتى بالعربية، ورغم ذلك فهناك حقيقة شائعة بين جيل المؤرخين اللاحقين وهي أنهم أدركوا قيمتها واعتمدوا عليها بشكل واسع ومن أشهرهم ابن الأثير في كتابه الكامل. ويصعب تحديد مدى اقتباسات كل منهم لأن ذلك يتطلب عملاً طويلاً^٣.

أما تحليل الروايات فقد توصل جيب بعد تحليل ومقارنة الروايات للسنوات (٥٧٣ - ٥٧٥ هـ، و ٥٧٨-٥٨٠ هـ)، في كتابي الكامل والبرق الشامي إلى أنها مُتطابقة في المعنى والمضمون مع تفصيلات أكثر في البرق الشامي، وما يمنع الجزم أن ابن الأثير أخذها من البرق الشامي هو أنه قدمها بلغته الخاصة، وأدمج أكثر من حادثة في رواية واحدة^٤.

كما أضاف ابن الأثير ملخصات أبي شامة (التي جاءت مختصرة جداً بمعدل، صفحة في سطر واحد) على روايات عماد الدين، ووظفها بطريقة لإظهار هزيمة صلاح الدين في الرملة^٥، (معركة تل الصافي ٥٧٣ هـ / ١١٩١ م) والتقليل من شأن استيلائه على حلب^٦. وعرضها بطريقة مريبة^٧. وكذلك أبرز أبرز صلاح الدين وكأنه على عدا راسخ في المفاوضات لتسوية الخلافات بين دمشق والموصل^٨.

^١ المرجع نفسه، ٧٣.

^٢ المرجع نفسه، ص ٧٣-٧٤.

^٣ المرجع نفسه، ص ٧٥.

^٤ المرجع نفسه، ص ٧٥-٧٩.

^٥ المرجع نفسه، ص ٧٥-٧٦.

^٦ جيب، صلاح الدين، ص ٨١.

^٧ المرجع نفسه، ص ٨٢.

^٨ المرجع نفسه، ص ٨٣.

يستنتج جيب أن كتاب البرق الشامي هو المصدر الرئيسي لابن الأثير في رواياته عن أعمال صلاح الدين، عرضها بسبك موجز وما أضافه من تفصيلات فهي موجودة في النص الأصلي للبرق الشامي ... وأحياناً كان يقوم ابن الأثير بتعديل عبارات مصدره، أو تحريف معناها بدافع عدائه لصلاح الدين^١.
وأما الروايات عن الحملتين اللتين سيّرهما صلاح الدين ضد حلب في عامي ١١٧٥ و ١١٧٦ وانهزمت فيها جيوش الموصل فإن ابن الأثير لم يروها في كتابه " التاريخ الباهر للدولة الأتابكية"، إنما رواها بطريقة مختلفة في كتابه الكامل^٢. وهناك مقارنات أخرى ذكرها جيب عن حوادث سنوات لاحقة تشير إلى محاولات ابن الأثير لتحويل معاني الروايات ضد صلاح الدين^٣ ولإخفاء هزيمة جيوش الموصل من أهمية انتصار صلاح الدين.

ويصنّف جيب علاقات ومواقف المؤرخين من نور الدين وصلاح الدين كما يلي: خدم عماد الدين الأصفهاني كلاً من نور الدين وصلاح الدين دون تحيّز، بينما يتهم ابن أبي طيء بالشبهة لتشويه سمعة نور الدين لنفية لوالده من حلب، ويعتبر ابن الأثير مذنباً دون ريب لتشويه سمعة صلاح الدين بينما يصف مشاعر بهاء الدين ابن شداد تجاه صلاح الدين بالروح المنتمية لأسرة واحدة^٤.

ويصف جيب عبارات عماد الدين بالدقة وعدم التحيز المبني على انطباعات ذاتية تجاه صلاح الدين، وذلك من خلال مقارنة رواياته مع مصادر أولية ومباشرة مثل وليم الصوري (١١٣٠ - ١١٨٥ م) وأرنول (عاش في القرن الثالث عشر الميلادي) وغيرهم من المؤرخين اللاتين للحملة الصليبية الثالثة، أو بأقوال ابن شداد حيث وجد تطابقاً لدرجة مدهشة بشكل عام وحتى في بعض التفاصيل^٥.

ويعتبر جيب بناءً على ما تقدم أن العماد الأصفهاني مصدر أصلي ومتفرد عن القسم الأعظم من حياة صلاح الدين العامة، ويرى أنه جدير بالاعتماد والقبول على نحو استثنائي لناحيته: معرفته بالحقائق والوثائق، وعرضها وإبرازها بدقة^٦. كما أن ملخصات أبي شامة لكتاب البرق الشامي هي تمثيل أمين لمحتوى الأصل^٧.

أما استنتاجات جيب حول المصادر العربية عن تاريخ صلاح الدين فهو يصنفها ويرتبها حسب الأهمية على النحو التالي: النصوص الأصلية لعماد الدين الأصفهاني، الأجزاء الموجودة من كتاب "

^١ المرجع نفسه ص ٨٤ - ٨٥.

^٢ المرجع نفسه، ص ٨٥ - ٨٦.

^٣ المرجع نفسه، ٨٦-٩٣.

^٤ المرجع نفسه، ص ٩٤.

^٥ المرجع نفسه، ص ٩٤-٩٥.

^٦ جيب، صلاح الدين، ص ٩٥.

^٧ المرجع نفسه، ص ٩٥.

البرق الشامي" ، وكتاب الفتح القسي ابتداء من حوادث سنة ١١٨٧م. سيرة صلاح الدين لابن شداد ابتداء من سنة ١١٨٨م. كتاب الروضتين (ملخصات أبي شامة عن عماد الدين الأصفهاني للسنوات : (٥٦٥هـ / ١١٦٩ وحتى ٥٧٢هـ / ١١٧٦م) ، ومن منتصف عام (٥٧٥هـ / ١١٨٠م وحتى منتصف عام ٥٧٧هـ / ١١٨٢م) ومن منتصف عام (٥٧٩هـ / ١١٨٤م إلى مطلع عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، إضافة لبعض الحوادث ما بين عامي ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وحتى ٥٨٨هـ / ١١٩٢م). والتكلمة من منتخبات ابن أبي طي^١. ويتضح من ملخص دراسة جيب لمصادر حياة صلاح الدين أن مأخذه على ابن الأثير تنحصر في الروايات المتعلقة بحياة صلاح الدين فقط، ويلاحظ أنه استبعده كأحد مصادر حياة صلاح الدين وليس كمؤرخ أو جميع مصنفاته، وقد تأثر بهذه الانتقادات عدد من الباحثين المحدثين مثل غابرييلي^٢ ، وروزنتال^٣ ، ومحمد حلمي محمد^٤ ، رغم إشادتهم بابن الأثير وكتابه الكامل.

ب: ملاحظات على تاريخ الحروب الصليبية المبكرة

وهي دراسة جيب الثانية: والتي كانت على قسمين سنعرض لها باختصار شديد، جاء القسم الأول بمثابة مدخل للدراسة أشار فيه للأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية السائدة آنذاك بين السنة والشيعية من جهة، والعلاقات بين أمراء الشام والعراق ومصر من جهة أخرى، ويرى أنه في غياب دراسات جادة (من المستشرقين) فمن المبكر أن نصل لاستنتاج محدد، ولكن هناك نقطان تظهران من الحقائق^٥. الأولى - أن مواجهة الصليبيين كانت الفكرة الأخيرة لدى أمراء الشام والعراق في ذلك الوقت . الثانية - السرعة المدهشة التي ألقم فيها الفرنجة أنفسهم مع التقاليد والسياسات السورية^٦ وهو بذلك يمتدح قوات الصليبيين (الفرنجة) كقوة غازية للمنطقة في تثبيت نفسها كقوة فاعلة في منطقة بلاد الشام. ومهدّ جيب للقسم الثاني من دراسته بطرح آراء واستنتاجات عامة منها:

أنه يصعب الوصول إلى استنتاج مؤكد بأن الأحوال السياسية والاجتماعية في سوريا كانت انعكاساً للخلافات السنيّة والشيعية، وأن الدراسة الدقيقة للمصادر المعاصرة (رغم قلة عددها) أدت إلى انطباع بأن جميع المؤرخين للحروب الصليبية بالغوا كثيراً في أهميتها في سوريا خاصة الحملات الأولى وفي العصور اللاحقة. كما وجد المؤرخون الغربيون في الاختلافات الدينية دليلاً لفهم السياسات الشرقية

^١ المرجع نفسه، ص ٩٦.

^٢ غابرييلي، اعمال التاريخ العربية، ص ١٦٤.

^٣ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٠٠-٢٠٤.

^٤ محمد حلمي، الفترتين الزنكية والايوبية، ص ١٤٢ - ١٤٤.

^٥ H.A.R.Gibb, Notes on the History,(BSOS) VOL.VII, 1933- 1935, ,p 739-742.

^٦ H.A.R.Gibb, Notes on the History , (BSOS),p 742-743.

واستخدموه كوسيلة عامة للتنافس السياسي في المنطقة. واستحوذ النزعة ضد الفاطميين على ابن الأثير والمؤرخين الآخرين للفترات الأيوبية والمملوكية^١.

ويذكر جيب أن المستشرقين تركوا القسم الثاني من أبحاثهم وهو الاختبارات النقدية للمصادر العربية، لأن كل مؤرخ (مستشرق) للحروب الصليبية كان يستخدم كتاب الكامل لابن الأثير كمصدر عربي رئيسي، وقبلت رواياته من خلال كمال الدين ابن العديم مؤرخ حلب، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، وبعد اكتشاف تاريخ دمشق لابن القلانسي تغيرت الحالة تماماً، فإبن القلانسي كان معاصراً للحوادث ونقلها كشاهد عيان، بينما ابن الأثير ومن خلال عقلية مختلفة جداً في القرن الثالث عشر وعرض الحوادث من وجهة نظر دمشق، وفيما بعد عرضها بشكل أوسع من وجهة نظر الموصل^٢.

ويضيف جيب أن النقطة الأهم لغرضنا الحاضر أن ابن القلانسي هو أحد المصادر الرئيسية لابن الأثير (وهو الوحيد الذي عرف لحد الآن هذه الفترة) وأن مقارنة روايتين تمكنا من التحقق من أسلوبه في جمع المعلومات، والفحص لدرجة معينة ودرجة الدقة في معلوماته في هذا الجزء من تاريخه^٣.

قام جيب بدراسة ومقارنة لروايات محددة تتعلق بحوادث سنوات معينة أخذها ابن الأثير نقلاً عن ابن القلانسي وعرضها بشكل مختلف وقارنها مع ابن العديم وتوصل لملاحظاته على ابن الأثير وهي كما يلي :

سببقى ابن الأثير مصدراً رئيسياً، لأن مجال كتابته أوسع من تاريخ دمشق وتاريخ حلب، وتفوقه واضح عند مقارنته مع مؤرخي عصره، ولديه نزعة وميل للاعتماد على التجربة والاختبار مثل باقي أدباء العصور الوسطى الإسلامية، لكن لا يمكن الاعتماد عليه في تفاصيل الحقائق التاريخية أو تفسيرها ويجب أن يستخدم دائماً بحذر^٤.

يذكر جيب أنه يستحيل إجراء تحليل مطول بسبب محدودية الأدوات والمقالات التي ستعرض في الفقرات اللاحقة لفحص فقرات نموذجية باختصار لإظهار كيف أن أساليب ابن الأثير يمكن أن تؤدي إلى تضليل أو معلومات مشبوهة تتصل بعمل ابن العديم حول النقطة نفسها. فهو يخفي في كثير من الأحيان أجزاء وعناصر من الرواية الأصلية، وأحياناً يستخدم الباقي ليدعم تفسيراً غير صحيح^٥ ويُدلل جيب على ذلك بمثالين:

^١ Ibid., p 743 .

^٢ Ibid., p 745.

^٣ Ibid.,p746.

^٤ H.A.R.Gibb, Notes on the History , (BSOS), ,p746 .

^٥ Ibid., ,p746.

الأول- حادثة استعادة الأمير سكرمان بن أرتق لمدينة سروج (قرية وبلدية في منطقة سلمية في محافظة حماة في سورية تقع على بعد ١٨ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة السلمية) من الفرنجة (٤٩٤ هـ/ ١١٠٠ - ١١٠١ م)، والتفاوت بين نص رواية ابن القلانسي وعرض ابن الأثير لها بطريقة مشوهة لأنه لم يجد في مصادره ما يعتمد عليه في تفسيرها وربط استعادة سكرمان لسروج بسبب احتلال الصليبيين للرها فيما مضى.^١

الثاني- هو تكرار ابن الأثير لتغيير تواريخ ابن القلانسي (ودائماً يخطئ فيها) وهذا يطرح تساؤلاً من الصعوبة الإجابة عنه في الوقت الراهن، فهو أحياناً يغيّر النغمة في الجملة وشبه الجملة (بحيث تؤدي المعنى الذي يريده) ومثال ذلك في روايته عن ابن القلانسي في حادثة احتلال الصليبيين لطرابلس عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م والتي اقتبسها بحرية من ابن القلانسي.^٢

ويضيف جيب أن يبدأ ابن الأثير بالخطأ بزمن الرواية (الحادثة) فيذكرها عام ٥٠٣هـ بدلاً من ٥٠٢هـ ، ويغير صيغة النص بأن سبب سقوط طرابلس هو تأخر الأسطول المصري عن تقديم الميرة والنجدة لأهل طرابلس لأكثر من سنة بسبب اختلاف القيادة الفاطمية حول إرسال الأسطول (والمقصود بالإتهام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الذي أعاق تجهيزه بسرعة) إضافة إلى أن الرياح لم تمكن الأسطول من الوصول إلى طرابلس في الوقت المناسب.^٣

وينوه جيب أن ابن القلانسي أشار في روايته ضمناً أن المؤونة للأسطول ولمدينة طرابلس لم تكن متوفرة في المستودعات المصرية حتى موسم الحصاد في ربيع عام ١١٠٩م. وهذا تجريم للحكومة المصرية بسبب الانحياز ضد الفاطميين وتبدو عبارة ابن الأثير حول سقوط طرابلس في تموز ١١٠٩م غير صحيحة لأن الأسطول المصري كان في آب ١١٠٨م في المياه الإقليمية السورية وقدم مساعدة جيدة لمدينة صيدا ساهمت في صد أسطول سفن إيطالي صغير، هاجم صيدا وأنقذ المدينة ويفترض أنه مؤن المدينة، ثم عاد لمصر أواخر خريف ١١٠٨م. وعندما عاد في عام ١١٠٩م لنجدة طرابلس حالت الرياح دون وصوله لمدينة طرابلس المأخوذة من مصادره المكتوبة البديلة ويبدو أن ابن الأثير أخذ هذه القصة الخيالية من مصادره المكتوبة البديلة المأخوذة عن مصدر إخباري شفوي معاصر في الموصل^٤، كما يزعم جيب .

ويصف جيب أن جمع ابن الأثير أحياناً لعدة أمور ليس مترابطاً وأحياناً تواريخها مختلفة بالخداع وتقديم أفكار خاطئة ومبالغ فيها سواء أكان ذلك عن قصد أو غير قصد مثل تعقيبه على حادثة احتلال

^١ Ibid., p747.

^٢ Ibid., p747.

^٣ H.A.R.Gibb, Notes on the History , (BSOS), p747-748 .

^٤ Ibid., p 748

تانكرد (Tancred) لمدينة الأثارب (بلدة تقع غرب مدينة حلب) سنة ٥٠٤ هـ/ كانون الأول ١١١٠م بتضخيمه لمخاوف المسلمين وقناعتهم من احتلال الصليبيين لكامل سوريا مما دفعهم لتوقيع (٤) اتفاقيات هدنة ودفع الجزية للصليبيين وذكر أسماء الأمراء والمبالغ المفروضة على كل منهم.^١

ويرى جيب أن هذا الأمر غير صحيح بالنسبة للوقت والاتفاقيات الأربع التي ذكرها ابن الأثير هي واحدة فقط بين رضوان صاحب حلب وتانكرد وبعد احتلاله للأثارب، والاتفاقيات الثلاثة الأخرى كانت في أوقات وتواريخ سابقة وتجميع ابن الأثير لهذه المعلومات في رواية واحدة وعقب احتلال تانكرد للأثارب هو مبالغة في تعظيم انتصار تانكر وإعطاء فكرة خاطئة عن حقيقة الأوضاع في سوريا.^٢ ويذكر جيب أن ابن الأثير اعتاد أن يضيف لمعلومات مصادره صوراً رائعة وحكايات نادرة، بعضها محتمل أنه مبني على حقيقة، ولكن الأغلب يحتمل أنه يخدم الاختصار في جملة قوية لتوضيح وجهة نظره في الحالة المعروضة وأمثلة ذلك.

المثال الأول: رواية ابن القلانسي عن سفارة ملك الروم في شهر كانون ثاني عام ١١١١ م. وكان يشجعه فيها على محاربة الصليبيين، وروايته عن حادثة تظاهر اللاجئين (من حلب إلى بغداد) في بغداد ضد السلطان والخليفة في شباط ١١١١م يطالبونهما بحرب الصليبيين، وإضافة ابن الأثير على رواية ابن القلانسي... قالوا: " (أهل حلب للسلطان)... ألا تتقي الله أن يكون ملك الروم أكثر منك حمية للإسلام حتى قد أرسل إليك سفارة في جهادهم... " ^٣.

ويعقب جيب أن إضافة ابن الأثير واضحة وتعكس ما في خياله المثير، ويحتمل أنه لا يوجد تحريف كبير في الحقيقة التاريخية، إنما براعة ابن الأثير في طريقة عرض الروايات لتعطي انطباعاً في تسلسل الحوادث.^٤

المثال الثاني: رواية ابن القلانسي عن اغتيال مودود في صلاة العيد في المسجد الكبير بدمشق بتاريخ ١٠/٢/١١١٣م، دون تحديد من قام بالاغتيال، كما أورد ابن الأثير رواية ابن القلانسي وأضاف عليها تفاسير بأن الباطنية كانت وراء ذلك بقوله: " .. قال البعض في سوريا أنهم يخافونه فقتلوه"... والبعض قال العكس بأن طغتكين كان يخافه ودفع من قتله " ويعلق جيب بأن هذا التبرير مقبول من مؤرخ يسجل الحوادث من وجهة نظر البلاط في الموصل.^٥

^١ Ibid., p749.

^٢ Ibid., p750.

^٣ H.A.R.Gibb, Notes on the History , (BSOS),p750

^٤ Ibid,p750..

^٥ Ibid.,p ,750.

ويضيف ابن الأثير رواية أخرى: " حدثني والدي قال: كتب ملك الفرنج إلى طغتكين بعد مقتل مودود كتاباً جاء فيه: إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها.. " ^١.
ويعلق جيب بأن القصة لها كل مقومات الإسطورة ومستقاة من الروايات الشفوية في الموصل وهي تنسب لبلدوين (Baldwin)، تخدم غرض ابن الأثير بالتجريم والإدانة دون التعليق عليها بكلماته، وفي باقي الرواية يؤكد الإدانة بالإعتماد على العلاقة بين طغتكين ومودود خلال الحملات السابقة وهذا ما دفع ابن الأثير لتغيير قصة الاغتيال وتكذيب الوصف الدقيق لابن القلانسي في النص الأصلي الذي يؤكد على العلاقة الطيبة مع بعضها بقوله: " كانوا يمشون يداً بيد " ^٢.

يبنى جيب على تلك الأمثلة وغيرها الكثير من الشواهد تساؤلاً مهماً وهو: إلى أي مدى يمكن الوثوق بابن الأثير خاصة عندما يكون المصدر الوحيد في المعلومة؟ ويضيف أنه من المستحيل أن نضع مبادئ عامة، فهو يبدو أكثر ثقة في تعامله مع حوادث في الموصل وجوارها مقارنة مع تلك التي تحدث في أماكن بعيدة. ^٣ وهناك نوع من الحذر المبرر في أخذ عبارته غير الموثقة، والأكثر إثارة وحساسية هي الحاجة الكبيرة لها، وهناك تردد في قبولها مقابل قيمتها. وحالتين ويمكن فحص ذلك باختصار في حالتين على سبيل التوضيح. ^٤

يتناول جيب في الحالة الأولى، روايات لابن الأثير حول هجوم التحالف الصليبي على دمشق في خريف عام (٥٢٣هـ / ١١٢٩ م) ويشير إلى التآمر بين وزير دمشق أبي علي المزديكاني والباطنية وبلدوين الثاني (Baldwin II) وربط ذلك مع رواية أخرى حول الحادثة، وينوّه جيب أنه لا توجد أية إشارة لذلك عند ابن القلانسي، كما يشير إلى صمت ابن الأثير عن بعض المعلومات، ويقارن تلك المعلومات مع المصادر اللاتينية والحوادث في تلك الفترة، ويستنتج أن ما ذكره ابن الأثير مجرد اختراع عاطفي مبني على مذبحه الباطنية في دمشق عام ١١٢٨ ^٥ و يرمي جيب من هذه المقارنة إلى أبرز دور ابن الأثير في التلاعب بعرض الروايات علماً بأنه أخذها عن ابن القلانسي.

ويستعرض جيب في الحالة الثانية عدة روايات أوردها كل من ابن القلانسي وابن العديم ضمن حوادث سنة (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م)، بينما أوردها ابن الأثير مع حوادث عام (٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م)، ويفسر جيب ذلك: حتى يجد ابن الأثير التوظيف المناسب لبطله في الموصل مع حوادث (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) ^٦.

^١ Ibid, ,p751

^٢ Ibid., ,p751.

^٣ H.A.R.Gibb, Notes on the History , (BSOS) ,p751.

^٤ Ibid., ,p751.

^٥ Ibid.,p751-752.

^٦ Ibid., ,p752.

وملخص الروايات أن رجلاً مسلماً (غير محدد الاسم) قام بحملة صغيرة غزا فيها ضواحي الأثارب معرة مصرين (٩ كم شمال حلب) التابعة لأميرة انطاكية أليس (Alice) في فترة نزاعها مع والدها بلدوين، ويعتقد جيب أنهم من جنود نور الدين زنكي أثناء إقامته بحلب وقبل استيلائه على حماة، وقام ابن الأثير بتضخيم نتائج هذه الغزوة في الموصل بمظهر الصراع ضد الصليبيين بطريقة مثيرة.^١ ويذكر جيب إلى أن ابن العديم اعتمد على مصادر أوسع، وأحياناً يأخذ من ابن الأثير ومن ابن القلانسي وعادة بدون إضافات، وهو أقل حساسية من ابن الأثير وأكثر استقامة منه، ومن المحتمل أنه يعتمد عليه أكثر في التفاصيل، وأحياناً يضيف إلى مصادره مع أو بدون إعطاء رأي، ويقدم جيب عدة أمثلة.^٢

وأخيراً يناقش جيب مشكلة كبيرة ومعقدة حول قصة الحصار غير الناجح لمدينة عزاز من قبل المسلمين عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م. واختلاف التواريخ لها فذكرها ابن القلانسي في حزيران ٥١٧ هـ / ١١٢٣ - ١١٢٤ م، وذكرها ابن العديم في كانون ثاني ١١٢٤ م، وبعد مناقشة وتحليل حيثيات الرواية عند المؤرخين الثلاثة ومقارنتها بالأحداث في تلك الفترة يستنتج أنها نقلت بخطأ غير متعمد من حوادث سنة ٥١٩ هـ إلى سنة ٥١٧ هـ.^٣

يختم جيب مقالته بوضع تصوره وتوصيته للمستشرقين بقوله: يتضح من خلال الأمثلة البسيطة حجم العمل المطلوب من نقد تاريخي لنصوص المصادر التاريخية العربية والمواد التي تحت تصرفنا (وهي غير كاملة)، ويجب تخويل العمل بها لمدى موثوق، وهذا النقد واجب، ومن البديهي أن يقوم العرب أنفسهم بأعمال النقد والفحص الدقيق، ولهذا السبب هي ليست عند المؤرخين كالأعمال التي تسقط من أول مرحلة (مثل القضية التي تسقط في المحكمة من أول جلسة) .

لكن المستشرق الذي يملك الأدوات الكافية لهذا الحقل الجديد من النقد العالي لديه القدرة على ذلك لكنه حتى ولو قام بالجزء الخاص به (المصادر الأوروبية عن الحروب الصليبية) سوف لا يكون عمله مرضياً، ولن يكون التوازن التام في تاريخ الحروب الصليبية ممكناً، فالمقصود دعوته للمستشرقين من أجل دراسة المصادر الأوروبية عن الحروب الصليبية، وكذلك دراسة المصادر العربية عن الحروب الصليبية، وذلك لكي تكون الصورة عن الحروب الصليبية واضحة.

^١ Ibid., p753.

^٢ H.A.R.Gibb,(BSOS), Notes on the History,p753

^٣ Ibid.,p,p753-754

توصل جيب في دراسته الأولى عن ابن الأثير الى أن الأهمية التي كان يتمتع بها ابن الأثير لفترة طويلة لم تعد كذلك وأصبح ينظر له على أنه يجب التعامل معه بحذر فيما يخص فترة صلاح الدين، بسبب اكتشاف ابن القلانسي والتغلب على صعوبة الأسلوب الأدبي في كتابات عماد الدين الاصفهاني. وجاءت الدراسة الثانية تشابه الأولى من حيث الغاية وركز فيها على ابن الأثير فهو لا يهتمه بالتحريف، إنما بالخداع لأنه يرى أنه يعرض الروايات، ويخطئ في تواريخ الحوادث ويقدم إضافات وتفسيرات تتلائم مع ميوله، وبناءً على ما توصل له في الدراسة الثانية فإنه يوصي المستشرقين بأن يقوموا بدراسة مصادر الحروب الصليبية اللاتينية والعربية.

يبدو من خلال المنهجية وأسلوب المقارنة والتحليل للروايات الذي سار عليه جيب في النماذج المنتخبة لبعض الحوادث التي أوردها ابن الأثير عن فترة صلاح الدين بأن هناك بعض المآخذ عليه. وللوقوف على الواقع الصحيح وبيان مدى دقة جيب في دراسته والنتائج التي توصل لها، فإن هذا يتطلب دراسة المصادر العربية مدار البحث وبنفس المنهجية والأسلوب الذي سار عليه جيب وهذا يتطلب دراسة مستقلة خارج نطاق هذا البحث.

ثالثاً: النظرة العالمية لكتابة التاريخ .

يذكر جيب أن هنالك ما يسوغ الظن، بأن النظرة العالمية لكتابة التاريخ (يقصد ابن الأثير) قد استمدت بعض الإحياء من إحياء فكرة الخلافة الشاملة، لكن جمهور المؤرخين المتأخرين، بالغوا في احتذاء هذا النموذج، واعتمدوا كثيراً على ابن الأثير مثل مصنفات: ابن واصل، وسبط ابن الجوزي، وابن العبري، وأبي الفداء، وبيبرس المنصوري، وابن كثير، والياضي^١.

إن إيماءة جيب بمسوخ ظني لوجود أثر مستوحى من فكرة إحياء الخلافة الشاملة في النظرة العالمية لكتابة التاريخ في القرن السابع الهجري، قول مبهم. لأن هذا النوع من التدوين كان معروفاً وموجوداً عند المؤرخين العرب والمسلمين منذ القرن الثالث الهجري في مصنفات ابن قتيبة والبلاذري واليعقوبي والطبري وغيرهم، والتي تعبر عن فكرة وحدة تجارب الأمة ومستودع خبراتها، وكانت الخلافة في تلك الفترة قائمة ولها هيبتها^٢.

وربما ما قصده جيب هو عودة ظهور التواريخ العالمية بشكل متزامن مع تبلور وتحقيق فكرة إحياء الخلافة في مطلع القرن السابع الهجري لا سيما بعد أن تضاءلت المصنفات في التواريخ العالمية لفترة أكثر من قرنين ما بين الرابع والسادس الهجري مقابل كثرة المصنفات في التواريخ المحلية السياسية، والحواليات المعاصرة، وتواريخ المدن والأقطار والأسر الحاكمة بسبب الانقسامات السياسية،

^١ H.A.R . Gibb, Ency of Islam, Suppl, p, 240.

^٢ انظر: الفصل الخامس من هذه الدراسة ص ١٥١-١٧٥، ١٥٤-١٧٦.

وضعف مركز الخلافة كمؤسسة لقيادة الدولة في تلك الفترة، ويؤكد هذا التعليل الإضاءة البسيطة التالية عن مركز الخلافة بين الضعف والإحياء.

تعرض مركز الخلافة للتفكك والضعف والإنحلال من جراء سيطرة البويهيين ومن بعدهم السلاجقة على مقاليد الأمور في الدولة، واستقلال بعض الدويلات في المشرق الإسلامي^١ (ما بين القرنين الرابع والخامس الهجريين)، وقد عانى الخلفاء من هذه الأوضاع وتعرضوا للقتل والعزل وتحديد صلاحياتهم حتى مطلع القرن الخامس الهجري، عندما بدأت محاولات استعادة هيبة الخلافة وإحياء مؤسستها في فترة حكم الخليفة العباسي، القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣٠ م) وذلك باستغلال الخلافات بين أفراد الأسرة البويهية^٢.

واستمرت محاولات استعادة هيبة الخلافة حتى ظهرت بوادر الانتعاش بسبب الأوضاع السياسية التي عاشتها بغداد خاصة بعد انتهاء ما عرف بعصر السلاجقة العظام، وتولي خليفة قوي المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩ هـ / ١١١٨-١١٣٥ م)، واستمر الحال مع من جاء بعده من الخلفاء الذين عاشوا فترة صراع مع السلاجقة. حتى تمكن الخليفة العباسي الناصر لدين الله أبو العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله (٥٧٥-٦٢٢ هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٢ م) أن يحسم الصراع لصالح الخلافة، بالقضاء على آخر سلاطين سلاجقة العراق طغرلبيك بن أرسلان (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م)، وأصبح الخليفة لأول مرة منذ عهد المعتصم يباشر حكم البلاد بنفسه ويساعده الأعوان الذين يختارهم هو ولا يفرضون عليه^٣.

ويذكر أن ابن الأثير كان معاصراً لفترة تتويج إحياء الخلافة وشاهد عيان على أحداثها وتبدل الأحوال السياسية والعلاقات بين مؤسسة الخلافة والسلاجقة والدولة النورية والأيوبية في مصر والشام وأتابكة الموصل و دولة خوارزم شاه، ورغم ذلك لم يشر في مقدمة مصنفه بين دوافعه لوضع كتابه إلى تأثره أو الإشارة لحدث هام عاصر أحداثه مثل استعادة هيبة الخلافة وهذا يضعف ما طرحه جيب حول هذه النقطة لأن العرب والمسلمين لديهم هذه النظرة ليس في كتابة التاريخ فحسب إنما من كتب في مصنفات الأخلاق والعلوم والطب والفلك وغير ذلك.

عاش المصنفون الذين أشار إليهم جيب بأنهم تأثروا بابن الأثير في القرنين السابع والثامن الهجريين وصنفوا في التواريخ العالمية والعامة والمحلية وسنتناولهم حسب الترتيب الزمني وهم: سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م)، صاحب كتاب مرآة الزمان في تواريخ الاعيان تحدث في

^١ محمد صالح محي الدين محمد، عودة الروح للخلافة الإسلامية، دار طويق للنشر والتوزيع، ط/١، الرياض، ٢٠٠٤، ص ٥.

^٢ معن علي أحمد المقابلة، إحياء الخلافة العباسية في الفترة من (٥٣٠ - ٦٢٢ هـ / ١١٣٥ - ١٢٢٥ م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، عمان ، الجامعة الأردنية، ١٩٩٩، ص ١٧ وما بعدها.

^٣ محمد صالح، عودة الروح للخلافة، ص ٣٩٣ - ٣٩٥ . مقابلة، إحياء الخلافة، ص ١٧ وما بعدها.

مقدمته عن دوافعه ومنهجه في وضعه لأهم مصنفاته " مرآة الزمان" بقوله: " ... فإن الفطر السليمة، والفكر المستقيمة تستشرف إلى معرفة البدايات، وتشرب إلى إدراك المنشآت ومن تدبّر مجاري الأقدار ... صار كأنه عاصر تلك العصور و باشر تلك الأمور^١ ... وبيّن أن مقاصد الناس مختلفة في إثارة مطالعة سير القدماء، أو الأنبياء والخلفاء والملوك والوزراء أو سير الزهاد وغيرها.

ويضيف ... : " ولما كان الغالب على التواريخ جمع الغث والسمين، والواهي والمبين، والخالي من الفوائد والفرائد... واستخرت الله تعالى في تحرير هذا الكتاب المشتمل على ... فصول الخطاب وفنون العلوم والآداب والسيرة والأنساب .. وخير الكلام ما قلّ ودلّ ... وشرطه أن ابتدئ بما ذكرت في تراجم الأبواب... ثم أتبع ذلك من سيرة نبينا بالحوادث في كل عام ومن توفي من الأعلام والاديان لأنه لا يتوقف على الدليل...^٢."

يعتبر كتاب مرآة الزمان تاريخ شامل يبدأ بالخلقة حتى سنة (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) وأحد المصادر القيمة والهامة عن فترة الزنكيين والأيوبيين والمماليك^٣ بدرجة كبيرة لأنه اشتمل على معلومات مباشرة مستمدة من المعاصرين له مثل: ابن القلانسي، والعماد الكاتب وابن شداد (وجده) أبي الفرج ابن الجوزي، واهتم بتراجم العلماء أكثر من التاريخ السياسي لذلك جاء مصنفه مزيج من التراجم والحوادث السياسية مثل جده ابن الجوزي.^٤

يتصف كتاب سبط ابن الجوزي بالدقة والتحري و غزارة المعلومات، في مرحلة ما قبل الإسلام وهي تشبه ما عند المسعودي، وفي الجزء الإسلامي تتضمن معلومات أوسع بكثير مما قدمه (جده) ابن الجوزي، كما أنه أدرك أهمية وخطورة الأسماعيلية في زمانه، وبذلك يكون ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه الطبري في مصنفه المفصل عن القرامطة^٥.

كما صنّف ابن العبري (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م) كتاباً في التاريخ السياسي أسماه " تاريخ مختصر الدول" أفصح في مقدمته عن محتوى كتابه وغاياته ومنهجه بقوله: " فهذا مختصر في الدول، قصدت في اختصاره الاقتصار على بعض ما أوتي في ذكره اقتصاص إحدى فائدتي الترغيب والترهيب من أمور الحكام والحكماء، خيرها وشرها على سبيل الالتقاط من الكتب الموضوعة في هذا الفن بلغات مختلفة

^١ سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف قزأوغلي(ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق احسان عباس، دار الشروق، ط١، بيروت، ١٩٨٥م، السفر الاول، ص٣٩.

^٢ المصدر السابق، السفر الأول، ص ٤٠.

^٣ محمد حلمي، الفترتين الزنكية والايوبية، ص ١٤٥-١٤٦. غابرييلي، اعمال التاريخ العربية، ص ١٦٧.

^٤ محمد حلمي، الفترتين الزنكية والايوبية، ص١٤٥-١٤٦.

^٥ روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٩٨-٢٠٠. سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص ١٠٣.

سريانية و عربية وغيرها مبتدئاً من أول الخليقة ومنتهياً إلى زماننا، وهو مرتب على عشر دول داولها الله تعالى بين الأمم فتداولتها تداولاً بعد تداول.^١

عاش ابن العبري في فترة ومنطقة كثيرة الاضطرابات والنكبات بسبب الحروب بين الروم والتتار، وكان يهودياً ثم اعتنق النصرانية على مذهب اليعاقبة وأصبح اسقفاً في حلب ثم رئيساً لليعاقبة، وكتب مصنفه بالسريانية ثم ترجمة إلى العربية^٢. وجاء في ٣٠٠ صفحة، تناول في ٩٢ منها أخبار ثمانية دول من آدم حتى ظهور الإسلام وأخبار دولة ملوك العرب والإسلام في باقي الكتاب حتى تدمير بغداد (٦٥٦هـ/ ١٢٢٦م) وأكمل كتابه عن عصور التتار والمغول حتى سنة ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤م.^٣

سرد ابن العبري الأخبار باختصار وعرضها على نظام الدول ثم أتى على ذكر التراجم والوفيات حسب السنوات^٤، وعاصر المغول واتصل بهولاكو الذي أمّن الحماية لطائفته^٥، وكان يخشى بطشهم فيما كتب عنهم لذلك لم يكن محايداً^٦، وانتقده سيجال (Siegal) بقوله: " كان تاريخ ابن العبري ليس مرضياً ويفتقر إلى معايير تماسك الذات والأمانة التي تميّز بها المؤرخون الأقدم منه، وكانت كتابته التاريخية محاولة في الإنشاء باللغة السريانية وقصده إحياء لغة قديمة^٧. واستعان في نسخة كتابه بالعربية على مصادر عربية وفارسية وكتاب عطا ملك الجويني المسمى جهان كشا (تاريخ فاتح العالم - جنكيز خان)^٨.

ويعتبر كتاب ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) "مُفرّج الكروب في أخبار بني أيوب " أهم مصنفاته وهو تاريخ كامل للأيوبيين مع تفاصيل شاملة و دقيقة، خاصة الحوادث التي يرويها في الجزء

^١ ابن العبري، غريغورس أبو الفرج بن أهرون المعروف (بابن العبري) (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، دار الميسرة، (د/ط) بيروت، (د/ت)، ص ١. انظر: بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، " مادة ابن العبري "، ص ٣٣٩-٣٤١. براون، تاريخ الأدب في إيران، ص ٥٩٣-٥٩٤.

^٢ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ١٢١-١٢٢، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ج/٤، ص ٣٢-٣٣. بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٣٤.

^٣ ابن العبري، مختصر الدول، ص ٢. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٣٣.

^٤ ابن العبري، مختصر الدول، ص ٢.

^٥ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٣٣.

^٦ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ١٢٢.

^٧ ج.ب. سيغال (Siegal)، بحث بعنوان: " التواريخ السريانية كمصادر لتاريخ الشعوب الإسلامية "، ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام، ص ٣٨٤.

^٨ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ١٢٢. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٣٣.

الثاني حيناً كشاهد عيان وحيناً آخر كشاهد عيان ومشاركاً فيها ، وأرخ للقرنين السادس والسابع الهجريين – الحروب الصليبية وغارات التتار- ولأيوبيين بشكل خاص.^١

أرخ ابن واصل لصدر الدولة الأيوبية عن سبقه مثل القاضي الفاضل، والعماد الأصفهاني الكاتب، والعتبي، وابن الأثير، وابن شداد، وابن أبي الدم، وأرخ للسنوات الأخيرة من المعاصرين له مثل سبط ابن الجوزي، وابن العديم، وأبو شامة، وأصبح كتابه مرجعاً لمن جاء بعده.^٢

ويذكر في مقدمة مصنفه : ".... وبعد فهذا كتاب أوردت فيه أخبار ملوك بني أيوب، وجملة من محاسنهم ومناقبهم، إذ كانوا أعظم من تقدمهم من الملوك شأننا وأجلهم سلطاناً، فتح الله تعالى بهم القدس الشريف... من أيدي الكافرين، وأذل بسيوفهم أعناق الملحددين، وطهروا الديار المصرية من بدع الباطنية، وشيدوا بها أركان الملة الحنفية... وخدمت به خزانة الأمير الإسفهلاري مقدم الجيوش العادلي المظفري المؤيدي الملك المنصور الثاني سيف الدين محمد صاحب حماة من ٦٤٢ - ٦٨٣ هـ / ١٢٤٤-١٢٨٤م وسميته مفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب.^٣

كان ابن واصل يذكر مصادره عند النقل عنها غالباً، وأكثر النقل عن ابن الأثير ويذكر محقق الكتاب ان ابن واصل كانت أحياناً تختلف رواياته في الإيجاز أو الإطناب ، عن ابن الأثير وأحياناً أكثر تفصيلاً مما يجعل لها قيمة خاصة ويُرجح المحقق ان ابن الأثير وابن واصل كانا ينقلان عن مراجع أخرى لم يذكرها مثل تاريخ "ميافارقين وأمد" لابن الأزرق الفارقي^٤. وربما كانا ينقلان من عماد الدين الأصفهاني خاصة التفصيلات الإضافية دون الإشارة له، وهذه إحدى ملاحظات جيب على ابن الأثير في دراسته لمصادر الحروب الصليبية.

وأكثر من ذكر الوثائق أحياناً بنصها كاملاً وأحياناً بالإختصار والإشارة، لكنه انفرد بذكر بعض الوثائق المتعلقة بالنواحي الإدارية لدولة نور الدين ونظام الإقطاع، ومركز الخليفة العباسي في العهد السلجوقي^٥.

وصنّف بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥ م) كتابه "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" في أحد عشر مجلداً، استعرض فيها التاريخ العالمي من بدء الخليفة حتى سنة (٧٢٤ هـ / ١٣٢٤م)، وتتاول

^١ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب المصرية، (د/ط) القاهرة، ١٩٧٢م، ج/١، ص ٤-٥، مقدمة المحقق. مصطفى، شاکر ، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٣٦.

^٢ ابن واصل، مفرج الكروب، ج/١، ص ٥-٦، مقدمة المحقق. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٣٦.

^٣ ابن واصل، مفرج الكروب، ج/١، ص ١-٢.

^٤ ابن واصل، مفرج الكروب، ج/١، ص ١٦، المقدمة.

^٥ المصدر السابق، ج/١، ص ١٧-١٨، المقدمة.

في الجزء التاسع منه (الموجود) حوادث السنوات (٦٥٥-٧٠٩ هـ / ١٢٥٧-١٣٠٩ م) واشتمل على تاريخ المماليك من سلطنة قطز حتى الولاية الثانية للناصر محمد بن قلاوون، كما تحدث فيه عن دول المغول المختلفة، ودول المغرب العربي وعلاقتهم مع الفرنجة وصقلية، ودولة المماليك، وأرخ فيه لحكام السلاجقة حتى نهاية دولتهم وعلاقتهم مع المماليك وحكام بيزنطة^١.

وهو من وزراء المماليك ومؤرخيهم وعمل في عدة وظائف رسمية آخرها نائباً للسلطنة، وأحد فقهاء الحنفية وأسس مدرسة للحنفية في القاهرة^٢. ومكنه إشرافه على الديوان من الاطلاع على الوثائق والمراسلات المتبادلة بين السلطان وبقية الحكام المعاصرين، كما كان شاهداً عياناً، ومشاركاً في الأحداث التي أرخ لها، فكان تقريره لها يتسم بالصدق والدقة من خلال خبرته العسكرية والإدارية ومشاركته في الحروب ضد الصليبيين والتتار^٣.

وقدّم لنا أوصافاً دقيقة للمعارك والأسلحة والمعدات والقيادات المختلفة، وهو بذلك أرّخ للتاريخ الحربي والسياسي للمماليك، إضافة للتاريخ الإداري من خلال إلقاء الضوء على النظام الإداري وذكره لأسماء المماليك ووظائفهم ومراكزهم القيادية عند ولاية كل سلطان^٤، وامتاز أسلوبه بالمرونة والسلاسة، ورغم استخدام السجع، إلا أن ذلك لم ينقص من قيمة المعلومات الهامة والقيمة التي تضمنها كتابه عن تاريخ معظم أنحاء بلاد الإسلام في العصور الوسطى، وأصبح مرجعاً لمن جاء بعده^٥.

وصرّح أبي الفداء إسماعيل ملك حماة (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) وصاحب كتاب " المختصر في أخبار البشر " بأن تاريخه عبارة عن ملخص أو مختصر لعدد من التواريخ المشهورة السابقة له وعددها ثلاثة عشر أهمها " الكامل " لابن الأثير، وبعض أسفار اليهود والأنجيل فيما يتعلق بأخبار العالم القديم^٦.

وسار فيه على نهج ابن الأثير في سرد الأخبار والحوادث على السنين وجعله على قسمين: الأول لما قبل الإسلام واعتمد فيه على ابن الأثير، والثاني في الإسلام حتى سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م^٧، وجعله في أربعة أجزاء ينتهي الأول بخلافة المنصور العباسي، والثاني إلى سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م

^١ بيبرس المنصوري، ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري الداوادر (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د/ط)، القاهرة، ٢٠٠١ م، ج ٩، ص ٣١.

^٢ مارغوليوث، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٨، ص ٤٩٥ مادة بيبرس.

^٣ المنصوري، زبدة الفكرة، ج/٩، ص ٢٦-٢٧.

^٤ المصدر نفسه، ج/٩، ص ٢٧.

^٥ المصدر نفسه، ج/٩، ص ٢٧، ٣١.

^٦ أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمود ديوب، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت ١٩٩٧ م، ص ١١-١٧.

^٧ جيب، هاملتون، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٥٥٥، ٥٦٥-٥٦٧. مادة أبو الفداء إسماعيل . مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٤٠.

ويتضمن الأندلس، والثالث حتى سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤م والرابع وهو أهم الأجزاء وينتهي حتى سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م، وجمعه من عشرين كتاباً ونيف ويمتاز كتابه بعدة أمور أهمها: نقده للتواريخ القديمة خاصة التوراة، وحفظ عدة تواريخ ضائعة مثل تاريخ أبي عيسى المنجم، والتاريخ المظفري وتاريخ الصنهاجي، ولذة الأحلام لابن سعيد، وتاريخ خلاط للأنصاري، كما تضمن أخبار أدبية وعلمية واجتماعية ومشاهدات وتجارب مؤلفه السياسي دون أن يقتبس من المصادر الأخرى المعاصرة، وكذلك اهتمام علماء أوروبا بالكتاب منذ وقت مبكر بالترجمة والنشر منذ عام ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م^١.

ونرى أيضاً أن كتاب اليافعي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦م)، "مرآة الجنان وعبرة اليقظان"، وهو عبارة عن ملخص، فيصفه ويبين فيه منهجه بقوله: " هذا كتاب لخصته واختصرته، مما ذكره أهل التواريخ والسير، وأولو الحفظ والإتقان في التعريف بوفيات بعض المشهورين الأعيان، وغزوات النبي(صلى الله عليه وسلم) وشيء من شمائله ومعجزاته، ومناقب أصحابه وأموره وأمور الخلفاء والملوك وحدثها في أيّ الأزمان... لمعرفة المهم من ذلك دون الاستيعاب واستقصاء ذكر الأوصاف والأنساب، لاستغني به في معرفة ما تضمنه عن الحاجة إلى استعارة التواريخ للمطالعة في بعض الأحيان معتمداً على ...) ويعدد مصادره التي أخذ عنها (.... مختصراً في جميع ذلك على الاختصار بين التفريط المخل، والإفراط الممل.... وسميته مرآة الجنان وعبرة اليقظان ... مرتباً على سني الهجرة النبوية^٢.

تناول اليافعي في تاريخه العام الحوادث التاريخية من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زمانه، وأبرز فيه عنصري الزمان (الحوليات) والمكان (حدود منطقة الإسلام في عصره). وعرض فيه للظواهر الطبيعية كالزلازل والجفاف، وأحوال الأسعار وأظهر صورة المتغلبين على السلطة خاصة في الفترة العباسية، وتوسع في معلوماته عن بلاده اليمن خاصة عصره^٣.

ونأتي إلى ابن كثير(ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) في كتابه "البداية والنهاية" وهو تاريخ عالمي وعام وصف محتواه ومنهجه في مادته بقوله: " فهذا الكتاب أذكر فيه بعون الله من ذكر مبدأ المخلوقات، وخلق آدم والأنبياء، وأيام بني إسرائيل والجاهلية حتى النبوة وسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم نذكر ما بعد ذلك إلى زماننا ونذكر الفتن والملاحم.... والآثار والأخبار المنقولة عند العلماء ورثة الأنبياء^٤.

^١ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٤٠.

^٢ اليافعي، مرآة الجنان، ج/١، ص ٨

^٣ المصدر نفسه، ج/١، ص ٣.

^٤ ابن كثير، أبو الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ / ١٣٠١ - ١٣٧٣ م)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتیح، دار الحديث، ط/١، القاهرة، ١٩٩٢م، ج/١، ص ٥.

ويوضح موقفه من الأسرائيليات بقوله: " ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله، مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والإستناد على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ما صح نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه^١.

كان ابن كثير فقيهاً محدثاً انتهت إليه رئاسة العلم في الحديث والتفسير والتاريخ، وأطال في الأقسام الأولى من كتابه في الحديث عن الإسرائيليات ونقدها لتمييز صحيح الأخبار من سقيمها في ضوء الكتاب والسيرة النبوية، كما أسهب في السيرة النبوية (وهي أجود ما في كتابه) وعن فترة الراشدين إلى ما يقرب من نصف الكتاب^٢، كان جماعة للمعلومات وأخذ عن عدة مصادر سابقة له خاصة البرزالي (ت ٥٧٣٩/١٣٠٨م) في كتابه المقتفى لتاريخ شامة للقرنين السابع والثامن الهجريين، وصنف كتابه على الحوليات اعتباراً من الهجرة و ذكر الوفيات بعد حوادث السنوات^٣.

وتعقيباً على ما طرحه جيب (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) بأن ابن الأثير أصبح مصدراً رئيسياً للمعلومات لمن جاء بعده وهذا صحيح إلى حد ما. أما أن المؤرخين اللاحقين بالغوا في احتدائه كنموذج لكتابة التاريخ العالمي فهذا قول فيه مبالغة وتعميم لأن اعتمادهم عليه كان بدرجات متفاوتة، وتدقيق ذلك يتطلب دراسة مصادر روايات كل منهم ومقارنتها مع روايات ابن الأثير وهذا يحتاج لدراسة مستقلة.

يتضح من خلال مطالعة المصادر المعنية (الذين أشار لهم جيب وعددهم سبعة)، وما ذكره مصنفوها في مقدماتهم بشكل صريح أو ما ذكره محققوا هذه المصنفات أن من اعتمد على ابن الأثير كمصدر رئيسي للمعلومات هما اثنان: أبو الفداء إسماعيل الذي اعتمد على ١٣ مصدراً أبرزهم ابن الأثير، وابن واصل الذي صنف تاريخاً للأسر الحاكمة ويعتبر نموذجاً للحوليات المعاصرة أو كتب مرايا الأمراء، وليس تاريخاً عالمياً، وقد أكثر النقل عن ابن الأثير وعن المصادر التي أخذ عنها ابن الأثير ولم يشر الاثنان (ابن واصل وابن الأثير) إلى هذه المصادر ويتضح ذلك من التفاوت في حجم وتفصيل نفس الروايات عند الاثنين.

أما المؤرخون الآخرون فقد تباين اعتمادهم على ابن الأثير نفسه كمصدر رئيسي، كما اختلفت وجهة مصنفاتهم في الكتابة: فسبط ابن الجوزي غلبت على مصنفه التراجم أكثر من التاريخ السياسي على عكس تاريخ ابن الأثير وجاء على طريقة جده، ابن الجوزي، الذي تأثر به وبالمسعودي. وصنف ابن

^١ ابن كثير، البداية والنهاية، ج/١، ص ٥.

^٢ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٨٣.

^٣ المرجع نفسه، ج/٤، ص ٨٣-٨٤. بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٣٧٨-٣٧٩. مادة ابن كثير.

العبري كتابه في التاريخ السياسي واعتمد فيه على مصادر سريانية بشكل رئيسي ومصادر فارسية وعربية. وكتاب عطا ملك الجويني جهان كشا (تاريخ فاتح العالم جنكيز خان).

وصنف بيبيرس المنصوري تاريخاً عالمياً باعتماده على ابن الاثير كمصدر رئيسي وبسبب فقدان أجزاء من الكتاب ما عدا المجلد التاسع فقد كانت معظم مواده من الوثائق الرسمية ومشاهداته الشخصية من خلال مشاركاته في الحروب ضد الصليبيين والتتار، وأما اليافعي فقد كتب في التاريخ العام وليس تاريخاً عالمياً، ركز فيه على التاريخ والسير والوفيات، ويعتبر نموذجاً للحوليات المعاصرة، أما ابن كثير فإنه صنف تاريخاً عالمياً البداية والنهاية أطال في الأقسام الأولين الإسرائيليات ونقدها وأسهب عن السيرة النبوية والخلافة الراشدة في نصف كتابه، اعتمد على ثلاثة عشر مصدراً أبرزها ابن الأثير ولكنه اعتمد بشكل خاص على البرزالي في حوادث القرنين السابع والثامن الهجريين، وهذا يظهر مدى مبالغة جيب وتعميمه.

أ: الحوليات الموسوعية.

يذكر جيب أن بعض المؤلفين أبدى شيئاً من الاستقلال واتجه إلى التأليف في الموسوعات مثل مصنفات شهاب الدين النويري، وابن الفرات، وجرجس المكين النصراني الذي اتبع منهج يوتخيوس^١. تخصص النويري (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) في دراسة الحديث و التاريخ والأدب، وعمل في الوظائف الإدارية والمالية لدى السلطان محمد بن قلاوون الذي عينه مباشراً في طرابلس، وصنّف في كتابه "نهاية الأرب في فنون الادب" موسوعة ضخمة في (٣١) واحد وثلاثين مجلداً، جمعت طائفة عظيمة من المواد والمعارف الأدبية والتاريخية، لم يجمعها من قبل ولا من بعد كتاب في الأدب العربي، وهي تقسم إلى مجموعتين كبيرتين وتشتمل على خمسة فنون: الأولى من الفن الأول إلى الرابع وتشغل عشرة مجلدات، والثانية تشتمل على الفن الخامس وهي واحد وعشرون مجلداً في التاريخ^٢.

ويذكر النويري في مقدمته: " ... ورغبت في صناعة الأدب وتعلقت بأهدابها فرأيت غرضي لا يتم إلا بتلقيها من أفواه الفضلاء شفاهاً ... وأثرت أن أجرد منها كتاباً أستأنس به وأرجع إليه، وأعول فيما يعرض لي من المهمات عليه... وأثبت منها خمسة فنون، حسنة الترتيب، بيّنة التقسيم والتبويب، كل فن منها يحتوي على خمسة أقسام^٣ ، وأتيت فيه بالمقصود والغرض، وأثبت الجوهر، ونفيت العرض،

^١ H.A.R . Gibb, Ency of Islam, Suppl, p, 240.

^٢ محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ٦٦-٦٦.

^٣ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط/٢، القاهرة، ٢٠٠٧، مجلد/١، ص ٢-٣. انظر: الصفحات ٤ - ٢٥.

وطوقته بفلائد من مقولي، ورصعته بفرائد من نقولي ... وما أوردت فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل عليه.. لكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي وسلكت منهجهم^١.

ووضع ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) مصنفه " تاريخ الدول والملوك" ودون فيه حواش ثلاثه قرون (٥٠١-٧٩٩هـ/ ١١٠٧ - ١٣٩٦ م)، ورتبه على السنين وذكر فيه الحوادث والتراجم والأعيان ورجال كل عصر والملوك والخلفاء والأمراء والفقهاء والكتّاب وغيرهم وذكر الوفيات في نهاية كل سنة.

جمع ابن الفرات ما دونه من سبقه ونقل عنهم مقتطفات نقلاً حرفياً مثل ابن شداد، وابن واصل، وأبي شامة وغيرهم وأضاف عليها ما شاهده وعاصره، واهتم بتدوين النصوص الأدبية، والوثائق والرسائل التي لها مضمون سياسي وتاريخي لهذه الفترة^٢. ويعتبر مؤرخ صادق في ذكره للحوادث، جامع لكل الآراء، صريح في إبداء رأيه وملاحظاته، وكتابه مرجعاً حافلاً بصنوف المعرفة^٣.

صنّف جرجس المكين النصراني^٤، (ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م) كتابه المجموع المبارك في التاريخ العالمي لما قبل وبعد الإسلام واعتمد لفترة ما قبل الإسلام على المصادر الدينية البيزنطية وعلى مختصر الطبري لفترة التاريخ الإسلامي، وخصص بعض المعلومات عن حياة البطارقة وأمور الأقباط^٥. وسار في كتابه على نهج يوتخيوس، وصنّف كتابه بالعربية، الذي ترجم إلى عدة لغات أوروبية^٦، ونشر في ليدن عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥^٧، ويعتبر كتابه إضافة لكتاب أمير حماة ابو الفداء إسماعيل المراجع الأساسية الإسلامية لفترة القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي^٨.

^١ النويري، نهاية الأرب، ج/١، ص ٢٦. انظر: بييرس الدودار، زبدة الفكرة، ج/٩، مقدمة التحقيق، ص ٤١.
^٢ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات (ت ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥ م)، تاريخ الدول والملوك، تحقيق حسن محمد الشماع، جامعة البصرة، (د/ط)، المجلد ٤/، الجزء ١، مقدمة المحقق، ص (ح، ط، ك، م). انظر: (تسيبولد : C.F.Seybold) دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن الفرات، ص ٣٦١.
^٣ ابن الفرات- تاريخ الدول، مجلد/٤، ج/١، مقدمة المحقق ص (س-ع).

^٤ جرجس المكين، ابو عبد الله بن ابي الياسر بن ابي المكارم المكين بن العميد، طبيب نصراني مصري، كان ابوه موظفاً كبيراً في ديوان الجيش في عهد الملك العادل الثاني الأيوبي، هاجر إلى دمشق وقت وصول المغول إليها (٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠) وسجن لفترة طويلة لاتهامه بالاتصال بالمغول. انظر: مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٤٥٤.

^٥ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٤٥٤.

^٦ براون، تاريخ الأدب في ايران، ص ٥٩٦-٥٩٧.

^٧ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٢، ص ٤٥٤.

^٨ براون، تاريخ الأدب في ايران، ص ٥٩٦ - ٥٩٧.

يعتبر جيب أن هذه الموسوعات هي تواريخ عالمية على النظام الحولي تجمعها صفة مشتركة أنها تحتوي على كم هائل من المواد والمعارف التاريخية والأدبية والتراجم والوفيات والوثائق ومواضيع أخرى وتفاوتت في أنواعها من مصنف لآخر، وهي تعكس الرغبة في التمييز والتفرد والمقدرة، ومؤشرا على مستوى التطور في الكتابة التاريخية.

ب: التواريخ العامة في المغرب والاندلس .

يتحدث جيب عن أكثر التواريخ العامة أهمية التي كتبت في الأندلس والمغرب مثل ما تبقى من مصنفات الرحالة والباحث ابن سعيد المغربي وتاريخ ابن خلدون الذي يقول عنه جيب أننا لا نستطيع أن نفيه حقه في هذه الدراسة، ورغم أن شهرته طبقت الأفاق في انحاء العالم إلا أنه كمؤرخ يخيب آمالنا أحيانا، كما أن الحكم الأخير عليه كفيلسوف في التاريخ لم يصدر بعد، رغم الكتابات الكثيرة التي صدرت عنه، وأما أثره في علم التاريخ الإسلامي فهو مشكلة لا تزال تنتظر حلاً، رغم قيام مدرسة تاريخية مشهورة في القرون التالية، فلا توجد إشارة إلى أن المبادئ التي وضعها وجدت من يدرسها أو يطبقها^١. وسيتم تناول كتاب ابن سعيد المغربي ومن ثم تاريخ ابن خلدون وآراء جيب حوله .

كان ابن سعيد المغربي صاحب كتاب "المغرب في حلى المغرب" كثير الرحلة لا يكل، دؤوباً على البحث ذا همة وعزيمة عالية، فجاء كتابه في خمسة عشر سفرأً وثلاثة أجزاء، الأول يتألف من ستة أسفار وهو خاص بمصر، والثاني في ثلاثة أسفار وهو خاص بالمغرب، والثالث في ستة أسفار وهو خاص بالأندلس، ولهذه الأسفار والأجزاء اسم جامع هو " كتاب وشي الطرس في حلي جزيرة الأندلس"^٢، وكتاب المغرب وهو الجزء الخاص بالأندلس.

وتوالى على تصنيف الكتاب (٦) ستة من أدباء الأندلس خلال ١١٥ سنة تداولوه بالتنقيح والإضافة واحداً بعد واحد على كتاب " المسهب في غرائب الأندلس الذي صنفه محمد بن إبراهيم الحجاري سنة (٥٣٠ هـ / ٩٦١ م)، لعبد الملك بن سعيد (الجد الأكبر للمؤلفين الستة) وصاحب قلعة بني سعيد قرب غرناطة أثناء حكم المرابطين للأندلس^٣.

وقام عبد الملك بإدخال إضافات وحذف وتعديل على كتاب الحجاري وتبعه في ذلك ولديه وأحفاده حتى أخرجه علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك وكان لموسى والد علي دور كبير في التنقيح

^١ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p, 240.

^٢ ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) كتاب "المغرب في حلى المغرب"، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط/٤، القاهرة، ١٩٩٣ م، ج/١، ص ١١-١٣. بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن سعيد، ص ٣١٥.

^٣ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج/١، ص ١-٤.

والإكمال والإضافة والتدوين، وكان ابنه علي آخر هذه السلسلة الذي أخرج الكتاب في صورته الأخيرة^١. وجاء تصنيف الكتاب مرتباً على البلاد، فبيدأ بذكر البلد ثم قاعدة الولاية وباقي الكور، ثم يذكر المعلومات الجغرافية والتاريخية والأدبية عن كل كورة وتشمل الموقع والإعلام والطبقات بشكل عام ولكل كورة كتاب منفرد^٢. و تم الاعتماد على تصنيف الكتاب في جميع مراحلها على مصادر ثلاثة متكررة خلال المائة وخمسة عشر عاماً وهي المشاهدة (المعاصرة للأحداث)، والرواية الشفوية عن المعاصرين، والمصنفات التي تم استخدامها^٣.

وتداول على جمع الرواية الشفوية المؤلفون الستة خلال (١١٥ عاماً) بشكل متواصل حيث كانوا يترجمون فيها لأشخاص عاشوا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين وعاصروهم وهذه الميزة قلما أو نادراً ما تتوفر لمصنف آخر عن الأندلس^٤.

أما المصادر المكتوبة فكانت تتم الإشارة لها في المقدمة، وما ينقل عنها في متن الكتاب^٥، ويعتبر الكتاب من أنفس المصادر في تصوير الشعر الأندلسي في مختلف عصوره، وكذلك التراجم الكثيرة والأخبار الأدبية والثقافية والسياسية^٦.

إن ما يتمتع به ابن خلدون من شهرة تُغني عن التعريف به وبمصنفاته لكن نجتزئ بعضاً مما جاء في مقدمة مصنفه ما يتماشى وسياق تطور التدوين الذي يعبر فيه عن وصف كتابه وما تضمنه من أفكاره وأسلوبه ومنهجه فيه بقوله: "... فأنشأت في التاريخ كتاباً ، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجاباً، وفصلته في الأخبار والاعتبار باباً باباً، وأبدت فيه لأولية الدول والعمران عللاً وأسباباً، وبنيته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار.. وما كان لهم من الدول الطوال أو القصار، ومن سلف لهم من الملوك والانصار وهما العرب والبربر^٧..... وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً، واخترته من بين المناحي مذهباً عجبياً ، وطريقة مبتدعة وأسلوباً، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ، وما يُمتعك بعلى الكوائن وأسبابها،

^١ المصدر نفسه، ج/١، ص ٩-١٠.

^٢ المصدر نفسه، ج/١، ص ١١-١٣.

^٣ المصدر نفسه، ج/١، ص ١٣.

^٤ المصدر نفسه، ج/١، ص ١٤.

^٥ المصدر نفسه، ج/١، ص ١٤-١٧.

^٦ المصدر نفسه، ج/١، ص ١٧-٢١.

^٧ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الاكبر، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار احياء التراث العربي، دط، ج ١، ص ٦.

ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها^١.... ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب... سالماً سبيل الاختصار والتلخيص... داخلاً من الأسباب على العموم إلى الأخبار على الخصوص فاستوعبت أخبار الخليقة استيعاباً... فأصبح للحكمة صواناً وللتاريخ جراباً...^٢.

ولكن هناك آراء كثيرة حول ابن خلدون ومصنفاته، ونكتفي بعرض رأي لأحد المستشرقين المعاصرين لجيب هو مارغوليوث الذي يعتبر أن تاريخ العرب والعجم والبربر هو استثناء عن سببه من المؤرخين، لأنه يمتاز بمعالجته تاريخ الدويلات بشكل منفصل خاصة في الشؤون الأفريقية.^٣

كما يرى مرغوليوث أن مقدمة ابن خلدون لا مثيل لها في الأدب العربي أو أي أدب آخر قبل اختراع الطباعة، فهي تضم أحكام المؤرخ وأفكاره وخلصتها بعد دراسة السجلات التي تؤلف موضوع تاريخه، وتتخلص أفكار ابن خلدون بوجود أطراد في السلوك الإنساني شبيهه باطراد الطبيعة^٤.

وإن شؤون البشر لها مسار طبيعي بتكرر الأحداث... وكانت النتيجة " فلسفة التاريخ" وأن وظيفة التاريخ تتعدى مواد الموضوعات الرئيسية مثل الأدب والتطور الفقهي والعلمي والفرق وأصولها وغير ذلك، ولا يوجد كاتب عربي آخر سار على نهج شبيهه بابن خلدون^٥.

إن ما طرحه جيب حول الأحكام على ابن خلدون كمؤرخ، وفيلسوف، وأثره على التاريخ الإسلامي بأنها لم تصدر بعد^٦ هو كلام غير مقبول لأنه بعيد عن المنطق لأن واقع النظرة الأوروبية لابن خلدون أنه أنه مؤرخ عظيم ورائد في فلسفة التاريخ وواضع لعلم الاجتماع (ال عمران البشري) ومفكر سياسي وغير ذلك، فالحكم على ابن خلدون ليس منوط به أو يتوقف عليه وحده، هو له رأيه فقط وعليه فهو صاحب رأي وليس صاحب قرار. ويوجد العشرات لا بل المئات في الشرق والغرب ممن عاصروا ابن خلدون وحتى عصرنا الحاضر ولهم آراؤهم.

هناك العديد من الأبحاث التي اهتمت بمتابعة الدراسات حول ابن خلدون ومنها دراسة الزيايدي التي سنعرض لبعض ما تضمنته حول هذه النقطة و لعل فيها توضيحاً لما طرحه جيب.

^١ ابن خلدون، المقدمة، ص ٦.

^٢ المصدر نفسه، ص ٦-٧.

^٣ مارغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٧٠-١٧١.

^٤ مارغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٧١-١٧٢.

^٥ المرجع نفسه، ص ١٧٢.

^٦ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p, 240.

لقد اعتبر علماء الشرق والغرب ابن خلدون ظاهرة فكرية غير عادية، وتناولوا أعماله وأفكاره بالقراءة والترجمة والدراسة والتحقيق والتحليل والنشر، وبلغت هذه الأعمال حوال (٨٥٠) ثمانمائة وخمسين دراسة علمية في مختلف اللغات وكانت الآراء الناتجة عنها متعددة ومتفاوتة تبعاً لمواقف أصحابها^١. وأدى هذه الدراسات قام بها جيب بعنوان " الخلفية الإسلامية" لنظرية ابن خلدون السياسية^٢. “

The Islamic Background of Ibn khaldun's political Theory”

ويشير جيب في دراسته إلى بعض الدراسات السابقة وينتقدها لأنها ركزت فقط على الجانب الاجتماعي عند ابن خلدون، كما ينتقد دراسات أخرى لأنها أغفلت العلاقة بين نظرياته السياسية والجوانب الدينية عنده. ويحاول جيب أن يثبت أن نظريات ابن خلدون ليست متحررة من الميل الديني وينتقد القائلين بعكس ذلك^٣.

ويبدو أن رأي جيب بابن خلدون ينطلق من التناقض في الفكر الاستشراقي الذي يختلف أساساً حول مدى ارتباط وعلاقة ابن خلدون بالإسلام، وهل هو مسلم تقليدي؟ (أي أنه محافظ وغير مجدد) أم أنه مفكر متحرر من أثر الدين بالاعتقاد والفكر وإن ما طرحه من أفكار كان ناتجاً عن تجاربه السياسية والاجتماعية^٤. علماً بأن هناك جوانب ومسائل أخرى ساهمت في زيادة تناقض الفكر الاستشراقي حول ابن خلدون.^٥

ج: تواريخ الأقاليم والأسر الحاكمة والسير.

ذكر جيب أنه ظهر في هذه الفترة عدد كبير من تواريخ الأقاليم والأسر الحاكمة والسير إلى جانب التواريخ العامة وكتبها المصنفون أنفسهم، وكانت الثقافة العربية قد انغمرت في فارس والعراق إثر غزوات المغول ولم تنتج بعد تاريخ العباسيين المفقود لابن الساعي (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) سوى بعض تواريخ ومختصرات ضئيلة القيمة مثل الفخري لابن الطقطقا (٧٠٩ هـ)^٦.

تواريخ الأقاليم ومنها كتاب الجامع المختصر لابن الساعي الذي عاش في فترة ازدهار العراق بسبب استعادة الخليفة العباسي الناصر لدين الله بعض هيبة الخلافة، فنشطت الحركة الأدبية وكثر العلماء

^١ الزيايدي، محمد فتح الله، الإستشراق وأهدافه ووسائله (دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، دار قتيبية، ط/٢، دمشق، ٢٠٠٢، ١٩٥-١٩٦.

^٢ H.A.R.Gibb,Ency of Islam, Suppl,p,240.

^٣ الزيايدي، الاستشراق، ص ٢٠٤ - ٢٠٦.

^٤ الزيايدي، الاستشراق، ص ٢٥٨ - ٢٧٤.

^٥ انظر المرجع نفسه: ص ٢٦٣ - ٢٧٤.

^٦ H.A.R.Gibb,Ency of Islam, Suppl,p240.

والمصنفون، وعمل ابن الساعي خازناً للكتب في دار العلم ببغداد وفي المدرسة النظامية المستنصرية فيما بعد، وهذا مكنه من الاطلاع على الكتب والتأليف فيها حتى أصبحت مهنته ومورد رزقه، لذلك كثرت مصنفاته وتنوعت^١، لكنها فقدت، ومع ذلك ينسب له حوالي (٥٥) مصنفاً في ١٢٣ مجلداً، كان أكثرها في أنواع التواريخ المختلفة. كما عاصر تدمير المغول لبغداد، وأمضى ٦٣ سنة من حياته في ظل الدولة العباسية و ١٨ سنة في ظل المغول حيث فوّض له نصير الدين محمد بن محمد الطوسي (حاكم العراق من قبل المغول) أمر خزائن الكتب في بغداد^٢. فكان ابن الساعي شاهد عيان على أوضاع بغداد قبيل الغزو المغولي وبعده، وهو المصدر الوحيد عن هذه الفترة وأصبح المصدر لمن جاء بعده^٣.

ويعتبر كتاب " الفخري " لابن الطقطقا نموذجاً للتواريخ المختصرة، الذي قدمه لحاكم المغول على الموصل فخر الدين إبراهيم بن عيسى بن هبة الله النصراني، وامتدحه بأسلوب مسجوع، فيه الكثير من المبالغة والتعظيم^٤. وأبدى فيه انحيازه الواضح للمغول وهيبته من سلطانهم إضافة لإظهار علويته وسماه على لقبه الفخري^٥.

تناول في كتابه أخبار الدول الإسلامية: الراشدة والأموية والعباسية ودولة المغول بقوله: "...وهذا كتاب تكلمت فيه عن أحوال الدول وأمور الملك...وبنيته على فصلين...الأول تكلمت فيه على الأمور السلطانية، والسياسات الملكية وخواص الملك...والثاني تكلمت فيه على دولة من مشاهير الدول، التي كانت طاعتها عامة ومحاسنها تامة (يقصد دولة المغول)^٦... ابتدأت فيه بدولة الأربعة (الراشدين)...على الترتيب... ثم...الدولة الأموية... ثم الدولة العباسية... ثم الدول التي وقعت أثناء دولة بني العباس كدولة بني بويه، وبني سلجوق والفاطميين على وجه الإيجاز. والتزمت فيه بأمرين: أولهما أن لا أميل فيه إلا مع الحق ولا أنطق فيه إلا بالعدل، والثاني أن أعبر عن المعاني بعبارات واضحة تقرب

^١ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٣٠٥-٣٠٦.

^٢ المرجع نفسه، ج/٤، ص ٣٠٦-٣١١، العزاوي، التعريف بمؤرخي العراق، ج ١، ص ٩٠-٩٤.

^٣ ابن الساعي، علي بن انجب بن عثمان السلامي البغدادي (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م)، كتاب الجامع المختصر في عنوان التورخ وعيون السير، الجزء التاسع، تاريخ ابن الساعي، وبذيله الضائع من تاريخ ابن الساعي، تحقيق محمد عبدالله القدحات، دار الفاروق، ط ١، عمان، ٢٠١٠م، مقدمة المحقق، ص (ت، ث، ذ، ص)، ويغطي الذيل احداث ٥٦ سنة بين عامي ٤٦١-٦٦٩هـ.

^٤ ابن الطقطقا، محمد بن علي طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، المعروف بابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد مانو، دار القلم العربي، ط/١، حلب، ١٩٩٧م، ص ١٤-١٨.

^٥ المصدر نفسه، ص ٧.

^٦ المصدر نفسه، ص ١٩. انظر: إيوار (CL.Huart) دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن الطقطقا، ص

من الإفهام لينتفع بها كل أحد...^١، "والتزم الفخري بالأمر الثاني لكنه لم يلتزم بالأول وعمل فيه على العكس تماماً .

قارن ابن الطقطقا بين الدول وعلوم الملوك لدى الفرس والعرب والمسلمين والمغول وامتدح ما عند المغول وحاكم الموصل (الذي اهداه كتابه) وفي ذلك قوله : " ولم ينقل في تاريخ ولا تضمنت سيرة من السير أن دولة من الدول رزقت طاعة جندها و رعاياها ما رزقته هذه الدولة القاهرة، ولا الدولة الكسروية ... وأما الدول الإسلامية فلا نسبة لها إلى هذه الدولة حتى تذكر معها ... (ويستثنى الدولة الراشدة).. فأما خلافة الأربعة الأول .. فإنها أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية في جميع الأشياء .."^٢.

ويتضح من ثنايا الكتاب انحياز ابن الطقطقا الواضح لعلويته وتحامله على العديد من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية وبعض الدول التي أشار لها والبحث عن المطاعن والعيوب في حوادث فردية شخصية ومقارنة ذلك بما لدى المغول من إيجابيات^٣. ونال كتاب الفخري شهرة وسمعة كبيرة أكثر من أي كتاب تاريخي إسلامي واهتم به المستشرقون واعتنوا به منذ وقت مبكر لما فيه من ذم ونقد لاذع ومطاعن للدول العربية الإسلامية^٤.

و صنف ابن الطقطقا كتاباً آخر مشابهاً في المحتويات بعنوان "مُنْبِه الْفُضَلَاء فِي تَوَارِيخ الْخُلَفَاء" وقدمه إلى خزانة الصاحب الأعظم جلال الدين زنكي شاه ابن بدر الدين حسن بن أحمد الدامغاني بعد سنة ٧٠١ هـ/ ١٣٠١ م. وكان أسلوبه وموقفه على العكس تماماً من كتابه الفخري، فهو يذكر الدول الإسلامية بكل أدب واحترام ويمثل المسلم المتأثر بالثقافة الإسلامية^٥. ويبدو أن ابن الطقطقا كتب بشخصيتين وبتوجهين مختلفين ومُتباعدين رغبة في الرياء لكسب المكافآت لكنه جانب الحقيقة التاريخية، وهو من النوع المرئي المرتزق^٦.

لقد جانب جيب الدقة والموضوعية والحقيقة التاريخية، وكان مبالغاً فيما طرحه عن تواريخ الأقاليم والأسر الحاكمة والسير لهذه الفترة.

لقد كان غزو المغول للعراق وفارس وما قاموا به من تدمير وتخريب وحرق المؤلفات العربية أحد الأسباب لتراجع هذه الثقافة وضعفها لكنه لم يقض عليها من فوره، ورغم هجرة عدد كبير من العلماء

^١ المصدر نفسه، ص ٢٠ .

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٤ .

^٣ ابن الطقطقا، الفخري، ص ٨، ٢٥-٢٦ .

^٤ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ١٣١ - ١٣٣ . مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٣١٩ .

^٥ المصدر نفسه، ج/١، ص ١٣٢ . المصدر نفسه، ج/٤، ص ٣١٨-٣١٩ .

^٦ المصدر نفسه، ج/١، ص ١٣١ . المصدر نفسه، ج/٤، ص ٣١٩ .

والمؤرخين الى دمشق والقاهرة فقد ظلت بغداد مركزاً للحضارة والثقافة لمنطقة العراق تحديداً وفارس، واستمر التصنيف في العراق وفارس وما جاورها باللغة العربية حتى الربع الأول من القرن الثامن الهجري، مثل ابن القوطي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣) صاحب المؤلفات الكثيرة ومن أشهرها " مجمع الآداب المرتب على معجم الاسماء في الألقاب" وهو موسوعة في خمسين مجلداً ويعتبر آخر الأعمال الكبيرة في اللغة العربية في العراق وفارس^١.

أما قول جيب بأن الثقافة العربية لم تنتج بعد تاريخ ابن الساعي سوى بضع تواريخ مختصرة ضئيلة القيمة فهو غير دقيق، فقد وجد في الفترة التي أشار إليها عدد من المؤلفين كتبوا بالعربية في فارس والعراق، ومصنفاتهم أفضل بكثير من " كتاب الفخري" منهم وصلت مصنفاتهم ومنهم لم تصل لكن هناك مقتطفات أو ملخصات عنها في المصادر اللاحقة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ومنهم: الطاووسي(ت٦٦٤هـ/١٢٦٥م)، والقرزويني(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، الكازورويني(ت٦٩٧هـ/١٢٩٨)، وابن قنينو الإربلي، وابن القوطي(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣)^٢.

وربما سبب احتفاء المستشرقين ومنهم جيب بكتاب الفخري وشهرته بينهم من فترة مبكرة وترجمته وتكرار طبعه يعود لأسلوب ابن الطقطقا في النقد والتجريح لدرجة الذم للدول العربية والإسلامية، مقابل مدحه للحكم المغولي الإيلخاني وبحثه عن المثالب الشخصية والفردية، وهذا يذكرنا بموقف جولدزيهر وجيب وغيرهم من المستشرقين من حركة الشعوبية والموالي تجاه العنصر العربي في الدولة العربية الإسلامية.

ويتجلى هدف جيب من الموضوعية غي الواقعية باختياره لكتاب الفخري تحديداً لأنه يرى فيه تأكيداً لمزاعمه المتكررة بوجود نقاط ضعف وعيوب ومآخذ في التاريخ العربي سيما وأنها تصدر عن كاتب عربي مسلم.

رابعاً: المدارس التاريخية

أ: المدرسة الشامية.

يذكر جيب أن مركز التدوين التاريخي بالعربية انتقل إلى الشام، وكان لظهور أسرتي آل زنكي والأيوبيين حافظاً على تأليف عدد من الكتب مثل مصنفات عماد الدين الأصفهاني (ت٥٧٩هـ/١٢٠١م) الذي يمثل أحد المتأخرين في أسلوب كتابة النثر المسجوع في فارس والعراق^٣.

الكتابة المسجوعة

^١ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٤، ٣٢٧-٣٢٩.

^٢ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٤، ٣٠٥-٣٠٨، ٣١١-٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٧-٣٢٩.

^٣ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p240.

صنّف عماد الدين الأصفهاني عدة مؤلفات أهمها الفتح القسّي، تناول فيه السنوات السبع الأخيرة من حياة صلاح الدين الحربية، ويصف فتح القدس بمثابة هجرة ثانية للإسلام بقوله: " هذا الكتاب أسهمت فيه بين الأدياء وأنا أرخت بهجرة ثانية، وهي هجرة الإسلام إلى بيت المقدس، وهذه الهجرة أبقى الهجرتين وأعظم الكرتين" ^١ ، "... وسميته الفتح القُدسي، وعرضته على القاضي الفاضل... فقال لي سَمّه الفتح القسي في الفتح القُدسي فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قس (بن ساعدة الأيادي) وبلاغته... وما شهدت إلا بما شاهدته وشهدته... وما عنيت إلا بإيراد ما عاينته... وما توخيت إلا الصدق وما انتهيت إلا الحق، ولا ذكرت كلمة تُسقط ولا اعتمدت إلا ما يرضي الله ولا يُسخط".

يمثل الكتاب نمط الكتابة التاريخية المسجوعة التي كانت سائدة في العراق وشرق العالم الإسلامي، كما أنه نموذجاً لامتزاج التاريخ الإقليمي والتراجم والأسر الحاكمة والوفيات. ورغم أنه أكثر فيه من السجع والمحسنات اللفظية والبديعية، مما جعل قرأته صعبة، إلا أنه قدّم لنا معلومات دقيقة وهامة عن تلك الفترة لأنه عاصرها وكان شاهد عيان عليها.

وحول كتابة السير في القرن السابع الهجري يذكر جيب أن المدرسة الشامية نبذت أسلوب السجع المنمق وفضلت عليه أسلوب النثر الطبيعي المباشر وهذا عاد على التاريخ العربي بأجزل الفوائد فيما بعد. وإن ما صنّفه بهاء الدين ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م) وأبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨م) يفوق كثيراً ما صنّفه عماد الدين الأصفهاني في الموضوع ذاته ^٢.

فيمثل كتاب ابن شداد "النوادر السلطانية" التاريخ المحلي لأوضاع مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية والحجاز واليمن من خلال عرض سيرة صلاح الدين وعلاقاته مع الصليبيين، ونهاية الدولة الفاطمية.

يذكر ابن شداد أن ما دفعه لوضع سيرة صلاح الدين، هو إعجابه بما سمعه من شهود العيان وما شاهده هو بنفسه أو أخبره به الثقات وتحقق منه لقوله: "... وما سطرت إلا ما شاهدته أو أخبرني الثقات به وحققتة، وهذا بعض ما اطّلت عليه في زمان خدمتي له". (من سنة ٥٨٠هـ)، وهو يسير فيما اطّلع عليه غيري ممن طالت صحبته وتقدمت خدمته ^٣.

^١ الأصفهاني، عماد الدين الكاتب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) "الفتح القسي في الفتح القُدسي" دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٢.

^٢ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p240.

^٣ ابن شداد، القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أو "سيرة صلاح الدين الأيوبي"، مكتبة الخانجي، (د/ط) القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤.

تناول ابن شداد في القسم الأول السيرة الخاصة لصلاح الدين بصفاته وخصائصة وشمائله واهتمامه بالجهاد^١، بينما تناول في القسم الثاني الحوادث التاريخية من سنة (٥٨٠ - ٥٨٩هـ) كشاهد عيان معاصر و مرافق لصلاح الدين وعرضها على النظام الحولي^٢، بإسلوب النثر البسيط، الخالي من السجع إلا في مواطن قليلة من مقدمة الكتاب، ولكن في رصانة وسلاسة. واشتمل الكتاب على تفاصيل دقيقة وأرخ معظم الحوادث والأخبار في اليوم والشهر والسنة وأحياناً يشير إلى الجزء من النهار أو الليل وكأنها مذكرات يومية^٣.

أما أبو شامة صاحب كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" فقد عاش في فترة شهدت اضطراباً وصراعاً على السلطة بين أبناء الأسرة الأيوبية، وصنّف كتابه "الروضتين" ليكون منهجاً في الإدارة العملية للحكام في عصره من خلال عرض تاريخ كل من نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي كملكين كانا نموذجين في العدل، وليس تقدمة لسلطان معين^٤. ويذكر أبو شامة سبب تصنيفه لكتابه: ".... فإنه بعد أن صرفت جلّ عمري ومعظم فكري في استنباقه الفوائد الشرعية والفرائد الأدبية، عنّ لي أن أصرف إلي علم التاريخ بعضه، فأحوز بذلك سنّة العلم وفرضه^٥... ويتحدث عن اهتمام السلف بالتاريخ حتى زمانه^٦.

ثم يذكر اطلاعه على سيرتي نور الدين محمود وصلاح الدين يوسف فيقول: " فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين (رضى الله عنهما) في المتقدمين، فإن كل ثانٍ من الفريقين حذا حذو من تقدمه في العدل والجهاد... وهما ملكا بلدتنا وسلطانا خطتنا، خصنا الله تعالى بهما، فوجب علينا القيام بذكر فضلها، فعزمت على أفراد ذكر دولتيهما بتصنيف يتضمن التقريظ لهما والتعريف، فلعله يقف عليه من الملوك من يسلك في ولايته ذلك السلوك..."^٧.

^١ ابن شداد، النوادر، ص ٤-٢٨.

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٨ وما بعدها.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩، ٣١-٣٢، ٣٤، ٣٧، ٤١-٤٤. انظر أيضاً: عمار، المؤرخون في بلاد الشام، ص

٢٨٤-٢٨٥. تسترشتين (K.V.Zetterteen) دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن شداد، ص ٣٢٦.

^٤ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي دمشقي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، ط/١، بيروت ١٩٩٧، ج/١، ص ٥. انظر: خورشيد، حلمي أحمد، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "أبو شامة"، ص ٥٠٨-٥٠٩. بروكلمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٩، ص ٥٨٥٢-٥٨٥٣، مادة "أبو شامة".

^٥ أبو شامة، الروضتين، ج/١، ص ٢٢.

^٦ المصدر نفسه، ج/١، ص ٢٢-٢٥.

^٧ المصدر نفسه، ج/١، ص ٢٦.

وعدد أبو شامة من صنّف قبله في مآثر نور الدين وصلاح الدين ومنهم الأصفهاني واستخدامه للسجع، الذي قام هو بحذفه واختصار الأشعار، كما أشار في مقدمته إلى مصادره المكتوبة وما أخذه شفويّاً من ثقات الرجال الذين عاصروا تلك الفترة، وتناول في كتابه بدايات الأسره الزنكية وعلاقتها بالسلاجقة والحوادث والأخبار بالنظام الحولي اعتباراً من سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م^١.

وتأتي أهمية كتاب الروضتين في أنه صوّر أوضاع المنطقة إبان الحروب الصليبية خاصة في فترة الدولتين النورية والصلاحية^٢. وتضمن أجزاء هامة من البرق الشامي للأصفهاني وسيرة صلاح الدين لابن أبي طيء (المفقودة)^٣. والعديد من وثائق القاضي الفاضل وعماد الدين الأصفهاني^٤. يلاحظ على المدرسة الشامية تبنّيها لأسلوب النثر البسيط في الكتابة التاريخية ودقة المعلومات باعتمادها على الوثائق الرسمية وروايات شهود العيان المعاصرين والثقة، وسيظهر أثر ذلك في نتاج المدرسة المصرية وهو ما أشار له جيب بالفوائد التي عادت على التاريخ العربي.

التواريخ المنظومة والمسجوعة.

يشير جيب إلى أن التواريخ المسجوعة كانت تظهر بين الحين والآخر، حتى أن ابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م) ابتدع أسلوباً جديداً اتبعه غيره فيما بعد بتأليفه تاريخ السلطان بيبرس شعراً، ويبدو أن هذا التطور لا يعزى لمؤثرات خارجية كاستخدام السجع في تاريخ بدر الدين بن حبيب (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، بينما السيرة المسجوعة التي كتبها ابن عرب شاه (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م) في هجاء تيمور هي بلاريب متأثرة بالكتابات الفارسية المعاصرة، وكذلك تاريخ الدولة الفاطمية " عيون الأخبار وفنون الآثار" للداعي اليمني عماد الدين بن الحسن القرشي (ت ٨٦٢هـ/١٤٦٧م) المكتوب بلغة بلاغية يوحى بشعور غريب يشبه أن يكون صدىً للرواية الساسانية القديمة^٥.

^١ المصدر نفسه، ج/١، ص ٢٧-٣١.

^٢ النبروي، مناهج البحث، ص ١٤١-١٤٢.

^٣ بروكلمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٩، ص ٥٨٥٢-٥٨٥٣. حلمي أحمد خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة " أبو شامة"، ص ٥٠٨-٥٠٩.

^٤ حلمي أحمد، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٥٠٨-٥٠٩.

^٥ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p240-241، السجع هو الكلام المقفى ويطلق على طراز بلاغي خاص تستخدم فيه فقرات قصيرة ذات كلمات مقفاة، وهو يتميز عن الشعر بأنه لا يخضع لقافية ولا لوزن عام، ويرجع الاقراط في السجع عند الفرس الى فساد ذوقهم، وكان هذا أحد الاسباب التي حالت بين الذوق الاوروبي واستساغة الكثير من الآثار الاسلامية سواء بالعربية منها او الفارسية او التركية. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سجع، م٦، ص ١٧٩، كرنكو، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ط٢، م١٧، ص ٥٠٩٦-٥٠٩٨.

كان ابن عبد الظاهر صاحب كتاب سيرة السلطان بيبرس شعراً، كاتباً متمرساً في ديوان الإنشاء، وعمل في خدمة السلاطين قطز، وبيبرس، وقلوون، والأشرف خليل. قرّبهُ السلطان بيبرس منه فكان كاتب سره ومنتشئ مراسلاته وخطاباته السياسية وسفيره^١، ووضع سيرته نثراً بعنوان "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" اعتمد فيه على وثائق ديوان الإنشاء، وما سمعه منه شخصياً أثناء مرافقته له في حملاته العسكرية ومن رجال الحكم البارزين، ومن المصادر المكتوبة التي أشار لها، ومن وثائق لم تعد موجودة في زمنه^٢.

وقد كتب السيرة المنثورة بأسلوب متميز خال من المحسنات اللفظية، إلا أنه كان أحياناً يُحلي كتابته بالسجع والأشعار، ويذكر ما دفعه لوضع مصنفه أنه كان شاهد عيان ومعاصراً لفترة تميزت بالنزاع بين المسلمين والصلبيين من جهة وبين المغول من جهة أخرى وشعوره بوجوب تدوينها بقوله: " ... فلم تخل دولة من الدول من مؤرخ يسيطر أخبارها، ويودع الصحف آثارها^٣ ... وكان ما سيذكر في مكانه، ويستقصى في بيانه، وجب أن تسطر سيرتها لتبقى على مر الأيام، وتكتب حسناتها ... وكان المملوك الأصغر (نفسه) مشاهداً سفيراً وحضراً ومعينة لا خيراً، والمطلع على غوامض أسرارها وتسطير مبارّها.. " ^٤.

وابتدع ابن عبد الظاهر أسلوباً في الكتابة المسجوعة حيث نظم سيرة الظاهر بيبرس شعراً^٥، وهي مفقودة، ويوجد لها مختصر وضعه شافع بن علي بن عباس الكناني (٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م) وهو ابن شقيقة ابن عبد الظاهر كتاب بعنوان "حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية" والذي كان يعمل كاتباً مع خاله في ديوان الإنشاء للسلطان بيبرس حتى سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)^٦.

ويذكر المحقق أن ابن عبد الظاهر طلب من شافع الكناني اختصار وتنقيح السيرة المنظومة في حياته إلا أن شافع ماطل في الأمر حتى قام به عام (٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) بعد وفاة كل من خاله ابن عبد الظاهر والسلطان بيبرس بقوله: " .. اختصرتها رغبة في الإيجاز الذي هو

^١ ابن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد الله رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر"، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، ط/١، الرياض، ١٩٧٦م، ص ٩ - ١٠.

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٦.

^٣ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهد، ص ٤٥.

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٦.

^٥ بيدرسن (Pedersen)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن عبد الظاهر، ص ٣٣٧-٣٣٨.

^٦ الكناني، شافع بن علي بن عباس بن اسماعيل بن عساكر، (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م) كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق ونشر عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، (د/ط)، الرياض، ١٩٧٦، ص ١٢-١٣.

عين البلاغة، و غزوبة مياه الفصاحة المساعة... وذكرت منها الأهم المقدم، لتلذ مطالعتها وتروق مراجعتها" ^١.

وأهم ما في مختصر شافع الكناني أنه وضع آراءه الخاصة عن حكم السلطان بيبرس المخالفة في بعضها لخاله ابن عبد الظاهر، وأورد أخباراً تاريخية لم يذكرها ابن عبد الظاهر في تاريخ وسيرة بيبرس، وأشار الى شكوكه في بعض المعلومات، كما وضع المبررات والأعدار لبعض الآراء التي ذكرها ابن عبد الظاهر، ويعتبر مختصر شافع مكملاً لتاريخ ابن عبد الظاهر ^٢. وأسلوبه عادي فيه تكلف متعمد وعدة قصائد منظومة في مدح السلطان بيبرس ^٣. وقد استفاد المقريري والعسقلاني من سيرة بيبرس المنظومة شعراً ^٤.

صنّف ابن حبيب الحلبي (٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) عدة مؤلفات في التاريخ منها: "أخبار الدول وتذكار الأول"، و"جهينة الأخبار في ملوك الأمصار" وأشهرها "درة الأسلاك في دولة الأتراك". و غلب على أسلوبه فيها السجع والمحسنات اللفظية كالجناس والطباق، وهي الطريقة الشائعة في عصره، وامتاز بالقوة في جمع وتلخيص المعلومات والتأثير في عرضها ^٥.

وتناول في كتابه "درة الأسلاك" أخبار سلاطين المماليك البحريةية بمصر من (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) وحوادث العصر وتراجم لوفيات المشاهير من الأعلام في مصر والشام، وبعض الأخبار المهمة عن بغداد ورجالها، وقدّم فيه معلومات هامة اعتمد عليه معظم المؤرخين المعاصرين له واقتبسوا منه، رغم ما فيه من سجع. وأكمله ابنه زين الدين طاهر (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ووصل به إلى سنة (٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م) وسار به على نهج والده في السجع لإبداء قدرته في البيان ^٦.

^١ الكناني، حسن المناقب، ص ١٤-١٥.

^٢ المصدر نفسه، ص ١٦-١٧.

^٣ الكناني، حسن المناقب، ص ٦٧-٦٨، ٩١-٩٢، ١٠٥، ١٠٦.

^٤ بيدرسن، دائرة المعارف، ط/١، مجلد/١، مادة ابن عبد الظاهر، ص ٣٣٧-٣٣٨.

^٥ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٢٠٥-٢٠٦. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٨٩-٩٠. مرجوليوت، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٢٤٨.

^٦ ابن حبيب الحلبي، أبو طاهر الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقي الحلبي (٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) المنتقى من درة الأسلاك في دولة ملوك الأتراك في تاريخ حلب الشهباء، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الملاح، ط/١، دمشق، ١٩٩٩. ص ٣٤ (مقدمة المحقق).

وصنّف ابن حبيب الحلبي كتاباً آخر كان سبباً في اعتباره من كبار المؤرخين البارزين هو: "تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه"، خالف فيه أسلوبه التقليدي المسجوع فوضعه بأسلوب سهل بعيد عن التصنع والتكلف والمحسنات اللفظية، تناول فيه تاريخ أسرة قلاوون وأولاده وأحفاده بين سنة (٦٧٨ و ٧٧٠هـ) وأظهر فيه دقةً في تقصي الحقائق وسردها وعناية باختيار التراجم للأعلام، ويُعتبر مُتمماً للبرزالي وابن شاكر والصفدي، ومرجعاً لابن حجر في الدرر ولابن تغري بردي في المنهل الصافي^١.

ويبدو أن كتاب "درة الأسلاك" كان مسودة لكتاب تذكرة التنبيه لأنه عالج فيه الفترة نفسها تقريباً خاصة بين سنتي ٦٧٨ - ٧٧٠ هـ وربما يكون كتاب درة الأسلاك مع ذيله من تأليف طاهر بن الحسن بن حبيب ابن المؤلف^٢.

تناول ابن عرب شاه في كتابه عجائب المقدور فتوحات تيمور لنك الواسعة التي شملت نصف قارة آسيا وما أحدثه من تدمير وحرق وسلب وقتل وسبى لمدن وبلاد كثيرة، ويعتبر كتابه المصدر الوحيد في اللغة العربية عن حياة تيمور لنك، وهو من أهم الوثائق المدونة عنه، ذلك لأن المؤلف استقر في سمرقند فترة (١٠) عشرة سنوات واتقن عدة لغات هي الفارسية والتركية والمغولية إضافة إلى لبراعته بالعربية وهذا سبب تسميته ملك العرب (عرب شاه)^٣.

كان معاصراً لتيمور عندما دخل دمشق (كان عمره حوالي عشر سنوات)، وتنقل في أرجاء كثيرة، وامتاز بسعة اطلاعه و معلوماته ودقته في أخباره، وكان يشكك بصحة الروايات لحوادث تيمور الأولى ويورد أحياناً روايتين أو ثلاثة للحادثة الواحدة. تناول حياة تيمور من ولادته وأعماله وفتوحاته والحكومات والدول القائمة في عصره لكنه ركز بشكل خاص على أعماله في بلاد الشام بالتفصيل لما ارتكبه من سفك للدماء ونهب وسلب وسبى، وكذلك المعارك بين تيمور وبايزيد الثاني خاصة معركة أنقرة عام ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م أو انتصار تيمور فيها^٤.

وتعود أهمية الكتاب في الوثائق التي نقلها وترجمها عن التركية والفارسية والمراسلات بين تيمور وبايزيد وبين تيمور وسلطان المماليك برقوق وابنه فرج، ورغم تصوير ابن عرب

^١ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٩٠-٩١.

^٢ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٩١.

^٣ ابن عرب شاه، أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي (المعروف بالعجمي) (٧٩١-٨٥٤ هـ / ١٣٩٢-١٤٥٣ م) "عجائب المقدور في نوابغ تيمور" تحقيق أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة (د/ط)، (د/م)، (د/ت) ص ١٤-١٥. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ١٠٨-١١٠.

^٤ ابن عرب شاه، عجائب المقدور، ص ١٥-١٨. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٢٢٩-٢٣١.

شاه لتيمور بالطاغية الفاجر الفاسق القاسي إلا أنه خصص فصلاً خاصاً امتدح فيه بعد صفات تيمور^١.

ورغم ان ابن عرب شاه كتب مصنفه بأسلوب السجع المبالغ فيه والذي كان شائعاً في عصره، إلا أن كتابه يتميز بقيمة أدبية وأهمية تاريخية في مضمونه، و وصف الحياة العلمية للبلاد التي زارها خاصة سمرقند^٢.

الداعي عماد الدين إدريس بن الحسن (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) صاحب كتاب "عيون الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار"، وهو داعٍ يمّني تقلّد رتبة "الداعي المطلق" في الدعوة الطيبية الفاطمية في اليمن وزعامة المذهب حتى وفاته^٣. و تتضمن مادة الكتاب أخبار الخلفاء الفاطميين الأربعة وتنتهي بوفاة المعز لدين الله إضافة إلى بعض الأخبار عن نشوء الدعوة في اليمن، وخروج المهدي من الشام وفتح جوهر الصقلي لمصر وحروبه مع القرامطة^٤.

تتمثل قيمة الكتاب بما يحتويه من أخبار عن تاريخ المغرب ينقلها المؤلف عن مصادر فاطمية قديمة أو مصادر مفقودة يحتمل أنها سنيّة أو شيعية معتدلة مع ذكر التفاصيل الدقيقة، كما يشير إلى مصادر غير معروفة سابقاً، و وضع كتابه بإسلوب أدبي بلاغي فيه الكثير من السجع الركيك، وعمل قبل وفاته على تحويل مركز الدعوة الفاطمية الإسماعيلية إلى الهند^٥.

وأشار المحقق إلى أن الكتاب قسم خاص من الكتاب المشهور للمؤلف بعنوان "عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار، و وصيّّه على بن أبي طالب قاتل الكفار وأيهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات العزيز الغفار" وهو من أهم كتب تاريخ الإسماعيلية (في سبعة أجزاء) من خلق العالم إلى قيام الدولة الصليحية^٦.

^١ المصدر نفسه، ص ١٧-١٨. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ١٠٩.

^٢ المصدر نفسه، ص ١٨. بيدرسن، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن عرب شاه، ص ٣٤٢-٣٤٣. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ١٠٩.

^٣ القرشي، الداعي عماد الدين، إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط/١، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٥، وانظر: مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ٢٥٢-٢٥٣.

^٤ عماد الدين إدريس، الخلفاء الفاطميين في المغرب، ص ١٢.

^٥ عماد الدين إدريس، الخلفاء الفاطميين في المغرب، ص ٧، ١٦-١٨.

^٦ المصدر نفسه، ص ٧. انظر: سيد، أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، (د/ط)، القاهرة ١٩٧٤م، ص ١٨٠ - ١٨٢. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٢٥٢-٢٥٣.

إن تقسيم جيب للتواريخ المسجوعة، لافلت للنظر لأنه يميز بين ما هو متأثر أو غير متأثر بمؤثرات خارجية (فارسية) فالسجع كما هو مبين أعلاه كلام مقفى وطرز بلاغي خاص لا يختلف إن كان عربياً أو فارسياً أو غير ذلك، ومع ذلك فإنه يعتبر أن سيرة الظاهر ببيرس المنظومة شعراً لابن عبد الظاهر وتاريخ ابن حبيب المسجوع (وتمت الإشارة لمؤلف آخر له بعيد تماماً عن السجع) ليس فيهما أثر خارجي.

بينما سيرة تيمور لابن عرب شاه متأثرة بالكتابات الفارسية خاصة أسلوب السجع الصفة الغالبة عليها، وقد ابن عرب شاه أمضى عشرة سنوات في سمرقند تعلم فيها الفارسية والتركية والخط المغولي وعشرة سنوات أخرى في بلاط السلطان بايزيد.

أما كتاب عيون الأخبار للقرشي فقد كتبه بأسلوب أدبي بلاغي فيه الكثير من السجع الركيك، وربما هذا ما أشار له جيب بصدى الرواية الساسانية القديمة.

ب: المدرسة المصرية.

يذكر جيب أن المماليك واصلوا رعايتهم لكتابة التاريخ كما فعل الأيوبيون من قبلهم، وظلت دمشق و حلب مركزين للإنتاج التاريخي الغزير وإن كانت حلب أقل شأناً من دمشق، ورغم وجود ترابط مع مركز إنتاج القاهرة إلا أنهما تميزا بشكل خاص في ميدان التراجم، ولم تظهر مدرسة مصرية بارزة قبل القرن الأخير من حكم المماليك^١.

لقد اشتهر سلاطين الأيوبيين بحبهم للعلم والعلماء، وكان منهم أعلام في مختلف فروع المعرفة، كما أنهم قاموا بتأسيس المدارس للعلوم الدينية وغير الدينية، وتأثروا بظاهرة انتشار المدارس السلجوقية (النظامية) التي بدأ بتأسيسها نظام الملك وزير ملكشاه في بغداد^٢.

كما اعتنى الأيوبيون بشكل كبير في إنشاء المكتبات الضخمة، ومكتبات المساجد والجوامع والمكتبات الخاصة^٣. وشهد التدوين التاريخي نشاطاً ملحوظاً في عصرهم خاصة في الموسوعات والتراجم والقسم الأكبر نحو حوادث الصراع بين المسلمين والصلبيين^٤ وساهم في ذلك أبرز الفقهاء والمحدثين مثل ابن عساكر وابن الأثير وأبي شامة وبعض العلماء الذين شغلوا وظائف رسمية مثل القاضي الفاضل وابن شداد وابن العديم وابن خلكان وغيرهم وبذلك

^١ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

^٢ عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، (د/ط)، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٢٩-١٣٢.

^٣ عاشور، مصر والشام، ص ١٣٢-١٣٣.

^٤ المرجع نفسه، ص ١٣٦.

تلقى التدوين التاريخي الدعم الرسمي وشبه الرسمي من خلال رعاية بعض السلاطين والأمراء^١.

سار سلاطين المماليك على نهج أسلافهم الأيوبيين في الاهتمام بالعلوم والمجالس العلمية وإنشاء المدارس والمكتبات وكان لهم أثر واضح في ازدهار النشاط العلمي والأدبي في مصر شمل مختلف ألوان المعرفة وازداد عدد المصنفات بشكل كبير وكذلك المصنفون، وكان أبرز العلوم تقدماً هو علم التاريخ^٢.

ساهم في نشوء المدرسة المصرية المتميزة وازدهارها عوامل عدة منها: ما تمت الإشارة إليه مثل الموروث الأيوبي واهتمام سلاطين المماليك مما دفع الأدباء والمؤرخين للإهتمام بتدوين سير السلاطين والأمراء وتراجهم إلى جانب الموسوعات وكتب الطبقات والمعاجم، وكانت مؤلفات ذلك العصر التاريخية والأدبية تمثل انعكاساً للحياة العلمية والأوضاع السياسية والاجتماعية^٣.

يُضاف إلى ذلك ما أصاب بعض أنحاء العالم الإسلامي من تدمير وإتلاف للتراث العربي نتيجة غزو وهجمات المغول على العراق وبلاد الشام، والحملات الصليبية المتوالية واحتلالها لبلاد الشام والأندلس، وهذا هياً مصر لأن تكون البلد العربي الآمن للعلماء من الشرق والغرب، كما أصبحت مركزاً (إسمياً) للخلافة العباسية^٤.

ربما كانت دوافع العلماء وإقبالهم على كثرة الإنتاج وغازاته (خاصة للمؤلف الواحد) مثل السيوطي، يمثل ردة فعلهم لما حصل من تدمير وإتلاف للتراث العربي خاصة في بغداد على يد المغول، وذلك لتعويض وإحياء ما فقد من تراث والحفاظ على ما تبقى منه، ويتضح هذا في اعتماد المدرسة المصرية على التراث السابق لها من حيث اتجاهات الكتابة وأساليبها فكانت امتداداً له من جهة، أو إخراجاً بشكل أكثر تطوراً في الأساليب والشمول والسعة في المادة والدقة والإختصاص من حيث الزمن والموضوع من جهة أخرى^٥.

يشير جيب إلى نخبة من مؤرخي المدرسة المصرية ويبدأ بالمقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢ م)، ومعاصره المنافس له العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)، وتلميذ المقريزي

^١ محمد حلمي، الفترتين الزنكية والأيوبية، ص ١٣٠ - ١٣٢.

^٢ النشار، السيد السيد، تاريخ المكتبات في العصر المملوكي، الدار المصرية اللبنانية، ط/١، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٥٦-٥٧. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج/٩، ص ١٧-٢٠. عاشور، مصر والشام، ص ٢٩٢-٢٩٣، ٢٩٨-٢٩٥.

^٣ بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج/٩، ص ٩، ص ٣٢. عاشور، مصر والشام، ص ٢٩٥-٢٩٨.

^٤ عاشور، مصر والشام، ص ٢٧٩.

^٥ عاشور، مصر والشام، ص ٢٩٥.

أبي المحاسن ابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)، ومنافسه الجوهري، علي بن داوود (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م) والسخاوي، شمس الدين (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)، وصاحب الكتابات المتنوعة السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، وتلميذه ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)، وأخيراً مؤرخ الفتح العثماني أحمد بن زنبيل (ت ٩٥١ هـ / ١٥٤٤ م)^١.

يُعتبر المقرئزي من أشهر مؤرخي المدرسة المصرية وأغزرهم إنتاجاً وتنوعاً في المواضيع وسلسلة مؤلفاته طويلة لكن جل اهتمامه كان في التاريخ فيذكر في مقدمته كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: "إن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً، لما يحويه من المواعظ والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار، والإطلاع على مكارم الأخلاق ليقنتدى بها، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهي... وقد صنّف فيه الأئمة كثيراً، وضمّن الأجلة كتبهم منه شيئاً كثيراً..."^٢. ويعتبر كتابه تاريخ شامل لكل ما يتعلق بمصر من الفتح الاسلامي لها سنة ٢٠ هـ حتى عصره.

ويؤكد المقرئزي اهتمامه بتاريخ مصر بعد أن أكمل كتابيه " عقد الجواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط"، وكتاب " اتعاط الحنفاء بأخبار الخلفاء" واللذان يشتملان على من ملك مصر من الأمراء والخلفاء وما كان فيها من الحوادث والأخبار منذ الفتح حتى زوال الدولة الفاطمية وانقراضها، بقوله: "أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية، والسلاطين المماليك التركية والجركسية في كتاب يحصر أخبارهم الشائعة، ويستقضي أعلامهم الذائعة ويحوي أكثر ما في أيامهم من الحوادث والماجريات، غير معتن فيه بالترجم والوفيات لأنني أفردت لها تأليفاً بديع المثال بعيد المنال، فألفت هذا الديوان وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل وسميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك"^٣. وصنفه على نظام الحوليات.

كان العيني بدر الدين من المؤرخين المشهورين في عصره معاصراً للمقرئزي وابن حجر العسقلاني وكان عالماً متقفاً جامعاً في مقاييس عصره، تنقل في الوظائف الحكومية وكان مقرباً من سلاطين المماليك خاصة السلطان برسباي، وهو كثير التأليف فله في التاريخ، لا يقل

^١ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

^٢ المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية ط/١، بيروت، ١٩٩٨م، مجلد/١، ص ٥. انظر: = محمد عبد الله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ٨٥ - ٩١. مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٧٢-١٧٣.

^٣ المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) كتاب سلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والنشر، ط/٢، القاهرة، ١٩٥٦، ج/١، ق/١، ص ٩.

عن (١٨) ثمانية عشر مؤلفاً أهمها " عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان " . جاء في أربعة وعشرين مجلداً تناول فيه الأخبار من أول الخلق، مرتب على السنين من الهجرة حتى سنة (٨٥٠ هـ / ١٤٤٧ م)^١ .

ويتحدث العيني عن مصنفه بقوله: " قد كنت جمعت في حادثة سني و عنفوان شبابي تاريخاً من مبدأ الدنيا إلى سنة خمس وثمانمائة حاوياً لقصص الأنبياء عليهم السلام وما جرى في أيامهم، وسيرة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وما جرى بعده بين الخلفاء والملوك في كل زمان ، مع الإشارة إلى وفيات الأعيان... ثم بدا لي أن أنقحه بأحسن منه ترتيباً ، وأوضح تركيباً ، مع زيادات لطيفة، ونوادير شريفة، وضبط ما يقع فيه من المبهمات من أسامي الرجال والأمكنة المذكورات وترجمته بعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، وفصلته على فصول، تسهيلاً للحصول، متوجهاً بمقدمة تنبئ عن أصل التاريخ ومعناه، وعن سبب وضعه ومنبأه". ويعتبر كتابه موسوعة لفترة ثمانية قرون للتاريخ الإسلامي وما قبلها^٢ .

كان ابن تغري بردي تلميذاً للمقزيري وأخذ عنه، كما أخذ عن العيني وابن حجر العسقلاني، وبعد وفاة المقزيري والعيني تبوأ مركز الصدارة بين مؤرخي مصر في عصره^٣ . وكان قريباً من السلطة بحكم نسبه ومركز والده الذي تسلم وظيفة نائب السلطنة في دمشق لعدة مرات^٤ . لكنه لم يكن صاحب حظوة عند السلاطين رغم سعيه ليكون مثل العيني نديماً للسلطان برسباي مع أنه عاصر أكثر من سلطان برسباي وجقمق وإينال و خشقدم وبداية عصر قايتباتي^٥ .

وله مصنفات تاريخية عديدة^٦ أهمها: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ويذكر في مقدمته أنه لم يكتبه بناء على طلب من أمير أو سلطان أو صديق بقوله : " بل ألفتة لنفسي،

^١ محمد مصطفى زيادة، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر / القرن التاسع الهجري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د/ط)، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٢٠-٢١ . العزاوي، التعريف بالمؤرخين ، ج/١، ص ٢٣٢-٢٣٣ . مصطفى، شاكرا، التاريخ العربي، ج/٤، ص ١١٠-١١٢ .

^٢ العيني، محمود بن احمد بن حسين، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د/ط)، القاهرة، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٠-١١ .

^٣ زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٢٦ . العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٢٤٥ . بوبر (w.popper)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٥٩٤، مادة " ابن تغري بردي" .

^٤ المرجع نفسه، ص ٢٦-٢٧ .

^٥ المرجع نفسه، ص ٣٠-٣١ .

^٦ محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١١٤-١٢٢ . بوبر (popper)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٥٩٥-٥٩٦ .

وأينعته بباسقات غرسي، ليكون لي في الوحدة جليساً وبين الجلساء مسامراً وأنيساً، ولا أنزهه من خلل وإن حوى أحسن الخلال... فلما كان لمصر ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين، أحببت أن أجعل تاريخاً لملوكها..^١، فحَمَلَنِي ذلك على تأليف هذا الكتاب وإنشائه، وقمت بتصنيفه وإعبائه واستفتحته بفتح مصر...".

.... " وأجمع في ذلك أقوال من اختلف من المؤرخين وأهل الأخبار وذلك بعد اتصال سندي إلى من لي عنه منهم رواية، ليجتمع الواقف عليه بين صحة النقل والدراية... ثم اذكر من وليها من يوم ما فتحت وما وقع في دولته... واحداً بعد واحد... إضافة إلى التراجم والوفيات والتعريف بأحوال مصر"^٢.

ويعتبر الكتاب موسوعة كبيرة عامة تناول فيها أخبار مصر وأحوالها من سنة (٢٠) - ٨٧٢هـ/ (٦٤١- ١٤٦٧ م)، رجع فيه إلى المصادر الأصلية، وأضاف مشاهداته الشخصية وما سمعه من شهود العيان فيما يتعلق بدولة المماليك، وقد سجّل الأحداث بدقة ونزاهة وتناول في حديثه عن فساد نظام المماليك، وتسلب المماليك الأجلاب، وكان على درجة من الحياد والموضوعية والجرأة في إبداء آرائه^٣.

شهد عصر الجوهري، علي بن داود المعروف بابن الصيرفي صاحب كتاب "نزهة النفوس والأبدان في تاريخ أهل الزمان"، الكثير من كتاب التاريخ، حيث ظهر اتجاه لتدوين التاريخ الشامل لعصر المؤلف، مع مقدمة طويلة مثل: كتاب الصيرفي^٤، وعاصر ابن الصيرفي المقزيري، وابن حجر العسقلاني، والعيني، وابن تغري بردي، والسخاوي، والسيوطي، وابن إياس، وكان بشكل عام غير متمكن و ضعيف في اللغة، ويكتب بالعامية، رغم أنه تتلمذ في الإملاء على ابن حجر العسقلاني^٥، وهذه من مآخذ ابن تغري بردي والسخاوي عليه^٦. لذلك كان قريباً من تفهم العامة له^٧.

^١ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي، (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠ م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج/١، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٢م، ج/١، ص ٥.

^٢ المصدر نفسه، ج/١، ص ٥

^٣ المصدر نفسه، ج/١، ص ٣٢-٣٧.

^٤ الصيرفي، علي بن داود بن ابراهيم المعروف (بالخطيب الجوهري)، (ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٥ م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسني حبشي، مطبعة دار الكتب، (د/ط)، القاهرة، ص ٤.

^٥ زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٣٦-٣٧. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٢٥١.

^٦ زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٣٧-٣٨. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٢٥١.

^٧ الصيرفي، نزهة النفوس، ص ٥-٦.

بدأ الكتاب بسلطنة برقوق سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) حتى السنة الثامنة من عهد السلطان جقمق (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م)، وأخذ معلوماته عنهم ، ولكن نادراً ما يشير لهم^١. واتبع نظام الحوليات حسب الشهور والأيام، وكان يذكر الوفيات لمصر وغيرها من البلدان، في نهاية كل سنة، وأهمل التنقيط في غالب الأحيان، وتكثر عنده الأخطاء الإملائية وعدم وجود فواصل بين الفقرات ورغم ذلك يعتبر كتابة موسوعة تاريخية من صدر الإسلام حتى زمنه^٢.

ومن المؤرخين في المدرسة المصرية أيضاً السخاوي الذي يعد من مشاهير المؤرخين الموسوعيين، وأحد أعظم رجال المدرسة التاريخية المصرية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، لا بل أحد أعلام المؤرخين المسلمين في تلك الفترة، فقد عرف بأنه محدث مدقق، وفقهه محقق، ومؤرخ بارع، وناقد لاذع، وكاتب جريئ صاحب منهج ورأي مستقل ولم يجذب الوظائف في الدولة^٣.

كتب السخاوي لنفسه ترجمة طويلة في (٣٠) صفحة^٤، اشتملت على قائمة بأسماء العلماء والأئمة والشيوخ الذين أخذ عنهم علوم النحو واللغة والحساب والفقهاء والقراءات وعلوم الدين والبيان والتفسير والمصادر التي اطلع عليها^٥، ومن أهم شيوخه الإمام ابن حجر العسقلاني، الذي تتلمذ على يديه ولازمه ١٤ عاماً حتى وفاته، فكان وريثه في علمه وأسلوبه ومنهجه، وما لديه من مصنفات ومصادر. كما أشار إلى من أجاز له والى رحلاته في طلب العلم والحج^٦. وعدد مصنفاته في ترجمته^٧.

كان السخاوي عالماً ومحدثاً وأديباً ومؤرخاً، غزير الإنتاج، متنوع المواضيع له مصنفات كثيرة في التاريخ من أهمها: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع - وسيأتي الحديث عنه ضمن المعاجم الخاصة-، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، وهو عبارة عن دائرة معارف لمؤرخي العرب والمسلمين، أورد فيه عدة قوائم وجداول وملخصات للمصنفات التاريخية التي

^١ المصدر نفسه، ص ٧.

^٢ المصدر نفسه، ص ٨.

^٣ النبراوي، مناهج البحث التاريخي، ص ٢٣٨.

^٤ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، (د/ط)، بيروت، (د/ت)، مجلد/ ٤، ج/ ٨، ص ٢-٣٢.

^٥ المصدر نفسه، مجلد/ ٤، ج/ ٨، ص ٢-٧.

^٦ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع دار مكتبة الحياة، (د/ط)، بيروت، (د/ت)، مجلد/ ٤، ج/ ٨، ص ٨-١٥.

^٧ السخاوي، الضوء اللامع ، مجلد/ ٤، ج/ ٨، ص ١٥-١٩.

أوردتها الذهبي في تاريخه وصنفها في ٤٠ عنوان^١، إضافة للتي وضعها السخاوي تكملة للذهبي^٢، وأخرى بما اطلع عليه وقسمها في ٣٤ مجموعة^٣، وقائمة بما قام به من زيادة وإضافة وإضافة وتنقيح على مصنفات سابقه، وجدولاً بالمصنفات التي هي ملخصات لمصنفات سابقة لها^٤. وقوائم تصنيفات أخرى^٥.

وصنّف السخاوي كتاب التبر المسبوك كذيل وتكملة لكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، بدأ به من حيث انتهى المقريزي (٨٤٤هـ / ١٤٤٠م) إلى عصره^٦، وقدم لكتابه بتعريف علم التاريخ وتصنيفه وبيان فضله وفوائده بقوله: " وبعد، فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي ، سلك فيه المنهج القويم المستوي، بل وقعه من الدين عظيم، ونفعه يقين في الشرع، وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء وسيرهم ومآثرهم في حربهم وسلمهم ... وما أبقي الدهر من فضائلهم أو رذائلهم، ولهذا صرّح غير واحد من أهل الأمانات بأنه من فروض الكفايات^٧.

واتبع السخاوي في كتابه منهج المقريزي إلا إنه خالفه في ناحيتين: الأولى : انه أسهب في الحوادث المعاصرة والتراجم خاصة الوفيات، والثانية: أنه لم يبد اهتماماً بالجوانب الإقتصادية التي ركزّ عليها المقريزي^٨.

كما صنّف السخاوي كتابه وجيز الكلام ليكون ذيلاً لكتاب الذهبي تاريخ الإسلام بقوله: " ... فهذا ذيل تام على دول الإسلام لشيوخ الحفاظ والمؤرخين أبي عبد الله الذهبي.. سلكت فيه الاختصار، وسبكت من أصوله ما يعظم به الافتخار، تابعاً في ذلك لأصله"^٩، بدأ به من سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م حيث انتهى الذهبي.

^١ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ١٥٠ - ١٥٤.

^٢ المصدر نفسه، ص ٢١٤-٢٢١.

^٣ المصدر نفسه، ص ١٥٥-٢١٤.

^٤ المصدر نفسه، ص ٢٢١-٢٤٢.

^٥ المصدر نفسه، ص ٢٤٢ وما بعدها.

^٦ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق نحوي مصطفي و لبيبة ابراهيم مصطفي، دار الكتب والوثائق القومية، (د/ط)، القاهرة، ٢٠٠٢، ج/١، ص ٩.

^٧ السخاوي، التبر المسبوك، ج/١، ص ٣٣-٣٤.

^٨ السخاوي، التبر المسبوك، ج/١، ص ٩.

^٩ السخاوي، محمد عبد الرحمن، (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، "موجز الكلام في الذيل على دول الإسلام"، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/١، بيروت، ١٩٩٥م، ج/١، ص ٣-٤.

و تناول فيه التاريخ الإسلامي بشكل عام والماليك بشكل خاص من منتصف القرن الثامن الهجري ومعظم القرن التاسع، وهو عبارة عن مادة غنية في التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي والثقافي حيث كان معاصراً و مشاركاً في كثير من أحداثها^١، وكشف عن أوضاع دولة الماليك المتداعية قبيل استيلاء العثمانيين على مصر، ومعلومات عن الحجاز والحرمين قد لا توجد عند غيره، وصور الحياة الفكرية، وانتشار الجهل بسبب تردي أوضاع مؤسسات التعليم وانتشار الصوفية، وظهور الدجل والشعوذة في المجتمع.^٢

وتأثر السخاوي بأسلوب ومنهج شيخه ابن حجر، و غلبت على شخصيته روح النقد اللاذع إلى حد الاتهام والتشكيك فيمن سبقه، و عاصره من المؤرخين و رماهم بالحماسة والادعاء والتحريف وتزييف الحوادث خاصة تلميذه ومعاصره و منافسه السيوطي، ولم يسلم منهم أحد سوى استاذة.^٣

أما تلميذه السيوطي الذي يعتبر أغزر الكتاب المصريين إنتاجاً في العصر المملوكي ولعله أغزر كتاب العرب قاطبة، بلغت مصنفاته زهاء ٣٠٠ كتاب^٤ وأحصاها البعض ٥٦١ بين كتاب ورسالة^٥ في فروع المعارف الإسلامية المتنوعة في الحديث و علوم القرآن و الفقه و التفسير و السيرة النبوية واللغة والنحو والآداب والشعر والتراجم والطبقات وله مصنفات عديدة في التاريخ منها: الشماريخ في علم التاريخ تاريخ الصحابة، وتاريخ السلطان قايتباي، والدولة الأيوبية، و تاريخ الحلفاء، و حسن المحاضرة ونظم العقيان.^٦

تناول السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة تاريخ مصر من سيدنا آدم إلى دولة الماليك، وبين مواضع ذكر مصر في القرآن والحديث، وقدم بعض التفاصيل عن النواحي الاجتماعية والحوادث التاريخية والطبيعية، والمجاعات والخلافات بين

^١ السخاوي، وجيز الكلام، مجلد/١، ص ٢٠-٢١.

^٢ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ٢٢.

^٣ السخاوي، التبر المسبوك، ج/١، ص ١١-١٢.

^٤ عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٤٢-١٤٤.

^٥ بروكلمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٨، ص ٥٥٧٤ - ٥٥٧٥.

^٦ بروكلمان، موجز دائرة المعارف، ط/٢، ج/١٨، ص ٥٥٧٥-٥٥٨٠. عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٤٥-١٥١.

الأسر الحاكمة والنواحي العمرانية والمؤسسات الإدارية والمساجد والمدارس والخانقوات وطريق الحج و خليج أمير المؤمنين (القناة التي تصل النيل مع البحر الأحمر).^١

وذكر في مقدمته: "... هذا كتاب سميته حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" أوردت فيه فوائد سننية و غرائب مستعذبة مرضية تصلح لمسامرة الجليس، وتكون للوحدة نعم الأنيس ... وقد طالعت على هذا الكتاب كتباً شتى^٢ ويعدد منها ٢٨ كتاب.^٢

وجمع السيوطي في مصنفه نظم العقيان (٢٠٠) مئتي سيرة لكبار أعيان العالم الإسلامي من رجال ونساء عاشوا في القرن التاسع الهجري: الخامس عشر الميلادي في مصر وسورية والحجاز والعراق والأندلس وسلاطين عثمانيين ومغول، وقضاة ومقرئين ومحدثين ورجال سياسة وغيرهم، معظمهم عاصرهم وعرفهم بشكل شخصي و بعضهم لا نجد له سيرة في غير هذا المصدر، وعكس الكتاب صورة الأحوال الاجتماعية والادبية في أواخر عصر المماليك الذي اتسم بالجمود العقلي والسياسي.^٣

ويصف السيوطي من ترجم لهم بقوله: "... هذا تأليف لطيف في تراجم أعيان العصر على طريقة أهل العلم الراسخين، لا عموم المؤرخين، قصرته على الأعيان وأفراد الزمان، ولم أَدع إليه الجفلى... بل انتقيت أمثال النبلاء، ولم أورد فيه إلا محاسن، ولا وردت إلا زلال ماء غير آسن، وسميته نظم العقيان (الذهب الخالص) في أعيان الأعيان.^٤

واتسمت كتابات السيوطي بالتنوع العجيب، والغزارة في الإنتاج، وضمّن كتاباته العديد من الكتب القديمة والمفقودة الآن، كما قام بشرح عدد من الكتب السابقة، زاد عليها إضافات من جمعه.^٥

ويعتبر ابن إياس أهم مؤرخ عربي لعصر إضمحلال دولة المماليك، والمصدر العربي الوحيد الذي يتحدث عن بداية القرن العاشر الهجري ودخول الدولة العثمانية لمصر (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م).^١

^١ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين الخضير الشافعي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق خليل منصور دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٧م، مجلد/١، ص٧.

^٢ السيوطي، حسن المحاضرة، مجلد/١، ص٩.

^٣ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحرير فيليب حتي، المطبعة السورية الأميركية، (د/ط)، نيويورك، ١٩٢٧م، مقدمة المحقق، ص(ص،ض،ط).

^٤ السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص ١.

^٥ بروكلمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٨، ص ٥٥٧٩ - ٥٥٨٠، مادة السيوطي.

له عدة مصنفات أهمها " بدائع الزهور في وقائع الدهور " فيذكر في مقدمته: " هذا كتابنا في التاريخ ... أوردت فيه فوائد سنوية، و غرائب مستعذبة مرضية، تصلح لمسامرة الجليس، وتكون للمنفرد كالأنيس، وقد طالعت على هذا التاريخ كتباً شتى، نحو ٣٧ سبعة وثلاثين تاريخاً، حتى استقام لي ما أريد... وقد توخيت فيه أخبار مصر، و أوردت ذلك شيئاً فشيئاً على الترتيب، قاصداً فيه الاختصار..."، وذكر فضائل ومحاسن مصر وما فيها من الغرائب والعجائب والآيات القرآنية التي ذكرت فيها، ومن وليها من أول الزمان و في صدر الإسلام والدول التي قامت فيها حتى سنة ٩٠١ هـ/١٤٩٥م، ويضيف ... وقد بينت ذلك في تراجمهم من مبتدأ خبرهم إلى وفاتهم.. " ٢ .

صنّف ابن إياس بدائع الزهور كتاريخ عام شامل ومختصر لمصر، فهو صورة مصغرة لمن سبقه خاصة من فتح مصر حتى نهاية الدولة الأيوبية، ثم أخذ بشيء من التوسع في تاريخ المماليك، ثم تحول إلى الإسهاب والإفاضة من بداية القرن التاسع الهجري حتى وفاته (٩٣٠ هـ / ١٥٢٣م)، خاصة الفترة التي عاصرها فدونها يوماً بيوم و شهراً بشهر وكأنه سجل يومي للحوادث الخاصة والعامة ٣ .

وتركزت معظم جهوده على الأعوام التي سبقت الفتح العثماني لمصر وحوادث الفتح والأعوام القليلة التي عاشها بعد الفتح (١٥١٧ - ١٥٢٣ أو ١٥٢٤م) وهذه ملأت أكثر من مجلدين كبيرين من كتابه. وتكمل الوثائق التي قدمها عن هذه الفترة ما بدأه كل من المقزيري، وابن تغري بردي، والسخاوي ومجموعها يشكل قرناً كاملاً متواصلاً من المشاهدات المعاصرة للفترة الأخيرة من حكم المماليك لمصر. ٤

اتسمت كتابة ابن إياس ومنهجه بالصحة ودقة المعلومات مع الاختصار وتوخي الأمانة العلمية فيما نقله من أخبار وأحداث عمن سبقه، واستقصاءه للحقائق والتعليق عليها، وبيان رأيه فيها، لديه أسلوب نقد قاسي، ويتصف بالروية والتبصر والإتزان في أحكامه وآرائه. ورغم أنه كتب الجزء الأخير من كتابه في ظل السيادة العثمانية إلا أنه لم يتردد في تسخيفه

^١ سوبر نهائم (M.Sobernheim) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن إياس، ص ٢١٠-٢١٧.

انظر: مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٧٣. عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٥٢-١٥٤.

^٢ ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، ط/١، القاهرة، ١٩٧٥م، ج/١، قسم/١، ص ٣-٤.

^٣ عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٥٢-١٥٤. انظر: سوبرنهائم ص ٢١٥-٢١٦، زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٥٢-٥٤، مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٧٣-١٧٤.

^٤ عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٦٨. زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٥٥.

للأتراك والتعبير عن احتقاره وكراهيته لهم، ومن المآخذ عليه إن لغته ليست فصيحة ويستخدم الكلمات وحتى الأشعار بالعامية.^١

أما أحمد زنبيل (ت بعد ٩٨٠ هـ / ١٥٥٢ م) الذي عرف (بالرَّمَّال) لأنه برع في علم الخط والرمل والتنجيم^٢، وعمل موظفاً في ديوان الجيش العثماني، ورافق جيش السلطان العثماني سليم الأول خلال حروبه التي أنهت دولة المماليك في مصر و الشام^٣. صنّف كتاباً يُعتبر سجلاً وافيةً لحوادث الفتح العثماني من خروج السلطان قانصوه الغوري من القاهرة لملاقاة العثمانيين بشمال سورية ١٥١٦م، إلى يوم رجوع السلطان سليم منتصراً إلى إسطنبول ١٥٢١م، ومعه أمراء دولته وعددهم ٢٢ اثنان وعشرون قائداً، كما ذكر نواب المناطق والمدن على زمن قانصوه الغوري^٤.

يوجد من الكتاب نسخ متعددة ومتفاوتة في الحجم والقيمة^٥. و أوفى هذه النسخ ما زالت مخطوطة دون تحقيق^٦، وصف فيها ابن زنبيل طموح السلطان سليم الأول للحكم في حياة والده والده بايزيد، وتجريده حملتين ضد والده حيث تنازل له والده بعد الحملة الثانية، ثم قتل سليم لأخوته ما عدا أخيه قرقود الذي لجأ لقانصوه الغوري، وأدى ذلك لتوتر العلاقة بينهما، وأشار ابن زنبيل إلى فشل المراسلات والسفارات المتبادلة لتهدئة الأوضاع، والتي انتهت باحتلال العثمانيين لمصر والشام^٧.

^١ ابن إياس، بدائع الزهور، ج/١، قسم/١، ص ٨. سوبرنهايم، ص ٢١٥-٢١٦. مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص ١٧٣-١٧٤. زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٥٥.

^٢ ابن زنبيل، أبو الحسن أحمد بن علي بن أحمد بن زنبيل، (ت بعد ٩٨٠ هـ / ١٥٥٢ م) " واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم العثماني"، تحقيق عبد المنعم عامر، (د/ن) (د/ط) القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٨-٩. ابن زنبيل، أحمد بن علي بن أحمد بن زنبيل الرمال، ت بعد ٩٨٠ هـ / ١٥٥٢ م. تحقيق فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٦. زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٧٥-٧٦.

^٣ زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٧٥-٧٦.

^٤ ابن زنبيل، أحمد بن علي بن أحمد الرمال، (ت بعد ٩٨٠ هـ / ١٥٥٢ م) " تاريخ السلطان سليم العثماني ابن السلطان بايزيد مع السلطان قانصوه الغوري (مخطوط)، ص ٣-٤.

^٥ ابن زنبيل، تحقيق عبد المنعم عامر. ابن زنبيل، تحقيق أحمد فريد المزيدي.

^٦ ابن زنبيل، مخطوطة (في ١٢٩ صفحة) يعود تاريخ نسخها لعام ١٢٧٨ هـ، أي بعد ٣٠٠ سنة من تاريخ وفاة المؤلف الأصلي ودون ذكر اسم الناسخ، مكتبة الجامعة الأردنية/ المجموعة الخاصة.

^٧ ابن زنبيل، المخطوط، ص ٤-٨، ١١-١٤، ١٥-٢٤، ٢٥ وما بعدها.

يعتبر كتاب ابن زنبيل من أشمل المصنفات التي تحدثت عن هذه الفترة من حيث أبراز الشخصيات المعاصرة وتفصيل الحوادث الجارية بدقة باليوم والشهر والسنة وكأنه يروي قصة أو حكاية فقد كان معاصراً لوقائعها وشاهد عيان لها^١.

ملاح و سمات المدرسة التاريخية المصرية.

ذكر جيب أن المدرسة المصرية ظهرت في القرن الأخير من حكم المماليك وخرجت عدداً متميزاً من المؤرخين ونخبة ممتازة من الكتاب ابتداءً من المقريري لكن صرحها انهار فجأة^٢. واتسمت المدرسة التاريخية المصرية، بعدة ميزات عن المدارس التاريخية الأخرى. يمكن إجمالها بما يلي:

- جمع معظم المؤرخين بين الوظائف الكبيرة في الدولة مثل: قاضي القضاة، والديوان، والحسبة، وتدريس الحديث أو ناظر أوقاف مثل المقريري، والعيني وابن حجر.
- اقتصر معظم كتاباتهم على مصر وحتى من كتب منهم في التاريخ العام إخرجه في إطار مصري.
- ظاهرة التنافس الشديد (الخصومة والتحاسد) فيما بينهم بسبب تعصب كل منهم لشيخه أو تعاقبهم على الوظيفة نفسها مثل المقريري والعيني وابن حجر.
- تبادل الانتقاد والهجوم فيما بينهم .
- ذكر معظمهم في مقدمته أنه يولف لنفسه وليس بناءً على طلب أمير أو سلطان ولا يريد جزاءً مقابل ذلك.
- شيوع ظاهرة الكتابة باللغة العامية (غير الفصحى) واستخدام مصطلحات وكلمات غريبة، ربما ذلك كان بسبب انتشار وتداول اللغة التركية وغيرها في أوساط الطبقة الخاصة وبين رجال الحكم خاصة في مصطلحات الجيش والبحرية و وظائف الإدارة العليا وفي الدواوين.
- أما السمة الأكثر أهمية والمتعلقة بتنوع الإنتاج الأدبي و غزارته وخاصة في مجال التاريخ أن معظم كتاباتهم كانت ذيو لا وتكملات أو ملخصات لمصنفات سابقة لهم في الزمن وساروا على نهجها.^٣

^١ ابن زنبيل ، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ص ٦ ، ١١ . ابن زنبيل، تحقيق عبد المنعم عامر، ص ٨-٩، ٢٠٠. زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٧٥-٧٦.

^٢ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

^٣ زيادة، المؤرخون في مصر، انظر الصفحات: ٨١، ٨٤-٩٠، ١٠٥.

يبدو من بعض الملامح أعلاه انها تحمل معنىً سلبياً في ظاهرها، لكن الواقع هناك معنىً إيجابياً في باطنها، إنعكس على الكتابة التاريخية في غزارة الإنتاج والتنوع في المواضيع، والبراعة في التخصص في الفترة الزمنية.

هناك من قدم منهم دليلاً ومرجعاً لكثير من المصنفات القديمة، التي ربما فقد الكثير منها مثل السخاوي، في تصنيفه للقوائم المنظمة من الإحصاء البيلوغرافي لمصنفات سابقه على أساس المواضيع وأسماء المؤلفين والعناوين. وأخيراً وفرت كثرة الذبول والتكمالات المصادر والفرص لإجراء دراسات لفترات زمنية طويلة ومتواصلة تمتد لقرن من الزمان أو أكثر.

ربما يُفسر الإنهيار المفاجئ لصرح المدرسة المصرية الى انتهاء عهد السلاطين المماليك باحتلال العثمانيين لمصر الذين لم يعرف عنهم حبهم ورعايتهم للعلم والعلماء كما تم نقل الكثير من المؤلفات المصرية إلى الأستانة، أضف إلى ذلك تردي أوضاع مصر تحت الحكم العثماني.

ج: المدرسة اليمنية

يذكر جيب أن التواريخ الإقليمية التي صنف في هذه الأقطار تختلف عن التواريخ المصرية من حيث النطاق أكثر من اختلافها من حيث المنهج أو شخصية الكاتب بينما تتشابه معها في المادة بشكل عام^١.

و يضيف بأن هناك من تفوق على معاصريه في المغرب من حيث المادة والأسلوب مثل عبد الواحد المراكشي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وابن أبي زرع في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، لكن الوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) تميّز على جميع مصنفي المغرب والأندلس بالمهارة الفنية لدرجة العبقرية، ولا يضارعه في القدرة على النقد إن لم يتفوق عليه، إلا ابن عذاري المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)^٢.

أما التواريخ المحلية في اليمن فنجد الخزرجي (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م) (المعروف بابن وهاس) وبمؤرخ اليمن والدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨ هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤ م)، فقد عاصر ملك اليمن الأشرف إسماعيل الرسولي، وكان قريباً منه، وله عدة مصنفات تناول فيها تاريخ اليمن ومدينة زبيد^٣ منها: " العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية" تناول فيه أخبار وتاريخ

^١ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

^٢ Ibid. , p241.

^٣ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي، مجلد/٤، ص ٢٤٧-٢٤٩.

الدولة الرسولية في اليمن من مؤسسها الملك المنصور عمر بن علي إلى آخر حكم الملك الأشرف.

ورتب الحوادث والأخبار فيه على السنين ثم التراجم والوفيات^١. وكتاب "العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن" ويعرف أيضاً باسم " طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن"، وهو كتاب في التراجم والتاريخ مرتب على حروف المعجم، صنّفه الخزرجي بناءً على طلب الملك الأشرف إسماعيل بن العباس وبعض العلماء والأقران^٢.

تناول المصنف في مقدمته التعريف ببلاد اليمن، وتحدث عن أهمية التاريخ وقدم موجزاً للتاريخ الإسلامي حتى سنة (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م)، اعتمد فيه الترتيب حسب الموضوع بحيث يكون اسم كل خليفة عنواناً لفصل، ثم تحدث عن مضمون الكتاب الذي رتبته حسب الأحرف ابتداءً بحرف الألف (الهمزة) إلى حرف الياء^٣، وجاء الكتاب في ثلاثين باباً، (٢٨) ثمانية وعشرين منها حسب تسلسل حروف الهجاء، وباباً للكنى وآخر للنساء، وهو على نمط كتاب الجندي " السلوك في طبقات العلماء والملوك"^٤.

وكتاب " اليمن في عهد الولاة " وهذا الكتاب جزء من كتاب آخر فيه اختلاط في نسبته للخزرجي بعنوان الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام" وهو في خمسة أبواب وكتاب آخر مشابه له ينسب للأشرف الرسولي بعنوان " فاكهة الزمن"^٥.

ويذكر محقق كتاب اليمن في عهد الولاة أن الأبواب الثلاثة الأولى من كتاب الكفاية والإعلام تتعلق بالدولة الإسلامية ابتداءً من دولة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، ودولة بني أمية، ودولة بني العباس^٦. بينما يشمل الباب الرابع على عشرة فصول تناول فيه

^١ الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي (المعروف بابن وهاس) (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، ط/٢، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٠.

^٢ الخزرجي، أبو الحسن علي بن محمد بن وهاس، (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، تحقيق عبد الله بن قائد العبادي، وعلي عبد الله صالح الوصابي، ومبارك بن محمد الدوسري، وجميل أحمد سعيد الأشول، دار الجيل الجديد، ط/١، صنعاء، ٢٠٠٩، ص ٩٩ – ١٠١.

^٣ الخزرجي، العقد الفاخر، ص ١٠٣.

^٤ المصدر نفسه، ص ١٠٣-١٠٥.

^٥ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٤، ص ٢٤٨.

^٦ الخزرجي، اليمن في عهد الولاة، تحقيق راضي دغفوس، الجامعة التونسية، (د/ط)، تونس، ١٩٧٩، ص ١٤.

فضل اليمن وإسلامها وعمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليها حتى الدولة الزريعية (٤٧٠-٥٦٩ هـ/١٠٧٧-١١٧٣ م) واستيلائها على عدن^١.

ويشتمل الباب الخامس على الفترة الزمنية من اختطاط مدينة زبيد وحتى أخبار الدولة الأشرفية^٢. ويعتبر الخزرجي مصدراً هاماً لمؤرخي القرون المتأخرة مثل ابن الديبع ويحيى بن الحسن^٣.

أما ابن الديبع (ت ٩٤٤ هـ/ ١٥٣٧ م) المحدث والمؤرخ له عدة مصنفات أهمها: "بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد" وهو تاريخ لمدينة زبيد وحكامها حتى عام ٩٠١ هـ^٤، ويبدأ المصنف مقدمته بذكر أهمية علم التاريخ وفضله وفوائده، ثم يتحدث عن كتابه بقوله: " فجمعت في كتابي هذا أخبار مدينة زبيد ومن أسسها ومن وليها من الملوك منذ أسست إلى زماننا هذا في أواخر المائة التاسعة مما ذكره الأئمة المؤرخون والعلماء المحققون... " الذين اعتمد عليهم في معلوماته أي مصادره وهم: عمارة اليمني، والجندي، والقرشي، والخزرجي، والمقري، والناشري^٥.

وكان دافعه لوضع الكتاب هو التأريخ لدولة بني طاهر بقوله: " .. وكان من أعظم البواعث لي...أنني لم أجد أحداً ممن تقدمني أرخ دولة ملوكنا أئمة الزمن.. فجمعت من اتفاقاتها ما لم أسبق إليه وكنت أول قادم عليه.. وقد تلقنت ما أوردته من مشايخي المحققين... وبالغت في الاختصار، ولم أقصد التطويل والإكثار^٦.

ووضع كتابه في مقدمة وعشرة أبواب أهمها المقدمة والباب الأول، حيث تناول في المقدمة أخبار اليمن من ابتداء التاريخ الإسلامي حتى زمن محمد بن عبد الله بن زياد الذي وضع خطط مدينة زبيد وتناول في الباب الأول كل ما يتعلق بمدينة زبيد، وتناول في باقي الكتاب أخبار وحوادث اليمن ومدينة زبيد^٧.

^١ المصدر نفسه، ص ١٥.

^٢ الخزرجي، اليمن في عهد الولاة، ص ١٦-١٧.

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٣.

^٤ أرندك (G.Von Arendenk)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة " ابن الديبع"، ص ٢٨١، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

^٥ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع، (ت ٩٤٤ هـ/ ١٥٣٧ م) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، (د/ط)، صنعاء، ١٩٧٩ م، ص ١٢-١٣.

^٦ ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ١٣-١٤.

^٧ المصدر نفسه، ص ١٤-١٥.

وله كتاب آخر هو " قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون " ويذكر أنه ملخص لكتاب ابن وهاس الخزرجي " العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، وأضاف له تاريخ دولة بني رسول^١، وهو تاريخ محلي لليمن بأسلوب سهل بسيط بعيد عن التعصب والتحيز اهتم فيه بالحقائق (دقة المعلومات) أكثر من الوقائع والحوادث والأخبار^٢.

كما صنف الديبع " تحفة الزمن في فضائل أهل اليمن" تناول فيه آيات القرآن الكريم^٣، والأحاديث النبوية^٤، الدالة على في فضل اليمن وهي الغاية من وضع الكتاب، ثم تحدث بإيجاز عن خلق وطباع أهل اليمن ووصف بيئتها وطبوغرافيتها في الماضي حتى عصره، ومن كان بها من الأنبياء والصحابة والفقهاء والتابعين والمدن المشهورة.^٥

ملاحظات عامة على المدرسة اليمنية

- يرى جيب أن هناك تشابهاً بين المدرسة اليمنية والمدرسة المصرية في الأسلوب والمنهج لكنها أقل منها في غزارة الإنتاج وتنوع المواضيع، واقتصرت على تاريخ اليمن وفضائلها وطبيعتها وعلمائها وخاصة تواريخ الأسر الحاكمة وتاريخ مدينة زبيد، وهذا ما أشار إليه جيب بالاختلاف من حيث النطاق.^٦

- جاءت معظم المصنفات على شكل ذيول وتكملات أو ملخصات أو نقول عن المعاصرين .
- وجود بعض المصنفات تحمل أكثر من عنوان لنفس المؤلف مثل " العقد الفاخر في طبقات أكابر أهل اليمن"، و" طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن" للخزرجي.

د: التواريخ المحلية/ المغرب والأندلس.

يصنف كتاب عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٥١ م) المعجب بأنه كتاب تاريخ وأدب عن الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى الربع الأول من القرن السابع الهجري، و وضع المراكشي مصنفه بناءً على طلب وزير عباسي من خاصة الخليفة الناصر لدين الله. وذكر في

^١ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م)، قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحولي، المطبعة السلفية، د/ط، القاهرة، (د/ت)، ص ١٥-٢٢.

^٢ ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٧.

^٣ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الديبع الزبيدي(ت ٩٤٤ هـ) " تحفة الزمن في فضائل أهل اليمن"، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٣-٢٩.

^٤ ابن الديبع، تحفة الزمن، ص ٣٠-٤٤.

^٥ المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٤.

^٦ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241

مقدمة مصنفه مخاطباً الوزير بقوله: "أيها السيد... فإنك سألتني... إملأ أوراق تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره، وشيء من سير ملوكه وخصوصاً ملوك المصامدة بني عبد المؤمن، من لدن ابتداء دولتهم وإلى وقتنا هذا سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤م) وأن يضاف إلى ذلك نبذة... من وجوه الرواية والشعراء والعلماء وأنواع أهل الفضل".^١

وتضمن كتاب عبد الواحد طائفة من أخبار الموحدين التي شهد بعض حوادثها بنفسه ورواها أرواها عمن شهدها وما ذكره عن أخبار المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام دولة الموحدين نقله من مؤلفات الحميدي^٢.

أما ابن أبي زرع (ت في القرن ٨ هجري / ١٤ ميلادي)، صاحب كتاب الأنيس المطرب، فهو يذكر أنه وضع كتابه لخدمة السلطان أبي سعيد عثمان بن أمير المؤمنين، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني وجمع فيه أخبار أمراء وملوك وخلفاء المغرب المتقدمين من دولة الإمام إدريس بن عبد الله الحسني (١٤٥ هـ إلى عصر المؤلف ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)^٣

يعتبر كتاب الأنيس تاريخاً للمغرب (بشكل عام ولمدينة فاس بشكل خاص) حتى سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)، لأنه اعتمد في تصنيفه على مصادر تاريخية موثوقة، وروايات شيوخ التاريخ والحفاظ والكتاب وما أخذه من الرواة الثقة،^٤ ووثائق رسمية وعدة مصادر أغفل ذكرها ذكرها خاصة في حديثه عن حكم الدولة المرينية.^٥

قام بحذف الإسناد، وتوسط بين الأسهاب والاختصار وكتب بأسلوب فقيه متوسط المعرفة بعلوم اللغة، لذلك جاءت عباراته مختلفة تبعاً لمن نقل عنهم بين البليغ والمتوسط والركيك، ورتب كتابه على الدول، حيث يبدأ بذكر الدول ومراحل تأسيسها ومن تعاقب عليها وأعمال كل منهم وأهم الحوادث والأخبار الاجتماعية والاقتصادية والوفيات^٦. ورغم ما فيه من أغلاط فهو من أهم المصادر عن المغرب لشموله ووفرة أخباره.^٧

^١ عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٥١م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الإستقامة، ط/١، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٤.

^٢ بالنسبة، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٤٨-٢٤٩.

^٣ ابن أبي زرع، أبي الحسن علي بن عبد الله (ت في القرن ٨ هجري / ١٤ ميلادي)، كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د/ط)، الرباط، ١٩٧٢م، ص ١٢-١٣.

^٤ ابن أبي زرع، المطرب، ص ١٤.

^٥ رينيه باسيه، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن أبي زرع، ص ٢٠٤-٢٠٥.

^٦ ابن أبي زرع، المطرب، ص ٨، ١٤.

^٧ ابن أبي زرع، المطرب، ص ٨.

كان لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) الملقب بذي الوزارتين شخصية عبقرية متميزة، تفوق بسيرته وذكائه ومهارته ومصنفاته على جميع معاصريه، درس العلوم الطبية والفلسفة ونظم الشعر وتجلّى علمه الواسع بالأدب العربي بوقت مبكر، وعمل في وظائف الدولة وتولى الوزارة أكثر من مرة وأصبح مقرباً من السلاطين ولعب أدواراً أساسية هامة.

وله مصنفات كثيرة تزيد عن ٦٠ مؤلف معظمها في التاريخ والجغرافيا والشعر والأدب والتصوف والفلسفة والطب ولم يبق منها إلا ثلثها تقريباً^١. ذكر منها سبعة وثلاثين (٣٧) في كتابه الإحاطة وسنعرض لأحد كتبه المميزة. وهو كتاب "معيان الاختيار في ذكر المعاهد والديار" ويتضمن وصفاً شاملاً لأهم مدن مملكة غرناطة ومدن المغرب تناول فيه ابن الخطيب النواحي الجغرافية والتاريخية والاجتماعية (٣٤) لأربعة وثلاثين مدينة أندلسية و(١٩) تسعة عشر مدينة ومغربية^٢.

جاء منهج ابن الخطيب في كتابه المعيار بشكل خاص مختلفاً عن معظم مصنفاته، فبدأ بمقدمة معتادة وأقربها حوار على شكل مقامة أدبية قصصية بين راو يسأل شيخاً أن يصف له بلاد الأندلس والمغرب، وجاء وصف الشيخ للمدن تحفة فنية رائعة تناولها من النواحي التاريخية والاجتماعية والثقافية وتمكن من إبرازها بدقة و صورة مشوقة^٣. كان ابن الخطيب يقوم بدور كل من الراوي السائل والشيخ الذي يجيب.

تبرز أهمية الكتاب في التعريف بأوضاع المدن الأندلسية والمغربية في منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكانت مصادره زيارته الشخصية للمدن التي تناولها، وقراءاته لكتب من سبقه، وسماعه من شيوخه والتقارير الرسمية الإدارية التي كان يطلع عليها بحكم عمله وزيراً لأكثر من مرة وأميناً لسر السلطان^٤. ورغم أنه وضع كتابه بأسلوب السجع السجع والجناس والكناية إلا أنه كان ذا قيمة كبيرة^٥.

^١ تسيبولد (C.E.Seybold)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن الخطيب، ص ٢٦٨ - ٢٧٠.

^٢ ابن الخطيب (لسان الدين)، أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد على السلماني، (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٣-٤٥.

^٣ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص ٤٩-٥١، ٥٥، ٦١-٦٢، ٧٢-٧٩.

^٤ المصدر نفسه، ص ٥٦-٦١.

^٥ المصدر نفسه، ص ٥٦.

ويذكر المستشرق الإسباني بالنثيا أن المعلومات التاريخية التي يوردها ابن الخطيب في كتبه صحيحة ودقيقة في الغالب وهي مرجعنا الأوثق في معرفة تاريخ غرناطة ، ويكاد يكون آخر كاتب عظيم أنجبه الأندلس الإسباني.^١

ابن عذاري المراكشي (ت ٧١٢ هـ / ١٣١٣ م) صاحب كتاب البيان المغرب الذي يعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس وله قيمة تاريخية كبيرة وفائدة عظيمة لأنه يحتوي على فقرات هامة من مصنفات تاريخية أخرى تعتبر اليوم بحكم المفقودة كلياً أو جزئياً^٢.

ويؤكد ذلك ابن عذري بقوله : " ولما كنت كلفاً بأخبار الخلفاء والأئمة والأمراء بالبلاد المشرقية والمغربية، والمناظرة مع الأخلاء والفضلاء ، حتى طلب بعضهم اليّ ممن يجب إكرامه عليّ أن أجمع له كتاباً منفرداً في أخبار ملوك البلاد المغربية على سبيل الإيجاز والاختصار، وطالبنني مراراً وحملني على جمعه وتأليفه حمل اضطرار لا اختيار..."^٣

ويبين ما قام به فيقول: " جمعت له في هذا الكتاب نبذاً ولمعاً من عيون التواريخ والأخبار من الكتب الجليلة.. فنقلت من تاريخ الطبري و... (ويعدد مصادره وهي من أمهات المصادر وتربو على الثلاثين) ... ومن كتاب وجدته أو تعليقه، ومن شيوخ أخذت الأخبار الوقتية عنهم بتحقيق ولما كمل، قيدته وجرّدته، جزئياً على ثلاثة أجزاء: كل جزء منها كتاب قائم بنفسه وسميته بالبيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب " ^٤.

تناول في الجزء الأول أخبار إفريقية من زمن فتحها في خلافة عثمان بن عفان حتى بداية دولة المرابطين وتضمن الجزء الثاني أخبار الأندلس من الفتح الأول حتى سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م، أما الجزء الثالث فتناول فيه أخبار دولة المرابطين حتى سنة ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨م^٥.

^١ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٥٩.

^٢ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق عبد الله محمد علي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت ٢٠٠٩، مجلد/٤، ص ٣. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٤٩. رينيه باسيه (Rene Basset) ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/ ١، مادة ابن عذاري، ص ٣٤١-٣٤٢.

^٣ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج/١، تحقيق ج.س. كولان وليفي برونسسال، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت ، ٢٠٠٩م، ص ٢.

^٤ ابن عذاري، البيان المغرب، ج/١، ص ٣.

^٥ المصدر نفسه، ج/١، ص ٣-٥.

يشترك كل من ابن الخطيب وابن عذاري بصفات إيجابية ثلاثة هي: الأمانة العلمية بتعداد مصادرهما، وتحقيق (أي نقد) هذه المصادر، وأهمية مصنفاتهما من حيث القيمة العلمية وأسلوب عرض المادة والسعة والشمول لما تتضمنه من أجزاء لمؤلفات سابقة مفقودة تتعلق بتاريخ المغرب والأندلس^١، وهذا ما أشار له جيب بالمضارعة فيما بينهما في الدقة والنقد.

هـ: المصنفات المتخصصة .

يذكر جيب أن الكتابة في التراجم المتخصصة وجدت عند العرب في فترات سابقة (وجرى الحديث عنها)، وعادت في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى الظهور بشكل واضح وميادين جديدة حيث وجدت مجموعات في التراجم لها أهمية خاصة ويصنفها جيب بأربع مجموعات كما يلي:^٢

التراجم في الأدب والطب والعلوم

فقد صنّف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م) معجماً في تراث الأدب العربي غطى فيه ستة قرون من التاريخ الإسلامي، وجمع كل من ابن القفطي المصري (ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م)، وابن أبي أصيبعة الدمشقي (ت ٦٦٨ هـ/ ١٢٧٠ م) في معجميهما ما بذله المسلمون الأوائل من جهد في الطب والعلوم.^٣

أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م) أصله من بلاد الروم، أسر وهو صغير وبيع في بلاد الشام حيث اشتراه تاجر أمي من حماة وهو عسكر بن نصر إبراهيم الحموي، فمنحه كنيته وأرسله ليتعلم القراءة والكتابة ليكون مساعداً له في تجارته فتفوق ياقوت على أقرانه، وأحسن خدمة سيده وتفانى في الإخلاص له وناب عنه في تجارته وأسفاره حتى اعتقه سيده عام ٥٩٦ هـ/ ١٢٠٠ م. فاستقل في حياته وعمل في نسخ الكتب وتجارته.^٤

ارتحل ياقوت في طلب العلم وجمع المعلومات وتَنَقَّل بين دمشق وحلب وأربل وخراسان ومرو ونسا وخوارزم وما وراء النهر حيث صادف غزو جنكيز خان إلى شرق العالم الإسلامي فعاد إلى العراق ومنها إلى حلب التي استقر بها حتى وفاته.

^١ المصدر نفسه، ج/٤، ص ٣-٥.

^٢ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

^٣ Ibid., p241.

^٤ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ١٠-١١. النبراوي، مناهج البحث، ص ١٣٨.

له عدة مصنفات في التاريخ والجغرافيا أهمها معجم الأدباء، ويذكر أنه وقف في حياته مؤلفاته على المسجد الزيدي في بغداد وسلمها إلى ابن الأثير صاحب الكامل ليوصلها إلى المسجد.^١

يعتبر كتاب معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - دائرة معارف إسلامية لمختلف صفوف المؤلفين والكتاب على مدى ستة قرون، ويتحدث ياقوت عن دوافعه لتصنيف كتابه هو حبّه لطلب العلم والأدب وأخبار العلماء وأنه لم يجد غايته عند من سبقوه بقوله: "... فما زلت منذ عُديتُ بغرام الأدب، وألهمتُ حُبَّ العِلْمِ وشغوفاً بأخبار العلماء متطلعاً إلى أنباء الأدباء أسأل عن أحوالهم ... وأطوّفُ على مُصنّفٍ فيهم يشفى العليل، ويداوي لوعة الغليل ، فما وجدت في ذلك تصنيفاً شافياً ولا تأليفاً كافياً..."^٢.

ثم عدد من صنف قبله من أصحاب التراجم ، وأبدى رأيه ونقده ومأخذه على كل منهم وذكر كل من أخذ منه، ويصف لنا كتابه وأسلوبه ومنهجه فيه بقوله: "... وجمعت في هذا الكتاب، ما وقع لي من أخبار النحويين واللغويين والنسابيين، والقراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين، والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة..."^٣.

مع إثبات الاختصار، والإعجاز في نهاية الإيجاز ولم آل جهداً في إثبات الوفيات، وذكر تصانيفهم... وشيء من أشعارهم... وحذفت الأسانيد... وأثبتت مواطن نقلي، ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول عليهم، والمرجوع في صحة النقل إليهم"^٤ ... و جعلت ترتيبه على المعجم^٥، فهذه أخبار قوم عنهم أخذ علم القرآن المجيد، والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعَتِهِمْ يَسْتَقِيمُ أمر السلطان والوزارة، وبعلمهم يَتِمُّ الإسلام وباستنباطهم يُعرف الحلال من الحرام"^٦، "... وإنما تصديت لجمع هذا الكتاب .. لا لسلطان أجتديه، ولا لصدر أرتجيه "^٧.

^١ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ١٢-١٣. النيراوي، مناهج البحث، ص ١٣٨.

^٢ ياقوت الحموي، معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المجلد الأول، ص ٤٨-٤٩.

^٣ ياقوت، معجم الادباء، مجلد/١، ص ٥١.

^٤ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ٥٢.

^٥ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ٥٣.

^٦ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ٥٥.

^٧ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ٥٩.

المصنّفات في الطب والعلوم

أشار جيب إلى بعض من صنّف في هذه العلوم ومن أهمهم: ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م)، صاحب طبقات الأطباء، الذي درس الطب في دمشق والقاهرة، وكان من أساتذته عالم النباتات ابن البيطار، واشتهر بممارسة مهنة الطب والكحالة كوالده وله عدة مصنّفات في الطبابة والعلاجات وصلنا أهمها " عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" ^١.

وتضمن الكتاب (٤٠٠) أربعمائة ترجمة دقيقة للمشاهير من الأطباء مع ذكر مصنّفات كل منهم من بداية صناعة الطب حتى عصر المؤلف، وتفوق على غيره في التاريخ الطبي والعلمي للقرون الوسطى حيث قدم معلومات عن الطب الهندي واليوناني كانت لم تصل إلى أوروبا بدونه، وأورد تفاصيل وافية عن الحياة الاجتماعية والعلمية في العالم الإسلامي ونبذ كثيرة عن مصنّفات فقدت منذ أمد بعيد ^٢.

تحدث ابن أبي أصيبعة في مقدمته عن صناعة الطب وشرفها وربحها، واقتران علم الأبدان بعلم الأديان، وأهمية صحة الإنسان، ومع كثرة المشتغلين بهذه الصناعة تشهد لهم بذلك، ولكنه لم يجد كتاباً جامعاً في طبقات الأطباء لذلك رغب في تصنيف كتاب جامع لطبقات الاطباء وأحوالهم ومصنّفاتهم ^٣ بقوله: " رأيت أن أذكر في هذا الكتاب نكتاً و عيوناً في مراتب مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين، ومعرفة طبقاتهم على توالي أزمنتهم وأوقاتهم، وان أودعه نبذاً من أقوالهم وحكاياتهم ونواديرهم ومحاوراتهم، وذكر شيء من أسماء كتبهم." ^٤

" وقد أودعت في هذا الكتاب ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب وجمالاً من أحوالهم ونواديرهم... وجعلته منقسماً إلى خمسة عشر باباً وسميته عيون الأنبياء في طبقات الأطباء وخدمت به خزانة الوزير أبي الحسن بن غزال بن أبي

^١ ابن أبي أصيبعة، أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي. (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت ١٩٩٨، ص ٣. ماكس ميرهوف (Max Merhof)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن اصيبعة، ص ١٩٦-١٩٧. براون، تاريخ الأدب في إيران، ص ١٠٥.

^٢ ابن أبي صيبعة، طبقات الأطباء، ص ٣. ماكس مايرهوف، دائرة المعارف الإسلامية ط/١، مجلد/١، ص ١٩٧ - ١٩٨.

^٣ ابن أبي اصيبعة، طبقات الاطباء، ص ٤.

^٤ المصدر نفسه، ص ٥.

سعيد^١. واعتمد ويستنفذ بشكل كلي على كتاب ابن أبي أصيبعة في تأليف كتابه " تاريخ الطب والنبات عند العرب"^٢.

كان ابن القفطي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) صاحب كتاب "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" عالماً باحثاً أميناً يجيد طلب العلم، ورغم عمله في الوظائف الحكومية، إلا أنه صنّف كثيراً من المؤلفات ضاع معظمها في غارة المغول على حلب وذكر منها ياقوت حوالى عشرين. ويرى المستشرق مولر (Muller) أن كتابه تاريخ الحكماء في صورته الحالية ما هو إلا مختصر من الكتاب الذي وضعه أصلاً بهذا الاسم، والكتاب غني بالمعلومات الهامة التي تساعد على دراسة الحكمة والفلسفة^٣.

ويعتبر مصنفه أيضاً معجماً تناول فيه (٤١٤) أربع مائة وأربعة عشر من الأطباء والحكماء والمنجمين من زمن النبي إدريس إلى عصره حيث يذكر: " ... اختلف علماء الأمم في أول من تكلم في الحكمة وأركانها من الرياضة والمنطق والطبيعي والإلهي، فكل فرقة ذكرت الأول عندها، وليس ذلك هو الأول على الحقيقة، ولما أمعن الناظرون النظر رأوا أن ذلك نبوة أنزلت على إدريس- عليه السلام- وكل الأوائل المذكورة عند العالم نوعاً هم من قول تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه الأقرب فالأقرب^٤، وقد عزمت بتأييد الله على ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيلة وأمة قديمها وحديثها إلى زماننا وما حفظ عنه من قول انفرد به، أو كتاب صنّفه أو حكمة عليّة (سببية) ابتدعها ونسبت إليه ، فإنني رأيت ذلك من الأمور التي جُهِلت والتواريخ التي هُجرت، وفي مطالعة هذا اعتبار بمن مضى وذكر من خلف، وقد رتبته على حرف الأبجدي ..^٥ "وبدأ به بإدريس عليه السلام، وبعد حرف الياء بدأ بباب الكنى في أسماء الحكماء .

^١ ابن ابي اصيبعة، طبقات الاطباء، ص ٦.

^٢ براون، تاريخ الأدب في إيران، ص ٦٠٥.

^٣ المرجع نفسه، ص ٦٠٤ - ٦٠٥.

^٤ ابن القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م)، كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة ط/١، القاهرة، ١٣٢٦ هـ، ص ٢. ميتفوخ (E.Mittwoch) دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن القفطي، ص ٣٧٤.

^٥ ابن القفطي، إخبار العلماء ، ص ٢.

التراجم الإقليمية والطبقات الخاصة.

يذكر جيب أن التأليف في التراجم والطبقات لم ينقطع في الأقاليم، وهذه المصنفات تكمل في العادة التواريخ المحلية.^١

لقد صنّف في التراجم الإقليمية كل من ابن العديم ولسان الدين الخطيب. أما ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، فإنه صنّف " بغية الطلب في تاريخ حلب " كان أحد رجال الدولة الأيوبية في بلاد الشام، وأحد شهود العيان لمرحلة هامة من التاريخ الإسلامي، وسمع أخبار الفترة السابقة من أبيه الذي كان من رجال عصره، وكان مقرباً من السلطان (الملك الناصر)، ويحضر مجالس الشورى، ويقوم بالسفارات بين الملوك وعقد المصالحات فيما بينهم، لذلك انفرد بذكر روايات لم يستطع غيره الحصول عليها لأنه كان شاهداً على بعض أحداثها وهذا دليل صدقه ودقته في تصوير أحوال بلاد الشام وخاصة مدينة حلب.^٢

أهم مصنفاته " بغية الطلب في تاريخ حلب" اختصره في كتابه زبدة الحلب في أخبار حلب وسنعرض لكتاب البغية الذي يشبه في خطته كتاب ابن عساكر تاريخ دمشق لكنه خصه لمنطقة حلب، و تناول فيه الوصف الجغرافي لحلب وفضائل شمالي بلاد الشام، وأخبار فتوحها على أيدي المسلمين، ثم ترجم لأعلام شمالي بلاد الشام على حروف المعجم كما ترجم لأعلامها لفترة ما قبل الإسلام.^٣

وتأتي أهمية كتابه مما حواه من مواد تاريخية استقاها من الوثائق والمصنفات الموثوقة السابقة له، وضمن كتابه مأخذه وانتقاداته لعلماء عصره من خلال مشاهداته ومشاركاته للأحداث^٤ وهذه نقطة في غاية الأهمية من شاهد عيان معاصر.

يُعتبر ابن العديم أهم مؤرخي منطقته وأصبح لكتابه البغية عدة ذيول وضعها من جاء بعده إلى زمان كل منهم مثل ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) الأعلام النفسية، وابن الخطيب الناصرية (ت ٨٤٤ هـ / ١٤٣٩ م) "الدُرَرُ الْمُنتَخَب في أخبار حلب"، وسبط ابن العجمي (ت ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م) "كنوز الذهب " وغيرهم وجميعهم اتبع منهجه، وينظر له بأنه المؤرخ الأهم للحروب الصليبية بسبب حياده وتوثيقه الغني وروايته الحقيقية لتلك الفترة.^٥

^١ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

^٢ النبراوي، مناهج البحث، ص ١٤٠ - ١٤١. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٧٧-٧٨.

^٣ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) " بغية الطلب في تاريخ حلب"، تحقيق سهيل زگار (د/ن)، (د/ط)، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٧. انظر: العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٧٩-٨٠.

^٤ ابن العديم، بغية الطلب، ص ١٠-١١.

^٥ سامي الدهان، اعمال التاريخ المحلية، ص ١٧٦-١٧٩.

وصنّف ابن الخطيب أيضاً في التراجم الإقليمية كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة" وهو موسوعة شاملة تناول فيها كل ما يتعلق بأخبار غرناطة من النواحي التاريخية والجغرافية والسياسية والاجتماعية والأدبية منذ الفتح العربي لإسبانيا ومن نزل بها من العرب إلى عصر السلطان الغني بالله محمد الخامس ثامن ملوك دولة بني نصر. وترجم لطائفة كبيرة حوالي (٥٠٠) من الأعلام والأعيان وعلماء وكتاب المغرب والأندلس في مختلف عصور التاريخ الأندلسي^١.

وعدد أسماء المصنفات السابقة ومؤلفيها التي اعتمد عليها وهي مصادره^٢ ثم تحدّث عن عمله وأسلوبه في الكتاب^٣ بقوله: " .. والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي، وصرفت في أخباره مخيلتي، وهو أنني ذكرت البلدة (غرناطة) منبهاً فيها على قديمها ومن سكنها وتولاها، وأحوال أناسها، ومن دال بها من ضروب القبائل وأجناسها وأعطيت صورتها... وذكرت الأسماء على الحروف، وفصلت أجناسهم بالتراجم المرتبة فذكرت ... (ويعدد طبقات من ترجم لهم)... وكل طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار ... " ^٤ " ... وأثرت ترتيب الحروف في الأسماء ... وذهب إلى ذكر الرجل ونسبه وأصالته وحسب مولده وبلده ومذهبه ... والفن الذي دعا إلى ذكره إن كان ممن قيّد علماً أو كتبه ... وشعره وأدبه وتصانيفه ثم وفاته ... " ^٥.

ووضع ابن الأثير (عز الدين) (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) " أسد الغابة في معرفة الصحابة" جمع فيه خلاصة لتراجم الصحابة من الكتب القديمة المعتمدة فكان صفوتها وزبدتها، ويبدأ مقدمته بقوله: " .. إن أشرف العلوم علم الشريعة المبني على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأول الرواة هم صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقد جمع الناس... كثيراً من أسمائهم في كتب الأنساب والمغازي، واختلفت مصادرهم ... فلما

^١ ابن الخطيب، لسان الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) " الإحاطة في أخبار غرناطة"، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط/٢، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص ٤.

^٢ ابن الخطيب، الإحاطة، ص ٨٠ - ٨٦.

^٣ المصدر نفسه، ص ٨٦ - ٨٧.

^٤ ابن الخطيب المصدر نفسه، ص ٨٧.

^٥ المصدر نفسه، ص ٨٧ - ٨٨.

^٦ ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد الجزري، (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر ، (ط/د)، بيروت ، ١٩٨٩ ، مجلد/١، ص ٩.

نظرت فيها رأيت كلاً منهم سلك في جمعه غير الآخر ... فرأيت أن أجمع بين هذه الكتب وأضيف إليها وأن أجمع بين كتبهم"^١.

ويصف عمله بقوله: " وأنا أذكر وضع هذا الكتاب ... فأقول إني جمعت فيه بين الكتب الموجودة قبله) ... وأما ترتيبه ووضعه فإني جعلته على حروف الهجاء^٢ .. وأذكر في الكتاب فصلاً يتضمن ذكر الحوادث المشهورة للنبي(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه.. وأذكر فصلاً أضمنه أسانيد الكتب التي كثر تخريجها منها لمنع تكرار الأسانيد.... وأذكر فيه في فصل جميع ما في هذا الكتاب من الأنساب وجعلتها على حروف المعجم"^٣. وترجع أهمية كتابه أنه جمع ووجد تراجم الصحابة واستدرك عليها حتى عصره وأصبح مرجعاً لمن جاء بعده مثل ابن حجر العسقلاني في كتابه " الإصابة في تمييز الصحابة"^٤.
معاجم التراجم الشاملة .

يذكر جيب أنه إلى جانب هذه المصنفات المتخصصة ظهر نوعان من معاجم التراجم الشاملة في بلاد الشام (عام وخاص)، وصاحب النوع العام هو ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان، وذيل عليه ابن شاعر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م) بكتابه " فوات الوفيات"، ووضع ابن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م) معجمه " الوافي بالوفيات " وذيل عليه ابن تغري بردي بكتابه " المنهل الصافي "^٥.

أما المعاجم الشاملة فيمثلها ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م) في كتابه " وفيات الأعيان" الذي يحتل المكانة الأولى بين كتاب التراجم المعاصرين له وكتاب المسلمين عامة، ويعتبر كتابه وفيات الأعيان من أوائل المراجع التي يحرص على اقتنائها كل مستشرق مبتدئ^٦، والتفت إليه المستشرقون بعد أن نشره وستفاند خلال سنتي ١٨٣٥ - ١٨٤٣م، وترجمة للإنجليزية البارون دي سلان ونشره في لندن بين عامي ١٨٤٣ - ١٨٧١م^٧.

وأهم ما صنّف ابن خلكان وهو موسوعة من التراجم للمشاهير العامة والخاصة في القرون الإسلامية الأولى من الأول وحتى قرابة نهاية السابع الهجري وتميّز به عن سبقه من

^١ ابن الأثير، أسد الغابة، مجلد/١، ص ١٠.

^٢ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ١١-١٢.

^٣ المصدر نفسه، مجلد/١، ص ١٣-١٤.

^٤ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٥٢.

^٥ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

^٦ براون، تاريخ الأدب في ليران، ص ٦٠٢.

^٧ براون، تاريخ الأدب في ليران، ص ٦٠٢-٦٠٣.

حيث الأسلوب السلس الذي تغلب عليه الروح الأدبية، والمادة التي شملت معلومات غنية عن المترجم لهم في حياتهم العلمية والإدارية والتاريخية والأدبية^١.

اشتهر الكتاب بسرعة بين الناس وتعددت نسخه، ويبدو أن ابن خلكان استمر في كتابة مصنفه ٢٥ سنة ما بين (٦٥٥ - ٦٨٠ هـ / ١٢٥٧-١٢٨٢م)، مع الإضافات والتنقيح وأخرجه في ٣ صور: الأولى في ثلاثة أجزاء والثانية في أربعة أجزاء وهي الأكثر تداولاً والثالثة في خمسة أجزاء، ويتراوح عدد التراجم في النسخ الثلاثة ما بين ٨٢٦ - ٨٦٥^٢. وتضمنت النسخة المتوفرة لـ ٨٥٥ ترجمة للمشاهير والأعلام^٣، وكتب له ذبول كثيرة وملخصات^٤.

ويتحدث ابن خلكان عن مضمون كتابه ودافعه لتصنيفه ومنهجه وأسلوبه بقوله: " هذا كتاب في التاريخ دعاني إلى جمعه أني كنت مولعاً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة، و تواريخ وفياتهم وموالدهم ... فرأيت على حروف المعجم أيسر منه على السنين، ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة (رضي الله عنهم) ... ولا من التابعين... وكذلك من الخلفاء... اكتفاءً بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب... ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك ... بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه وأتيت من أحواله بما وقفت عليه مع الإيجاز.. وأثبت وفاته و مولده أن قدرت عليه، ورفعت نسبه على ما ظفرت به، وقيدت من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيفه، و محاسن كل شخص وما يليق به من مكرمة أو نادرة أو شعراً أو رسالة... جعلته لنفسه وسميته وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبتته العيان^٥.

كان الصفدي، خليل بن أبيك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) الذي صنف " الوافي بالوفيات" من أكابر عصره، وعمل في وظائف الدولة والتدريس في دمشق و حلب، و كاتباً كثيراً غزير الإنتاج، له مصنفات كثيرة تقارب الخمسين، وذكر في سيرته أن مصنفاته تملأ (٥٠٠) مجلد

^١ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٤، ص ٢٣. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٩٦-٩٧.

^٢ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/٤، ص ٢٣-٢٥.

^٣ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج/١، ص ٧.

^٤ مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٢٦. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٩٩-١٠١.

^٥ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج/١، ص ١٩. انظر: بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن خلكان، ص ٢٧٥-٢٧٦.

معظمها دوواوين شعر ونثر لكتاب سبقوه أو معاصرين له ويعترف بذلك بكل أمانة، وله كتب هامة في التاريخ أهمها، الوافي بالوفيات.^١

صنّف الصفدي كتابه الذي سماه الوافي ليستدرك فيه ما فات ابن خلكان فجاء معجماً فريداً وموسوعة في ٣٠ مجلدة جمع فيه ١٢٠٠٠ ترجمة للأعيان والنجباء خاصة من أعيان الصحابة والتابعين (الذين لم يتناولهم ابن خلكان) وأعيان من كل فن، وتضمن كثيراً من السير النادرة التي لا توجد في مصنفات أخرى، وهو يفوق معجم ابن خلكان في الحجم وعدد التراجم والفترة الزمنية^٢. ويشبه كتاب الذهبي، تاريخ الإسلام، الذي رتبته على الوفيات.

يستعرض الصفدي في مقدمته تراجع أحوال الأمة، بعد أن كان لها دور متقدم رائد ويشير إلى ما جمعه المؤرخون السابقون، ويذكر رغبته في جمع تراجم أعيان الأمة من الخلفاء والصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال والوزراء والقراء.. والمشهورين من كل فن^٣، ويفصح عن غايته بقوله: " ... وأردت النفع به للمحدث والأديب، وجعلت ترتيبه على الحروف، وتبويبه و تذهيب وضعه بذلك وتهذيبه ... ويبدأ بترجمة مختصرة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، ويعدد من كتبوا في السيرة والمغازي وكتب الطبقات والشمال^٤.

وتناول في مصنفه التاريخ عند العرب في الجاهلية، وعند الأمم السابقة، وتاريخ الهجرة، ومعاني لفظة تاريخ^٥، وتحدث عن طريقة المؤرخين في تدوين مصنفاتهم على السنين السنين للتواريخ، ومنهم من رتبها على الحروف خاصة التراجم^٦، وتعرض للفرق في المعنى بين الوفاة والأجل^٧، وفوائد التاريخ وأدب المؤرخ، وأخيراً يشير إلى أسماء بعض المصنفات وهي مصادره التي أخذ عنها^٨.

^١ كراوثر جوردن (T.Crouther Gordan)، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٩، مادة الصفدي، ص ٦٠٤٤-٦٠٤٤. مصطفى، شاكرا، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٧٧.

^٢ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله، (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)، كتاب الوافي في الوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط/١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج/١، ص ٢٥-٢٧. كراوثر، جوردن، ٦٠٤٤-٦٠٤٨، ذكر كراوثر أن الكتاب تضمن أكثر من ١٤٠٠٠ ترجمة، ص ٦٠٤٥.

^٣ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج/١، ص ٢٥-٢٧.

^٤ المصدر نفسه، ج/١، ص ٢٧-٢٩.

^٥ المصدر نفسه، ج/١، ص ٣١-٣٨.

^٦ المصدر نفسه، ج/١، ص ٥٣-٥٤.

^٧ المصدر نفسه، ج/١، ص ٥٤.

^٨ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج/١، ص ٥٥-٦١.

نشأ ابن شاکر الکتبی (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) صاحب " فوات الوفيات " فقيراً، وطلب علم الحديث، ثم عمل في نسخ الكتب وتجارها فرزق منها مالاً طائلاً واشتهر بها ولقب بالکتبی، له عدة مؤلفات أهمها " عيون التواريخ " جمع فيه بين الحوادث السياسية والوفيات وجاء في ٢٨ مجلد معظمها منشور، ويعتبر موسوعة ثقافية متكاملة تناول فيه التاريخ الإسلامي حتى وفاته^١.

أما الكتاب الآخر مدار الاهتمام فهو " فوات الوفيات " الذي وضعه ذيلاً على كتاب ابن خلکان " وفيات الأعيان " واستدراكاً لمن لم يترجم لهم ابن خلکان ويوضح ذلك بقوله: " .. وبعد ، فإن علم التاريخ هو مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر... فلما وقفت على كتاب وفيات الأعيان... لابن خلکان وجدته من أحسنها وضعاً، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة... " ^٢ " ... غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ورأيته قد أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه، ولم أعلم ذلك لذهول عنهم؟ أو لم يقع له ترجمة أحد منهم، فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره في الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء، أذيل فيه من حيث وفاته إلى الآن ... وسميته فوات الوفيات " ^٣.

إن ما طرحه الکتبی من ملاحظات على ابن خلکان على أنها الدوافع لوضع كتابه هو غير دقيق ولا مقبول، لأن ابن خلکان صرح بأنه لن يذكر أحداً من الصحابة و لا من التابعين و لا من الخلفاء لأنه اكتفى بالمصنفات الكثيرة، و لا لمن لم تثبت له وفاته^٤.
والتزم في هذا المنهج، كما أن الکتبی ذكر أعلاه أنه وقف على كتاب ابن خلکان، ورغم ذلك فكتابه له أهمية كبيرة وقيمة تاريخية وأدبية خاصة، بسبب ما حشده من المختارات الشعرية الضخمة، وأخذ من الصفدي وزاد في بعض التراجم ، ولم يهتم كثيراً بقواعد النحو واللغة^٥.

^١ الکتبی، ابن شاکر، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون، الملقب " صلاح الدين " (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)، عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، ج/١٢، وزارة الأعلام العراقية، (د/ط)، سلسلة كتب التراث (٤٧) بغداد، ١٩٧٧ م، مقدمة المحقق ص (هـ - ن). ، التاريخ العربي والمؤرخون، ج/٤، ص ٧٥.

^٢ الکتبی، فوات الوفيات، مجلد/١، ص ٥٧ - ٥٨.

^٣ الکتبی، فوات الوفيات، مجلد/١، ص ٥٨.

^٤ انظر: ص ٢٧٥ - ٢٧٦ من هذه الدراسة.

^٥ ابن شاکر، فوات الوفيات، مجلد/١، ص ٤١ - ٤٢، ٤٧.

يذكر ابن تغري بردي أن سبب تصنيفه المنهل الصافي هو اطلاعه على الكثير من آثار وسير الماضين بقوله " ... لإثبات شيء من أخبار أمم الممالك، غير مستدعي إلى ذلك من أحد من أعيان الزمان، ولا مطالب به من الأصدقاء والأخوان، ولا مكلف لتأليفه وترصيفه من أمير ولا سلطان، بل اصطفيته لنفسه " ووضعه على الحروف وتواليها وابتدأت فيه من أوائل الدولة التركية من المعز ابيك ... " ^١.

جمع في كتابه المنهل الصافي نحو (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ترجمة لمشاهير العلماء والأمراء والسلطين الذين عاشوا في مصر والشام في دولتي المماليك الأولى والثانية ما بين منتصف القرن السابع الى القرن التاسع الهجري، وتمكن من الاطلاع على الوثائق فعرف الكثير من الخفايا والأسرار بحكم أصله وتقربه من السلطين ^٢.

ويعتبر كتابه تكملة لكتاب ابن أيبك الصفي، الذي كان تكمله لوفيات ابن خلكان ^٣، وقد انفرد بترجمه بعض الأشخاص لم يُترجم لهم من سبقه، وبعض الإضافات لنفس الأشخاص المُترجم لهم، وتميّز بالدقة والأمانة في تقصي الحقائق والتعفف عن الخوض في مثالب الناس، وعدم الإسراف في ذكر المحاسن ^٤، رغم عدم شيوع هذه الصفات في عصره ^٥.

المعاجم الخاصة

يذكر جيب أن هذا النوع من المعاجم (السير والتراجم) يشمل مجالات واسعة إلا أنه يقتصر على مدة محدودة من الزمن، ولعل لهذا النهج في التأليف صلة بالتاريخ العام الذي وضعه الذهبي ورتب فيه مواد التراجم في عقود من السنوات حتى نهاية القرن السابع الهجري. ويمكن استخلاص التراجم من التواريخ وتصنيفها في كتب مستقلة ^٦.

^١ ابن تغري بردي، إيو المحاسن يوسف الأتابكي جمال الدين (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) كتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د/ط)، القاهرة، ١٩٨٤م، مجلد/١، ص ١٨-١٩.

^٢ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج/١، ص ٨. عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١١٤-١١٦. زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٣٢-٣٣. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٢٤٦.

^٣ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج/١، ص ٩. العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج/١، ص ٢٤٦. بوير، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، ص ٥٩٥-٥٩٦. عنان، مؤرخو مصر الإسلامية ج/١، ص ١٠-١١.

^٤ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج/١، ص ١٠-١١.

^٥ زيادة، المؤرخون في مصر، ص ٣٤-٣٥.

^٦ H.A.R.Gibb, Ency of Islam, Suppl, p241.

ويضيف جيب وربما تعود فكرة ترتيب التراجم في عدد من القرون إلى البرزالي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م) الذي كان معاصراً للذهبي، ويتضح هذا النهج عند ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) في الدرر الكامنة، وعند تلميذه السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) في الضوء اللامع.^١

أما البرزالي^٢، صاحب المُقتفى لتاريخ أبي شامة، جعله ذيلاً لكتاب أبي شامة "الروضتين في أخبار الدولتين" أرخ فيه من سنة (٥٩٠ - ٦٦٥هـ/ ١١٩٣ - ١٢٦٦م) ورَتَّبَه على السنين مثله^٣، وبدأ البرزالي بتاريخه من سنة وفاة أبي شامة لأنها سنة مولده، وجاء على شكل يوميات فقد وضع عنواناً لكل شهر ثم ذكر الحوادث والوفيات^٤ وتناول كامل المدة الزمنية الزمنية التي عاصرها.^٥

وأهم مصادر تاريخ البرزالي هي مشاهداته وملاحظاته الشخصية، فقد كان شاهد عيان ومعاصراً لمعظم أحداث الفترة التي كتب عنها، وأسئلته لشيوخه وأعيان عصره وسماعه من أكثر من ١٠٠٠ ألف شيخ، وقرأ كثيراً وسمع كثيراً، وكذلك مراسلاته والكتب الرسمية والمؤلفات السابقة.^٦

وتأتي أهمية تاريخ البرزالي أن مُصَنِّفَهُ مؤرخ ثقة معروف باتقانه للتدوين وبراعته في الحفظ إضافة لمعاصرته، واتسم تاريخه بالسعة لكثرة الحوادث والأخبار في السنة الواحدة، واشتمل على حوادث فرعية كثيرة أهملها آخرون، فحفظ بذلك مادة فريدة لا توجد عند غيره.^٧

وتضمن الكتاب الآف التراجم التي لا نجد كثيراً منها عند غيره خاصة تراجم النساء، وجاء شاملاً وليس محلياً، فقد تناول أخبار الشام ومصر والعراق والعالم الإسلامي في

^١ Ibid., p241.

^٢ هو علم الدين، أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الدمشقي، مؤرخ شامي ومحدث من مواليد دمشق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م) ينتمي إلى أسرة برزال البربرية من زناتة، والإشبيلي نسبة إلى جده. انظر: بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٧، ص ٤٤٤٣. روزنتال، دائرة المعارف، ط/١، كجلد/٧، ص ٤٤ - ٤٦.

^٣ عيفان، معن سعدون، البرزالي ومنهجه التاريخي، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، معهد الآداب الشرقية، بيروت ١٩٩٨، ص ٣٨، ٤٥. انظر: مصطفى، شاكرا، التاريخ العربي، ج/٤، ص ١٧٩ - ١٨٠.

^٤ عيفان، البرزالي، ص ٤٨.

^٥ المرجع نفسه، ص ٦١.

^٦ المرجع نفسه، ص ٦٢-٦٧.

^٧ المصدر نفسه، ص ٧٣.

عصره، فكشف فيه عن صفحات غامضة عن تلك الفترة حتى سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٨ م)^١، وأورد فيه الكثير من نصوص الوثائق الرسمية واهتم بالجوانب الاقتصادية، خاصة أسعار السلع في حالتي الرخاء والغلاء، إلى جانب اهتمامه بالحياة الفكرية والاجتماعية^٢.

كان ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)، صاحب كتاب " الدرر الكامنة" فقيها ومحدثاً ومؤرخاً، أخذ عن ما يزيد عن ٤٥٠ مؤلف، له مصنفات عديدة نحو (١٥٠) مائة وخمسين في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ ومنها " الدرر الكامنة" كنموذج على التراجم الخاصة وهو معجم كبير ترجم فيه لأعيان القرن الثامن الهجري ويعتبر من أجل الكتب التاريخية وأنها في موضوعه ومن أوثق المصادر^٣.

ويتحدث لنا عن كتابه ومنهجه فيه بقوله: " فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية ابتداءً من سنة إحدى وسبعمائة إلى آخر سنة ثمان مائة من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء، وعينت برواة الحديث النبوي فذكرت من اطلعت على حاله... وبعضهم أدركته ولم ألقه، وبعضهم لقيته ولم أسمع منه، وبعضهم سمعت منه، وقد استمدت في هذا الكتاب" من مصادر عديدة، ثم يذكرها^٤.

أما السخاوي، (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) صاحب " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" كان من أنجب تلاميذ ابن حجر العسقلاني، وحفظ القرآن وهو صغير، وبرع في العربية والفقه والقراءات والحديث والآداب وغيرها، وأخذ عن جماعة يزيدون عن ٤٠٠ أربعمائة، لازم أستاذه فترة طويلة وشاركه في أمور كثيرة، وأخذ عنه أكثر تصانيفه، ورحل في طلب العلم^٥، صنف كتابه الضوء اللامع واتبع فيه منهج أستاذه في الدرر الكامنة وهو عبارة عن معجم لعلماء وأعيان القرن التاسع جاء في ١٢ جزء رتبته على الحروف^٦.

^١ عيفان، البرزالي، ص ٧٥.

^٢ المصدر نفسه، ص ٧٧.

^٣ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكفائي العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٧م، مجلد/١، ص ٤-٦. انظر: أرنونك (C.van.Arendonk)، دائرة المعارف الإسلامية ط/١، مجلد/١، مادة ابن حجر العسقلاني، ص ٢٥٠-٢٥٣. عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٠٧-١١٢. مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، ج/٤، ص ٢٣٣-٢٣٥.

^٤ ابن حجر، الدرر الكامنة، مجلد/١، ص ٩.

^٥ السخاوي، ص ٢-٣. عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٢٧-١٣٠.

^٦ عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٣٤، مصطفى، شاکر، التاريخ العربي، مجلد/١، ص ٢٥٢.

تحدث السخاوي عن الكتاب ومنهجه به بقوله: " وبعد فهذا كتاب من أهم ما يعتنى به، جمعت فيه ما علمته من أهل هذا القرن الذي أوله سنة إحدى وثمانمائة من سائر العلماء والصلحاء والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والمباشرين والوزراء مصرياً كان أو شامياً أو حجازياً... وذكرت فيه بعض أهل الذمة... مستوفياً من كان منهم في معجم شيخنا (ابن حجر) ... مرتباً له لتسهيل الكشف على حروف المعجم الترتيب المعهود في الأسماء والآباء والأنساب والجدود، مبتدئاً من الرجال بالأسماء ثم بالكنى ثم بالأنساب والألقاب .. مردوفاً ذلك بالنساء^١ ... ولم آل في التحري جهداً، ولا عدلت عن الاعتدال... وسميته الضوء اللامع لأهل القرن التاسع^٢.

تناول جيب في دراسته للتدوين التاريخي من القرن السادس إلى العاشر الهجري، عدة قضايا من خلال الإشارة لنماذج من المصنفات التاريخية المختلفة، وبعض المصنفين البارزين، وأهمها في مجال كتابة حوليات التراجم والحوليات السياسية.

كما تحدّث جيب عن نظرتيه لكتابة التواريخ العالمية، وأثر فكرة إحياء الخلافة وموقفه من ابن الأثير وكتابة الكامل، وتطلّب هذا البحث عن دراستين مستقلتين لجيب الأولى بعنوان "المصادر العربية لحياة صلاح الدين الأيوبي"، والثانية بعنوان: "ملاحظات على المصادر العربية بتاريخ الحروب الصليبية المبكرة" (تم الحصول عليها من المكتبة البريطانية/ في بريطانيا)، تناول فيهما جيب دراسة وتحليل ومقارنة المصادر العربية وتوصل لوضع ترتيب لتلك المصادر حسب أهميتها من حيث الأهمية والدقة في المعلومات.

كما تطرّق إلى مصنفات الحوليات الموسوعية، وأهم التواريخ العامة في المغرب والأندلس، وتواريخ الأقاليم والأسر الحاكمة. كما أشار بشكل متفوت إلى المدارس التاريخية في الفترة أعلاه وهي: المدرسة الشامية، والمصرية واليمنية.

وأخيراً عرض لبعض تواريخ الأقطار المحلية المميزة في الغرب والأندلس، والمصنفات المتخصصة كالمعاجم الشاملة والخاصة وبعض المصنفات المتصلة بالطب والعلوم.

وأبرز من خلال ما عرضه أعلاه إلى أهم التطورات التي طرأت على الكتابة التاريخية والمظاهر والمتغيرات فيها، وأثر ذلك في تزايد الإنتاج ووفرة التأليف، وكانت طروحاته

^١ السخاوي، الضوء اللامع، مجلد/١، ص ٥.

^٢ السخاوي، الضوء اللامع، مجلد/١، ص ٦.

وأراءه استمراراً، لأسلوبه ومنهجه فيما تقدّم من الدراسة وتمت معالجتها حسب ما يقتضيه كل طرح أو رأي أو فكرة.

النتائج

- خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:
- تولدت فكرة الإستشراق الأوروبي في الكنيسة الكاثوليكية، وانطلقت منها مشفوعة بالدعم والمباركة، كرد فعل على فشل الحروب الصليبية، وتقرر في مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م تغيير آلية المواجهة مع الشرق من ساحة الحرب إلى ميدان الفكر
 - بدأ الإستشراق بدافع ديني يهدف لغايتين: الأولى منع دخول الإسلام لأوروبا وذلك بتشويهه والطنع فيه، مخافة اعتناق النصارى للإسلام. والثانية العمل على التبشير بالدين المسيحي (التنصير) بين المسلمين.
 - كان من أبرز مظاهر تطور الاستشراق ما بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر، الإقبال الشديد على دراسة فقه اللغات الشرقية (فيلولوجيا) وخاصة العربية، وإنشاء المزيد من كراسي اللغة العربية في الجامعات الأوروبية، والنشاط الواسع لجمع مخطوطات التراث العربي الإسلامي، وإقامة أول مطبعة عربية في إيطاليا، و مساهمة مفاهيم عصر النهضة (النزعة الإنسانية والنظرة العقلية) على فهم الإسلام والمسلمين بشكل أفضل، وتوفر عدد من الدراسات الاستشراقية التي غلبت عليها الروح الموضوعية.
 - تحول النظرة الموضوعية نحو الإسلام و مفاهيم عصر النهضة قبيل نهاية القرن الثامن عشر إلى الإقتصاد التكنولوجي، و فكرة المركزية الأوروبية، ونزعة اعتقاد تفوق الإنسان الأوروبي على سائر الشعوب في الجوانب الحضارية والثقافية والفكرية وحتى الطبيعة العقلية.
 - كانت فترة الإزدهار و التطور الكبير للاستشراق، ما بين نهاية القرن الثامن عشر و نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد ازداد عدد المستشرقين و تنوعت تخصصاتهم كما توسعت مؤسسات الاستشراق لنشر إنتاجه الذي يقدر بأكثر من (٦٠،٠٠٠) كتاب مابين تحقيق وتأليف و ترجمة ونشر، مقابل إنتاج العرب و المسلمين غير المكافئ الذي لم يتجاوز بضعة آلاف.
 - يحسب للإستشراق إيجابيات، ومآخذ (سلبيات) تحسب عليه، ورغم ذلك يجب أن تكون نظرتنا للإستشراق متوازنة و موضوعية، نستفيد من الإيجابيات المباشرة وغير المباشرة، ونستثمرها ونبني عليها ونوظفها في داخل وخارج العالم العربي الإسلامي، وكذلك النظر في المآخذ و السلبيات لتصويب ما تضمنته من خلال دراسات علمية جادة بعيدة عن العاطفة و نعمل على نشرها باللغات الشرقية والأوروبية على حد سواء.
 - سيبقى الاستشراق موضع جدل وخلاف و دراسة وبحث بسبب نشأته الغامضة و دوافعه وأغراضه ونتائجه الفكرية والمادية والمعنوية، وانعكاساتها على العلاقات بين الإسلام والغرب، والتي ظهر الإهتمام بها في النصف الثاني من القرن العشرين، وتجلت ذلك في دراسته آثار الاستشراق والمستشرقين الذين برز منهم الكثير ومن أشهرهم هاملتون جيب.

- حظي هاملتون جيب بشهرة واسعة في مجال الاستشراق البريطاني، والأوروبي الأميركي بشكل عام، وحتى في العالم العربي والإسلامي، لأسباب عدة منها: شخصيته وتنوع إنتاجه وكثرة مؤلفاته في ميادين رئيسية ثلاثة ذات أهمية بالغة عند العرب والمسلمين في العصر الحاضر وهي: الدين الإسلامي، والتاريخ العربي الإسلامي، والأدب العربي.
- أما عن دوره في دراسته للتاريخ العربي الإسلامي، فقد انطلق من أسس وثوابت في الفكر الاستشراقي الغربي، تُعرف بالتقاليد المركزية الأوروبية، والتي تشكل الإطار العام للدراسات الاستشراقية، وتجاوز هذا الإطار من أي مستشرق يعني الخروج عن المألوف وعدم القبول وربما الإتهام والسخرية، وأهم الثوابت التي طبقها جيب في دراسته:
- نزعة التفوق الأوروبية على الشعوب الأخرى خاصة الشرق العربي الإسلامي.
- تطبيق معايير النقد والمفاهيم الحديثة على النصوص التاريخية كنصوص مجردة دون اعتبار لأية خصوصية دينية أو ثقافية أو مستوى تطور الإنسان.
- استخدام منطق صاحب السلطة وإصدار الأحكام على مجريات حوادث التاريخ الإسلامي وخاصة المصنفين، وظهر هذا في عدة قضايا في الدراسة.
- البحث الدائم عما يعتبره نقاط ضعف أو مأخذ في المصنفات التاريخية.
- تبنى الكثير من الآراء بالإعتماد على آراء مستشرقين آخرين مع الإشارة لهم وأحياناً لا يشير لهم.
- أظهر تحيزاً واضحاً تجاه الموالي، وأكد تفوقهم في سائر العلوم والمعارف على العنصر العربي فهو يصف نسبة العرب من العلماء و الفلاسفة المسلمين بالنزر اليسير.
- طرح قضايا مثيرة للجدل، مثل استمرار تداول الرواية التاريخية الشفوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رغم انشاء مصنع للورق في بغداد عام ١٧٨ هـ، وكذلك النظرة الدينية للتاريخ بأنه مظهر لتدبير إلهي غايته حكم الجنس البشري. وهذه تحتاج لدراسات مستقلة .
- طرح آراء وأفكار غامضة ومبهمه دون أدلة أو إشارات مثل حديثه عن كتابة الحوليات المعاصرة.
- يقدم أحياناً إفتراضاً يقرر عليه رأياً (وأحياناً يعارض فيه نفسه والحقيقة التاريخية)، ثم يستنتج و يصدر حكماً دون بيان الاسس القائمة عليه مثل حديثه عن صبغ التاريخ بالصبغة الدنيوية .
- له موقف سلبي من أسلوب السجع البلاغي في الكتابة التاريخية.
- له موقف من القرآن والوحي، فهو ينكر الوحي و يرى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يعتقد أنه يوحي له، و عليه فإن نصوص القرآن هي بشرية و ليست إلهية و كذلك الأحاديث النبوية. (ربما لو اعترف أو صدق بنزول الوحي لوجب عليه الإسلام).
- وله موقف سلبي من العقل العربي، و يصفه بالتذلل والعاطفي و الحدسي الذي يؤمن بالغيبيات لهذا فهو غير قادر على النواحي العلمية والتقنية والتطور لا في صدر الإسلام ولا في العصر الحاضر.

- هناك عدد من الأمور التي تحسب إيجابية لهاملتون جيب في دراسته أهمها:
- كان أول من قام بدراسة التاريخ العربي الإسلامي من المستشرقين و ربما من العرب والمسلمين من نشأته حتى العصر الحديث بشكل متصل.
 - أشار إلى العديد من الملاحظات على بعض المُصنِّفين والمصنِّفات التاريخية والمواضيع المُميزة التي تحتاج لدراسات مستفيضة هي جديرة بالإهتمام منها على سبيل المثال موقفه من ابن الأثير، وابن خلدون، وموقفه من العقل العربي وتبنيّه لنظرة الكنيسة للتاريخ.
- اتبع منهجاً نقدياً في دراسته للمصادر العربية عن صلاح الدين والحروب الصليبية المبكرة من خلال العودة للمصادر الأولية المعاصرة و تدقيق حوادث السنوات و مقارنة نصوص الروايات الأولية، وهذا الأسلوب نراه في دراسات مستشرقين آخرين و في مواضيع مختلفة بغض النظر عن آرائهم ومواقفهم وهو جدير بأن يُحتذى في دراسات الباحثين المعاصرين للتاريخ العربي الإسلامي.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة :

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (المعروف بابن الأبار) (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠)، كتاب **الحلّة السّيراء**، ط/٢، (تحقيق حسين مؤنس)، دار المعارف، القاهرة، (د/ت).
- _____، كتاب **" التكملة لكتاب الصلّة "**، ط/١، (تحقيق السيد عزت العطار)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٥ م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)، **الكامل في التاريخ**، ط/١، تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- _____، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (د/ط)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩ م.
- الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت نحو ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) ، **أخبار مكة وما جاء فيها من الأخبار**، ط/١، (تحقيق علي عمر)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن الحسن (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)، **تاريخ طبرستان**، ط/١، ترجمة أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد (٣٨٢)، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- الأصفهاني، حمزة بن الحسن، (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ط/٣، مكتبة الحياة، ، بيروت، ١٩٦١.
- الأصفهاني، عماد الدين الكاتب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) ، **"الفتح القسّي في الفتح القدسي"**، ط/١، دار الكتب العلمية ، ، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- الاصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط/١، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، ، بيروت، ١٩٩٧ م.
- الاصفهاني، ابو الفرغ علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) ، **كتاب الأغاني**، (د/ط)، (تحقيق ابراهيم الأبياري)، دار الشعب ، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ابن أبي أصيبعة، أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط/١، (تحقيق محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨ م.
- ابن أعثم، أبو محمد بن علي، (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) ، **كتاب " الردة والفتوح "**، ط/١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م.

- ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط/١، (تحقيق محمد مصطفى)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٥ م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري، (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، (د/ط)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ابن البطريق، سعيد (أفتيشيوس، أويوتخيا أو يوتخيوس)، (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م)، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (د/ط)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥ م.
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)، تقييد العلم، ط/١، (تحقيق الداني بن فيدال زهوي)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- _____، تاريخ بغداد، ط/١، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
- البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، فتوح البلدان، (د/ط)، (تحقيق رضوان محمد رضوان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م.
- بيبرس المنصوري، ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري الداوادر (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، (د/ط)، (تحقيق زبيدة محمد عطا)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، (د/ط)، (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)، كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية"، (د/ت)، (د/ن)، (د/م).
- البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين، (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م)، الملقب بابن فندق، تاريخ بيهق، (د/ط)، (ترجمة وتحقيق يحيى الخشاب وصادق نشأت)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢ م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، ط/١ (تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة)، دار طويق، الرياض، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتابكي جمال الدين (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)، كتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، (د/ط)، (تحقيق محمد أمين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٤ م.
- _____، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط/١، (تحقيق محمد حسين شمس الدين)، ج/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ط/١، (تحقيق مُفيد محمد قمحية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- _____ ، **لطائف المعارف**، (د/ط)، (تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ) **البيان والتبيين**، (ط/٢)، (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦١م.
- _____ ، كتاب **"الحيوان"**، (تحقيق عبد السلام هارون)، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٣٨م.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م)، **المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، ط/١، (تحقيق خليل عمران المنصور)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٩م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم**، (د/ط)، (تحقيق سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢-٩٤٣م)، **كتاب الوزراء والكتاب**، ط/١، (تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- ابن حبيب، عبد الملك السلمي، (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٣م)، **كتاب التاريخ "المصادر الأندلسية"** (تحقيق خورخي أغوادي)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩١م.
- ابن حبيب الحلبي، أبو طاهر الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقي الحلبي (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، **المنتقى من درة الأسلاك في دولة ملوك الأتراك**، في تاريخ حلب الشهباء، ط/١، (تحقيق عبد الجبار زكار)، دار الملاح، دمشق، ١٩٩١م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط/١، (تحقيق عبد الوارث محمد علي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)، **المقتبس من أبناء أهل الأندلس**، (د/ط)، (تحقيق محمود علي مكّي)، لجنة أحياء التراث الإسلامي، مطابع الأهرام، القاهرة.
- الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي (المعروف بابن وهاس) (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م)، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، ط/٢، (تحقيق محمد بسيوني عسل)، مطبعة الهلال ، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- الخزرجي، أبو الحسن علي بن محمد بن وهاس، (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م)، **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن**، ط/١، (تحقيق عبد الله بن قائد العبادي وعلي عبد الله صالح الوصابي ومبارك بن محمد الدوسري، وجميل أحمد سعيد الأشول)، دار الجيل الجديد، صنعاء، ٢٠٠٩ م.
- الخزرجي، **اليمن في عهد الولاة**، (د/ط)، (تحقيق راضي دغفوس)، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٩ م.
- الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث، القيرواني، الأندلسي، القرطبي، (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م)، **قضاة قرطبة**، ط/١، (تحقيق ياسر سلامة أبو طعمة)، دار الصميقي، الرياض، ٢٠٠٨ م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)، **تقييد العلم**، ط/١، (تحقيق الداني بن فيدال زهوي)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١ م.
- _____، **تاريخ بغداد**، أو مدينة السلام، ط/١، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧ م.
- ابن الخطيب (لسان الدين)، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد على السلماني، (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، ط/١، (تحقيق محمد كمال شبانة)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- _____، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط/٢، (تحقيق محمد عبدالله عنان)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**، (د/ت) ، (د/ط)، (د/م)، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار احياء التراث العربي.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)، **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان**، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابو داود سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م)، **سنن ابي داود**، ط/١، حقق اصوله خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

- ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلاني، (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ط/١، (تحقيق سمير طبارة)، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)، قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، (د/ط)، (تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحولي)، المطبعة السلفية، القاهرة، (د/ت).
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع، (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، (د/ط)، (تحقيق عبدالله محمد الحبشي)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الديبع الزبيدي (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م) تحفة الزمن في فضائل أهل اليمن، ط/١، (تحقيق سيد كسروي حسن)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط/٢، (تحقيق محمد عبد السلام تدمري)، دار الكاتب المصري، بيروت، ٢٠٠٨م.
- _____ ، سير أعلام النبلاء، ط/١١، ج/١٠، (تحقيق محمد نعيم العرقسوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
- _____ ، كتاب تذكرة الحفاظ، د/ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ.
- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، (ت بعد ٦٠٠هـ/ ١٢٠٠م)، كتاب راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، (د/ط)، ترجمة ابراهيم أمين الشواربي وعبد المنعم محمد حسين وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار القيم، القاهرة، ١٩٦٠.
- ابن ابي زرع، أبي الحسن علي بن عبد الله (ت في القرن ٨ الهجري/ ١٤ ميلادي)، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د/ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- ابن زنبل، أبو الحسن أحمد بن علي بن أحمد (المعروف بالزّمال)، (ت بعد ٩٨٠هـ/ ١٥٥٢م)، واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم العثماني، (د/ط)، (تحقيق عبد المنعم عامر)، (د/ن) القاهرة، ١٩٩٧م.
- _____ ، تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغوري، ويليه الدرّ المُصان في سيرة المظفر سليم خان، ط/١، (تحقيق فريد المزيدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- _____ ، تاريخ السلطان سليم العثماني ابن السلطان بايزيد مع السلطان قانصوه الغوري، مخطوط، مكتبة الجامعة الأردنية.

- ابن السائب الكلبي، هشام بن محمد، **كتاب الأصنام**، (د/ط)، (تحقيق أحمد زكريا)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩١٤م.
- ابن الساعي، علي بن انجب بن عثمان السلامي البغدادي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، **كتاب الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**، ط/١، (تحقيق محمد عبدالله القدحات)، الجزء التاسع، تاريخ ابن الساعي، وبذيله الضائع من تاريخ ابن الساعي، دار الفاروق، عمان، ٢٠١٠م.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف قزأوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، ط/١، (تحقيق إحسان عباس)، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٥.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، دار الكاتب العربي، طبعة مصورة عن نسختي خزانة المرحوم (المحقق أحمد باشا تيمور)، بيروت، ١٩٨٣م.
- _____، **الضوء الامع لأهل القرن التاسع**، (د/ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د/ت).
- _____، **كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك**، (د/ط)، (تحقيق نحوي مصطفى و لبيبة ابراهيم مصطفى)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- _____، **موجز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، ط/١، (تحقيق بشار عواد معروف وآخرون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، **كتاب الطبقات الكبير**، عني بتصحيحه وطبعه ادوارد سخاو، طبع مصوراً من كتاب، طبع في ليدن، منشورات مؤسسة النصر، طهران، ١٣٢٢هـ.
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) **كتاب المغرب في حلى المغرب**، ط/٤، (تحقيق شوقي ضيف)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣.
- السلاوي، ابو العباس شهاب الدين احمد بن خالد الناصري الدرعي، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى**، ط/١، (تحقيق محمد عثمان)، دار الكتب، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، **الأنساب**، ط/١، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى (٦٧١- ٧٤٢هـ/ ١٢٧٣-١٣٤٢م)، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير**، ط/١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير الشافعي (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، ط/١، (تحقيق خليل منصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
- _____، **نظم العيقان في أعيان الأعيان**، (د/ط)، تحرير فيليب حتي، المطبعة السورية الأميركية، نيويورك، ١٩٢٧.
- _____، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، د/ط، (تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون)، دار إحياء الكتب العربية، د/ت، القاهرة.
- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ/ ٩٩٨ م)، **كتاب الديارات**، ط/٢، (تحقيق كوركيس عواد)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي دمشقي (ت ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧ م) **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ط/١، (تحقيق إبراهيم الزبيق)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧ م.
- ابن شداد، القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م) ، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** " أو " سيرة صلاح الدين الأيوبي"، (د/ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣ م)، **كتاب الملل والنحل**، ط/٢، (تحقيق محمد بن فتح الله بدران)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- الشيرازي المؤيد في الدين، هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، (داعي الدعاة)، **السيرة المؤيدية**، ط/١، (تحقيق محمد كامل حسين)، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٩ م.
- الصابئ، أبو اسحاق إبراهيم بن هلال (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م)، **المنتزع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية**، (د/ط)، (تحقيق محمد حسن الزبيدي)، (د/ن)، (د/م)، (د/ت).
- الصابئ، أبو الحسن هلال بن محسن بن إبراهيم، (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)، **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، (د/ط)، (تحقيق عبد الستار أحمد فراج)، الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله، (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م)، **كتاب الوافي في الوفيات**، ط/١، (تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م)، **أدب الكتاب**، (د/ط)، (تحقيق محمد بهجة الأشري)، (د/ت)، القاهرة، ١٣٤١ هـ.

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، ما لم ينشر من أوراق الصولي، ط/١، (تحقيق هلال ناجي)، أخبار السنوات (٢٩٥ - ٣١٥هـ)، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠م.
- _____، كتاب الأوراق، (أخبار الراضي بالله والمتقي بالله)، (د/ط)، (تحقيق ج. هيورت. دن)، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٥م.
- _____، قطعة نادرة من أوراق الصولي، من سنة ٣١٦ - ٣١٨هـ - دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م.
- ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي، (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)، كتاب الإشارة لمن نال الوزارة، (د/ط)، (تحقيق عبدالله مخلص)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الصيرفي، علي بن داوود بن ابراهيم المعروف (بالخطيب الجوهري) و(بابن الصيرفي)، (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، (د/ط)، (تحقيق حسني حبشي)، مطبعة دار الكتب، القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠-٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط/٦، (تحقيق أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، (د/ت).
- _____، التفسير الكبير، تحقيق محمد أحمد شاكر.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي طباطبا (المعروف بابن الطقطقا) (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ط/١، (تحقيق عبد القادر محمد مانو)، دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٧.
- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م)، اختيار معرفة الرجال، (المعروف برجال الكشي)، (د/ط)، (تحقيق حسن المصطفوي)، وانكشاف مشهد، دانكده إلهات ومعارف إسلامي، مركز تحقيقات ومطالعات، إسفند، ١٣٤٨.
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) "كتاب بغداد"، ط/١، (تحقيق احسان ذنون الثامري)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ابن عبد البر، أبو يوسف النمري القرطبي الأندلسي، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) جامع بيان العلم وفضله، (د/ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د/ت).
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م)، فتوح مصر والمغرب، ط/١، (تحقيق محمد الحجيري)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

- ابن عبد الحكم، أبي محمد عبد الله (ت ٢١٤هـ/٨٢٩م) **سيرة عمر بن عبد العزيز**، (برواية ابنه أبي عبد الله محمد ت ٢٦٨ هـ)، ط/٢، (تحقيق أحمد عبيد، مكتبة وهبة)، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد الله رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان (ت ٦٩٢ هـ/١٢٩٢ م) **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، ط/١، (تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر)، الرياض، ١٩٧٦م.
- عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ/١٢٥١م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط/١، (تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي)، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ابن عبد ربه، أبي عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب ابن حدير ابن سالم، (ت ٣٢٨ هـ) **العقد الفريد**، ط/١، (تحقيق عبد المجيد ترحيني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩هـ/٨٢٤م)، **كتاب أيام العرب**، (ملقطات من الكتب والمخطوطات)، (د/ط)، (جمع وتحقيق عادل جاسم البياتي)، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٦م.
- ابن العبري، غريغورس أبو الفرج بن أهرون، (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول**، (د/ط) دار الميسرة، بيروت، (د/ت).
- العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت بين ٤١٣-٤٣١هـ / ١٠٢٢-١٠٣٩م)، **كتاب اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي**، ط/١، (تحقيق إحسان ذنون التامري)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢م) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط/١، (تحقيق عبد الله محمد علي)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٩م، الجزء الرابع تحقيق عبدالله محمد علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج/١، ط/١، (تحقيق ج.س. كولان و ليفي بروفنسال)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٩م.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، (د/ط)، (تحقيق سهيل زكار) (د/ن)، دمشق، ١٩٨٨.
- ابن عرب شاه، أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي (المعروف بالعجمي) (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٣م)، **عجائب المقدور في نواب تيمور**، (د/ت)، (د/ط)، (د/م)، (تحقيق أحمد فايز الحمصي)، مؤسسة الرسالة.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي (المعروف بابن عساكر) (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م)، كتاب **تاريخ دمشق الكبير**، ط/١، تحقيق أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن بن زيدان الحكمي، (ت ٥٦٩هـ / ١٢٦٠م)، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها**، ط/٣، (تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي)، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ١٩٨٥.
- العيني، محمود بن أحمد بن حسين، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، (د/ط)، (تحقيق محمد محمد امين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن العباس المكي، (ت ٢٢٧هـ / ٨٥٢م)، **أخبار مكة**، ط/٣، (تحقيق عبد الملك بن عبدالله بن دهيش)، دار الخضر، بيروت، ١٩٩٨م.
- أبو الفداء، اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، **المختصر في أخبار البشر**، ط/١، (تحقيق محمود ديوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م)، **تاريخ الدول والملوك**، (د/ط)، (تحقيق حسن محمد الشماع)، جامعة البصرة.
- الفردوسي، أبي القاسم منصور بن فخر الدين أحمد بن فرّخ الطوسي، (ت حوالي ٤١١هـ / ١٠٢٠م)، **الشاهنامه**، ط/٢، ترجمة الفتح بن علي البنداري، (تحقيق عبد الوهاب عزام)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف بن نصير الأزدي (المعروف بابن الفرضي)، (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م)، **تاريخ علماء الأندلس**، ط/١، (تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- الفيروز أبادي، مجد الدين أبو الطاهر بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م)، **القاموس المحيط**، (د/ط)، دار الحديث، القاهرة.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، **كتاب المعارف**، ط/٦، (تحقيق ثروت عكاشة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.
- _____، **كتاب الشعر والشعراء**، ط/١، (تحقيق مفيد قميحة ومحمد أمين الصناوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

- القرشي، الداعي عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) " تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب"، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، ط/١، (تحقيق محمد اليعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م)، كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط/١، (تحقيق محمد أمين الخانجي الكتبي)، مطبعة السعادة القاهرة، ١٣٢٦هـ.
- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) تاريخ دمشق، ط/١، (المشهور بذييل تاريخ دمشق)، (تحقيق سهيل زكار)، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الغزاري، (ت ٨٢١ هـ)، بلوغ الأدب، (د/ط)، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٩١م.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي القرطبي، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، تاريخ أفتتاح الأندلس، ط/٢، (تحقيق ابراهيم الإبياري)، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.
- الكافيحي، محيي الدين محمد بن سليمان (ت ٨٧٩هـ / ٤٧٤م)، المختصر في علم التاريخ، منشور ضمن كتاب "علم التاريخ عند المسلمين"، (د/ط)، (تحقيق ونشر فرانس روزنتال)، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣.
- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون، الملقب صلاح الدين (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، عيون التواريخ، ج/١٢ (د/ط)، (تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود)، وزارة الأعلام العراقية، سلسلة كتب التراث (٤٧) بغداد، ١٩٧٧م.
- _____ ، فوات الوفيات، ط/١، (تحقيق علي بن محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن كثير، أبو الفداء ، اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م)، البداية والنهاية ، ط/١، (تحقيق أحمد عبدالوهاب فتوح)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.
- _____ ، البداية والنهاية، ط/٣ ، (تحقيق احمد أبو ملحم وآخرون)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ط/٧، (تحقيق محمد علي الصابوني)، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.
- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي الضحاك بن محمود، (ت ٤٤٣ هـ / ١٠٥١م)، كتاب زين الأخبار، ط/١، ترجمة عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٢م.

- الكناني، شافع بن علي بن عباس بن اسماعيل بن عساكر ، (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م) كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، (د/ط)، (تحقيق ونشر عبد العزيز بن عبد الله الخويط)، الرياض ، ١٩٧٦ م.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)، كتاب ولاية مصر وقضاتها، ط/١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧ م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ١٩٦٠ م، (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)، الاحكام السلطانية، ط/١، مصر ،مصطفى البابي الحلبي.
- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) نصيحة الملوك، ط/١، (تحقيق خضر محمد خضر)، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٣ م.
- المسبجي، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م)، أخبار مصر، (د/ط) ، (تحقيق أيمن فؤاد السيد وتياري بيانكي)، القسم الأول، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٠ م.
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط/١،(تحقيق محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمة حلبي)، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب الرازي، (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) كتاب تجارب الأمم، (تحقيق أبو القاسم امامي)، ج/١، دار سهرش للطباعة ، طهران، ٢٠٠١ م.
- المقريري، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ط/١، (تحقيق خليل المنصور)، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٩٩٨ م.
- _____ ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ط/٢، (تحقيق محمد مصطفى زيادة)، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- ابن المقفع ساويروس، توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي، تاريخ البطارقة، تاريخ مصر من بدايات القرن الأول حتى العشرين الميلادي، ط/١، (تحقيق عبد العزيز جمال الدين)، مكتبة مدبولي، مجلد/١، القاهرة، ٢٠٠٦ م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧٧١ هـ / ٣٦٩ م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ابن منقذ، أبو مظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد ابن نصر بن منقذ، (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)، كتاب الإعتبار، ط/١، تحرير فيليب حنّي ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٩ م.

- المنجد، صلاح الدين، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، (د/ط)، تصنيف الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول، (تحقيق ك. و. سترستين K. W. Zettersteen)، مطبعة الرقي، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق، **الفهرست**، (د/ط)، (تحقيق شعبان خليفة ووليد محمد العوزة)، العربي للنشر، القاهرة، ١٩٩١م.
- النرشخي، أبي بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م)، **تاريخ بخارى**، ط/٣، ترجمه عن الفارسية (تحقيق أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي)، دار المعارف، القاهرة، (د/ت).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب** (د/ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (د/ت).
- النسوي، محمد بن أحمد، (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)، **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، (د/ط)، (تحقيق حافظ أحمد حمدي)، دار الفكر العربي مصر، ١٩٥٣م.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، (د/ط)، (تحقيق جمال الدين الشيال)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م.
- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر، (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) **كتاب فتوح الشام**، (د/ط)، (تحقيق صالح موسى درادكة)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد، ٢٠٠٧م.
- الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)، **كتاب فتوح الشام**، ط/١، (تحقيق عمر أبو النصر)، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٦.
- هبة الله البغدادي، أبو البركات، **المعتبر في الحكمة**، حيدر آباد، ١٩٣٨-١٩٣٩م.
- ابن هشام، أبو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، البصري (ت ٢١٣ هـ أو ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)، **السيرة النبوية**، ط/٢، (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد)، دار الجليل، بيروت، ١٩٩١م.
- الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ - ٩٤٦ م) **من أخبار اليمن وأنساب حمير**، (د/ط)، (تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكوخ الحوالي)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٨م.
- وهب بن منبه، **كتاب التيجان في ملوك حمير**، ط/٢، (تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية)، صنعاء، (د/ت)، ويتضمن أخبار عبيد بن شربة.

- اليافعي، أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) *مرآة الجنان* وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (د/ط)، (تحقيق خليل المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د/ت).
- ياقوت الحموي، أبي عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)، *معجم الأديباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، ط/١، (تحقيق عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، ١٩٩٩ م.
- اليعقوبي، أحمد ابن اسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م)، *التاريخ*، ط/١، (تحقيق عبد الامير مهنا)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٣ م.
- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)، *كتاب الخراج*، د/ط، المطبعة السلفية، القاهرة.

ثانياً: المراجع العربية والاجنبية المترجمة.

- الأثري، ١٩٥١ م، *الإتجاهات الحديثة في الإسلام*، د/ط، المطبعة السلفية، القاهرة، محمد بهجة.
- أبوارك ، *دائرة المعارف الإسلامية*، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن طيفور".
- أحمد جاد المولى بك وآخرون، ١٩٤٢ م *أيام العرب*، (د/ط)، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- أحمد، محمد حلمي محمد، *ملاحظات حول أعمال التأريخ العربية خلال الفترتين الزنكية والأيوبية (٥٢١-٦٤٨ هـ / ١١٢٢٧ - ١٢٥ م)*، ضمن كتاب *مؤرخو العرب والإسلام*.
- أحمد، محمد خليفة حسن، ١٩٩٧ م، " *آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية*" ، ط/١، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- أركون، محمد وآخرون، ١٩٩٤ م، *الإستشراق بين دعائه ومعارضيه*، ط/١، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الساقى،
- أنولد، توماس، (د/ت)، *تراث الإسلام*، (د/ط)، ترجمة جرجيس فتح الله، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- أرندك (G.Von.Arendonks)، *دائرة المعارف الإسلامية*، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن الديبع".
- الأسد، ناصر الدين، ١٩٣٢ م، *مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية*، ط/٢، القاهرة، دار المعارف.
- اصطيف، عبد النبي، مادة الإستشراق، *الموسوعة العربية*، هيئة الموسوعة العربية، المجلد/٢.
- أمين، احمد، ١٩٦١ ، *ضحى الاسلام*، ط/٦، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية .
- _____ ، ١٩٧٥ ، *فجر الاسلام*، ط/٦، القاهرة مكتبة النهضة المصرية .
- إيوار (CL.Huart)، *دائرة المعارف الإسلامية*، ، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن اسفنديار".

- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن الطقطقا".
- بارتولد، شبولر، بحث بعنوان تطور أعمال التاريخ الفارسية، ضمن كتاب مؤرخو العرب والاسلام، (د/ط)، تحرير برنارد لويس.
- بارتولد، شبولر، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٩، مادة "مادة البيهقي".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٧، مادة "البلعمي".
- باريه، رودى (Rudi Paret)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١٥، مادة "الطبري".
- باسيه، رينيه، (Rene Basset)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن عذاري".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن أبي زرع".
- بالنثيا، أنخل جنثال، ١٩٥٥م، تاريخ الفكر الأندلسي، (د/ط)، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- بدوي، عبد الرحمن، ١٩٨٤م، موسوعة المستشرقين، ط/١، بيروت، دار العلم للملايين.
- براون، إدوارد جرانفيل، ٢٠٠٤م، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ط/١، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- بروكلمان، كارل، (د/ت)، تاريخ الأدب العربي، ط/٥، ترجمة عبد الحلیم النجار، ج/٣، القاهرة، دار المعارف.
- _____ ، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، مجلد/١، مادة "ابن خلکان".
- _____ ، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٨، مادة "سيف بن عمر".
- _____ ، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٨، مادة "السيوطي".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن العبري".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن أعثم الكوفي".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، مجلد/١٩، مادة "أبو شامة".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن قتيبة".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن سعيد".
- _____ ، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن كثير".
- بروفنسال، ليفي، ١٩٥٦م، الإسلام في المغرب والأندلس، (د/ط)، ترجمة محمود عبدالعزيز سالم، ومحمد صلاح الدين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- بلاشير ريجس، (Blachere, Regis)، ١٩٨٤م، تاريخ الأدب العربي، ط/٢، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق، دار الفكر.
- البهي، محمد، ١٩٩١م، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ط/١٢، القاهرة، مكتبة وهبة.

- بيدرسن, J.pedersen، دائرة المعارف الإسلامية ، ط/١، مجلد/٢، مادة "أبو نعيم الأصفهاني".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية ، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن عرب شاه".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية ، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن دقماق".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية ، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن عبد الظاهر".
- البيطار، نديم، ١٩٨٢ م، حدود الهوية القومية (نقد عام)، ط/١، بيروت، دار الوحدة .
- ترحيني، محمد أحمد، ١٩٩١ م، المؤرخون والتاريخ عند العرب، بيروت، دار الكتب العلمية .
- تسيبولد (C.E.Seybold)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن الخطيب".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن الفرات".
- تسترشتين (K.V.Zetterteen) دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن شداد".
- توري، (C.C.Torey)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن عبد الحكم".
- جرونيباوم، جوستاف أفون، ١٩٥٦ م، حضارة الإسلام، ط/٢، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد القاهرة، (د/ن).
- جولدتسيهر، إغناص، ١٩٥٩ م، العقيدة والشريعة في الإسلام، ط/٢، ترجمة محمد يوسف وآخرون، القاهرة، دار الكتب الحديثة.
- جروهمان، أودولف، ١٩٢٤ م، أوراق البردي العربية، ٦ أجزاء، ط/١، ترجمة حسن إبراهيم حسن، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- الجاليند، محمد السيد، ١٩٩٩ م، الإستشراق والتبشير- قراءة تاريخية موجزة- (سلسلة تصحيح المفاهيم) (د/ط)، دار قباء للطباعة والنشر،(د/ن).
- جيب، هاملتون، ١٩٦٤ م، دراسات في حضارة الإسلام،(د/ط)، تحرير ستانفورد شو ووليم بولك، ترجمة إحسان عباس وآخرون، بيروت ، دار العلم للملايين .
- _____، ١٩٦٦ م. الاتجاهات الحديثة في الإسلام،(د/ط)، ترجمة هاشم الحسيني، بيروت، دار مكتبة الحياة .
- _____، ١٩٧٠ م، الإتجاهات الحديثة في الإسلام، د/ط، ترجمة نخبة من العلماء الكبار، بيروت، برنار فرينيه- مقدمة الطبعة الفرنسية .
- _____، ١٩٥٩ م، بنية الفكر الديني في الإسلام،(د/ط)، ترجمة عادل العوا، دمشق، مطبعة جامعة دمشق.
- _____، ١٩٥٧ م، هاملتون جيب وهارولد بوين، المجتمع الإسلامي والغرب، ط/١، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، دمشق، دار المدى.

- _____ ، (د/ت)،مقالة بعنوان **خواطر في الأدب العربي/نشأة الإنشاء الأدبي**، (د/ط) المنجد، صلاح الدين، المنتقى من دراسات المستشرقين، القاهرة، لجنة التأليف والنشر.
- _____، ١٩٩٦م، **صلاح الدين الايوبي، دراسات في التاريخ الإسلام، ط/٢**، تحرير يوسف إبيش، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.
- _____، **دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "أبو الفداء اسماعيل"** .
- _____، **دائرة المعارف الإسلامية، ط/١ (١٩٣٤) مادة "علم التاريخ"**.
- **حجازي، محمد عبد الواحد، ٢٠٠٤م، القرآن وفكرة التاريخ، ط/١، الإسكندرية، دار الوفا لدنيا الطباعة .**
- **حسن، محمد عبد الغني، (د/ت)، التراجم والسير، (د/ط)، دار المعارف، (د/م).**
- **حسين، فالح، ٢٠١٠م، بحث في نشأة الدولة الإسلامية، ط/١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية .**
- **حلاق، حسان، ١٩٨٦م، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، (د/ط)، بيروت، دار النهضة العربية.**
- **حميد الله، محمد، ١٩٨٣م، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط/٤، بيروت، دار النفائس .**
- **الحيدري، ابراهيم، ١٩٩٦م، صورة الشرق في عيون الغرب (دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي) ط/١، دار الساقى .**
- **حوراني، البرت، ١٩٩٤م، الإسلام في الفكر الاوروبي، د/ط، بيروت، الأهلية للنشر.**
- **حنفي، حسن، ٢٠٠٩م، مقدمة في علم الإستغراب، ط/١، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.**
- **الخالدي، طريف، ١٩٩٧م، فكرة التاريخ عند العرب،(د/ط)، ترجمة حسين زينة، بيروت، دار النهار.**
- **الخضيرى، زينب محمود، ١٩٨٠م، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين،(د/ط)، القاهرة، دار قباء.**
- **خليل، عماد الدين، ١٩٧٥م، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط/١، بيروت، دار العلم للملايين.**
- **الخوري، بولس، ١٩٩٧م، الإسلام والغرب، الإسلام والعلمانية، ط/٢، لبنان، جونيه، المكتبة البوليسية، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي .**
- **خورشيد، حلمي أحمد، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة أبو شامة.**
- **دمج، محمد أحمد، ١٩٩٤م، مرايا الأمراء (أو الحكمة السياسية والأخلاق والتعاملية في الفكر الإسلامي الوسيط)، ط/١، بيروت، مؤسسة بحيون للنشر والتوزيع.**

- الدهان، سامي، بحث بعنوان: " أعمال التاريخ المحلية في بلاد الشام، ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام.
- الدوري، عبد العزيز، ٢٠٠٠م، نشأة علم التاريخ عند العرب، (د/ط)، الإمارات العربية، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ .
- _____، ١٩٦٢م، الجذور التاريخية للشعبوية، (د/ط)، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الدوري، ١٩٦٥م، دراسة في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومؤلفها ابن اسحق، جامعة الدول العربية، المجمع العلمي العراقي، بحث مقدم الى دورة مجمع اللغة العربية في بغداد، تشرين ٢، بغداد، مطبعة العاني .
- رتر (H. Ritter)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١٤، مادة "الحسن البصري".
- روزنتال، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/٢٦، مادة الكندي مؤرخ.
- روزنتال، فرانس، ١٩٦٣م، علم التاريخ عند المسلمين، (د/ط)، بغداد، ترجمة صالح أحمد العلي .
- زقزوق، محمود حمدي، ١٩٨٩م، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط/٢، القاهرة، دار المنار.
- زناتي، أنور محمود، ١٩٩٦م، زيادة جديدة للإستشراق، (د/ط)، (د/ت)، القاهرة، مكتبة الأنجلومصرية .
- الزهراني، محمد بن مطر، تدوين السنة النبوية، (د/ط)، نشأته وتطوره من القرن الاول الى القرن التاسع الهجري، الرياض، دار الهجرة.
- أبو زهو، محمد محمد، ١٩٨٤م، مكانة السنة في الإسلام، ط/١، دار الكتاب العربي.
- زيادة، محمد مصطفى، ١٩٤٩م، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر / القرن التاسع الهجري، (د/ط)، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- الزيايدي، محمد فتح الله، ٢٠٠٢م، الاستشراق، وأهدافه ووسائله (دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، ط/٢، دمشق، دار قتيبة.
- زيدان، جرجي، ١٩٢١م، أنساب العرب القدماء، ط/١، القاهرة، دار الهلال.
- السالم، السيد عبد العزيز، ١٩٩٩م، التاريخ والمؤرخون العرب، (د/ط)، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة .
- السباعي، مصطفى، ١٩٦٨م، الاستشراق والمستشرقون، ط/١، الكويت، مكتبة دار البيان.
- سدرن، ر.و، ٢٠٠٢م، نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى، ط/٢، ترجمة علي فهمي حشيم وصلاح الدين حسن، القاهرة، مركز الحضارة العربية .

- سزجين، أورشولا، (Ursula Sezgin)، موجز دائرة المعارف، ط/٢، ج/٢٨، مادة المدائني.
- سعيد، إدوارد، ١٩٨٤م، الإستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ط/٢، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
- سوردل (D.Sourdel)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١٢، مادة "الجهشياري".
- سمس، عبد المعطي بن محمد بن عبد المعطي، ٢٠٠٧م، نظرة في التفسير الإسلامي للتاريخ، ط/١، القاهرة، إيتراك للطباعة والنشر.
- سوفاجيه، جان، ١٩٤٧م، رائد التراث العربي، جامع المعلومات، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، (د/ط)، بيروت، امتياز دار العلم للملايين، جمع صلاح الدين المنجد.
- سيد، أيمن فؤاد، ١٩٧٤م، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، (د/ط)، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.
- سوبر نهايم (M.Sobernheim)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة ابن إياس.
- سيزكين، فؤاد، ١٩٩١م، تاريخ التراث العربي، ط/١، م/١، ج/٢، التدوين التاريخي، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ترجمة محمود فهمي حجازي وآخرون.
- سيغال، ب. (Siegal)، بحث بعنوان: التواريخ السريانية كمصادر لتاريخ الشعوب الإسلامية، ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام.
- شبولر برترلد، تطور أعمال التأريخ الفارسية، ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام.
- شرارة، عبد اللطيف، ١٩٨٠م، الفكر التاريخي في الإسلام، ط/١، (د/م)، دار الأندلس.
- الشرقاوي، محمود، (د/ت)، التفسير الديني للتاريخ، (د/ن)، (د/ط)، (د/م).
- شنب، محمد، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "الذهبي".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن الفرضي".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن بشكوال".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن الأبار".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن القوطية".
- شميتز، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/٢٦، مادة "كعب الأخبار".
- صالح، هاشم، ٢٠٠٧م، إنسداد التاريخ، ط/١، دار الساقى، بيروت.

- صديقي، عبد الحميد، -١٩٦، تفسير التاريخ، (د/ط)، ترجمة كاظم الجوادي ، الكويت ، الدار اللوتينية .
- الطهطاوي، محمد عزت اسماعيل، ٢٠٠٩م ، التبشير والاستشراق (أحقاد و حملات على النبي محمد (ص) وبلاد الشام)، ط/١، الزهراء للإعلام العربي القاهرة .
- ضيف، شوقي، (د/ت)، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط/٨، القاهرة ،دار المعارف.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، ١٩٧٢م، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، (د/ط)، بيروت، دار النهضة العربية.
- العاني، عبد القهار داود عبد الله، ٢٠٠٠م، الإستشراق والدراسات الإسلامية، ط/١، عمان، دار الفرقان.
- عبد الحميد، صائب، ٢٠٠١م، علم التاريخ ومناهج، (د/ط)، بيروت، الناشر الغدير المؤرخين، في علم التاريخ.
- عبد الملك، أنور، ١٩٧٤م، الفكر العربي في معركة النهضة، ط/١، بيروت ، دار الآداب، ترجمة بدر الدين عرودكي.
- عثمان، حسن، (د/ت)، منهج البحث التاريخي، ط/٤ ، القاهرة. دار المعارف.
- عثمان، عبد المنعم فؤاد محمود، ٢٠٠١م ، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ط/١، الرياض، مكتبة العبيكان.
- العروي، عبدالله، ١٩٩٢م، مفهوم التاريخ، (الألفاظ والمذاهب)، ط/١، المركز الثقافي العربي، بيروت .
- العزاوي، عباس، ١٩٥٧م، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، (د/ط)، بغداد، شركة التجارة والطباعة.
- _____، ١٩٨٨م، المنهجية التاريخية في العراق إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ط/١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- عطية، جورج، ٢٠٠٣م، الكتاب في العالم الإسلامي، الكويت، مطابع السياسة، ترجمة عبد الستار الحلوجي.
- العقيقي، نجيب، ١٩٦٥م، المستشرقون، ط/٣، القاهرة، دار المعارف بمصر.
- علي، جواد، ١٩٦٨م، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط/١، بيروت دار العلم للملايين.
- العلي، صالح احمد، ١٩٨٣م، دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، (د/ط) ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

- العليان، عبد الله علي، ٢٠٠٣م، الإستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ط/١، الدار البيضاء، المركز العربي.
- علي، محمد كرد، ١٩٨٣م، **خطط الشام**، ط/٣، مكتبة النوري، دمشق.
- عمار، جمال فوزي محمد، ٢٠٠١م، **التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ط/١، القاهرة، دار القاهرة.
- عمارة، محمد، ١٩٨٠م، **الإسلام والسلطة الدينية**، ط/٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- عنان، محمد بن عبد الله، ١٩٩١م، **مؤرخو مصر الإسلامية**، (د/ط)، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر.
- غابرييلي، فرانسيسكو، بحث بعنوان "أعمال التاريخ العربية للحروب الصليبية"، ضمن كتاب **مؤرخو العرب والإسلام**، (د/ط)، تحرير برنارد لويس و هولت.
- غالي، بطرس بطرس ومحمود خيرى عيسى، ١٩٨٩م، **المدخل في علم السياسة**، ط/٨، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الفقاري، ناصر بن عبد الله، وناصر بن عبد الكريم العقل، ١٩٩٢م، **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ط/١، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع.
- فاروق عمر فوزي، ٢٠٠٤م، **التدوين التاريخي عند المسلمين**، ط/١، الإمارات العربية، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ.
- فوك، يوهان، ٢٠٠١م، **تاريخ حركة الإستشراق (الدراسات العربية والإسلامية حتى بداية القرن العشرين)** ط/٢، ترجمة عمر لطفي العالم دار المدار الإسلامي، بيروت.
- فيدمان (E. Wiedman)، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ط/٢، ج/١٤، مادة "الخوارزمي".
- قاسم عبده قاسم، ٢٠٠٠م، **تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية**، ط/١، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية.
- قدورة، زاهية، ١٩٧٢م، **الشعبوية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول**، ط/١، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- قطب، محمد، ١٩٩٩م، **المستشرقون والإسلام**، ط/١، القاهرة، مكتبة وهبة.
- لويس، برنارد، و ب.م. هولت، ٢٠٠٨م، **مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث**، (د/ط)، ترجمة سهيل زكار، دمشق، التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

- ليفي دي لا فيدا (G. Live Della Vida)، ١٩٦٩ م، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، ج/١٨، الشارقة، مركز الشارقة للإبداع الفكري.
- كراتشكوفيسكي، (Ing.Kratsch Kovsky) دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٣، مادة "أسامة بن منقذ".
- كراوثر، غوردان (T.Crouther Gordan)، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٩، مادة "ابن خلكان".
- كريم، فون، (د/ت)، الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية، (د/ط)، ترجمة خدا بخشن، (ويذكر مترجم الكتاب أن عنوان الكتاب أصلاً هو " تاريخ الغزوات الثقافية في بلاد الإسلام")، (د/ن)، (د/م).
- كريستنسن، آرثر، (د/ت)، إيران في عهد الساسانيين، (د/ط)، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، دار النهضة العربية .
- الكفيشي، عامر، ٢٠٠٣ م، حركة التاريخ في القرآن ط/١، بيروت، دار الهادي .
- كلاوس، كليير، خالد وعمر، ٢٠٠٠ م، بحث نقدي في مصادر التاريخ الإسلامي المبكر، (د/ط)، ترجمة محمد جديد، دمشق، الناشر قدمس.
- مارسيه W.Marcais، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/١٤، مادة "الخطيب البغدادي".
- مارغوليوث، ديفيد صموئيل، ١٩٢٩ م، دراسات عن المؤرخين العرب، (د/ط)، ترجمة وتحقيق حسين نصار، القاهرة، م(جموعة محاضرات ألقاها في جامعة كلكتا، الهند عام ١٩٢٩ م) .
- مارغوليوث، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، م/١، مادة "بييرس".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، م/١، مادة "ابن حبيب".
- ماكس ميرهوف (Max Merhof)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن اصبيعة".
- متفوخ (E. Mittwoch)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١، مادة "ابن سعد".
- _____، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/٣، مجلد/٥، مادة "أيام العرب".
- محافظة، علي، ١٩٨٨-١٩٨٩ م، الفكر السياسي الغربي الحديث من بداية القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر، محاضرات ألقيت على طلبة الدراسات العليا في كلية الآداب في الجامعة الأردنية.
- محل، سالم أحمد، ١٩٩٧ م، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، ط/١، سلسلة كتاب الأمة، عدد رقم (٦٠)، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

- محمد، محمد صالح محي الدين، ٢٠٠٤م، عودة الروح للخلافة الإسلامية، ط/١، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع.
- مصطفى، شاكراً، ١٩٧٩م، التاريخ العربي والمؤرخون، ط/٢، بيروت، دار العلم للملايين.
- معروف، بشار عواد، ١٩٧٦م، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، ط/١، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- المنجد، صلاح الدين، (د/ت)، المنتقى من دراسات المستشرقين، (د/ط)، القاهرة، لجنة التأليف والنشر.
- الموسوي، محسن جاسم، ١٩٩٣م، الإستشراق في الفكر العربي، ط/١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الموسوعة العربية العالمية، مجلد/١، ١٩٩٦، " مادة الإستشراق "، ط/١، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع.
- ميناج، ف.ل.، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج/٢٤، مادة الشاهنامة.
- مينيوي، مجتبي، بحث بعنوان المؤرخ الفارسي البيهقي، ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام.
- نالينو (M.Nalino) ، دائرة المعارف الإسلامية الموجزة، ط/٢، ج/٢، مادة "أبو الفرج الأصفهاني".
- النبراوي، فتحية عبد الفتاح، ١٩٩٣م، علم التاريخ/ دراسة في مناهج البحث، ط/١، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث.
- النشار، السيد السيد، ١٩٩٣م، تاريخ المكتبات في العصر المملوكي، ط/١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- نصّار، حسين، ١٩٨٠م، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط/٢، القاهرة، منشورات أقرأ.
- نصر، سيد حسين، الرواية الشفوية والكتاب في التعليم الإسلامي، الكلمة المنطوقة والكلمة المكتوبة- سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم ٢٩٧ بعنوان "الكتاب في العالم الإسلامي".
- النقشبندي، أسامة ناصر، ١٩٨٦م، بحث بعنوان "مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي"، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- النملة، علي بن إبراهيم، ١٩٩٣م، الإستشراق في الأدبيات العربية، ط/١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- هاشم صالح، ٢٠٠٧م، إنسداد التاريخ، ط/١، بيروت، دار الساقى.
- هاليداي، فريد، ١٩٩٧م، الإسلام وخرافة المواجهة – الدين والسياسة في الشرق الأوسط - ط/١، ترجمة محمد مستجير، القاهرة، مكتبة مدبولي.

- هفندك (Heffening)، دائرة المعارف الإسلامية، ط/١، مجلد/١٥، مادة طبقات.
- هرنشو، ف. ج. ك، ١٩٣٧ م، علم التاريخ، (د/ط)، ترجمة عبد الحميد العبادي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- هوروفتس، يوسف، ١٩٤٩م، المغازي الأولى ومؤلفوها، ط/١، ترجمة حسين نصار، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- هوروفتس، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط/٢، ج ١٦، مادة "الزهري".
- والترسكوت، رواية الطلسم، تراث الإنسانية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، (د/ط)، القاهرة، (د/ت)، المجلد الأول.
- ويدجيرى، البان. ج. (Alban. G. Widgery)، ١٩٧٩م، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ط/٢، ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت، دار القلم.

ثالثاً: المراجع الاجنبية:

- Gibb, H. A. R. **Studies on the Civilization of Islam**, Edit by: Stanford J. Show William R. Polk. Routledge & Kegan Paul Limited, London, 1962.
- Goldziher, Ignac, **Muslim Studies**, Edited by: S. Stern, George Allen & Unwin LTD. London, Vol.1, 1967.
- Macdonald, Duncan Black, **The Religious Attitude and Life in Islam**, Universty of Chicago, 1908.
- Wil and Ariel Durant, **The Lessons of History**, Simon, Schuster, 1968 .

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- عيفان، معن سعدون، ١٩٩٨م، البرزالي ومنهجه التاريخي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القديس يوسف، بيروت، لبنان.
- المقابلة، معن علي أحمد، ١٩٩٩م، إحياء الخلافة العباسية في الفترة من (٥٣٠ - ٦٢٢ هـ / ١١٣٥ - ١٢٢٥م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، عمان، الأردن .
- الوخيان، عيسى محمد، ٢٠١١م، ولاية العهد في العصر الفاطمي، رسالة دكتوراة غير منشورة، عمان الأردن.

خامساً: المقالات والدوريات بالعربية:

- حوراني، ألبرت، إنجازات مستشرق، ترجمة سلام فوزي، مجلة الفكر العربي، العدد/٣١، كانون/٢- آذار ١٩٨٣ م، السنة الخامسة، بيروت.
- الصقار، سامي، ١٩٨٢م، الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

سادساً: المقالات والدوريات بالإنجليزية:

- Gibb, H.A.R., **Notes on the History of the early Cruades**, Bulletin of the School of oriental Studies, Vol, VII, 1933-1935.
- Gibb .H.A.R. ”**Arabic sources For The life of saladin**”speculum Bulletin, Vol.XXV. (Cambridge, pres, 1950).
- Gibb. H. A. R, Encyclopedia of Islam, Supplement leidon, E. J. BRILL & London & Co. 1938, “TARIKH”.
- Krenkow, F. **The tow Oldest Books**, Islamic Culture, Vol . II

سابعاً: الإنترنت

- سيد أشرف صالح محمد، التفسير اللاهوتي للتاريخ، *دورية كان التاريخية* (دورية اليكترونية محكمة- ربع سنوية)، السنة الثانية، العدد (٥)، ٢٠٠٩ م.

HAMILLTON A.R.GIBB AND HIS ROLE IN STUDYING ARAB – ISLAMIC HISTORY

by

"Mohammad Tariq" Mohy Eddeen Marzouqa

Supervisor

Dr. Ali Mahafzah, Prof.

ABSTRACT

The Significance of this study represented in its approach to H.A.R. Gibb study of Arab – Islamic history, from pre-Islamic realm until the tenth century A.H. And enhances the importance of this study, its reliance on primary Islamic Sources, Orientalism studies, and up date references related to the subject.

The difficulties which faced the researcher were The multilateral Subjects which H.A.R.Gibb deal with, : translation and analysis of some sources, studies and articles from English language to Arabic , as well as the length of the period of the study.

The Study, in addition to the introduction, consists of six chapters and a conclusion followed by the sources and references. The first chapter is a brief highlight about orientalism, and Hamilton Gibb life – his originate – personality Culture and professional Sides of his life, and his writings, and his methodologies of research in Studying the Arab – Islamic history.

The Second chapter Searched on H.A.R and Arab histography per-Islam, and discussed the sense of linguistic and terminology of the word history, and the historical of Arab heritage pre-Islam in south of Arabia from writing, inscription and oral narrations, also in north Arabia, and what they have a signs such as Arab days, Genealogy, orientalist studies of Arab Genealogy, and the Genealogy of the Arab pre-Islam and after rise of Islam.

The third chapter deals with H.A.R. Gibb's attitude from historiography from first to third century, historical narrations after the rise of Islam, and the assigned to narration, and the pioneers of Al- Magazi, and biography of prophet (Peace be upon him), and narration developments in the early stage of Islam, and the role of language scholars in collecting historical narration, and obtainable documents, and paper manufacture, oral narration and early historiography .

The fourth chapter discussed H.A.R.Gibb and the historical consciousness among the Arab, and the impact of the Koran in that, and Gibb religious looks at history, and the interpretation of history by church and Islam, and Gibb attitude from Koran and revelation, and his view of Arabic mind.

The fifth chapter contained H.A.R.Gibb's View to Historiography from third to sixth century A.H. and discussed the continuous of historical context, and the development of assigned to historical narration, and also treated the historical writing directions as classified by Gibb which are: domestic historical, annals contemporary, biographical and memories, and private annals, and the beginning of writing in Persian language, and the kinds of categorized which related to history.

The last chapter deals with H.A.R.Gibb's Vision to historiography from sixth to tenth century A.H. included writing the annals biography, political events, and two studies of Gibb “ Arab sources about Saladin life” and “ Notes on the history of the early crusade”, and the universal view of history, and annals encyclopedic, and general historical, and history of countries & ruling families, and historical schools: Syrian, Egyptian , Yamani, and special Categorizes, and biographies in literature medicine, Sciences, and comprehensive dictionaries.